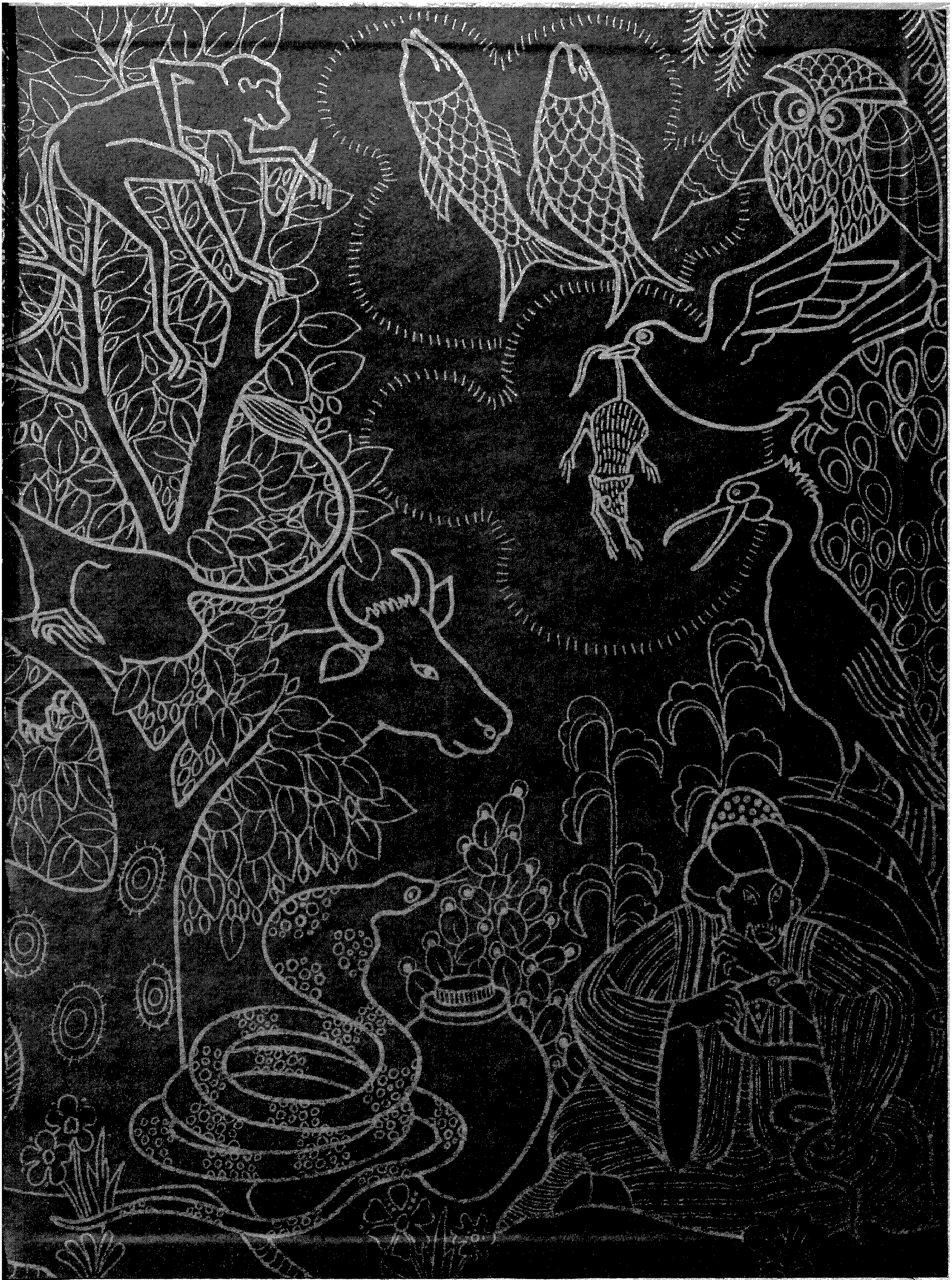
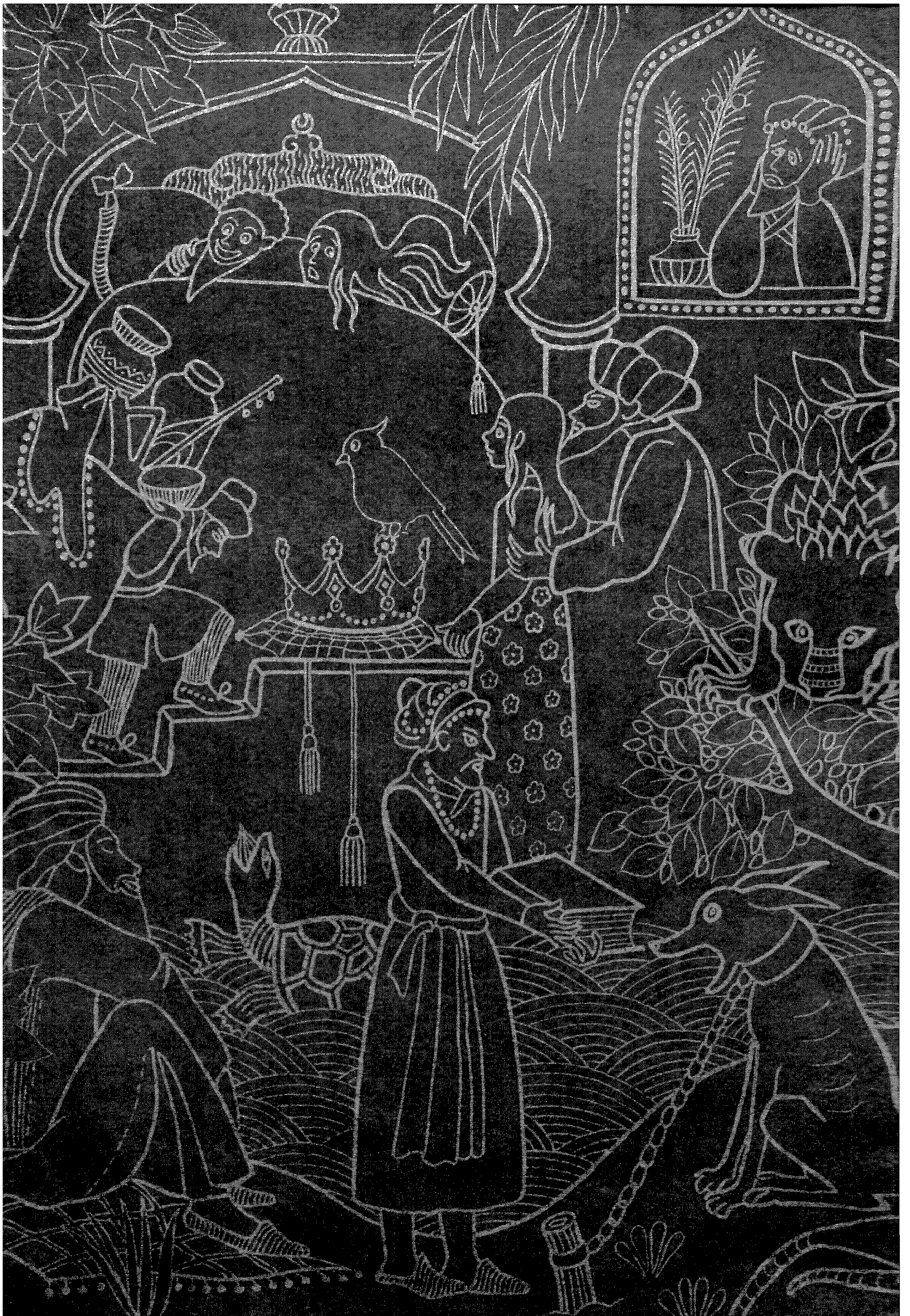


كَلِمَاتٌ وَحِكْمَةٌ



دار الشريعة







أَكْمَلُ النُّسخِ وَأَصْحُهَا وَأَقْدَمُهَا

جميع الحقوق محفوظة للناشرين

دار الشُّرُوق

بيروت : ص.ب. : ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩-٣١٥١٠١
بترقيًا : داشروق - تليكس: ٢٠١٧٥ شروق

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

٣ شارع زيروت يوسف - الجزائر

الطبعة الثانية

١٩٨١م - ١٤٠١هـ

كَلِيلُ وَدَمْنَةُ

لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُقَفَّعِ

طبعة جديدة منقحة
للسخة التي حققها وقدم لها
الدكتور عبد الوهاب عزّام

تصدير • الدكتور أحمد طالب إبراهيمي

• عبد الرحمن ماضي

الإشراف العام
عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر

• محمد المعلم

عن دار الشروق

اللوحات • سوزانة قريظة

الغلاف وتصميم مدخل الأبواب
الإخراج والإشراف الفني

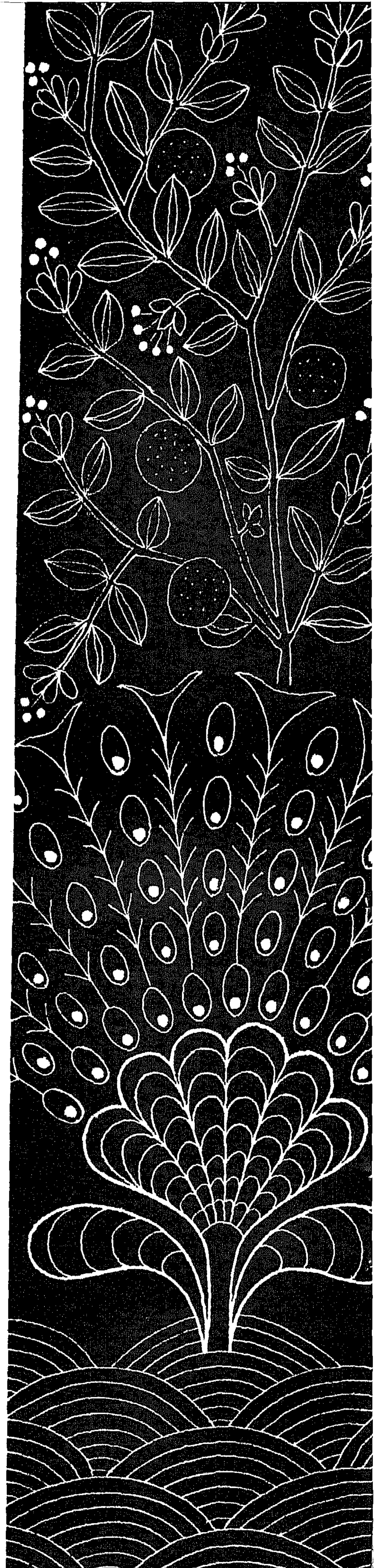
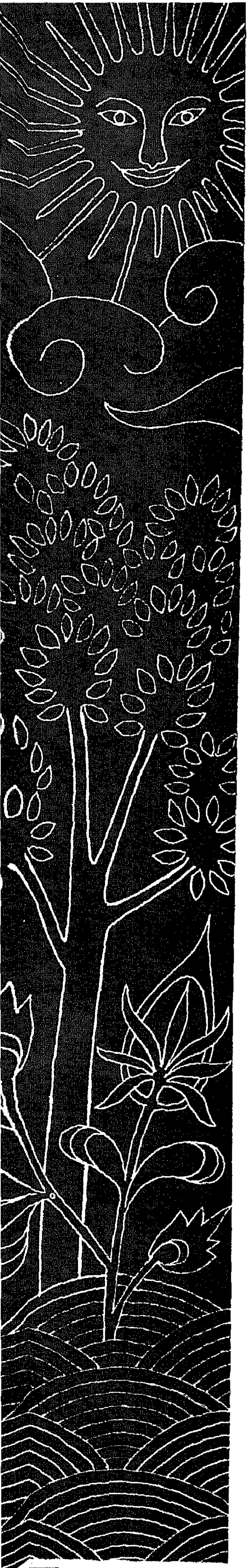
عبد السلام الشريف

أشرف على التنفيذ • المهندس إبراهيم المعلم

• الناشران

دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة • بيروت

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع • الجزائر





طبع الكتاب في
مطابع الشروق • بيروت

تصدير بقلم :

الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي

يسرني أن أقدم لقراء العربية هذه الطبعة الجديدة من كتاب كلية ودمنة الذي نقله عن الفارسية عبد الله بن المقفع .
ولسائل أن يسأل : لماذا اخترنا كتاب كلية ودمنة من بين كل الكتب وأعطيناه هذا الاهتمام ، وطبعناه هذه الطبعة الفاخرة المزينة بالرسوم التي تصور بعض أحداث القصص المروية ؟

لقد دفعنا إلى اختيار هذا الكتاب عدة عوامل :
أولها : أن تلعب الجزائر المستقلة دورها في إحياء التراث العربي الإسلامي وتشارك بذلك أشقاءها في البلدان العربية ، وكتاب كلية ودمنة من أحسن الكتب التي تمثل هذا التراث ، فهو أثر فني رفيع جمع بين الأدب والأخلاق والسياسة والحكمة والتربية .
ورغم أن الكتاب عريق في القدم فما زالت الحاجة إليه تتجدد لاتفاق العامة والخاصة على تقديره ، والانتفاع به ، وما أحوج أجيالنا وناشئتنا لمثل هذا الكتاب وتدبر ما فيه .

وثانيها : إن الفترة التي عاشها ابن المقفع تشبه هذه الفترة التي نعيشها اليوم ، فقد كانت الثقافة العربية الفتية آنذاك تهضم كل ما في الثقافات الأخرى ، وحيث نشطت حركة الترجمة إلى العربية من علوم الهند والفرس والاعرق وغيرها ، وجاء اختيارنا لهذا الكتاب باعتباره من أوائل الكتب المترجمة إلى العربية ، هذه الترجمة الراقية التي تدل على براعة ابن المقفع ، وقد ذكر العلامة محمد كرد علي في كتابه «كنوز الأجداد» ما نصه :
«لم يعرف لمقدم ولا متأخر أن نقل إلى اللسان العربي شيئاً في الأدب والعلم لا تحس فيه أثر اللغة المنقول عنها إلا ابن المقفع» .

وقد ترجم الكتاب إلى أكثر من عشرين لغة ، أخذ معظمها عن الترجمة العربية ، كما أن كثيراً من الأساطير والحكايات التي نراها في الآداب العالمية مستوحى من كتاب كلية ودمنة .

والعامل الثالث في اختيارنا لهذا الكتاب أن لغته تعتبر آية في البلاغة العربية التي توصف بالسهل الممتنع ، فأسلوبه سهل ولغته مبسطة ، وبما أن الجزائر تخوض اليوم معركة التعريب فإن هذا الكتاب يعتبر من أهم الوسائل المساعدة على ذلك . وأسلوبه ولغته ، مما يشجع شبابنا على المطالعة ويساعده على تكوين ملكة الكتابة . بالإضافة إلى المعاني السامية التي يحتوي عليها والدروس والعبر التي يضمها ، والتي لا يستغني عنها الكبار ولا الصغار .

طبعة

الجزائر في 28 ذي الحجة 1392

الموافق 1 فبراير 1973

مقدمة

الدكتور

عبد الوهاب

عزام



مقدمة

الدكتور عبد الوهاب عزام

القسم الأول :

طبقات الكتاب وأصولها

1 - لماذا نُعنى بهذا الكتاب

كأني ببعض من يطلعون على هذه الطبعة لكتاب « كليلة ودمنة » أو يسمعون بها يقولون: ما لهذا الكتاب يُعنى به، ويُبذل في تصحيحه وتوضيحه ومقابلة نسخه وبيان تاريخه هذا الجهد العظيم، وتنفق على نشره هذه الأموال الكثيرة، وهو كتاب تكرر طبعه في الشرق والغرب، وتوالت طبعاته في مصر منذ عهد محمد علي باشا إلى اليوم، واتخذته وزارة المعارف كتاباً مدرسياً فلا تجد في مصر عالماً أو متعلماً إلا اطلع عليه وقراه كله أو بعضه؟ وإني أعجل الجواب لهؤلاء فأقول :

قليل من الكتب نال من إقبال الناس وعنايتهم ما نال هذا الكتاب؛ فقد تنافست الأمم في ادخاره منذ كُتب، وحرصت كل أمة أن تنقله إلى لغتها. فليس في لغات العالم ذات الآداب لغة إلا تُرجم هذا الكتاب إليها. وبحق عُنت الأمم بهذا الكتاب العجيب الذي يحوي من الحكم والآداب وضروب السياسة وأفانين القصص ما يملأ القارئ عيرة وإعجاباً وسروراً .

والأمم العربية أولى أن تُعنى بهذا الكتاب في لغتها، وأجدد أن تهتم بتأريخه وتوضيحه ونقده لأسباب عدة : أولها أن النسخة العربية أصل لكل ما في اللغات الأخرى - حاشا الترجمة السريانية الأولى - فقد فُقد الأصل الفهلوي الذي أخذت عنه الترجمة العربية. وفُقد بعض الأصل الهندي الذي أخذت عنه الترجمة الفهلوية، واضطرب بعضه. فصارت النسخة العربية أمماً يرجع إليها من يريد إحداث ترجمة أو تصحيح ترجمة قديمة؛ بل يرجع إليها من يريد جمع الأصل الهندي وتصحيحه .

والثاني من الأسباب أن هذا الكتاب كُتب باللغة العربية في منتصف القرن الثاني من الهجرة. فهو من أقدم ما بين أيدينا من كتب النثر العربي، وأسلوبه مثال من أقدم أساليب الإنشاء في لغتنا؛ وهو لذلك جدير بعناية مؤرخي الأدب العربي.

والثالث أن هذا الكتاب نُقل من الفارسية إلى لغتنا. ولمؤرخي الآداب كلام كثير في تأثير الأدب الفارسي في الأدب العربي في تلك العصور. والترجمة من أقوى الوسائل لتأثير أدب في آخر. فدراسة هذا الكتاب تُبين صلة ما بين الفارسية والعربية في القرن الثاني، وتبين أن الأساليب العربية أخذت من الأساليب الفارسية أو لم تأخذ. والرابع من دواعي العناية بهذا الكتاب أن عندنا منه نسخاً مختلفة لا تتفق اثنان منها اتفاقاً تاماً، ويعظم الخلاف بين بعضها بالزيادة والنقص في بعض الأبواب وبعض القصص والأمثال، وبالإطناب والإيجاز واختلاف الألفاظ في الموضوع الواحد حتى يعجب القارئ الذي يقيس نسخاً من الكتاب بأخرى، ويغلب على ظنه أن الكتاب ترجم إلى العربية أكثر من مرة وسيأتي بيان هذا.

وقد عثر الأستاذ هرتيل (Johannes Hertel) على كتاب «بنج تنرا» الهندي وهو أصل من أصول «كليلة ودمنة». ودعا بعضُ المستشرقين إلى تحريّ النص الصحيح العربي ليستعان به على تصحيح الأصل الهندي. وعُني الأستاذ برستيد (James H. Brestead) رئيس المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو بدراسة النصوص العربية لكتاب «كليلة ودمنة». وكتب الأستاذ سبرنجلين (Sprengling) من أساتذة هذه الجامعة مقالاً مفصلاً في الجريدة الأمريكية للغات والآداب السامية (The American Journal of Semitic Languages and Literatures) عدد يناير سنة ١٩٢٤ (1924) يبيّن فيه عناية هذه الجامعة بتصحيح النص العربي للكتاب، وعدّد المخطوطات الكثيرة التي جمعت من أرجاء العالم لهذا المقصد، ودعا الأدباء في الشرق والغرب إلى إمداده بما عندهم من نصوص وآراء لهذا العمل.

2 - طبعات الكتاب

فإن كان الكتاب لهذه الأسباب جديراً بعناية أدباء العربية، قميناً بأن يطبع مستوفياً حقه من التصحيح والنقد، فهل طبع الكتاب مرة على هذه الشاكلة؟ ليس في طبعات الكتاب التي ظهرت في أوروبا والبلاد العربية وبلاد الشرق الإسلامي طبعة واحدة جديرة بثقة القارئ الناقد، صالحة أن يعتمد عليها مؤرخ لهذا الكتاب أو مؤرخ للأدب العربي. وبرهان هذه الدعوى فيما يلي:

١ - طبعة دي ساسي

طبع الكتاب لأول مرة في باريس سنة ١٨١٦ م 1816، طبعه المستشرق الكبير سلفستر دي ساسي (Sylvestre de Sacy). ويتبين من المقدمة التي كتبها الناشر أنه رأى كثرة الاختلاف بين النسخ التي وجدها في باريس فاختر أقدمها في رأيه، وصحّحها ونقّحها من نسخ أخرى. وكانت النسخة التي اختارها في حاجة إلى التكميل والتصحيح والتنقيح، فيها نقص تداركه بعض القراء بخط حديث، وفيها مواضع ذهب بها البلي، وكلمات محيت فوضعت موضعها أخرى. فالكتاب الذي نشره دي ساسي لا يقدم للناقد نسخة واحدة تصلح للنقد والمقايسة، ولكن نسخة

ملفقة. ولهذا لم يثق بها المستشرقون الذين عنوا بالموضوع أمثال فلكنر (Falconer) وجويدي (Guidi) ورايت (Wright) وزتنبرج (Zotenberg). وشاركهم الأب شيخو في رأيهم. يقول نلدكه (Noldeke): « يمكن أن يقال إن اختيار أي مخطوط رديء للطبع كان أجدي على النقد » (Kalilah and Dimnah by Falconer) ص (XVII). وقد وجد نلدكه أن النسخة التي كانت أقل النسخ حظاً من عناية دي ساسي هي أقرب النصوص إلى النسخة السريانية القديمة .

ب - الطبعات المصرية

وكل الطبعات التي طبعت في مصر كانت تكراراً لهذه الطبعة؛ فالطبعتان اللتان أخرجتهما مطبعة بولاق سنة ١٢٤٩ (1249) وسنة ١٢٥١ هـ (1251) في عهد محمد علي باشا، صورتان من طبعة دي ساسي إلا كلمات قليلة. يقول مصحح الكتاب في المقدمة :

« فصادف سعده (أي محمد علي باشا) المقترن من الله بالمنة، وجود نسخة مطبوعة بالعربي في غير بلاد العرب من كتاب كليله ودمنة. وهي التي ترجمها عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور في أيام أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور. وكانت ترجمتها من اللغة الفهلوية إلى اللغة العربية. واتفق الناس على صحة تلك النسخة لشهرة مصححها بالألمعية. (وهنا ينقل المصحح فقرات من مقدمة دي ساسي تبين طريقة هذا المستشرق في تصحيح الكتاب) .

« ثم إن تلك النسخة المطبوعة عرضت هي وغيرها على شيخ مشايخ الإسلام وقدوة عمدة الأنام مولانا الشيخ حسن العطار، أدام الله عموم فضله ما دام الليل والنهار. فقال: يصح ألا يوجد لها في الصحة مثال، لشهرة مصححها بالضبط وسعة الاطلاع على الأقوال. وحينئذ اتفقت الآراء على أن يكون المعول في طبع ذلك الكتاب عليها، ومنتهى اختلاف النسخ ووافقها إليها. فبادرت إشارة الأمر بصريح الامتثال، وسرحت في رياض تلك النسخ سائم الطرف والبال. فوجدت المطبوعة أفصحها عبارة، وأوضحها إشارة، وأصحها معنى، وأحكمها مبنى؛ غير أن فيها لفيظات حادت عن سنن العربية، وبعض معان مالت بها الركاكة عن أن تفهم بطريقة مرضية. فقرت أضياف المعاني بأي لفظ تشهيه. ورب البيت أدري بالذي فيه. خصوصاً مع وجود المواد التي تكشف عن وجوه الصحة نقاب الاشتباه، ومن كان ذا مكنة فلينفق مما آتاه الله. مستعيناً على ذلك بما لدي من النسخ التي بنحظ القلم، معولاً على عناية من علم الإنسان ما لم يعلم » .

وكل الطبعات التي توالى في مصر كانت تكراراً لطبعة بولاق إلا فصولاً وجملاً ألفت غير ملائمة للآداب فحذفت .

ج - طبعتا اليازجي وطبارة

والطبعات الشامية كذلك اعتمدت على طبعة دي ساسي وما حكاها من طبعات مصر مع تصحيح أو تلفيق بينها وبين بعض المخطوطات .

ذكر الشيخ خليل اليازجي في مقدمة طبعته أنه عثر على نسخة مكتوبة منذ ثلاثمائة سنة، وقايس بينها وبين

النسخة المطبوعة في مصر ونسخة دي ساني، ووجد بينهما اختلافاً كثيراً، ثم قال: «وقد جمعت بين النسخ الثلاث وطبقت بينها بأن اخترت من كلٍ منها أحسنها مع نقل المزيد في نسخة الخط المشار إليها وإصلاح ما في النسخ الثلاث من أغلاط النساخ وغيرها وزياداتٍ أُخر زدتها مما عنّ للخاطر الضعيف للربط بين فواصل الكلام أو لاستدعاء المقام لها أو لاستحسان موقعها أو استطراداً جرّ إليه سياق الكلام مما يظن أن النسخة الأصلية لم تخلُ عن شيء بمعناه وغير ذلك مما جرّاني عليه الرغبة في ردّ هذا الكتاب الجليل ما أمكن إلى رونقه القديم وإن كان يقصر عن ذلك ذرعي ويضيقُ وسعي ولكني فعلت رجاء أن أستعين به عليه وأتطرق منه إليه. فتيسّر لي أن أجمع من النسخ الثلاث نسخة وافية جديرة بأن تنزل منزلة النسخة الأصلية». ثم يذكر أنه حذف أمثالا وعبارات لا تلائم آداب العصر، ولا تصلح لقراءة التلاميذ .

وأما نسخة أحمد حسن طبارة التي استعان على تصحيحها السيد مصطفى المنفلوطي فيقول في مقدمتها إنه عثر على نسخة مصوّرة كتبت سنة ١٠٨٦ هـ (1086)، فعزم على طبعتها، ثم يقول: «فغنيتُ أولاً بمقابلتها على ما توفّر لديّ من نسخها كنسخة باريس المطبوعة سنة ١٨١٦ (1816) ونسخة مصر المطبوعة سنة ١٢٩٧ (1297) ونسخ بيروت الشهيرة واخترت منها ما كان أقربها إلى الأصل وأبعدها عن التحريف والتبديل وأسلمها من الزيادة والنقصان». فترى من هذا أن نسختي اليازجي وطبارة، على ما لقيتَا من تصحيح وعناية، قد لُفقت لهما نسخ مختلفة، ووقع فيهما من تصرف الناشرين ما يذهب بقيمتها التاريخية، ويقلل خطرهما في رأي الناقد .

د - طبعة شيخو

يقول الأب شيخو في المقدمة الفرنسية التي قدّمها لطبعته إنه عثر في دير الشير في لبنان على مخطوط من كتاب «كليلة ودمنة» كتب سنة ٧٣٩ هـ (739)، وإنه رأى في أسلوبها شبيهاً بما يُعرف من أسلوب ابن المقفع، ورأى أنها أقرب النسخ إلى الأصل الهندي «بنج تنترا» وإلى الترجمتين السريانيتين: الترجمة القديمة المأخوذة عن الفهلوية، والحديثة المأخوذة عن العربية، وإنه طبع الكتاب كما هو، لم يصحح أغلاطه ولم يوضح غامضه ليكون أمام المستشرقين صالحاً للمقارنة والنقد .

ثم يقول إنه ألحق بالكتاب الأبواب التي ليست في نسخته، مطبوعةً بحروف صغيرة تميزها عن الأبواب التي في نسخته .

ولا ريب أنّ طبعة شيخو - على ما فيها من سقط وغلط وتحريف كثير، بعضه يدرك صوابه لأول نظرة، وبعضه لا يدرك إلا بعد طول بحث ومقارنة - لا ريب أنّ هذه الطبعة أول طبعة في اللغة العربية تقدّم للقراء نصّاً كاملاً غير ملفّق من كتاب «كليلة ودمنة»، وتصلح أن تكون حلقة في سلسلة البحث عن أصل هذا الكتاب كما تُرجم عن الفهلوية .

ثم قال الأب شيخو في آخر مقدمته إنه سيصحح نسخته من مخطوطات أخرى ليجعل منها نسخة مدرسية. وقد أخرج من بعدُ نسخة مدرسية مصححة .

وهذا مثال من نسخة شيخو يبين تحريفها. ويرى استدراك الأب شيخو بين هاتين العلامتين () واستدراكنا بين العلامتين الأخرين [] : «ولست أجدني مخصوصاً [مخصوصاً] في هذه المقالة لأنني لم أخالفه في شيء من

ذلك قط على رؤوس جنده إلا وقد تدبّر [تدبّرت] فيه المنفعة والزين. ولم أجاهره بشيء من ذلك قط على رؤوس جنده ولا عند خاصته وأصحابه ولكن كنت أخلو به فألتمس ما أكلمه من ذلك كلام القانت لربه الموقن له وعرفت أنه من طلب الرخص من النصحاء عند المشاورة ومن الأطباء عند المرضى وعند الفقهاء في الشبهة (كذا) [والفقهاء عند الشبهة] أخطأ منافع الرأي وازداد في الرأي المرض (كذا) وجعل الوزر في الدين [فقد أخطأ الرأي وزاد في المرض واحتمل الوزر]. فإن لم يكن هذا فعسى ذلك أن يكون من بعض سكرات السلطان فإن من سكراته أن يرضى عن من [عمّن] استوجب السخط ويسخط على من استوجب الرضا (الرضى) من غير سبب معلوم. وكذلك قالت العلماء: خاطر من لجج في البحر وأشد منه مخاطرة صاحب السلطان فإن هو صحبهم (كذا) [يستعمل السلطان جمعاً وهو استعمال صحيح قديم] بالوفاء والاستقامة والمودة والنصيحة خليق (كذا) لأن يعثر فلا ينتعش أو يعد (يعود) وقد أشفى على الهلكة ان ينتعش وان لم يكن هذا فلعل بعض ما أُعطيته من الفضل جعل فيه هلاكي. فإن الشجرة الحسنة ربما كان فسادها في طيب ثمرتها إذا تنوّلت [تنوّلت] أغصانها وجذبت حتى تكسر وتفسد. والطاوس ربما صار ذنبه الذي هو حسنه وجماله وبالا عليه فاحتال (فإذا احتال) [لا حاجة لما بين القوسين] إلى الخفة والنجاة ممن يطلبه فيشغله عن ذلك ذنبه. والفرس الجواد القويّ ربما أهلكه ذلك فأقصد (كذا) [فأجهد] وأتعب واستعمل لما عنده من الفضل حتى يهلك « شيخو (الطبعة الثانية ص 82 ٨٢) . وليست هذه الفقرات أكثر من غيرها تحريفاً .

3 - نسختنا

يرى مما قدمت أنّ كتاب « كليله ودمنة » طبع طبعات مدرسية كثيرة تفي بتعليم الناشئة، ولكنه لم يطبع طبعة واحدة يطمئن إليها الناقد الذي يتحرى ما كتبه ابن المقفع .

فلم يكن عجيباً أن يطول البحث والعناء ليطلع الكتاب طبعة أخرى. وكان من سوء الاتفاق أنّ هذه الحرب الماحقة التي يصلّى بناها جناتها وغير جناتها، شبت ونحن نتأهب لنشر هذا الكتاب فلم يتيسر لنا تحصيل المخطوطات التي أردناها؛ ولكن كان من حسن الحظ أن عثرنا على نسخة في مكتبة أيا صوفيا باسطنبول كتبت سنة ٦١٨ هـ (618). فهي أقدم من كل المخطوطات التي وصفها المستشرقون، وأقدم من نسخة شيخو المكتوبة سنة ٧٣٩ هـ (739) والتي رآها شيخو أقدم نسخة مؤرخة فكتب على صفحة العنوان: « أقدم نسخة مخطوطة مؤرخة لكتاب كليله ودمنة ». لم يكن القدم وحده سبباً لاختيارنا هذه النسخة واحتمال العناء الطويل في نشرها؛ ولكن اجتمعت فيها مزايا ظننا معها أنها جديرة بالنشر، وأن نشرها خطوة سديدة في سبيل نقد الكتاب وتقريبه من أصله جهد المستطاع .

وهذا وصف النسخة وتبيين مزاياها وعيوبها :

عنوان النسخة: « كتاب كليله ودمنة مما وضعته علماء الهند على لسان الطير والوحش وغير ذلك، في الحكم والأمثال ». وتحت العنوان: « يثق بالكافي محمد بن الحجاني ». وتحت هذا ثلاثة أسطر مشطوبة شطباً يمنع من قراءتها. وفي آخر النسخة: « تم الكتاب بعون الله وتوفيقه وكان الفراغ منه في مستهل جمادى الآخر من شهر سنة ثمانية عشر وستمائة غفر الله لكاتبه ولصاحبه ولنظر فيه ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات. كتبه لنفسه الفقير إلى الله تعالى المعترف بالتقصير عبد الله بن محمد العمري عفا الله عنه » .

وبعد هذا خمسة أبيات في وصف الكتاب .

وبعدها: «وحسبنا الله ونعم الوكيل» في سطر. وفي سطر آخر: «كعمق زهوق»*. وفي سطر آخر: «الحمد لله وحده اه اه اه».

وبعد هذا سطران فيهما اسم بعض من ملكوا النسخة، ثم البيتان:

[لئن] نال غيري وهو دوني وصالها وأصبح ذكري عندها غير نافقي [نافق]
فكم بيدق للشاه أصبح قاهرا ولا زال قدر الشاه فوق البيادقي [البيادق]

والظاهر من صفحتي العنوان والخاتمة أنّ صاحب النسخة اسمه محمد بن الحجاقي، وأنّ كاتبها اسمه عبد الله ابن محمد العمري، وأنّ الكاتب من عامّة النساخ لا يجيد النحو ولا رسم الحروف. فقد كتب: «كليلة ودمنة» بالصرف، وكتب: «جمادى الآخر من شهور سنة ثمانية عشر وستائة»، والصواب: جمادى الآخرة من شهور سنة ثماني عشرة وستاية، وكتب في أبيات في الصفحة الأخيرة: «ألسنت فصيحة» بقاء مفتوحة بدل: «ألسنة».

ولهذا وقع في النسخة تحريف شنيع، وسقط في جمل وكلمات وحروف، ورُسمت بعض الكلمات وأعجمت على صورة عجيبة لا توافق حروف العربية، حتى ظننت أنّ الكاتب كان لا يحسن قراءة الكتاب وكان يرسم الحروف كما يراها فيخطئ في كثير منها. وبين أنّ نصيب الكلمات الغريبة من هذا التحريف أوفر. وبعض التحريف لا يُفسّر إلا بأنّ الكاتب كان يستملي فيسيء السمع أو يخطئ الرسم.

وهذه أمثلة من التحريف، وقد وضعتُ تصويبها بين هاتين العلامتين []:

«ثم إنّ شذبة لم يلبث أن عكن وشحن وسر [.. أن عكد وشحم وتر]» (ص ٨٤ 84).

«كان أسد البصيرة وأبلج الصدر وأحرى أن يُقدم المزيده على غيره الشبهة والشك [كان أسد للبصيرة وأثلج للصدر، وأحرى أن يُقدم المرء به على غير الشبهة والشك]» (ص ١٣٤ 134).

«فإنّ الكاتم لدم المجرم في رتغ منتفع شرکه إياه فيه [فإنّ الكاتم لجرم المجرم في وتغ مُبتغٍ شرکه فيه]» (ص ١٣٦ 136).

«لم يقبض المحتال ولا للحسب [لم يقبض للجمال ولا للحسب]» (ص ١٨٨ 188).

«كذلك العالم يبصر الإثم قبيحه والبغي فيعلمه [يبصر الإثم فيجتنبه، والبر فيعمله]» (ص ٢٤٧ 247).

«فاطمئن إلى ما ذكرت وتؤمني [فاطمئن إلى ما ذكرت، وثق به مني]» (ص ٢٧٢ 272).

ومن التحريف الذي أحسبه نشأ عن الإملاء:

«لقد أورتني [أورطني] الحرص والشره، على كبر السنّ، شر مورط» (ص ٢٢٤ 224).

«لم يأتي [يأت] إليك شيئا إلا وكنتي [كنت] ركبتني [ركبت] من غيرك مثله» (ص ٣٢٢ 322).

وإذا عرف القارئ أنّ كثيرا من هذه الجمل المحرّفة تنفرد بها نسختنا فلا يمكن تصحيحها من النسخ الأخرى، وأنّ بعضها يقابله تحريف مثله أو أشنع منه في نسخة شيخو، تبين مقدار العناية الذي احتمل في رد هذه الجمل إلى صواب يطمئن إليه الباحث.

* «كعمق زهوق» أو «كبيكج»: ألفاظ كان يكتبها الناسخون أو مالكو النسخ على مخطوطاتهم ظناً منهم أنها تحميا من الأرضة (المراجع)

نموذج من نسخة الخطية (الصفحة الأولى)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله اللطيف الخبير العليم القدير القاهر في ملكه
الدايم في عزه العادل في قضائه المنفرد في ملكوته تائق
الخلق وبأسط الزرق ليس كمثلها شيا وهو الشيع البصير
نعم المولي ونعم البصير خلق آدم بيده ونمغ فيه من روحه
واسكن فيه علمه وتوارث ذلك دريته فمنهم شعيبرا
بارادته وشقيا بقدرته واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له بشهادة ارجوا بها الخلاص وافوز بها يوم الاقلا
واشهد ان محمد عبده ورسوله خلفه للهدى وقد فاز من به
اهتدي صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم

ص

هذا كتاب طليله ودينه وهو ما وصفته علي
الهند من الامثال والاحاديث التي التمسوا بها المخرج
يحدون من القول في الحق الذي ارادوا ولم يزل العقلاء من اهل
كل زمان يلتمسون ان يعقل عنهم ويحكمون لولا انهم
الحيل ويطلبون في افراح ما عندهم من العلق فدناهم ذلك الي
ان وضعوا هذا الكتاب ولخصوا منه من لم يخ الكلام ومنفعته
على نواه الطهر والبهائم والسيباع فاجمع لهم من ذلك امران
اما هم فوجدوا متصرفا في القول وسعها ما حذر فيها واما هو
فجمع له وحله فاجتباها الحكماء الحليمة والسخا للهوه واما المعلق
من الامرات وغيرهم فسطوا لعله وحفر عليهم خنقه فاذا احتل
الحدث واحتج له اموه وثاب اليه عقله بدر ما كان خنص منه

ويرى القارئ مثلاً من تتبّع الجمل المحرّفة في مواضعها من تراجم الكتاب المختلفة في تعليقات باب «البوم والغربان» (ص 188 ١٨٨ : تعليق رقم ٤ 4) حيث يرى كيف صححت الجملة: «فإن من يراكل القتل يراكل الحيف» فردّت إلى أصلها: «فإن من يواكل الفيل يواكل الحيف» .

4 - مزايا هذه النسخة

ولكن هذه النسخة، على تحريفها وما فيها من سقط، تفضّل النسخ المطبوعة كلها، وتحوي نصّاً يخالف ما في تلك النسخ مخالفة بيّنة، وتمتاز بمزايا منها :

1 - احتواؤها جملاً طويلة تشبه ما يعرف من كلام ابن المقفع في كتبه. وهذه الجمل تلتقى مختصرة أو ميسّرة في النسخ الأخرى. وواضح أنّ تصرف النسخ والقراء يكون بتقريب الكتاب وتيسير جملة لا العكس؛ فالجمل الطويلة المستغلقة في نسختنا حرّية أن تكون أقرب إلى الأصل من الجمل القصيرة اليسيرة التي تقابلها في النسخ الأخرى .

2 - ومنها أنّ في نسختنا جملاً يبيّن فيها أثر الأسلوب الفارسي وقد غيّرت في النسخ الأخرى بما يُدخلها في الأساليب العربية المألوفة. وهذه أمثلة منها:

« حتى غلب على صاحب البيت النعاس ، وحمله النوم » (ص ٤٠ 40) فجملة: « حمله النوم » ترجمة لفظية للجملة الفارسية: « خواب أورا برد » . وفي النسخ الأخرى: « فغلب الرجل النعاس » .

« وعرفت أني، إن أوافقته على ما لا أعلم، أكن كالمصدّق المخدوع الذي زعموا أنّ جماعة من اللصوص ذهبوا إلى بيت رجل من الأغنياء الخ » (ص 65٦٥). وظاهر أنّ « الذي » هنا ليست ملائمة للسياق وليس بعدها عائد على الموصول. ويقابل « الذي » في الفارسية: « كه »؛ ولكن « كه » تأتي أيضاً للتعليل أو التفريع. فكان ينبغي أن تترجم الجملة: فقد زعموا الخ. ولكن المترجم وضع « الذي » هنا موضع « كه » التي جاءت في الأصل الفارسي للتفريع . وهي في غير موضعها. وفي النسخ الأخرى: « الذي زعموا فيه » أو « في شأنه »، وهي زيادة لتعريب الجملة. وفي شيخوخو (ص 34٣٤): « كالمصدّق المخدوع مثل الذي (كذا) زعموا أنه ذهب سارق الخ » .

« وأما من دونه فقد تجري أمورهم فنوناً يغلب على أكثر ذلك الخطأ » (ص 138١٣٨). فوضع « ذلك » موضع الضمير فيه شبه بالعبارة الفارسية .

« فسأله رجل فقال » (ص 315 ٣١٥) . تشبه هذه الجملة التعبير الفارسي: « برسیده كفت » .

وتركوا التاج على رأسه » (ص 316 316). فاستعمال « تركوا » في موضع « وضعوا » يشبه أن يكون ترجمة للكلمة: « كذاشتند » وهي تأتي بمعنى « الترك » وبمعنى « الوضع » . وقد تُرجمت هنا بالمعنى الأول، والأولى بها المعنى الثاني .

3 - ومن مزايا نسختنا كذلك استعمال كلمات صحيحة غير شائعة. وهذه الكلمات تغير في النسخ الأخرى إلى كلمات مألوفة. ومن أمثلة هذا :
«آمالُ أم اللذاتُ أم الصوتُ أم أجرُ الآخرة؟» (ص 62٦٢). فاستعمال «الصوت» بمعنى «الصيت» صحيح، ولكن النسخ الأخرى غيرته إلى «الصيت» أو «الذكر». وفي نسخة شيخو (ص 31 ٣١) : «الصون» وهو تحريف «الصوت» .

« فقال الأسد لقرايينه » (ص 88 ٨٨). فاستعمال كلمة «قرايين» بمعنى خاصة الملك، وتغييرها في النسخ الأخرى إلى «جلسائه» ونحوها إثارة للكلام المؤلف .
«السلطان» (ص 86 ٨٦ ، 109 ١٠٩ ، 111 ١١١) استعملت هذه الكلمة بمعنى الجمع ، وهو استعمال قديم صحيح . وقد استعمل في النسخ الأخرى بمعنى الفرد .

«وكانت لملكهم ابنة كريمة عليه، وكانت حاملاً فأصابها بطن» (ص 146 ١٤٦). «البطن» وجع البطن، وقد غيرت في النسخ الأخرى إلى «وجع البطن» .

« فإن أولى أهل الدنيا بطيب العيش وكثرة السرور وحسن الثناء، من لا يزال رحله موطوءاً من إخوانه » (ص 177 ١٧٧). ومثل هذا في شيخو مع التحريف. يقابل هذا في النسخ الأخرى: «من لا يزال ربه من إخوانه وأصدقائه معموراً»، فقد غير «رحله موطوءاً» إلى «ربه معموراً» تقريباً للعبارة .
فتغيير النسخ الأخرى هذه الجمل أريد به تيسير الكتاب. والنسخة التي تشتمل على الألفاظ الصحيحة المستعملة عند خاصة الكتاب، أقرب إلى الأصل من النسخ التي تقابل هذه الألفاظ شائعة مألوفة عند عامة القراء .

4 - ويقرب من هذا حرص نسختنا على ذكر أسماء للمدن والأشخاص لا تذكر في النسخ الأخرى، وحفظها لبعض الأسماء صيغاً أغرب مما في غيرها. وهذا كثير يمكن تتبعه في كل فصول الكتاب. ومن أمثلة هذا اسما الرجلين: «آذرهربد» (ص 51٥١) و «أزويه» (ص 52٥٢)، واسم الأسد: «بنكلة» (ص 84 ٨٤)، وأرض «مردات» (ص 128 ١٢٨)، ومدينة «برود» (ص 140 ١٤٠)، وانظر الأسماء في باب «إبلاد وإيراخت وشادرم» .
والظاهر أن النسخ الأخرى حذف هذه الأسماء الأعجمية اختصاراً وتخفيفاً على القراء .

5 - والخامس مما تفضل به نسختنا النسخ المطبوعة أن نصوصها أقرب في الجملة إلى النصوص التي تلي في كتب قديمة مثل كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة المتوفى سنة 276 ٢٧٦ . ففي هذا الكتاب جمل كثيرة منقولة عن كتاب «كليلة ودمنة» ينسبها المؤلف إلى هذا الكتاب تصريحاً، أو يقول: «وقرأت في كتاب للهند». والظاهر أن ابن قتيبة لا يلتزم نص الكتاب دون تغيير، ولكن ما نقله يصلح أن يكون بألفاظه أو معانيه مقياساً بين النسخ المتأخرة من هذا الكتاب .

ويرى القارئ أمثلة فيما يأتي :

١ - عيون الأخبار: « وإنما تشبه بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية فالارتقاء إليه شديد والمقام فيه أشد » (ج ١١ ص ١٩١٩) .

نسختنا: « وإنما شبه العلماء السلطان بالجبل الوعر الذي فيه الثمار الطيبة، وهو معدن السباع المخوفة؛ فالارتقاء إليه شديد، والمقام فيه أشد وأهول » (ص ٨٧ ٨٦).
النسخ الأخرى: « وإنما شبه العلماء السلطان بالجبل الصعب المرتقى الذي فيه الثمار الطيبة، والجواهر النفيسة، والأدوية النافعة وهو مع ذلك معدن السباع والنمور والذئاب وكل ضارّ مخوف، فالارتقاء إليه شديد والمقام فيه أشد » طبارة (الطبعة الرابعة ص ٩٦ ٩٦) .

ب - عيون الأخبار: « إنما مثل السلطان في قلة وفائه للأصحاب وسخاء نفسه عمن فقد منهم مثل البغي والمكتب كلما ذهب واحد جاء آخر » (ج ١١ ص ٢٥ ٢٥) .
نسختنا: « إنما مثلهم، في قلة وفائهم لأصحابهم وسخاء أنفسهم عمن فقدوا منهم، مثل البغي كلما ذهب واحد جاء آخر مكانه » (ص ١١٠ ١١٠) وتعليقات باب الأسد والثور (ص ١٩ ١٩) .
النسخ الأخرى: لا تلقى هذه الجملة .

ج - عيون الأخبار: « ثلاثة أشياء تزيد في الأُنس والثقة: الزيارة في الرحل والمواكلة ومعرفة الأهل والحشم » (ج ٢٢ ص ٢٤ ٢٤) .
نسختنا: « إن أموراً ثلاثة تزداد بها لطافة ما بين الإخوان، واسترسال بعضهم إلى بعض؛ منها المواكلة، ومنها الزيارة في الرحل، ومنها معرفة الأهل والحشم » (ص ٢٢٢ ٢٢٢) .
النسخ الأخرى: لا توجد الجملة في المصرية وطبارة. وفي اليازجي: « فإن أفضل ما يلتسمه المرء من أخلائه أن يغشوا منزله وينالوا من طعامه وشرابه ويعرفهم أهله وولده وجيرانه » اليازجي (ص ٢٧٢ ٢٧٢) .

د - عيون الأخبار: « ثلاثة يُهزأ بهم: مدّعي الحرب ولقاء الزحوف وشدة النكاية في الأعداء وبدنه سليم لا أثر به، ومنتحل علم الدين والاجتهاد في العبادة وهو غليظ الرقبة أسمن من الأئمة الخ » (ج ٢ ص ٢٠ ٢٠) .
نسختنا: « ثلاثة ينبغي أن يُسخر منهم: الذي يقول: شهدت زحوقاً كثيرة فأكثر القتلى، ولا يرى في جسمه شيء من آثار القتال، والذي يخبر أنه عالم بالدين ناسك مجتهد وهو بادن غليظ الرقبة لا يرى عليه أثر التخشع الخ » (ص ٢٥٠ ٢٥٠) .

النسخ الأخرى: في شيخو قريب مما هنا، بعد تصحيح التحريف الشنيع. ولا توجد الجملة في النسخ الأخرى .

هـ - وكذلك الجملة: « أربعة يخافون مما لا ينبغي الخ » نسختنا (ص ٢٥٢ ٢٥٢). يرى نظيرها في « عيون الأخبار » ولا تعرف في النسخ الأخرى .

و - ونجد مثالا آخر في هذه الجملة من نسختنا (ص ٨٥ ٨٥): « كالأسد الذي يفترس الأرنب، فإذا رأى

العير تركها وأخذه». في نسخة شيخو (ص 56 56): «فاذا رأى الأتان». وفي النسخ الأخرى: «البعير». وفي منظومة أبان بن عبد الحميد التي نظمها للبرامكة:

كالأسد الذي يصيد أرنباً ثم يرى العير المجذَّ هرباً
فيرسل الأرنب من أظفاره ويتبع العير على إدباره

5 - نماذج من اختلاف النسخ

يحار قارئ الكتاب فيما بين نسخه من تخالف وتقارب واتفاق: في بعض الصفحات تختلف النسخ اختلافاً بيناً، وفي بعضها تتقارب في المعنى واللفظ، وفي أخرى تتفق؛ ولكن الاتفاق يندر بين نسختنا والنسخ المطبوعة في مصر والشام، حاشا شيخو، فإن موافقتها نسختنا كثيرة، بل توافقهما أكثر من تخالفهما. وليست أبواب الكتاب سواءً في تقارب النسخ وتباعدها؛ بل بعض الأبواب كباب «إبلاد وإيراخت وشادرم» يتضح فيه تقارب النسخ، وبعضها كباب «الأسد والثور» يتضح فيها التباعد. كأن الأبواب الأكثر نصيباً من عناية القراء كانت أكثر نصيباً من التغيير؛ على أن الباب الواحد فيه فصول متقاربة وأخرى متباعدة. وسأبحث في أسباب اختلاف نسخ الكتاب حين الكلام على ترجمته إلى العربية. وأعرض فيما يلي على القارئ قصة السمكات الثلاث منقولة من نسخ مختلفة لتكون مثلاً لما بينها من تباعد وتقارب:

نسختنا: «زعموا أن غديراً كان فيه ثلاث سمكات: كيسة، وأكيس منها، وعاجزة. وكان ذلك المكان بنجوة من الأرض، لا يكاد يقربه من الناس أحد. فلما كان ذات يوم، مر صيادان على ذلك الغدير مجتازين، فتواعدا أن يرجعا إليه بشبائكما فيصيدا الثلاث السمكات اللواتي رأياهن فيه. فلما رأتهما الحازمة ارتابت بهما، وتحوّفت منهما، فلم تعرّج أن خرجت من مدخل الماء إلى النهر. وأما الكيسة فتلبّثت حتى جاء الصيادان، فلما أبصرتهما قد سداً مخرجها، وعرفت الذي يريدان بها، قالت: فرطت، وهذه عاقبة التفريط، فكيف الخلاص وقلما تنجح حيلة المرهوق؟ ولكن العالم لا يقنط على كل حال، ولا يدع الأخذ بالرأي. ثم تماوتت وجعلت تطفو على وجه الماء منقلبة، فأخذها فألقياها على الأرض غير بعيد من النهر، فوثبت فيه فنجت منهما. وأما العاجزة فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صادها» (ص 105 105).

شيخو: «زعموا أن غديراً كان فيه ثلاث سمكات عظام وكان ذلك الغدير بفجوة من الأرض لا يقربها أحد. فلما كان ذات يوم من هنالك (كذا) أتى صيادان مجتازان فتواعدا أن يرجعا بشبكتهما فيصيدا تلك السمكات الثلاث التي رأيا فيه. وأن سمكة منهن كانت اعقلهنّ وإنما ارتابت وتحوّفت فعاجلت الأخذ بالحزم فخرجت من مدخل الماء الذي كان يخرج من الغدير إلى النهر فتحوّلت إلى مكان غيره. وأما الأخرى التي كانت دونها في العقل فأخّرت معاجلة الحزم حتى جاء الصيادان فقالت: قد فرطت وهذه عاقبة التفريط. فرأتهما وعرفت ما يريدان فوجدتهما قد سداً ذلك المخرج فقالت: قد فرطت فكيف الحيلة على هذا الحال للخلاص وقلّ ما تنجح حيلة العجلة والإرهاق ولكن لا نقنط على كل حال ولا ندع ألوان الطلب. ثم أنّها للحيلة تماوتت فطفّت على الماء منقلبة على ظهرها فأخذها

(فأخذها) الصيادان يحسبان انها ميتة فوضعاها على شفير النهر الذي يصبّ في الغدير فوثبت في النهر فنجت من الصيادين . وأما العاجزة فلم تزل في اقبال وادبار حتى صيدت « (ص 75٧٥) .

اليازجي : « زعموا أنّ غديراً كان فيه ثلاث من السمك كيسة وأكيس منها وعاجزة . وكان ذلك الغدير بنجوة من الأرض لا يكاد يقربه أحد وبقربه نهر جار . فاتفق أنه اجتاز بذلك النهر صيادان فأبصرا الغدير فتواعدا أن يرجعا إليه بشباكهما فيصيدا ما فيه من السمك فسمع السمكات قولهما فأما أكيسهن فلما سمعت قولهما ارتابت بهما وتحوفت منهما فلم تعرج على شيء حتى خرجت من المكان الذي يدخل فيه الماء من النهر إلى الغدير فنجت بنفسها . وأما الكيسة الأخرى فإنها مكثت مكانها وتهاونت في الأمر حتى جاء الصيادان . فلما رأتهما وعرفت ما يريدان ذهبت لتخرج من حيث يدخل الماء فإذا بهما قد سدا ذلك المكان . فحينئذ قالت فرطت وهذه عاقبة التفريط فكيف الحيلة على هذه الحال وقلما تنجح حيلة العجلة والإرهاق . غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي ولا ييأس على حال ولا يدع الرأي والجهد . ثم إنها تماوتت فطفت على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة وتارة على بطنها . فأخذها الصيادان وظنّاهما ميتة فوضعاها على الأرض بين النهر والغدير فوثبت إلى النهر فنجت . وأما العاجزة فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صيدت « (ص ١٤٤ ١44) .

6 - نسختنا ونسخة شيخو

أقرب النسخ إلى نسختنا نسخة شيخو . وهي على كثرة تحريفها واضطرابها تقارب نسختنا في أكثر الفصول ، وقد تختلفان بالزيادة والنقص والإجمال والتفصيل واختلاف الألفاظ . ونجد فيهما جملاً مستغلقة لم يتصرف فيها الكتاب كما تصرفوا في الأخرى ؛ نجد في باب (بعثة برزويه) أثناء الكلام على برزويه وصديقه الهندي هذه الجملة :

« فلم يطمئن إلى أحد منهم إلا إلى صديقه ذلك عند ما ورد عليه وكيف فتش عقله ووثق به واطمأن إليه أن قال له الخ » نسختنا وقد أصلحتُ العبارة (ص 53 ٥٣) .

« وكان ممّا حكم به برزويه صديقه ذلك والذي ردّ عليه وكيف فتش عقله حتى وثق به واطمأنّ إليه أن قال له » شيخو (ص 22 ٢٢) .

وهي جملة مضطربة متشابهة في النسختين .

وبعد هذه الجملة بسطر نجد في النسختين :

« فاعلم أني لأمر جئت ، وهو غير ما ترى يظهر مني » نسختنا (ص 53 ٥٣) .

« فاعلم أني لأمر ما جئت له وهو غير ما ترى يظهر مني » شيخو (ص 22 ٢٢) .

فالجملة : « وهو غير ما ترى يظهر مني » على غرابتها مشتركة فيهما . وقد غيرت في النسخ الأخرى إلى : « وهو

غير الذي يظهر مني » .

وهذه الجمل المستغربة في هاتين النسختين تدلان على أصل صحيح تنتهيان إليه . ومن العجيب أنهما تتفقان

- أحياناً على تحريف؛ ففي قصة «الأسد والشعير» :
- « فلما اجتمعوا على ذلك من كيدهم ، دسّوا ذات يوم للحم كان الأسد استطرفه » نسختنا (ص 292 292) .
- « فلماً أجمعوا على ذلك لكيدهم دسّوا ذات يوم للحم كان الأسد استطرفه » شيخو (ص 221 221) .
- والصواب : « دبّوا » وقد حرفت في النسختين إلى : « دسّوا » .
- وفي الباب نفسه نجد في النسختين :
- « وذلك سريعاً في إضاعة الأمر ، وجلب عظيم الخطر » نسختنا (ص 295 295) .
- « وذلك سريعاً (كذا) في ضياعة الأمر وانتشاره وجلب عظيم الضرر والعيب » شيخو (ص 223 223) .
- والصواب : « سريع » وقد حرفت في النسختين إلى : « سريعاً » .
- وبعد هذا بقليل :
- « كصاحب الخمر الذي أراد شراءها احتاج إلى اختبار لونها وطعمها » نسختنا (ص 296 296) .
- « كصاحب الخمر الذي أراد ان يشتريها احتاج إلى اختبار لونها وطعمها وريحها » شيخو (ص 224 224) .
- والظاهر أنّ الصواب : « كصاحب الخمر إذا أراد الخ » .
- وفي باب ابن الملك وأصحابه :
- « ثم قال بعضهم لبعض : انصرفوا يومكم هذا حتى نكسر عليهم ويرخصوه علينا » نسختنا (ص 314 314) .
- « انصرفوا يومكم هذا حتى نكسر عليهم فيرخصوا علينا » شيخو (ص 235 235) .
- والظاهر أنّ كلمة : « نكسر » محرفة من : « يكسُد » .
- وفي باب « الناسك والضيف » في النسختين :
- « وليس في بلادي الذي أسكنها » نسختنا (ص 329 329) .
- « وليس في بلادي الذي (التي) اسكنها » شيخو (ص 243 243) .
- والصواب : « التي » وقد حرفت في النسختين إلى : « الذي » .
- وأرى أنّ الاتفاق على هذا التحريف يدل على أصل واحد قد بعدت الوسائط بينهما وبينه ، وقد أصاب نسخة شيخو من التحريف ما لم يصب نسختنا .

القسم الثاني :

أصول الكتاب وتراجمه وأبوابه

1 - الشرق مهد الأمثال

بلاد الشرق مهد القصص والأمثال المضروبة على ألسن الحيوان. وكانت الهند خاصة مهد قصص حكيمة شاعت في أرجاء الأرض؛ انتقلت إلى بلاد الصين والتبت وإيران، وبلغت أوروبا في عصور قديمة. وكثير من أساطير إيسوب (ÆSOP) تتخللها أمثال شرقية .

وذاعت من بين قصص الهند وأمثالها طائفة من القصص جُمعت في كتابين، أحدهما مأخوذ من الآخر أو كلاهما مأخوذ من أصل واحد، على اختلافهما في الأسلوب وفي بعض القصص .

يعرف أحد هذين الكتابين باسم: «پنج تنرا» أي: خمسة أبواب. وقد عثر عليه الأستاذ هرتل، وعُني به الباحثون، وطبع وترجم إلى لغات أوروبية عدّة. ويرى هرتل أنّ مؤلفه حكيم هندي اسمه: برهمَن وشنو، ألفه حوالي سنة 300 م .

ويسمى الكتاب الثاني: «هتوبادشا» أي: نصيحة الصديق. وقد شاع في أوروبا وترجم إلى بعض لغاتها وترجم إلى الإنكليزية ثلاث مرات .

2 - كليلة ودمنة، كتاب هندي

يقول ابن خلكان: «ويقال إنّ ابن المقفع هو الذي وضع كتاب كليلة ودمنة. وقيل إنه لم يضعه وإنما كان فارسياً فنقله إلى العربية، وإن كان الكلام الذي في أول هذا الكتاب من كلامه». وقد شكّ بعض الناس في أمر الكتاب، ورددوا رواية ابن خلكان .

وهذا كلام لا وزن له؛ فلم يبق ريب في أنّ الكتاب هندي الأصل، وقد عثر على معظم أبوابه في الكتابين: «پنج تنرا» و «هتوبادشا» من الكتب الهندية .

وقد عَرَفَ هذا من قبلُ العلامةُ المحقق أبو الريحان البيروني، فقال في كتابه «تحقيق ما للهند من مقولة»: «ولهم (أي للهند) فنونٌ من العلم آخر كثيرة، وكتبٌ لا تكاد تحصى؛ ولكني لم أحط بها علماً. وبودّي أن كنت أتمكن من ترجمة كتاب پنج تنرا. وهو المعروف عندنا بكتاب كليلة ودمنة؛ فإنه تردّد بين الفارسية والهندية ثم العربية والفارسية على ألسنة قوم لا يؤمن بتغييرهم إياه كعبد الله بن المقفع في زيادته باب برزويه فيه قاصداً تشكيك ضَعْفَى العقائد في الدين وكسرهم للدعوة إلى مذهب المنائيّة. وإذا كان متهماً فيما زاد لم يخل عن مثله فيما نقل». ليس لدينا إذن ما يدعو إلى الشك في الرواية المتداولة أنّ هذا الكتاب ترجم من الهندية إلى الفهلوية، ثم ترجم إلى العربية في القرن الثاني من الهجرة. وأما الأخبار التي يتضمنها باب «بعثة برزويه» فسنعرض لها من بعدُ .

3 - نقل الكتاب من الهندية إلى الفهلوية

ليس عندنا ما يمنع من قبول ما تضمنه باب «بعثة برزويه» من أن الكتاب نقل إلى الفهلوية في عهد كسرى أنو شروان، نقله بعض أطباء الفرس الذين ساحوا في بلاد الهند وعرفوا اللغة الهندية . هذا هو الأصل الذي كتب عليه باب «بعثة برزويه». وهو جدير بالقبول وليس لدينا ما يدعو إلى الشك فيه. وأما إرسال كسرى برزويه إلى الهند لينقل الكتاب إلى الفهلوية، واحتياله للاطلاع على الكتاب، ومبالغة الهند في منع الأجانب أن يطلعوا على كتبهم، فهو مما حاكه الخيال لإكبار برزويه والإعجاب بعمله والإشادة به، وتعظيم قدر الكتاب .

وقصة سفر برزويه إلى الهند ترويه «الشاهنامه» وكتاب الثعالبي «غرر أخبار ملوك الفرس». ولكن قصة «الشاهنامه» تخالف ما هنا بعض المخالفة، وإليك إجمالها:

جاء برزويه الحكيم إلى أنو شروان وقال: أيها الملك إني قرأت في كتاب هندي أن في جبال الهند عشباً إذا ركب منه دواء فنثر على ميت ارتد حياً. فجهزه أنو شروان وسيّره إلى الهند وبعث معه كتاباً إلى الملك. فلما أخذ ملك الهند الهدايا وقرأ الكتاب جمع علماءه وسيّره مع برزويه لطلب هذا العشب في الجبال فجمعوا كل ضرب من العشب وجربوه، فما أحيا ميتاً. فندم برزويه على ما جشم نفسه من مشاق السفر والطلب، وتحرّر ماذا يقول للملك أنو شروان. ثم سأل من كان معه من العلماء: أتعرفون في الهند أعلم منكم؟ قالوا: نعم، شيخ يفضلنا علماً وسناً. فلما جاءه وقصّ عليه القصص قال: أمّا الجبال فهي العلوم، وأمّا الموتى فهم الجهال، وأمّا العشب فكتاب في خزائن ملك الهند يسمى «كليلة ودمنة» يحيي موتى الجهل. فأسرع برزويه إلى ملك الهند يرجو أن يطلع على الكتاب. فاغتم الملك وقال: ما طلب أحد هذا الطلب من قبل، ولكننا لا نضنّ على الملك أنو شروان بشيء. وأمر أن يؤتى بالكتاب وأن يطلع برزويه عليه أمامه حتى لا يظنّ أحد أنه نسّخه. فكان برزويه يقرأ كل يوم فصلاً - إلى آخر ما في القصة التي في باب «بعثة برزويه» .

4 - هل ترجم الكتاب إلى العربية أكثر من مرة؟

يقول صاحب «الفهرست»، وهو يعدّد أسماء كتب الهند في الخرافات والأسمار والأحاديث: «كتاب كليلة ودمنة. وهو سبعة عشر باباً. وقيل ثمانية عشر باباً. فسّره عبد الله بن المقفع وغيره». والتفسير هنا معناه الترجمة . وقد نقل الأب شيخو الجملة الآتية من نسخة محفوظة في مكتبة أياصوفيا مكتوبة سنة ٨٨٠ هـ 880 :

«هذا كتاب كليلة ودمنة الذي استخرجه برزويه المتطبب الحكيم من بلاد الهند ونقله من الهندية إلى الفارسية لكسرى أنو شروان بن قباد بن فيروز ملك فارس ونقله من الفارسية إلى العربية عبد الله بن عليّ الأهوازي ليحيى بن خالد بن برمك في خلافة المهدي أحد خلفاء بني العباس وذلك في سنة خمس وستين ومائة وقد نظمه سهل بن نوبخت الحكيم الفاضل ليحيى بن خالد البرمكي وزير المهدي والرشد فلما وقف عليه ورأى حسن نظمه أجازته على ذلك ألف دينار» (مقدمة شيخو ص ٢٠ 20) .

فهذا تصريح باسم مترجم غير ابن المقفع. وفي «كشف الظنون» لحاجي خليفة:

«ثم ترجمه في الإسلام عبد الله بن المقفع كاتب أبي جعفر المنصور العباسي من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية.

ثم نقله من الفارسية إلى العربية عبد الله بن هلال الأهوازي ليحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي وذلك في سنة خمس وستين ومائة. ونظمه سهل بن نوبخت الحكيم ليحيى بن خالد المذكور وزير المهدي والرشيد. فلما وقف عليه أجازته بألف دينار .

لا يستطيع الباحث أن يقطع رأياً فيما نقله شيخو عن نسخة أيا صوفيا حتى يرى النسخة ويرى موضع هذه الجملة في مقدمتها، هل هي ملحقة بقلم أحد القراء أو هي من متن النسخة؟ فإن كانت الأولى فلعلها نقلت عن « كشف الظنون ». وإن كانت الثانية فلعل صاحب « كشف الظنون » نقلها. والعبارتان متشابهتان في الكتابين .

وأما إغفال اسم ابن المقفع في النسخة التي ذكرها شيخو فلا يدل على أنها ترجمة أخرى تخالف النسخ التي بأيدينا؛ فإنّ النسخة، كما يتبين من قطعة نقلها شيخو من باب « الأسد والثور »، تشابه النسخ الأخرى مشابهة قريبة. وأكبر الظن أنّ بعض النساخ أو القراء كتب في صدر الكتاب ما كتب نقلاً عن بعض الكتب التي ذكرت من ترجموا « كليلة ودمنة » .

ومهما نُقل في إغفال هذه النسخة اسم ابن المقفع واقتصارها على اسم المترجم الآخر فقد اجتمع لنا ثلاثة نصوص تذكر غير ابن المقفع: صاحب « الفهرست » يقول: « فسره عبد الله بن المقفع وغيره »، ونسخة أيا صوفيا و « كشف الظنون » يسميان: « عبد الله بن عليّ الأهوازي » أو « عبد الله بن هلال الأهوازي » . وهذه مسألة لها خطرها في تاريخ الكتاب واختلاف نسخته .

5 - هل يُفسّر اختلاف النسخ باختلاف الترجمة ؟

قلت فيما تقدم إنّ نسخ الكتاب تختلف اختلافاً يدعو الباحث إلى أن يظنّ أنّ الكتاب ترجم أكثر من مرة. فهل اختلاف النسخ التي أماننا يرجع إلى اختلاف الترجمة ؟

هذا البحث لا يمكن أن يوفى حقه من النظر ومقابلة النصوص إلا بعد الاطلاع على مخطوطات صحيحة متعددة. وليس لدينا الآن من النصوص التي يوثق بها بعض الثقة إلا نسختنا ونسخة شيخو، وهما متقاربتان لا يمكن أن تكونا ترجمتين مختلفتين؛ وإنما الخلاف الكثير بينهما وبين النسخ الأخرى الملفقة كما بينت آنفاً. وهذا التلفيق يمنعنا أن نقطع رأياً في هذا الشأن؛ فإني أجد اختلافاً بين نسختنا وهذه النسخ يشبه أن يكون اختلافاً بين ترجمتين، ثم أجد جملاً متماثلة لا تصدر إلا عن كاتب واحد. ولست أستطيع أن أتبين صلة هذه الجمل المتماثلة-بالمختلفة لما دخل النصوص من التلفيق .

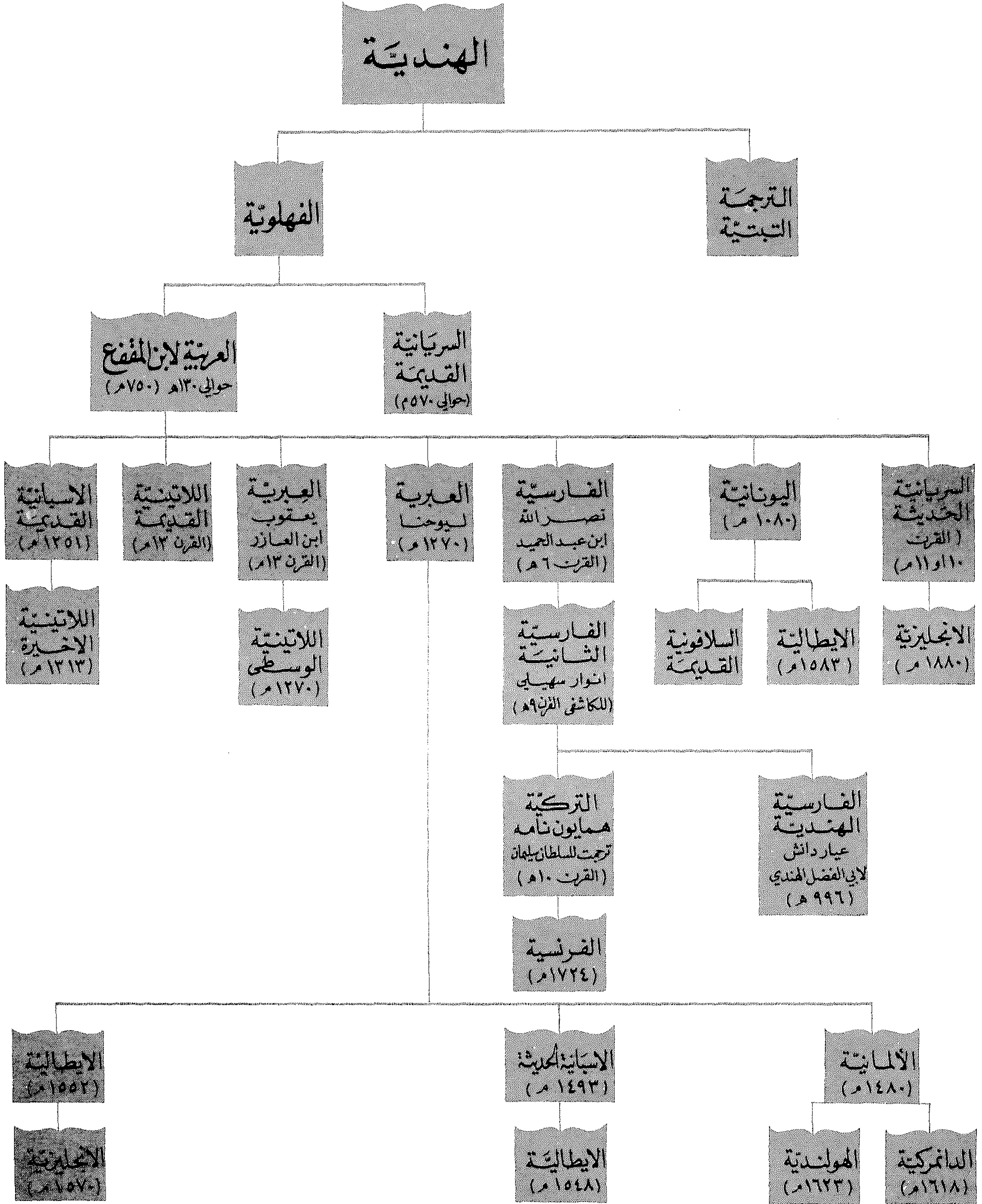
على أيّ، مع إعواز النصوص التي تعين على صحة الرأي، أرجح أنّ اختلاف النسخ التي بين أيدينا ليس اختلاف ترجمة إلا في زيادة بعض الأبواب ونقصها، وهي أبواب يتبين فيها أسلوب يخالف أسلوب ابن المقفع، وسيأتي بيان هذا .

فإن لم يكن اختلاف النسخ اختلاف ترجمة فكيف وقع في الكتاب ؟ قبل إجابة هذا السؤال ينبغي أن نجيب سؤالاً آخر: لماذا ترجم الكتاب أكثر من مرة ؟

ترجمه عبد الله بن المقفع، ثم ترجمه عبد الله بن هلال الأهوازي، ونظمه أبان اللاحقي ثم سهل بن نوبخت ثم ابن الهبارية من بعد .

تراجم "كيلة ودمنة"

مأخوذ عن فلكر مع تفيرتلين



وكذلك ترجم من العربية إلى الفارسية أيام السامانيين، ثم ترجمه نصر الله بن عبد الحميد في عهد الغزنويين ثم ترجمه الكاشفي في القرن العاشر، ونُظم بالفارسية أكثر من مرة .
وكذلك تعددت تراجم الكتاب في بعض اللغات الأوروبية (انظر جدول التراجم ص (25 ٢٥) .
سبب تعدد الترجمة في اللغة الواحدة أنه كتاب أدبي ذو قصص ومواعظ يختلف الكتاب في إجمالها وتفصيلها، وفي طريقة قصصها وأسلوب بيانها؛ فربما يبدو لمتراجم أن يخالف من سبقه بالإجمال والتفصيل أو التأنق في العبارة وتيسيرها، وهكذا .

وهذا السبب الذي دعا إلى تعدد تراجم الكتاب في اللغة الواحدة هو الذي أدى إلى اختلاف نسخه وإن رجعت إلى ترجمة واحدة. فقد لقي هذا الكتاب من عناية الأدباء والمؤدبين ما جعله كتاب تأديب، وحاول بعض الكتاب والمؤدبين أن ييسروا بعض عباراته أو يُغربوا فيها، وأن يوجزوا فيها أو يطنبوا، فكان من ذلك اختلاف نسخ الكتاب .
ولعل تعدد الترجمة قد يسّر للناس التصرف في أسلوب الكتاب بعد قياس ترجمة بأخرى، أو سوّغ لهم أن يدخلوا عبارات ترجمة في عبارات ترجمة أخرى، وهكذا. ولعل أسلوب ابن المقفع، وهو طويل الجمل مستغلق أحياناً، دعا إلى تغيير كثير في متن الكتاب .
وبعد فهي قضية لا بدّ للفصل فيها من مقايسة مخطوطات لا نستطيع الاطلاع عليها الآن. وعسى أن تتاح الفرصة من بعد، بتوفيق الله .

6 - أبواب الكتاب

الأبواب التي تحتويها النسخ المختلفة من هذا الكتاب تنقسم إلى الأقسام الآتية :

1 - المقدمات وهي :

« مقدمة عليّ بن الشاه الفارسي »، « عرض الكتاب لابن المقفع »، « بعثة برزويه إلى بلاد الهند »، « باب برزويه الطبيب » .

2 - الأبواب الخمسة الأولى، بعد استثناء « باب الفحص عن أمر دمنة »، وهي الأبواب التي يحتويها الأصل

الهندي « پنج تنرا » :

« الأسد والثور »، « الحمامة المطوقة »، « البوم والغربان »، « القرد والغليم »، « الناسك وابن عرس » .

ويتبع هذا القسم باب « الفحص عن أمر دمنة »، وهو بعد باب « الأسد والثور » ومكمل له. وباب « السائح

والصواغ » وقد جاءت قصته في أثناء الباب الأول من « پنج تنرا » .

3 - والقسم الثالث: الأبواب الثلاثة التي تلي الخمسة المعدودة في القسم الثاني، وهي معروفة في كتاب

« المهابهارتا » :

« الجرذ والسنور »، « الملك والطائر »، « الأسد وابن آوى » .

4 - والقسم الرابع الأبواب الأخرى وهي قسمان :

1 - الأبواب التي تنفق عليها النسخ وهي :

«إبلاد وإيراخت وشادرم ملك الهند»، «اللبوة والأسوار»، «الناسك والضيف»، «ابن الملك وأصحابه» .
ب - الأبواب التي توجد في بعض النسخ دون بعض وهي :
«ملك الجرذان»، «مالك الحزين والبطة»، «الحمامة والثعلب ومالك الحزين» .

فهذه واحد وعشرون باباً تتضمنها نسخ الكتاب على اختلافها. وإذا تركنا المقدمات جانباً وأخرجنا الأبواب الأخيرة التي تختلف فيها النسخ بقي أربعة عشر باباً، منها تسعة معروفة في اللغة السنسكريتية وهي الخمسة التي في «پنج تنترا» و«باب السائح والصواغ» الذي يتضمنه الباب الأول من ذلك الكتاب، والثلاثة التي في «المهابارتا». والخمسة الباقية لم تعرف في اللغة الهندية حتى اليوم، وهي باب «الفحص عن أمر دمنة» والأبواب الأربعة الأولى من القسم الرابع .

ونجد في الترجمة الفارسية لنصر الله بن عبد الحميد فهرس الكتاب في نهاية باب «بعثة برزويه» على هذه الصورة:
«وكتاب كلية ودمنة هذا ستة عشر باباً منها الأصلي الذي وضعه الهند وهو عشرة أبواب، ومنها ما ألحقه الفرس وهو ستة أبواب». ثم يذكر العشرة الهندية وهي خمسة الأبواب الأولى التي يتضمنها «پنج تنترا» و«باب الفحص عن أمر دمنة»، وثلاثة الأبواب التي في «المهابارتا» يزداد عليها باب «الأسوار واللبوة». ويعتد المترجم بعدها الأبواب التي ألحقها الفرس وهي بابان من المقدمات وأربعة من أبواب الكتاب .
وهذا نسق الأبواب كلها كما ذكرت في هذا الفهرس :

الأبواب الهندية

- أ - «الأسد والثور»، «الفحص عن أمر دمنة»، «الحمامة المطوقة»، «البوم والغربان»، «القرد والسلحفاة»، «الناسك وابن عرس» (وهي الخمسة التي في پنج تنترا) .
- ب - «الجرذ والسنور»، «الملك والطائر»، «الأسد وابن آوى» (وهي الثلاثة التي في المهابارتا) .
- ج - «الأسوار واللبوة» .

الأبواب الفارسية

- أ - «ابتداء كلية ودمنة» (وهو الذي يسمى في النسخ الأخرى باب «عرض الكتاب لابن المقفع» وهو في هذه النسخة منسوب إلى بزرجمهر) و«باب برزويه الطيب» .
- ب - «الناسك والضيف»، «إبلاد والبراهمة»، «السائح والصايغ»، «ابن الملك وأصحابه» .
وأعرض على القارئ في الصفحات التالية تفصيل الكلام في أبواب الكتاب كلها .

القِسْمُ الأولُ من أبواب الكتاب :

المقدمات

فأما «مقدمة علي بن الشاه الفارسي» فلا ريب أنها زيدت على بعض النسخ العربية بعد ابن المقفع بقرنين أو أكثر. وقد خلت منها كثير من النسخ العربية القديمة كنسختنا ونسخة شيخو، كما خلت منها التراجم التي أخذت عن العربية كلها. ويرى نلدكه أن كاتب هذه المقدمة هو علي بن محمد بن شاه الطاهري من نسل الشاه ابن ميكال المتوفى سنة ٣٠٢ هـ (302).

وهي مقدمة طويلة تضمنت بعض الأساطير التي خلفتها فتوح الاسكندر المقدوني في الشرق، وأريدَ بها الإبانة عن السبب الذي من أجله وضع هذا الكتاب، والتعريفُ بدبشليم الملك وبيدبا الفيلسوف اللذين يُذكران في فواتح الأبواب.

وإذا اكتفينا بهذه الكلمات عن هذه «المقدمة» بقي من القسم الأول ثلاثة أبواب: باب «عرض الكتاب لابن المقفع» وباب «بعثة برزويه إلى بلاد الهند لتحصيل الكتاب» وباب «برزويه الطبيب». والترتيب الطبيعي أن تتوالى الأبواب على هذا النسق. وهي كذلك في نسختنا. ولكن النسخ الأخرى، عدا نسخة شيخو، تضع باب «عرض الكتاب لابن المقفع» بين باب «بعثة برزويه» وباب «برزويه الطبيب». ونسخة شيخو تضع باب «عرض الكتاب لابن المقفع» بعد البابين، وهو فيها ناقص سقط أكثره. وبعض النسخ العربية وترجمة نصر الله الفارسية تضع فهرس الأبواب في آخر باب «بعثة برزويه» قبل باب «عرض الكتاب لابن المقفع».

ويتبين من هذا أن النسخ العربية تختلف في الترتيب بين باب «بعثة برزويه» وباب «عرض الكتاب». ولكن هذه النسخ تتفق على نسبة عرض الكتاب إلى ابن المقفع، وتحالفها النسخة الفارسية فتفتتح الباب بهذه الجملة: «ابتداء كليله ودمنة وهو من كلام بزرجمهر البختكان».

وأما باب «بعثة برزويه» فنسبه نسختنا ونسخة شيخو إلى بزرجمهر، وتغفل بعض النسخ تسمية كاتبه. وتفتتحه النسخة الفارسية بقولها: «كذلك يقول أبو الحسن عبد الله بن المقفع».

فالنسخة الفارسية تجعل الباب الأول: باب «بعثة برزويه» من انشاء ابن المقفع، والبابين التاليين من إنشاء بزرجمهر. فترتيب الأبواب فيها مقبول إن صحت نسبة الأبواب إلى من نسبتها إليهم. ولكني أبعء أن يكون باب «عرض الكتاب» لغير ابن المقفع للأسباب الآتية:

- 1 - اتفاق النسخ العربية التي في أيدينا على نسبته إلى ابن المقفع.
- 2 - وأنه ينتهي في نسختنا بهذا الكلام: «وإنا لما رأينا أهل فارس قد فسروا هذا الكتاب وأخرجوه من الهندية إلى الفارسية ألحقنا باباً بالعربية ليكون له أسماً ليستبين فيه أمر هذا الكتاب لمن أراد قراءته، وفهمه، والاقْتباس منه». وظاهر أن الباب الذي بين مقصد الكتاب، ويدعو القارئ إلى قراءته وفهمه هو باب «عرض الكتاب».

وأبين من هذا ما في نسخة اليازجي آخر هذا الباب: « قال عبد الله بن المقفع لما رأيت أهل فارس قد فسّروا هذا الكتاب من الهندية إلى الفارسية وألحقوا به باباً وهو باب برزويه الطيب ولم يذكروا فيه ما ذكرنا في هذا الباب لمن أراد قراءته واقتباس علومه وفوائده وضعنا له هذا الباب. فتأمل ذلك تُرشّد إن شاء الله تعالى » .

3 - والثالث أنّ نسخة الفارسية نفسها تحتم هذا الباب بقولها: « يقول ابن المقفع لما رأينا أهل فارس ترجموا هذا الكتاب من لغة الهند إلى اللغة البهلوية أردنا أن يكون لأهل العراق والشام والحجاز نصيب منه وأن يترجم إلى العربية وهي لغتهم » .

وإذا رجح أنّ باب « عرض الكتاب » من إنشاء ابن المقفع فكيف وضع بين باب « بعثة برزويه » وباب « برزويه الطيب » في بعض النسخ؟ أيعدّ هذا دليلاً على أنّ باب « بعثة برزويه » زيد على الكتاب بعد أن ترجمه ابن المقفع كما زيدت « مقدمة بهنود بن سحوان (أو علي بن الشاه الفارسي) »؟ أو يدل على أنّ ابن المقفع وضع هذا الباب وجعله مقدمة، ثم وضع باب « عرض الكتاب » كما وضع الفرس باب « برزويه الطيب »، وهذا يوافق النسخة الفارسية وهي تنص على أنه من كلام ابن المقفع كما تقدم؟ أرجح أنه مزيد على الكتاب بعد ابن المقفع. وأما نسختنا فتنسب باب « بعثة برزويه » إلى بزرجمهر كباب « برزويه الطيب »، وتضعه بعد مقدمة ابن المقفع وهو ترتيب لا إشكال فيه .

والخلاصة أنّ الفرس زادوا على الكتاب باب « برزويه الطيب »، وأنّ ابن المقفع زاد باباً آخر هو باب « عرض الكتاب »، وأنّ باب « بعثة برزويه » موضع نظر: أهو مقدمة لباب « برزويه الطيب » كتبه بزرجمهر، أم هو من إنشاء ابن المقفع، أم هو مزيد على الكتاب بعد ابن المقفع؟ ولكني أرجح أنه مما زيد في النسخ العربية لما ذكرت آنفاً من وضعه في بعض النسخ قبل باب « عرض الكتاب لابن المقفع »، ووضع الفهرس بعده، ولأنّ الترجمتين السريانيتين خاليتان منه، والأولى مترجمة عن الفهلوية والثانية عن العربية. وهو ليس في منظومة ابن الهبارية أيضاً. ومعنى هذا أنّ النسخ العربية القديمة لم تُجمع على هذا الباب فخلت منه الترجمة السريانية المأخوذة من العربية. وهذا يدل على أنه لم يكن في الفهلوية أيضاً. ويؤيد هذا أنه ليس في النسخة السريانية القديمة التي ترجمت عن الفهلوية .

القِسْم الثاني من أبواب الكتاب :

الأبواب الخمسة التي يتضمنها كتاب « پنج تنترا »

تتفق النسخ العربية وغيرها على وضع هذه الأبواب الخمسة أول الكتاب بعد باب « برزويه الطيب »، وعلى ترتيبها. وقد تضمنها كتاب مستقل في اللغة السنسكريتية. فهي أمّهات الكتاب وأثبت أبوابه في التاريخ. وهي أجملها قصصاً، وأكثرها مواظ وعبراً، وأطولها حواراً. وقد سمي الكتاب كله « كليله ودمنة » باسم ابني آوى اللذين هما محور القصص في الباب الأول: باب « الأسد والثور » (تنظر مقارنة القصص التي في هذه الأبواب بنظائرها في « پنج تنترا » في مقدمة الترجمة الإنجليزية لكتاب أنوار سُهيلي الفارسي الذي ترجمه ادورد إيستوك Edward B. Eastwick). وأما باب « الفحص عن أمر دمنة » فلا يُعرف في الأدب الهندي، ولا يُلقى في النسخة السريانية القديمة. وينتهي باب « الأسد والثور » في « پنج تنترا » بأنّ الأسد لم يفكر في شنزية من بعد، وأنه جعل دمنة وزيره وعاش سعيداً. وليس في خاتمة باب « الأسد والثور » من نسختنا ونسخة شيخو ما يدل على أنّ وراءه باباً للفحص عن أمر دمنة. والنسخ الأخرى العربية المطبوعة والنسخة الفارسية والسريانية الحديثة تختم الباب بأنّ الأسد اطلع على كذب دمنة فقتله .

والظاهر أنه باب إسلامي وضعه ابن المقفع لثلاثينجو دمنة الخائن من العقاب الجدير به. وفي الباب مسحة إسلامية ولا سيّما في الكلام على البيّنة، وقد جاءت فيه كلمة: « الإسلام » في نسختنا. ولعلّها سهو من الكاتب (انظر تعليقات باب « الفحص عن أمر دمنة » رقم 77) .

وأما باب « السائح والصوّاغ » فقد جاء في الباب الأول من « پنج تنترا » وهو باب « الأسد والثور ». وقد عثر عليه في مجموعة من الأساطير البوذية اسمها: « سواهني » وكتاب آخر بوذي اسمه: « كرماجتكا ». فلا ريب أنه وضع بادىء بدء في الآداب الهندية .

القِسْم الثالث من أبواب الكتاب :

أبواب « الجرد والسنور » و « الملك والطائر » و « الأسد وابن آوى »

هذه القصص الثلاث تُلقي في الحماسة الهندية الكبرى التي تسمى: « مهاهارتا ». وقصة « الملك والطائر » تُلقي كذلك في كتاب آخر اسمه: « هر ونجه » .

وهي تتوالى في النسخ كلها كما تتوالى الأبواب الخمسة التي يتضمنها كتاب « پنج تنترا » وتليها في بعض النسخ. ويتخلل بين هاتين المجموعتين في نسخ أخرى بعض الأبواب، يفصل بينهما في نسختنا باب « إبلاد وإيراخت وشادرم » وباب « ملك الجرذان »، وفي نسخة شيخو باب « إيلاذ وشادرم وإيراخت » وحده .

وهذه الأبواب الثلاثة والأبواب الخمسة الأولى داخلة في العشرة التي عدّها نصر الله بن عبد الحميد أبواباً هندية. وبقية العشرة باب « الفحص عن أمر دمنة » وباب « الأسوار واللبوة » .

ويظهر مما تقدم أنّ النسخ التي تُوالي بين هذه الأبواب الثمانية أقرب إلى ما عرف من تاريخ الكتاب حتى اليوم، وأنّ الفصل بين الأبواب الخمسة والأبواب الثلاثة طارئٌ على الكتاب. ثم أحد البابين الفاصلين في نسختنا وهو باب «ملك الجرذان» ليس من كلام ابن المقفع بلا ريب. وفي هذا دليل آخر على أنّ الفصل بين الأبواب الخمسة والأبواب الثلاثة حادث في الكتاب.

القسم الرابع من أبواب الكتاب :

وأما القسم الرابع فهو كما قدمت قسماً : أربعة أبواب تتفق عليها النسخ، وثلاثة تختلف في إثباتها .

1 - الأبواب التي تتفق عليها النسخ :

1 - والباب الأول من الأربعة المتفق عليها هو في نسختنا باب «إبلاد وإيراخت وشادرم ملك الهند». وهو كما يرى القاريء باب هندي بوذي يمثل العداوة بين البراهمة والبوذية ويشنع على البراهمة. وقد عثر على القصة في اللغة التبتية. والظاهر أنه نقل إليها من الهندية. ووضعها في نسختنا ونسخة شيخو بين الأبواب التي عرف أصلها الهندي يؤيد هذا. ويرى القاريء أنّ الباب قسماً مختلفان: الأول قصة الأحلام وتأويلها، والثاني المحاورة بين الملك ووزيره. والقسم الثاني مختصر في نسخة دي ساسي والنسخ المصرية، ومطب في نسختنا ونسخة شيخو والنسخة السريانية الحديثة .

2 - وأما باب «اللبوة والأسوار» فظاهر فيه النزعة الهندية: تحريم اللحم والاقتيات بالفاكهة، ثم التحرج من أكل الفاكهة والاجترأ بالعشب حينما شكت الوحوش قلة الفاكهة .

3 - والباب الثالث، باب «الناسك والضيف» لا يوجد في السريانية القديمة المترجمة من الفهلوية، وليس فيه ما يدل على أصل هندي، بل فيه من ذكر التمر واللغة العبرية ما يبعه عن الهند. فإمّا أن يكون مزيداً في اللغة الفهلوية وقد أسقط في الترجمة السريانية القديمة، وإمّا أن يكون من زيادات النسخة العربية ألحقه ابن المقفع أو ألحق بعده. ولست أرى في أسلوبه ما يبعه من كلام ابن المقفع. وأتفق النسخ العربية عليه يرجح هذا .

4 - وأما باب «ابن الملك وأصحابه» فقد رأى بعض الباحثين شبهاً بينه وبين قصة جاءت في الباب الأول من «بنج تنرا». ويرى الأستاذ فلكنر أنّ هذه المشابهة ضعيفة لا تبرر الحكم بأنهما من أصل واحد، وينقل عن بنفي Benfey رأيه في أنّ الباب بوذي الأصل. وأرى أسلوبه ليس بعيداً من أسلوب ابن المقفع. فالظاهر أنه مما ترجمه كذلك

ب - الأبواب التي توجد في بعض النسخ دون بعض :

1 - فأما «باب ملك الجرذان» فهو لا يوجد إلا في نسختنا وحدها. ولا ريب أن لغته وأسلوبه بعيدان من لغة ابن المقفع وأسلوبه كل البعد؛ بل أرى فيه من الركافة ومقاربة العامية ما يرجح أنه ألحق ببعض نسخ الكتاب بعد ابن المقفع بقرون. وهذا الباب يوجد في السريانية القديمة، وهو آخر أبوابها. ويظهر أنه ترجم منها أو من كتاب آخر وألحق بهذا الكتاب، ولذا تخلو منه نسخ عربية كثيرة، وتخلو منه أكثر التراجم التي نقلت عن العربية .

ويرى الأستاذ نلدكه أن هذا الباب فارسي لا هندي. وقد لخص فلكنر أدلة نلدكه ومنها أن الأسماء في هذا الباب ليست هندية وكثير منها فارسي، وأنه ورد أثناء الباب عبارة: « في أرض البراهمة ». وهي عبارة لا تقال في كتاب هندي، وأن في الباب جملة تدم الانتحار وهذا قريب من مذهب الفرس لا الهند (انظر مقدمة فلكنر ص XXXVI).

2 - وأما باب « مالك الحزين والبطّة » فقد عثر عليه دي ساسي في بعض النسخ، وقد كتب ناسخه أنه باب زيد على الكتاب من بعد. ونجبرنا فلكنر أنه ورد في بعض المخطوطات العربية، ولم أجده في النسخ العربية المطبوعة كلها. ويوجد في بعض التراجم المأخوذة عن العربية كالترجمة الأسبانية والعبرية .

3 - وأما باب « الحمامة والثعلب ومالك الحزين » فقد ورد في النسخ المصرية والشامية المطبوعة إلا في نسخة شيخو. وليس في نسختنا* ولا في طبعة دي ساسي، وهو في بعض التراجم المأخوذة عن العربية كالاسبانية والعبرية كالباب الذي قبله .

وهذه الأبواب الثلاثة ليست في ظني من كلام ابن المقفع .

* * *

هذه خلاصة ما هدى إليه البحث في كتاب « كليلة ودمنة » وتاريخه. وعسى أن تكون هذه المقدمة وهذه الطبعة خطوتين سديديتين لم يظفر بمثلهما تاريخ الكتاب في اللغة العربية من قبل. وعسى أن يجدا من عناية الأدباء والباحثين ما يكافئ قيمتهما، ويجازي ما بذل من اجتهاد ودأب، وما احتمل من نفقة وعناء لإخراج الكتاب في صورة تفخر بها الطباعة في الأقطار العربية كلها . والله وليّ التوفيق .

عبد الوهاب عزام

القاهرة في ١٠ 10 مارس سنة ١٩٤١ 1941

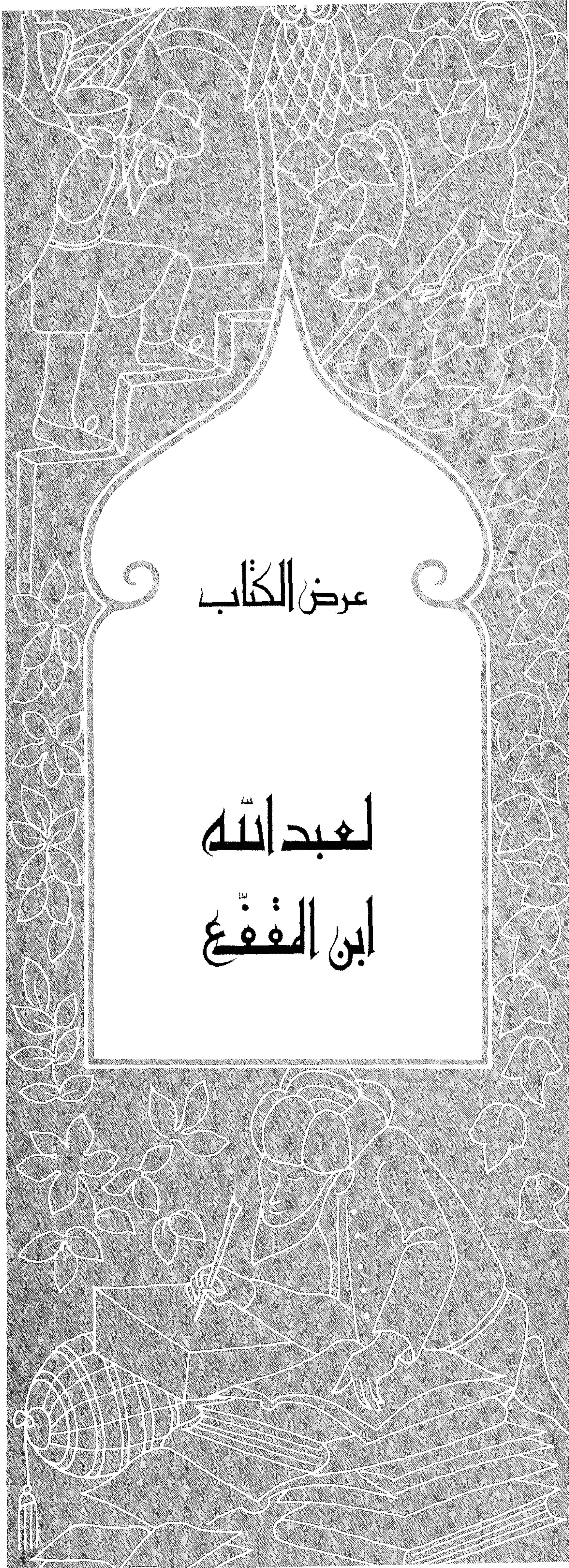
* وقد أضفناه إلى نسختنا لأنه أقرب الأبواب الثلاثة إلى كلام ابن المقفع (المراجع) .

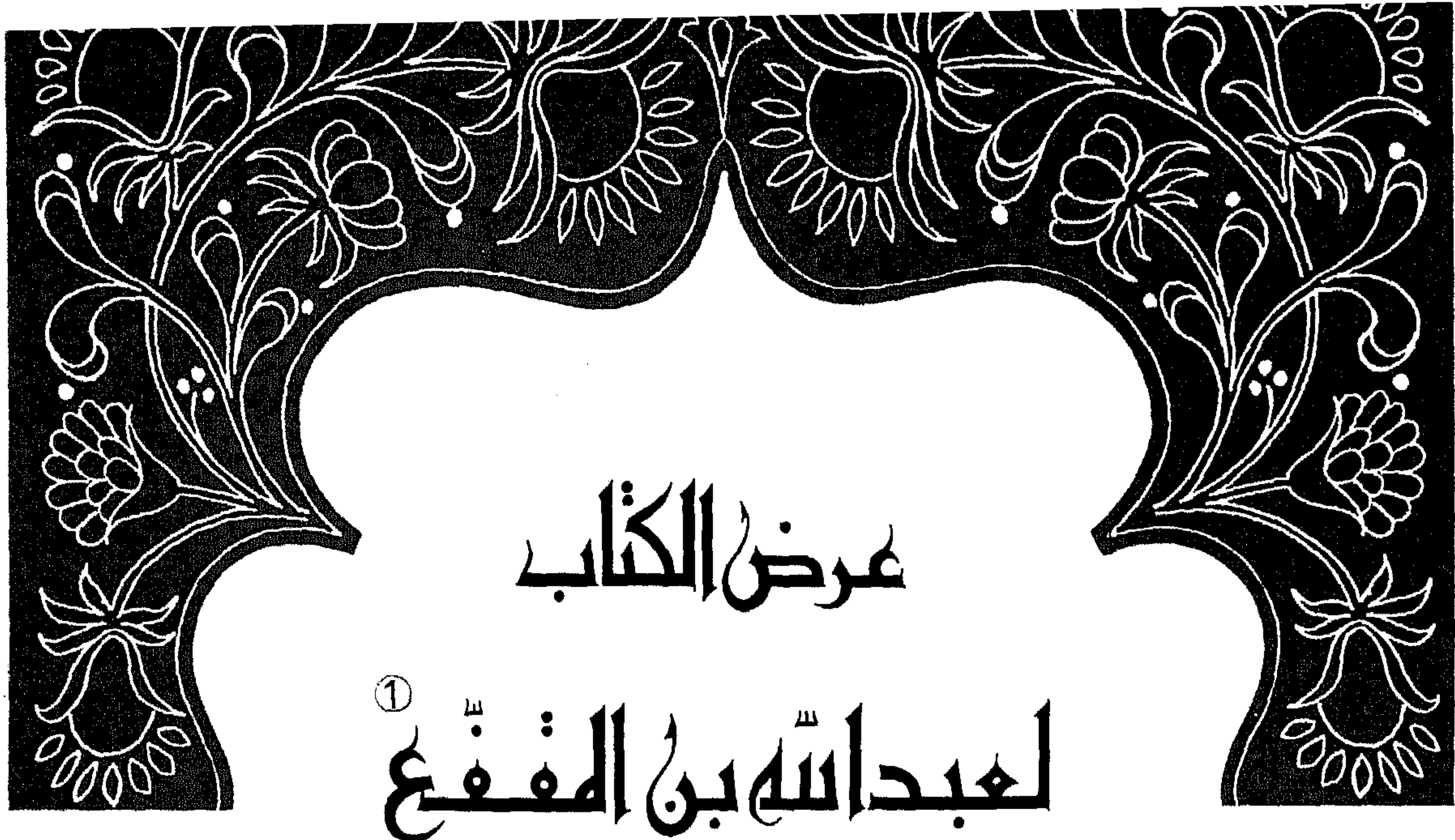
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِئْرًا تَسْتَعِينُ

الحمد لله اللطيف الخبير ، العليم القدير ، القاهر في خلقه ،
الذائع في حيزه ، العادل في قضائه ، المنفرد في ملكوته ،
خالق الخلق ، وباطن الرزق . ليس لك شيء وهو السميع
البصير . نعم المولى ونعم النصير . خلق آدم بيده ،
ونفخ فيه من روحه ، وأساكن فيه حكمته ، وتوارث
ذلك ذريته ، فمنهم سعيد بارادته ، وكثير بقدرته .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وحده لا شريك له ، شهادة
أرجو بها الخلاص وأفوز بها يوم الإخلاص . وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، خلقه للهدى ، وقد فاز به من
الهدى . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .





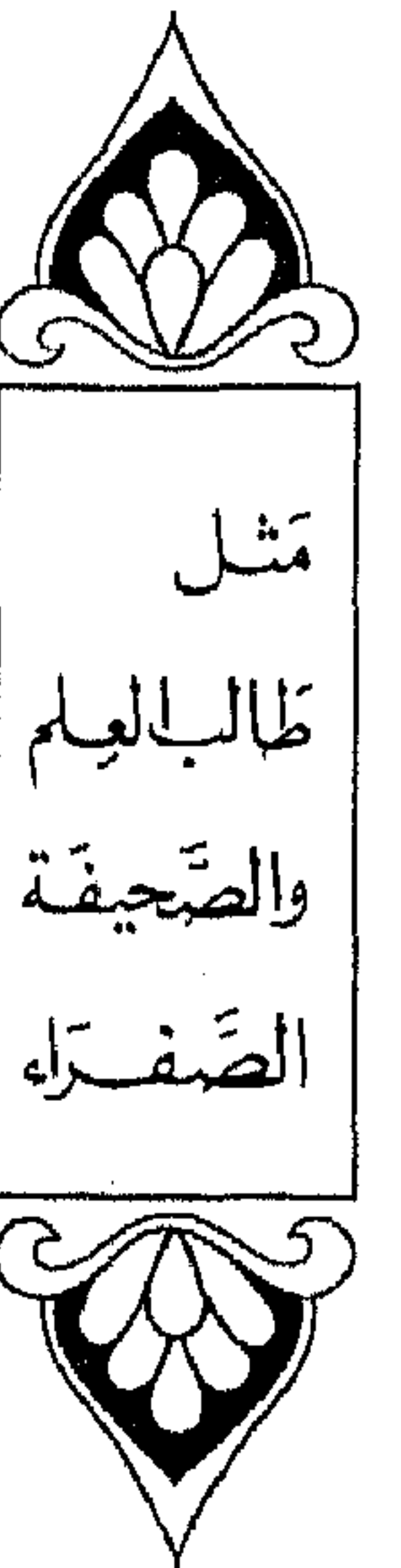
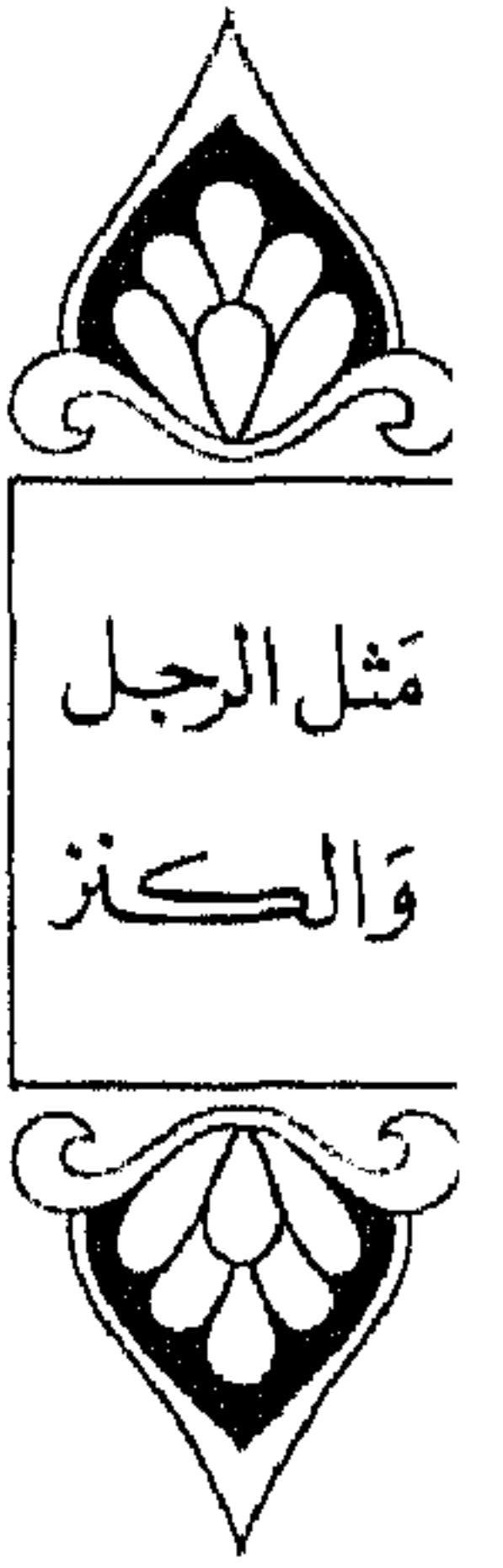
هذا كتابٌ كليلَةٌ ودِمنة. وهو مما وضعته علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي التمسوا بها أبلغ ما يجدون من القول، في النحو الذي أرادوا. ولم يزل العقلاء من أهل كل زمان يلتمسون أن يُعقل عنهم، ويحتالون لذلك بصنوف الحيل، ويطلبون إخراج ما عندهم من العِلل. فدعاهم ذلك إلى أن وضعوا هذا الكتاب، ولخصوا فيه من بليغ الكلام ومُتقنه على أفواه الطير والبهائم والسباع. فاجتمع لهم من ذلك أمران: أما هم فوجدوا مُتصِرِّفاً في القول، وشِعاباً يأخذون فيها. وأما هو فجمعَ لهُواً وحِكمة. فاجتباها الحكماء لحِكمته، والسُّخفاء للهوه. وأما المتعلمون من الأحداث وغيرهم فنشيطوا لعلمه، وخَفَّ عليهم حِفْظُهُ. فإذا احتنك * الحدَثُ واجتمع له أمره، وثاب إليه عقله، وتدبَّر ما كان حَفْظَ منه، وما وعاه في نفسه، وهو لا يدري ما هو - عَرَفَ أنه قد ظفر من ذلك بكنوزٍ عظام. فكان كالرجل يُدْرِكُ فيجدُ أباه قد كثر له من الذهب والفضة،

* بلغ أشده.

واعتقد* له ما استغنى به عن استقبال السعي والطلب. ولم يكن - إذ كثرت صنوف أصول العلم ثم تفرعت فروعها - بدُّ من أن تكثر العِلل التي تجري عليها أقاويل العلماء .

فأول ما ينبغي لمن طلب هذا الكتاب أن يتدبَّر فيه بجودة قراءته والتثبت فيه، ولا تكون غايته منه بلوغ آخره قبل الإحكام له؛ فليس ينتفع بقراءته ولا يُفيد منه شيئاً. وإن طمحت عيناه إلى جمعه، ولم يأخذ منه ما يعي الأول فالأول، فإنه خليقٌ ألا يصيب منه إلا كما أصاب الرجلُ الذي بلغني أنه رأى في بعض الصحارى كثرًا؛ فلما كشف عنه ونظر إليه رأى شيئاً عظيماً لا عهد له بمثله، فقال في نفسه: إن أنا أحرزتُ ما ههنا بنقله وَحدي لم أنقله إلا في أيام، وجعلتُ لنفسي عملاً طويلاً؛ ولكن أستأجرُ رجالاً يَحْمِلُونَهُ. ففعل ذلك، وجاء بالرجال فحمل كل واحد منهم ما أطاق. وانطلقوا، فيما زعم، إلى منزله. فلم يزل دائباً في ذلك حتى فرغ واستنفد الكثر كله. ثم انطلق إلى منزله بعد الفراغ فلم يجد شيئاً، ووجد كلَّ رجلٍ منهم قد حاز ما حملَ لنفسه؛ ولم يكن له إلا العناء في استخراجهِ والتعبُ عليه .

فليس ينبغي أن يجاوز شيئاً إلى غيره حتى يُحْكِمَهُ ويتثبتَ فيه وفي قراءته وإحكامه. فعليه بالفهم لما يقرأ والمعرفة حتى يضع كلَّ شيء موضعه وينسبه إلى معناه. ولا يعرض في نفسه أنه إذا أحكم القراءة له وعرف ظاهر القول، فقد فرغ مما ينبغي له أن يعرف منه. كما أن رجلاً لو أتى بجوزٍ صِباحٍ في قُشوره لم ينتفع به حتى يكسره ويستخرج ما فيه. فعليه أن يعلم أن له خبيثاً وأن يلتمسَ علم ذلك. ولا يكن كالرجل الذي بلغني أنه طلب علم الفصاحة فأتى صديقاً له ومعه صحيفةٌ صفراء. فسأله أن يكتب له فيها علم العربية. فكتب له في الصحيفة ما أراد. فانطلق الرجل إلى منزله وجعل يقرأها ولا يدري ما معناها. وظن أنه قد أحكم ما في الصحيفة - وأنه تكلم في بعض المجالس وفيه جماعةٌ من أهل الأدب والفصاحة. فقال له بعضهم: لحت. فقال: أَلْحَنُ والصحيفةُ الصفراء في منزلي؟ فالمرءُ حقيقٌ أن يطلب العلم² فإذا وجد حاجته منه



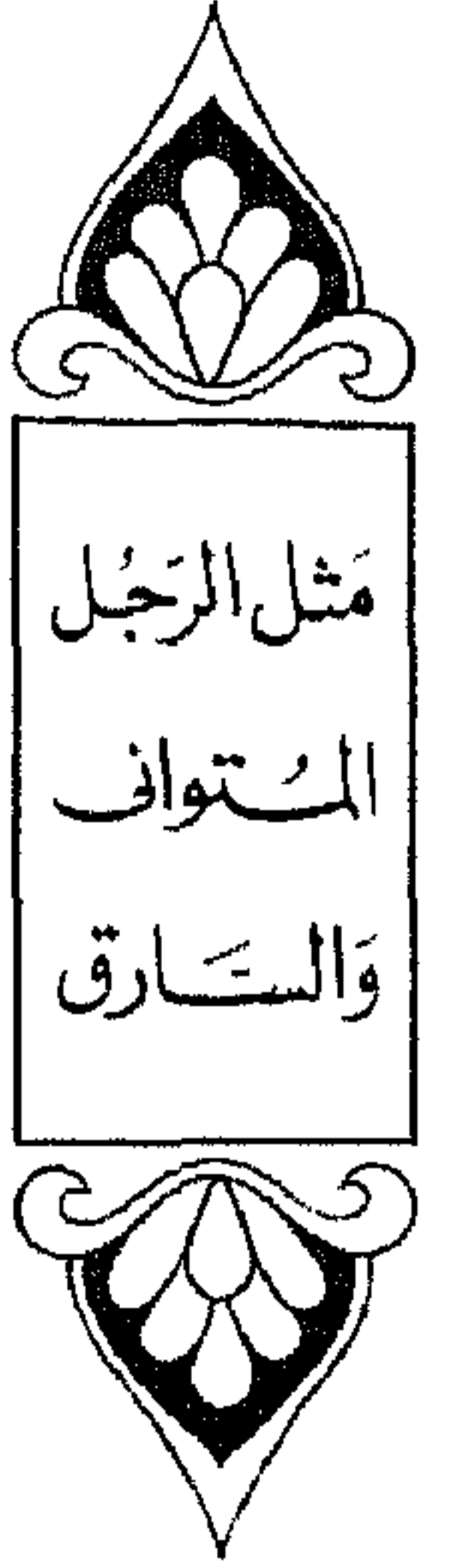


وضعوا هذا الكتاب على أفواه الطير والبهائم والسباع .

وفهمه وعرفه وبلغ غايته منه، انتفع بما يرى فيه من الأدب. فإنه يقال في أمرين لا ينبغي لأحد أن يقصر فيهما بل يُكثِرُ منهما: حُسْنُ العمل والتزوّدُ للآخرة .

ويقال أيضاً في أمرين يحتاج إليهما كلُّ من احتاج إلى الحياة: المالُ والأدب .

ويقال في أمرين: لا ينبغي لأحد أن يستكبر عنهما: الأدبُ والموت. ويقال: إنَّ الأدب



مثل الرجل
المُتَوَانِ
وَالسَّارِقِ

يجلو العقل كما يجلو الودك* النار ويزيدها ضوئاً. والأدب يرفع صاحبه كما ترفع الكرة يضربها الرجل الشديد. والعلم يُنجي من استعمله. ومن علم ولم يستعمل علمه لم ينتفع بعلمه، وكان كمثل الرجل الذي بلغني أن سارقاً دخل عليه في منزله فاستيقظ الرجل فقال في نفسه: لأسكتن حتى أنظر غاية ما يصنع، ولأتركنه حتى إذا فرغ مما يأخذ قمتُ إليه فنغصتُ ذلك عليه وكدرته. فسكت وهو في فراشه. وجعل السارق يطوف في البيت، ويجمع ما قدر عليه حتى غلب على صاحب البيت النعاس، وحمله النوم³ فنام ووافق ذلك فراغ السارق. فعمد إلى جميع ما كان قد جمعه فاحتمله وانطلق به. واستيقظ الرجل بعد ذهاب السارق فلم ير في منزله شيئاً. فجعل يلوم نفسه ويعاتبها ويعرض كفيه أسفاً. وعرف أن فطنته وعلمه لم ينفعاه شيئاً إذ لم يستعملهما.

والعلم لا يتم لامرئ إلا بالعمل. والعلم هو الشجرة، والعمل هو الثمرة. وإنما يطلب الرجل العلم لينتفع به. فإن لم ينتفع به فلا ينبغي أن يطلبه. ورب رجل لو قيل له: إن رجلاً كان عارفاً بطريق مخوف ثم ركب فأصابه فيه مكروه أو أذى، لتعجب من جهله وفعله. ولعله أن يكون يركب من الأمور ما يعرف به القبح والذم وشر العاقبة، وهو بذلك أشد استيقاناً من ذلك الرجل الذي ركب الهول بجهله، وحمله على ذلك هواه. ومن لم ينتفع بمعرفته كان كالمريض العالم الذي يعلم ثقل الطعام من خفيفه، ثم تحمله الشهوة على أكل الثقيل منه.

فأقل الناس عُذراً في ترك الأعمال الحسنة من قد عرف فضلها وحسن عائدتها وما فيها من المنفعة. وليس يعذره أحد على الخطأ، كما أنه لو أن رجلين، أحدهما أعمى والآخر بصير، وقعا في جبّ فهلكا جميعاً ولم ينج البصير من الهلكة - لأنه صار والأعمى في الجب بمنزلة واحدة - لكان البصير عند العقلاء أقل عُذراً من الأعمى.

ومن كان يطلب العلم ليعلمه غيره وليعرفه سواه، فإنما هو بمنزلة العين التي ينتفع الإنسان بمائها وليس لها من تلك المنفعة شيء. فإن خيلاً ثلاثاً ينبغي لصاحب الدنيا أن يقتبسها ويقتبسها:

* الدسم.

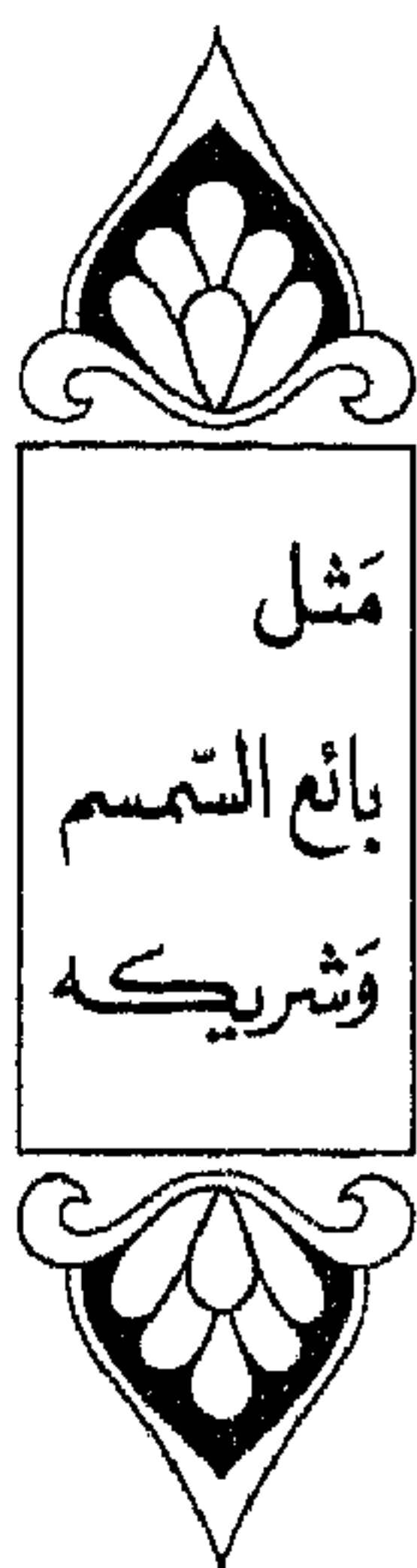


وتكلم في بعض المجالس وفيه جماعة من أهل الأدب والفصاحة .

منها العلم، ومنها المال، ومنها اتّخاذ المعروف. وقد قيل: إنه لا ينبغي لطالب أن يطلب أمراً إلا من بعد معرفته بفضله؛ فإنه يُعَدُّ جاهلاً من طلب أمراً وعنى نفسه فيه وليس له منفعة .

وقد نرى بعض من يقرأ هذا الكتاب فيتعجب منه ويجهد نفسه في حفظه ويترك العمل به. (ولا ينبغي للعالم أن يعيب أحداً بما هو فيه) فيكون كالأعمى الذي عير الأعمور بعوره⁴. وينبغي لمن عقل ألا يطلب أمراً فيه مَضَرَّة لصاحبه، يطلبُ بذلك صلاح نفسه فإنَّ الغادر مأخوذ .

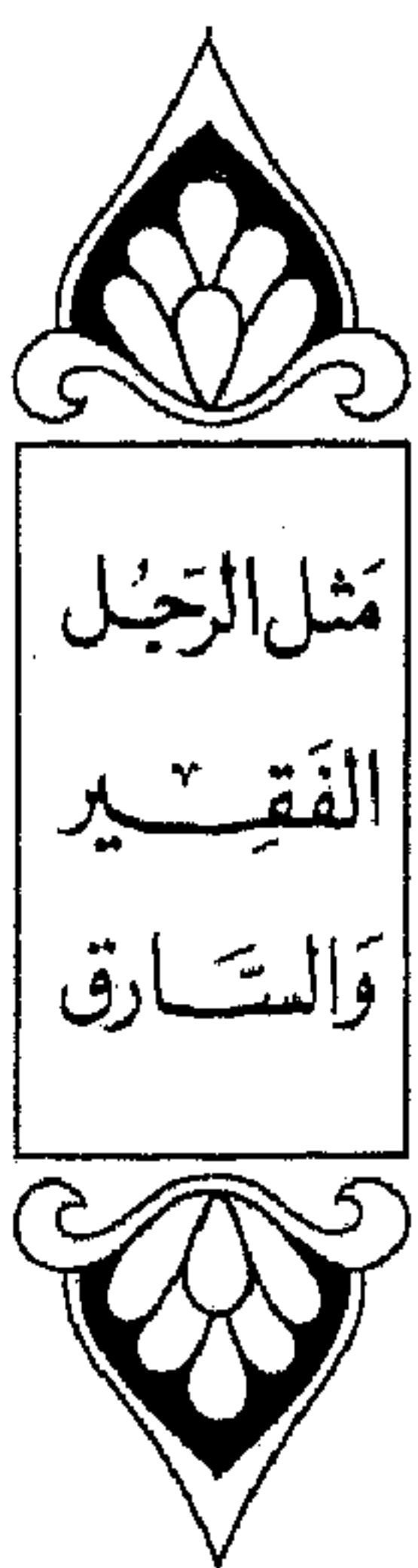
ومن فعل ذلك كان خليقاً أن يُصيبه ما أصاب الرجل الذي بلغني أنه كان يبيع السَّمِيم،

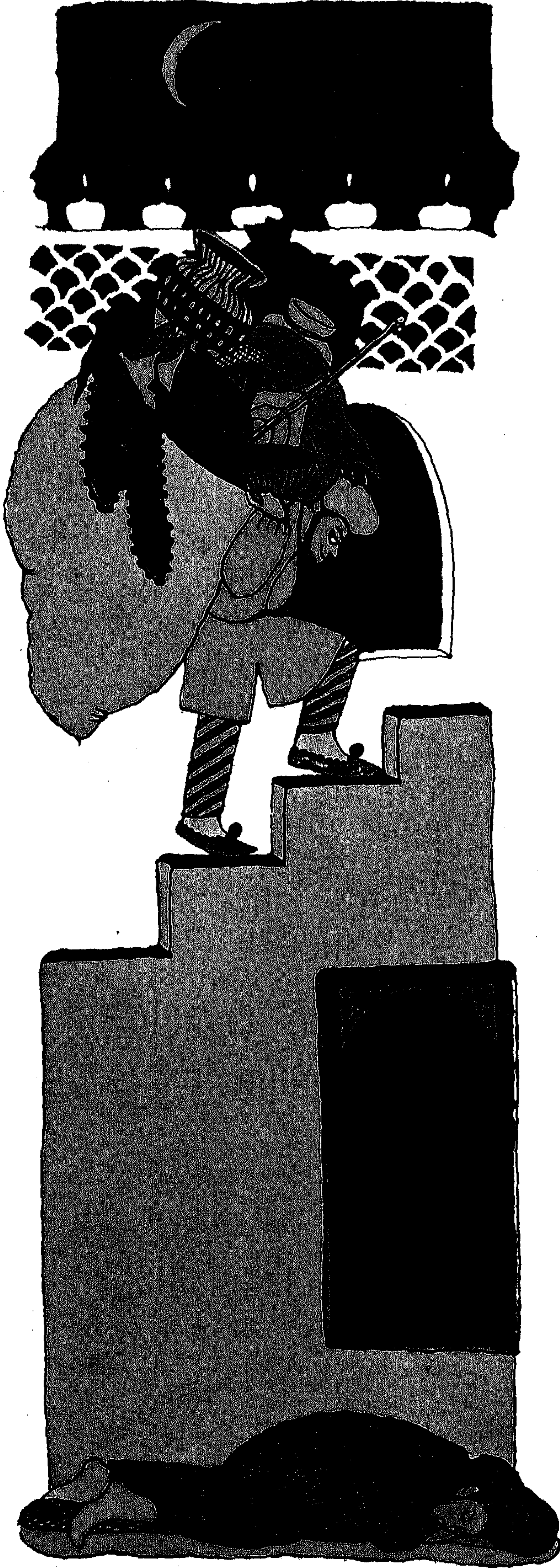


وكان له شريك. فكان سمسمهما في بيت واحد، غير أن الذي لكل واحد منهما على حدة. فأحبّ أحدهما أن يذهب بالذي لشريكه من السمسم، ثم أحبّ أن يجعل له علامةً حتى إذا دنا الليلُ عرفه بها، فعمد إلى رداءه فغطّاه به. ثم انطلق إلى صديق له فأخبره بالذي هم به، وسأله أن يُعينه عليه، فأبى صديقه ذلك إلا أن يجعل له نصف ما يأخذ منه، ففعل. ثم إن شريكه دخل البيت فرأى سمسمه مُغطّي برداء صاحبه، فظنّ أنه غطّاه من التراب والدواب. فقال في نفسه: لقد أحسن شريكي في تغطيته سمسمي وإشفاقه عليه. وسمسمه أحقُّ أن يُغطّي بردائه⁵. فحوّل الرداء على سمسم صاحبه. فلما كان في الليل جاء التاجر، والرجل معه، ودخلا البيت وهو مُظلم. فجعل الرجلُ يلمس ويحسّ حتى وقعت يده على الرداء المغطّي على السمسم، وهو يُقدّر أنه كما غطّاه، وأنه سمسم صاحبه. فأخذ نصفه وأعطى صديقه الذي عاونه نصفه. فلما أصبح جاء هو وشريكه حتى دخلا البيت. فلما رأى الرجل أن الذي ذهب سمسمه، ورأى سمسم صاحبه على حاله، دعا بالويل، وعرف أن الذي أخذه ذلك الرجل ليس برادّه، ويخشى أن تكون فيه فضيحتُه، فلم يقل شيئاً⁶.

وينبغي لمن طلب أمراً أن تكون له غايةٌ ينتهي إليها؛ فإنه من أجرى إلى غير غاية أوشك أن يكون فيه عناؤه وتقوم فيه دابته. وهو حقيقٌ ألا يُعني نفسه بطلب ما لا يجد، وأن يكون لآخرته مؤثراً على دُنياه؛ فإنه قد قيل: مَنْ قَلَّ تعلقه بالدنيا قَلَّتْ حسرته عند فراقها. وينبغي له ألا يئس من أن يُصيب ذلك وإن قسا قلبه؛ فإنه يقال في أمرين يجملان بكل أحد؛ وهما النُسك والمال. وإنما مثل ذلك كالنار المتأججة التي لست تقذف إليها حطباً إلا قبلته وكان لها موافقاً.

وربما أصاب الرجلُ الشيء وهو غير راجٍ له، كما أصاب الرجلُ الذي بلغني أنه كانت به حاجةٌ شديدة، وخلةٌ ظاهرة، وفاقةٌ وعُري. فغدا يطلب من معارفه، وشكا إليهم، وسألهم ثوباً يلبسه. وجهد فلم يُصب شيئاً، ورجع إلى منزله وهو آيس. فبينما هو نائم على فراشه إذا بسارق قد دخل عليه في منزله فلما رآه الرجل قال: ما في منزلي شيء يستطيع هذا السارق أن يسرقه؛ فليصنع ما يشاء، وليُجهد نفسه. وإن السارق دار في البيت، وطلب فلم يجد شيئاً يأخذه. فغاضه ذلك، وقال في نفسه: ما أرى ههنا شيئاً، وما أحبّ أن يذهب عنائي باطلاً. فانطلق





إلى خافية فيها شيءٌ من برٍّ*
فقال: ما أجْدُ بُدًّا من أخذ
هذا البرِّ إذ لم أجِد غيره .
فبسط مِلْحَفَةً كانت عليه ،
وصبَّ ذلك البرِّ فيها . فلما
بصُرَّ به الرجل قد جعل البرِّ
في المِلْحَفَةِ وهو يريد أن ينطلق
بها قال : ليس على هذا صبرٌ ؛
يذهب البرِّ ويجمعُ علي أمران :
الجوع والعُري . ولن يجتمعا على
أحدٍ إلا أهلكاه . فصاح بالسارق
فهرب من البيت وترك المِلْحَفَةَ .
فأخذها صاحبُ المنزل فلبسها
وأعاد البرِّ إلى مكانه . فليس
ينبغي لأحد أن ييأس ، ولا
يطلب ما لا يُنال ؛ ولكن لا يدع
جُهداً في الطلب على معرفة ؛
فإنَّ الفضل والرِّزق يأتيان من
لا يطلبهما ؛ ولكن إذا نظَّر

وغلب صاحب البيت النعاس ،
فعمد السارق إلى جمع ما كان
قد جمعه ، فاحتمله وانطلق به .

* قمع

في ذلك وَجَدَ من طَلَبَ وأصاب أكثرَ ممَّن أصابَ بغير طلب، ولم يكن حقيقاً أن يَقْتَدِيَ بذلك الواحد الذي أصاب من غير طلب، ولكن يَقْتَدِيَ بالكثير الذين طلبوا فأصابوا .

وحقُّ على المرء أن يُكثِرَ المقياسَةَ، وينتفعَ بالتجارب. فإذا أصابه الشيء فيه مَضَرَّةٌ عليه حَذِرَهُ وأشباهَهُ، وقاس بعضه ببعض، حتى يحذر الشيءَ بما لقي من غيره؛ فإنه إن لم يحذر إلا الذي لقي بعينه لم يُحكَمِ التجارب في جميع عُمُرِهِ، ولم يزل يأتيه شيء لم يكن أتاه بعينه. فأما الذي ينبغي ألا يدعه على حال فإن يحذر ما قد أصابه. وينبغي له مع ذلك أن يحذر ما يُصيب غيره من الضرر حتى يَسَلِّمَ من أن يأتيه مثله، ولا يكون مثله كمثل الحمامة التي يُؤخَذُ فرخاها فيذبحان، وترى ذلك في وكرها، ولا يمنعها من الإقامة في مكانها حتى تُؤخَذَ هي فتُدَبِّحُ .

وينبغي له مع ذلك أن يكون للأمر عنده حدٌّ لا يَجُوزُهُ ولا يُقَصِّرُ عنه؛ فإنه من جاز الحدَّ كان كمن قصر عنه؛ لأنهما خالفا الحدَّ جميعاً. وينبغي له أن يعلم أن كل إنسان ساعٍ؛ فمن كان سعيه لآخرته وديناه فحياته له وعليه⁷. ويقال في ثلاثة أشياء: يحقُّ على صاحب الدنيا إصلاحها وأن يتدارك لنفسه فيها: أمرُ دنياه، وأمرُ معيشته، وأمرُ ما بينه وبين الناس. وقد قيل في أمورٍ شتَّى: من كانت فيه لم يَسْتَقِمَ أمرُهُ له: منها التواني في العمل، ومنها التضييع للفرص، ومنها التصديق لكل مُخْبِرٍ. وربُّ رجلٍ يُخْبِرُ بالشيء لا يقبله، ولا يَعْرِفُ استقامته فيصدقُ به لما يرى من تصديق غيره، فيتأدى به ذلك حتى يكون كأنه عَرَفَهُ. ورجلٌ يصدقُ به لهواه في الأمر الذي يُخْبِرُ به. فالعاقل لا يزالُ للهوى متهماً. وينبغي له ألا يقبلَ من أحد، وإن كان صدوقاً، إلا صدقاً. وينبغي له ألا يتأدى في الخطأ ولا يتوانى في النظر. وينبغي له، إذا التبس عليه أمر، ألا يلجَ في شيء منه، ولا يُقدِّمَ عليه قبل أن يستيقن بالصواب منه، فيكون كالرجل الذي يجور عن سنن الطريق فيسيرُ على جوره وعلى الاعوجاج، ولا يزدادُ في السير حثاً إلا ازداد من الطريق بُعداً، أو كالرجل الذي يدخلُ في عينه القذى فلا يزال يدلكُّها حتى يعلوها البياض فتذهب. وعلى العاقل ألا يأخذَ إلا بالحزم، ويعلم أن الجزاء كائن. ومن أتى إلى صاحبه بمثل ما أتى إليه فشقَّ عليه فقد ظلم⁸.

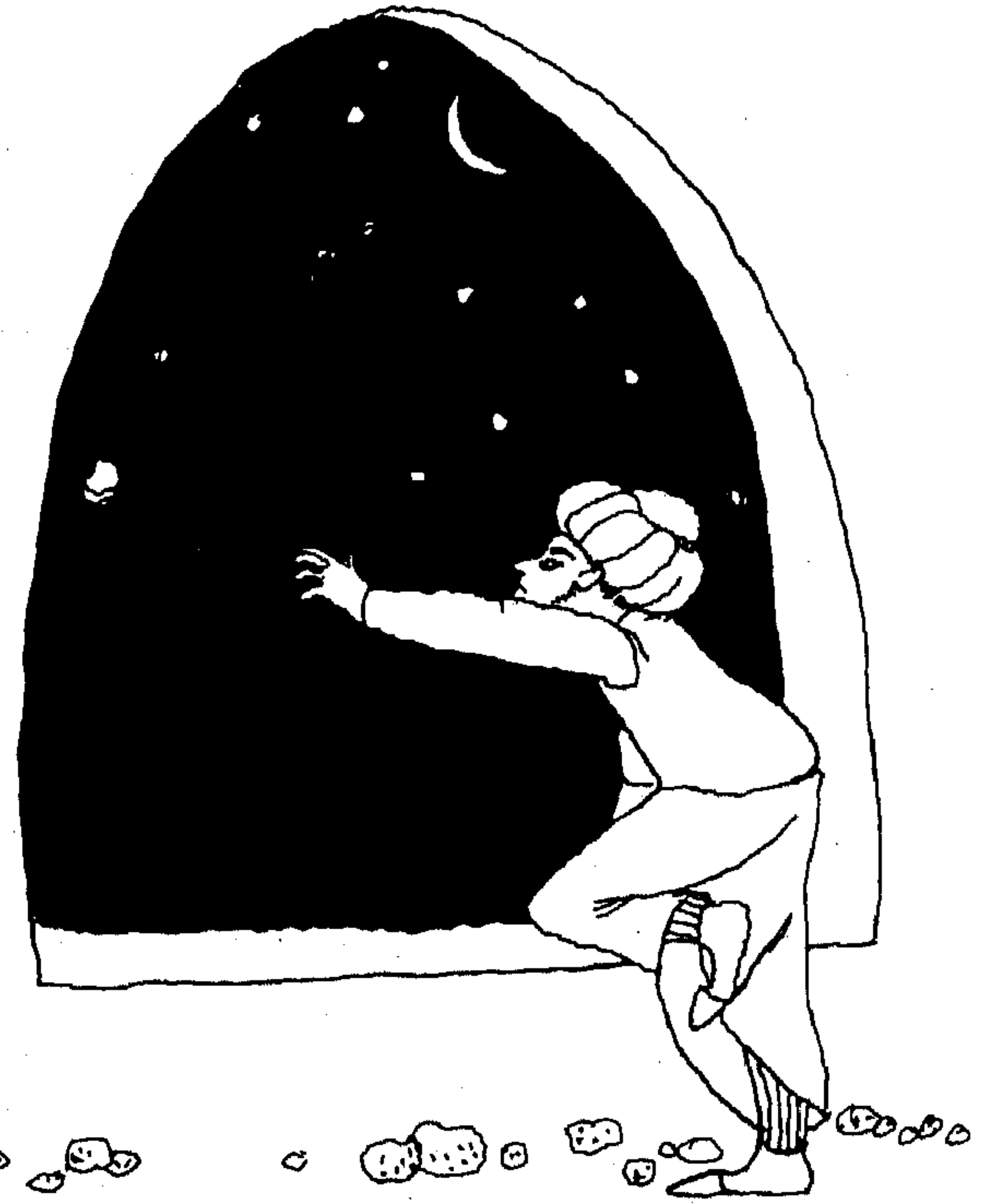


فبسط السارق ملحفة كانت عليه وصب البرّ فيها .

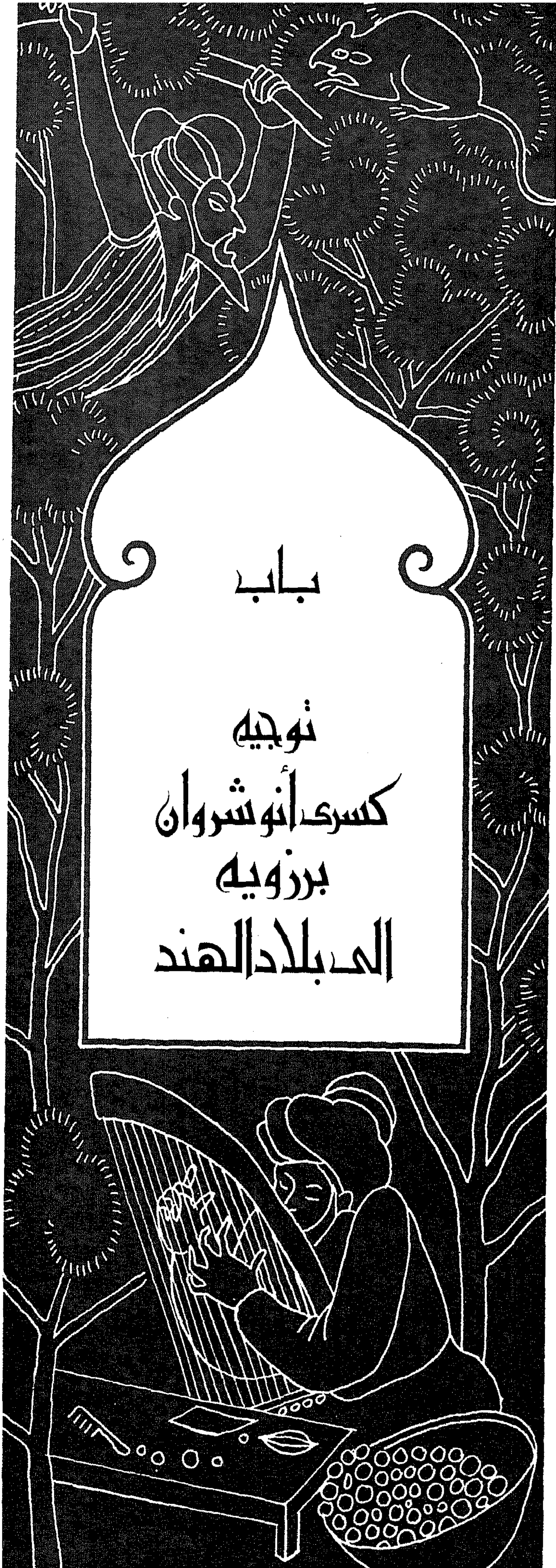
فمن قرأ هذا الكتاب فليقتدِ بما في هذا الباب؛ فإنني أرجو أن يزيدَه بصراً ومعرفة. فإذا عرفه اكتفى واستغنى عن غيره. وإن لم يعرفه لم ينتفع به، فيكونُ مثله كمثل الذي رمى بحجرٍ في ظُلْمَةِ الليل، فلا يدري أين وقع الحجر ولا ماذا صنع⁹.

وإننا لما رأينا أهلَ فارس قد فسَّروا هذا الكتاب¹⁰ وأخرجوه من الهندية إلى الفارسية ألحقنا

باباً بالعربية ليكون له أساً ليستين فيه أمر هذا الكتاب لمن أراد قراءته، وفهمه، والاقْتباس منه .
فأول ما نبتدىء بذكر بعث برزويه إلى بلاد الهند .



ورمى بحجر في ظلمة الليل .



باب

نویسه

کسری انوشیروان

برزویه

المبلاد الهند



قال بُزْجَمِهْر¹: أما بعد ؛ فإنَّ الله ، تبارك وتعالى ، خلق خَلْقَهُ برحمته ، ومنَّ على عباده بفضله ، ورزَقَهُم ما يقدرُون به على إصلاح شأنِهِم ومعايشِهِم في الدنيا ، وما يُدرِكُون به استنقاذَ أرواحِهِم من أليم العذاب . وأفضلُ ما رزَقَهُمُ اللهُ ومنَّ عليهم به العقلُ الذي هو قُوَّةٌ لجميع الأشياء ؛ فما يقدر أحدٌ من الخلق على إصلاح معيشة ، ولا اجترارِ منفعة ، ولا دفعِ مَضَرَّةٍ إلاَّ به . وكذلك طالبُ الآخرةِ المجتهدُ على استنقاذِ روحه من الهلكة . فالعقلُ سببٌ لكل خير . وهو مكتسبٌ بالتجارب والآداب ، وغريزةٌ مكنونة في الإنسان كامنَةٌ ككُمونِ النار في الحجر والعود ؛ لا تُرى حتى يقدَحها قادح من غيرها يُظهر ضوءها وحريقها . كذلك العقل من الإنسان لا يُظهر حتى يُظهره الأدب وتُقويهِ التجارب . فإذا استحكَم كان هو وليَّ التجارب والمقويِّ لكل أدب ، والمميِّزُ لجميع الأشياء ، والدافعُ لكل ضررٍ . فلا شيءَ أفضلُ من العقل والأدب . فمن منَّ عليه خالقه بالعقل ، وأعان هو على نفسه بالثابرة على الأدب والحرص عليه سَعِدَ جدّه ، وأدركَ أمَلَهُ في الدنيا والآخرة .

والعقل هو المقوي الملك السعيد الجَدَّ ، الجليل المرتبة . ولا تصلحُ السُّوقَةُ إِلَّا عليه وعلى تديره ² .

وقد ³ جعل الله لكل شيء سبباً ، ولكل سببٍ علّةٌ ، ولكل علّةٍ مَجْرَى . وكان من علّة انتساح هذا الكتاب ، ونقله من بلاد الهند إلى مملكة فارس ، إلهامُ الله تعالى أنوشروان كسرى ابن قباد في ذلك ؛ لأنه كان من أفضل ملوك فارسَ علماً وحُكماً ورأياً ، وأكثرهم بحثاً عن مكان العلم والأدب ، وأحرصهم على طلب الخير ، وأسرعهم إلى اقتناء ما يزيّنه بزينة الحكمة ، وفي معرفة الخير من الشرِّ ، والضّرّ من النفع ، والصدیق من العدو. ولم يكن يعرف ذلك إِلَّا بعون الله خُلفاءه وساسة عباده وبلادَه لإقامة رعيّته وأموره . فكان مما خصَّ الله به كِسْرَى أنوشروان أن أكرمه بهذه الكرامة ، ورزقه هذه النعمة ؛ حتى استوثقت له الرعيّة ، وأذعنت له بالطاعة ، وصفت له الدنيا ، وانقادت الملوكُ له ، فركنت إلى طاعته . وتلك نعمة من الله سابغةٌ قسّمها له في دولته ، وعُباب مُلكه .

فبينما هو في عزِّ ملكه وبهاء سلطانه إذ بلغه أنّ بالهند كتاباً من تأليف العلماء ، وترصيف الحكماء ، وتدير الفهماء ، قد ميّزت أبوابه ، وأثبتت عجائبه على أفواه الطير والبهائم والوحش والسباع والهوامّ وسائر حشرات الأرض ، مما يحتاج إليه الملوك في سياسة رعيّتها وإقامة أودها وإنصافها . فلا قوامَ للرعيّة إِلَّا بحسن سياسة الملوك ، وسعة أخلاقها ، ورأفتها ورحمتها . ولذلك لم يدع كِسْرَى أنوشروانُ اقتناء ذلك الكتاب الذي بلغه عنه أنه ببلاد الهند ، وضمّه إلى نفسه ، والاستعانة به على سياسته ، والعمل بحسن تديره .

فلما عزم على ما أراد من أمره ، وهمّ بالبعثة في طلب كتاب كليله ودمنة وانتساخه قال في نفسه : من لهذا الأمر العظيم ، والأدب النفيس ، والخطب الجليل الذي يزيّن به ملوك الهند دون ملوك فارس ؟ وقد هممنا ألا ندع - مع بُعد السفر ، وصعوبة الأمر ، ومخاطر الطريق ، وكثرة النفقة - طلب هذا الكتاب حتى نصل إلى نسخته ونقف على إتقانه ، وورصانه أبوابه ، وعجائبه . ولا بدّ لنا من أن ننتخب من نريد إرساله في ذلك من هذين الصّنفين من الكتاب والأطباء ؛ فإنّ أهل هذين يجتمع عندهم جوامعٌ من بُحور الأدب ، وكُنوز الحكمة ،

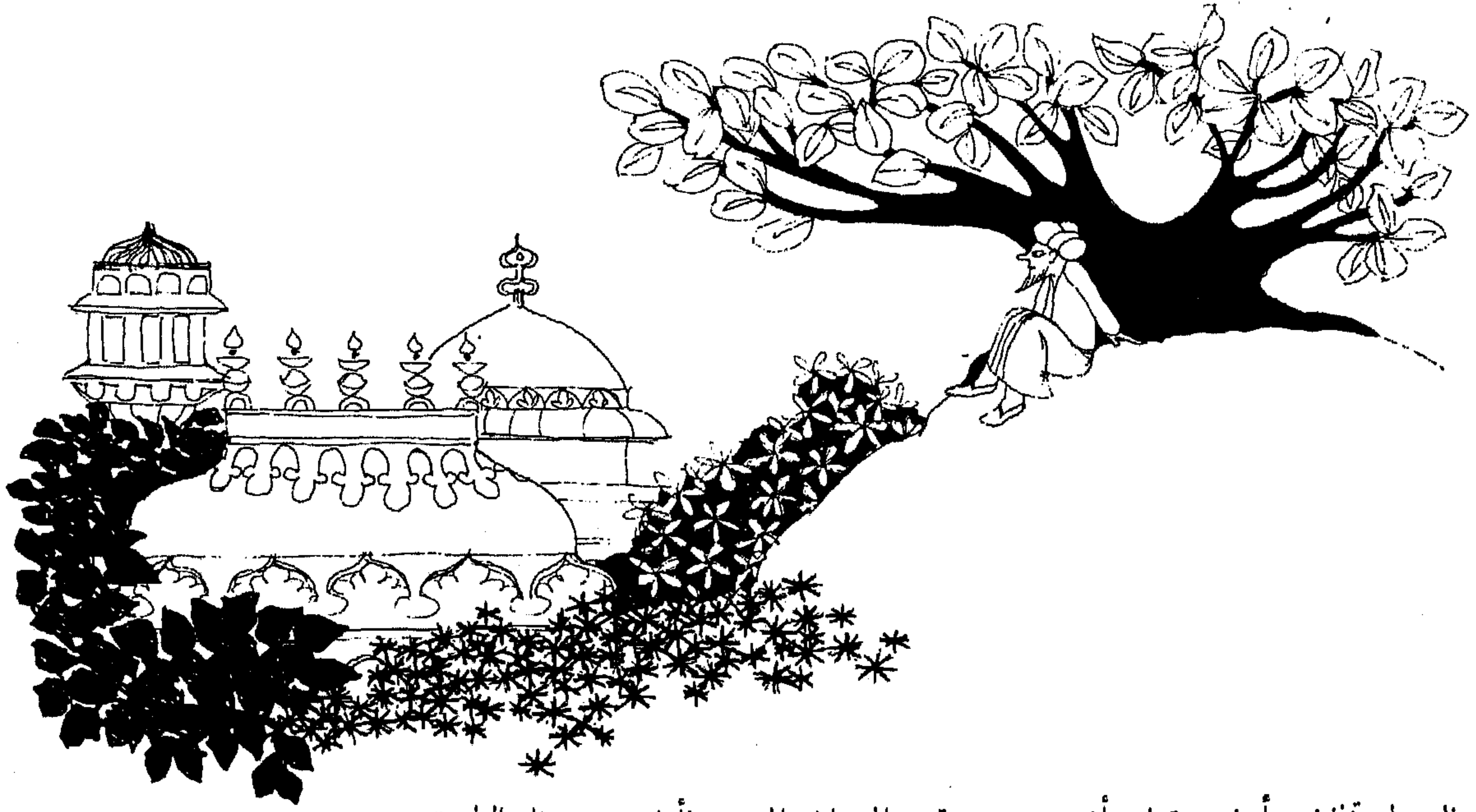
في أناةٍ وتؤدّة ، وتجربةٍ ونفاذِ حيلة ، وتحفظٍ وتحريزٍ ، وكمالِ مروءة ، ودهاءٍ وفطنة ، وحلمٍ وتصنُّعٍ ، ولطفِ سياسةٍ وكيانٍ سرّ .

فلما فَحَصَ الرأي فيما أجمع عليه ، اختار في مملكته ، وانتخب من علمائه ، فلم يجد أحداً على نحو ذلك إلا بَرزَوِيَه بن آذر هَرَبَد⁴ . وكان من رؤساء أطباء فارسَ ومن أبناء مُقاتلتها . فدعاه كسرى وقال له : إنا قد انتخبناك لموضع حاجتنا ، وتفَرَّسنا فيك الخير ، وأمَلنا فيك أن تكون على ما أردنا من إصابتِ هذه الحاجة التي نحن مُرسِلوك فيها ؛ لِما عَلِمنا عنك من الاجتهاد في العلم والأدب ، وحرصِك على طلبهما .

ونحن مُرسِلوك إلى بلاد الهند لِما بلَغنا عن كتابٍ عند مُلوكتها وعلمائها قد أَلَفته العلماء ، وهذَّبته الحكماء ، وأتقنه الفطناء ، ليس في خزائن الملوك مثله - يستعين به على عظامهم ملوكُ الهند . فتعزَّم على المسير بسببه فتستفيدُه برفقٍ وتؤدّة وتلطُّفٍ . وتحملُ معك من المال ما أردتَ ، ومن طُرْف بلاد فارس وهداياها ما تعلمُ أنه يُعِينك على استخلاصه ، مع ما تقدِر عليه من الكتب التي يحتاج إليها الملوك . وليكن ذلك في سرِّ مكتوم .

فإذا أكملتَ ما تريده وأنت في بلاد الهند ، كتبتَ إلينا بذلك ، وأسرعتَ الوُفودَ إلى حضرتنا ؛ فإنَّا مُجزِلو عطيتك ، ورافعو درجتك ، ومُبلِغوك فوق ما أمَلتُه من دولتنا . فبادِرْ لما أمرتَ ، واحفظ ما وُصِّيتَ به ، وليكن من شأنك التثبُّتُ والتأني في جميع أمورِك . فخرَّ بَرزَوِيَه ساجداً وقال : سمعاً وطاعةً . سيَجِدني الملك كما أحبُّ إن شاء الله . ثم نهض إلى منزله فتخيَّر من الأيام أيمنها ، ومن الساعات أبركها ، وسار في اليوم المختار ؛ فلم يزل تخفِضه أرض وتُرفعه أخرى حتى قدم إلى بلاد الهند ، فأراح من وَعْثاء الطريق .

ثم إنه طاف بباب الملك ، وتخلَّل مجالس السُّوقَة ، وسأل عن قرابة الملوك والأشراف ، وعن العلماء والفلاسفة . فجعل يغشاهم في منازلهم وعلى باب الملك ، ويتلقَّاهم بالتحية والمساءلة ، ويُخبرهم أنه قدم بلادهم لطلب العلم والأدب ، وأنه مُحتاجٌ إلى معونتهم على ما طلب من



فلم يزل تحفضه أرض وترفعه أخرى؛ حتى قدم إلى بلاد الهند، فأراح من وعناء الطريق .

ذلك، ويسألهم إرشاده إلى حاجته، مع شدة كتمانهم له، وكنايته عنه. فلم يزل كذلك زماناً طويلاً؛ يتأدّب بما هو أعلم به، ويتعلّم من العلم ما هو ماهر فيه، ويكفي عن بُغيته وحاجته.

واتخذ، لطول لُبثه وإقامته، أصدقاءً كثيرين من أهل الهند، من الأشراف والسوقة وأهل كل صناعة. واختصّ من جماعتهم رجلاً كان شريفاً عالماً يسمّى أزويه⁵. وكان صاحب سرّه ومشورته لما ظهر له من علمه وفضل أدبه، وصحّ له من إخوانه ومَحض مودّته، وفصاحة منطقه. وكان يُشاوره في جميع أموره، ويستريح إليه فيما يُهمّه؛ إلا أنه كان يكتُمه الأمر الذي هو بُغيته. وكان يبلوه باللطف لينظر هل يراه موضعاً لإطلاعه على سرّه فلم يزل يبحث عن ذات نفسه حتى وثق به، وعلم أنه لما استودع من السرّ موضعاً، وفيما سأل مُشَفِّعاً، وفيما استعان به

* يختبره .

عليه مجتهد . فازداد له إطفافاً . فكان ، إلى ذلك اليوم الذي رجا أن يكون قد ظفر بحاجته ، قد أعظم النفقة مع طول الغيبة وإطفاف الأصدقاء ، ومجالستهم على الطعام ومنادمتهم على الشراب لطلب الثقات منهم فلم يطمئن إلى أحد منهم إلا إلى صديقه ذلك .

وكان مما حكّ * به برزويه صديقه ذلك ورازه * * * وفتش عقله ووثق به واطمأن إليه ؛ أن قال له يوماً ، وهما خاليان : يا أخي ما أريد أن أكتمك من أمري شيئاً فوق ما قد كتمتُك . فاعلم أني لأمر جئت ، وهو غير ما ترى يظهرُ مني . والعاقِلُ يكتفي من الرجل بالعلامات الظاهرة فيه ، من نظره وإشارته بيده . فيعلم سرَّ نفسه ، وما يُضمر عليه قلبه . قال الهندي : إني وإن كنتُ لم أبدأك ، ولم أخبرك بما له جئت ، وإياه طلبت ، وأنت تطلبه وأنت تُظهر غيره فإنه لم يكن يخفي عليّ . ولكن ، لرغبتني في إخائك ، كرهتُ أن أواجهك بأنه قد ظهر لي ما تكتم ، وأنه قد استبان لي ما أنت فيه وما تُخفيه . فأما إذ افتتحت الكلامَ فأنا مُخبرُك عن نفسك ، ومُظهرُك سريرة * * * أمرِك ، ومُعَلِّمُك حالِك الذي قدِمْتَ عليه . فإنك قدِمْتَ بلادنا لتسلُبنا علومنا الرفيعة وكنوزنا النفيسة . فتذهبَ بها إلى بلادك لتسرَّ بها مَلِكك . وكان قدومك بالمر ، ومصادقتك بالخدعة ؛ ولكن لما رأيتُ صبرك ، وطولَ مواظبتك على طلب حاجتك ، وتحفظك من أن تسقط في الكلام - في طول ليثك * * * عندنا - بشيء نستدل به على سريرة أمرِك ، ازدادت رغبة في عقلك ، وأحببتُ إخاءك . ولا أعلمُ أني رأيتُ أوزنَ منك عقلاً ، ولا أحسنَ أدباً ، ولا أصبرَ على طلب حاجة ، ولا أكتَمَ للسرِّ منك ، ولا أحسنَ خلقاً ، ولا سيما في بلاد غربة ، ومملكة غير مملكتك ، وعند قوم لم تكن تعرف سُننهم ولا أمرهم .

واعلم أن عقل الرجل يستبين في أمور ثمان : الأولى منها الرفق والتلطف . والثانية أن يعرف الرجل نفسه ويحفظها . والثالثة طاعة الملوك وتحري ما يُرضيهم . والرابعة معرفة الرجل بموضع سرّه ، وكيف ينبغي أن يُطلع عليه صديقه . والخامسة أن يكون على أبواب الملوك حوَّلاً أريباً مليق اللسان . والسادسة أن يكون لسرّه ولسرّ غيره حافظاً . والسابعة أن يكون قادراً على لسانه فلا

* اختبر . * جرب ما عنده ووزنه . * * * سر . * * * بقائك . * * * بصيراً بتحويل الأمور .

يلفظ من الكلام إلا ما قد روى فيه وقدره . والثامنة إذا كان في المحفل لم يجب إلا بما يسأل عنه ، ولم يظهر من الأمر إلا ما يجب عليه .

فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الثمانية كان هو الداعي إلى نفسه الخير والريح ، والمجنب لنفسه الشر والخسران . وقد كملت هذه الخصال بأسرها وهي بينة ظاهرة فيك . ومن اجتمعت فيه هذه الخصال شفع في طلبته ، وأسعف بحاجته . وإن حاجتك التي تطلب قد أربعتني وأدخلت علي الوحشة والخشية ونسأل الله السلامة .

فلما سمع برزويه بذلك تيقن أنه قد ظفر بحاجته . وأقبل عليه ، وقال : يا أخي لم تُخطِر فراستي فيك في أول مقامي عليك ، واستماعي جوابك . وإنما رميتك بجملة كلامي ، وإيجاز منطقي ، لما علمت من حسن متقبتك ، وبعد مذهبك ، وغوصك على معدن الفطنة والحكمة . فلذلك وثقتُ منك بحسن القول مني وقبول كلامي ، وإسعافي بحاجتي . وإن إفشاء السر إلى العلماء والعقلاء وأهل العلم ، والثقة بهم أفضل عُدّة . وكذلك شبّهت العلماء مُودِع الأسرار عند أهلها بالجبل الشامخ الذي لا تُزيله الريح ، ولا تحركه بكثرة إذرائها . وأنت - بحمد الله - يدك عندي جميلة ، عليها أعتد .

قال الهندي : حفظ الأسرار وكتماؤها شبّهته العلماء بغلاف القارورة المغطّي عليها ؛ تراها واحدة فإذا نُزع الغطاء فجرمان اثنان ، فإذا فرغت مما فيها فهي ثلاثة مشهورة قد عُلِم بها ⁶ . ورأس الأدب حفظ السر ؛ لأنّ السر إذا تكلم به لسانان صار إلى ثلاثة ، وإذا صار إلى ثلاثة شاع في الناس . ومثله في ذلك مثل الغيوم التي في السماء ؛ إذا كانت متقطّعة فادّعى ناس أنها مستوية ليس فيها خلل ولا فرجة ، كذبهم قوم آخرون . وعلى الناظر تمييز صدق ذلك من كذبه . ولك عندي يا أخي - مع قرب العهد بيننا - من الأيدي الكرام والألطف ، ما أتدّم * لذلك ⁷ منك . وإنك تسألني حاجةً أتخوّف أن تذيع أو يفتن بها حاسد فيكون ذلك فيه هلاكي واستئصالي ،

* ما يعقد لك مني ذمة وأماناً .

ثم لا أقدر على الافتداء بعوض ولا مال ولا جاه ولا عون ؛ لأنّ هذا الملك سُخِّطَهُ أدنى شيء ، ولا يُرضيه كثرة التملُّق ولا التصرُّع . فذلك دعائي إلى الانقباض منك والتأكيد عليك .

قال برزويه : من أفضل الأشياء في الرجال كتمان السرّ ، وحفظ ما استودع منه ؛ فإنما نجاحُ حاجتي بإذن الله في يدك ، وكتمانُ ذلك في يدي .

قال برزويه⁸ : إنّ العلماء قد مدحت الصديقَ إذا كتمَ سرَّ صديقه . وهذا الأمر الذي قدِمْتُ له ، إياك اعتمدتُ به ، وإليك أفشيتُهُ . ولن يتجاوز مني ومنك إلى أحدٍ تكرهه وتخاف إذاعته وإفشاءه . وأنت تعلم أنك من قبلي آمن ؛ ولكنك تتقي أهلَ بلادك المُطيفين بالملك أن يُشيعوا ذلك ، وأرجو ألا يشيع ؛ لأنني ظاعنٌ * وأنت مقيم . وما أقمتُ فليس بيننا ثالث . فشفَّعه الهنديّ فيما طلب ، وأعطاه حاجته من الكتب ، ودفع إليه كتاب كليله ودمنة⁹ .

فلما وقع برزويه في تفسير الكتب ونسخها ، أقام على ذلك زماناً عظمتُ فيه مئونته ونفقته ، وأنصبَ فيه بدنه ، وسهر فيه ليله ، ودأب فيه نهاره من الخوف على نفسه .

فلما فرغ منه ومن سائر الكتب وأحكمها ، كتب إلى كسرى أنو شروان يُعلمه بما لقي من التعب والعناء ، وأنه قد فرغ منه ومن سائر الكتب . فأجابه كسرى في سرِّ مكتوم يأمره بالأوبة إليه ساعة يردُّ عليه الكتاب . فتجهَّز برزويه ، وخرج من بلاد الهند حتى ورد فارس ، ودخل على كسرى ، وخرَّ له ساجداً . فلما رفع رأسه واستوى قائماً ، رآه كسرى قد شحَبَ لونه وتغيَّرت سَحْتته ، وشاب رأسه ، فرقَّ له وقال : أبشر أيها العبدُ المطيعُ مولاه ، الناصحُ لمملكه ، ببشرى صالحة ؛ فقد استوجبتَ الشكرَ منّا ، ومن جميع الخاصة والعامة ؛ فإننا لا ندعُ رَفْدَكَ والنظرَ لك . ونحن صانعون لك أفضلَ ما رجوت وأملت . ثم أمره أن ينصرف ويُريحَ بدنه سبعة أيام ثم يأتيه . ففعل .

فلما كان في اليوم الثامن دعا به . وأمر أن يُحضَرَ العلماء والأشراف من أهل مملكته . وأمر بترجمه أن يقرأ الكتاب على رعوس الأَشهاد . فلما قرأ الكتاب وسمعوا ما فيه من العلم



فشفعه الهندي فيما طلب ، وأعطاه حاجته من الكتب .

والأدب والأعاجيب التي حكوها على ألسن الحيوان والطير تعجبوا منه وشكروا الله على ما أنعم عليهم به من الأدب والمعرفة على يد برزويه وأحسنوا الثناء عليه .

ثم إن الملك أمر بأن تُفتح خزائن الذهب والفضة لبرزويه ، وأمره أن يأخذ منها ما أحب . فسجد برزويه للملك ، ورفع رأسه وقال : عشت أيها الملك حميداً مُخلداً . إنا بحمد الله قد

أفادنا الله، في دولة الملك وبهاء ملكه وعزّ سلطانه، ما لم نأمله. وكلُّ ما أنعم الله علينا به، من الله ومن الملك. ولا حاجة لي إلى شيء من ذلك. لكني أريد أن أسأل الملك حاجةً يسيرة يكون لي في قضائها ذكرٌ وفخر. قال الملك: وما تلك الحاجة؟ قال برزويه: إن رأى الملكُ أن يأمر بـزُرجِمهر بن البختبان أن يضع لي في رأس هذا الكتاب باباً باسمي، وينسبَ إليه شأني وفعلي ليكون لمن بعدي عبرةً وتأديباً، ويحيا به ذكري ما حيتُ في الدنيا، وبعد وفاتي. فإنه إن فعل ذلك فقد شرفني وأهل بيتي آخر الأبد¹⁰.

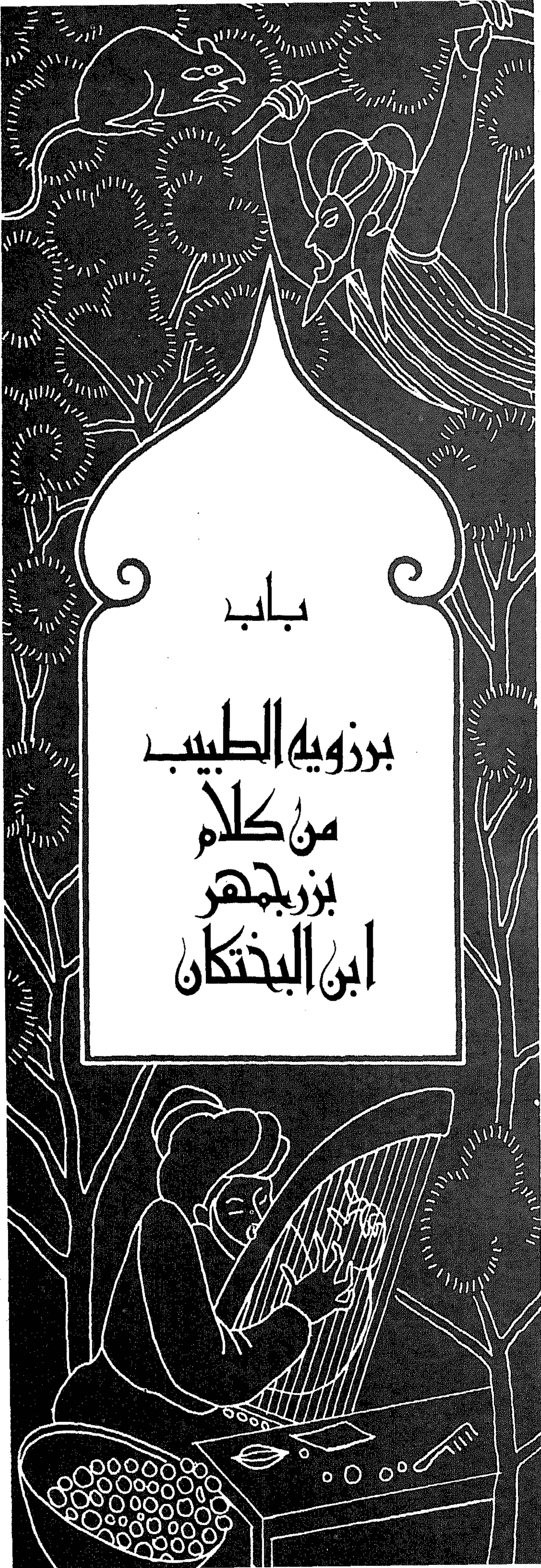
فقال الملك: ما أهونَ ما سألتَ في جنب ما استوجبت. وتقدّم إلى بـزُرجِمهر بأن يضع له باباً وينسبه إليه، على موافقة الحق، ليكون تحريضاً لمن قرأه على طاعة الملوك، ولا يقصّرَ في إتقانه وتحبيره بغاية وسعه وطاقته!¹¹ فقبل بـزُرجِمهر وصية كسرى في ذلك، لعلمه بحسن رأيه في برزويه وإكرامه إياه. وأطنب في ذلك الباب، واجتهد في إتقانه وترصيفه، ونسبه إليه، وذكرَ تنقله من حال إلى حال، وبحثه عن الأديان، والتماسه طلب الحكمة. ثم استأذن على الملك فقرأه بين يديه. فتعجب كسرى ومن بحضرته منه¹².

فلما قرأ الكتاب وسمعوا ما فيه من العلم والأدب والأعاجيب التي حكوها على ألسن الحيوان والطير تعجبوا منه.



فمن قرأ هذا الكتاب فليعرف السبب الذي وُضِعَ عليه كتابُ كليةِ ودمنة، وحول من أرض
الهند إلى أرض فارس، وليعرف فضلَ الملوك وطاعتهم، ويؤثرها على سائر الأعمال، وليعلم
أنَّ الشريف من شرفته الملوك، ورفعته في دولتها .





باب

برزويه الطيب
من كلام
برزيمهر
ابن البختگان



قال بزرجمهر: إن برزويه رأس أطباء فارس، وهو الذي وليّ انتساخ هذا الكتاب وترجمه من كتب الهند، قال:

إنّ أبي كان من المقاتلة، وكانت أمي من بنات عظماء الزميمة*، وفقهائهم في دينهم. وكان مما ابتدأني به ربي من نعمه أني كنت من أكرم ولد أبوي عليهما، وأنهما أسلماني في تعليم الطب لما صار لي من عمري سبع سنين². فلما بلغت وعرفت أمر الطب وفضله، شكرت رأيهما في ذلك، ورغبت في تعلمه؛ حتى إذا شدت منه علما، وبلغت فيه ما أمنت له نفسي على مداواة المرضى وهممت بذلك، أمرت نفسي وذكرتها وخيرتها بين الأمور الأربعة التي إياها يطلب الناس، ولها يسعون، وإليها يجدون. فقلت: أي هذه الخلال ينبغي لمثلي أن يلتمس؟

* قوم من أتباع « الأبتا » وهو كتاب المجوس الذي قيل إن واضعه هو زرادشت.

وأيتها أحرى، إن هو بغاه، أن يدرك منه حاجته؟ آمال أم اللذات أم الصوت* أم أجر الآخرة؟ واستدللت على المختار من ذلك، فوجدت الطب محموداً عند العقلاء، ولم أجده مذموماً عند أحد من أهل الأديان والملل. وأصبت في كتبهم أن أفضل الأطباء من وازب على طبه لا يريد بذلك إلا الآخرة. فرأيت أن وازبَ عليه أبتغي ذلك، ولا أتمس له ثمناً ولا أكون كالتاجر الخاسر الذي باع ياقوته، كان مصيباً من ثمنها غنى الدهر، بخرزة لا تساوي شيئاً. ووجدت في كتبهم أيضاً أن الطبيب المبتغي بطبه أجر الآخرة، لا ينقصه ذلك من حظه في الدنيا. فإنما مثله في ذلك مثل الحرث الذي يثير أرضه ويعمرها ابتغاء الزرع لا العشب، ثم هي لا محالة نابت فيها ألوان منه. فأقبلت على مداواة المرضى رجاء ذلك. فلم أدع مريضاً، أرجو له البرء وأطمع له في خفة الوجع، إلا بلغت في معالجته جهدي. ومن قدرت على القيام عليه قمت عليه وفعلت به ذلك وإلا وصفت له. ولم أرد لشيء من ذلك جزاءً ولا مكافأة ممن فعلته به. ولم أغبط، من نظرائي ومن هو مثلي في العلم وفوق في المال، أحداً إلا بعين صلاح أو حسن سيرة في الناس قولاً وعملاً. وكنت أقرع نفسي إذا هي نازعتني إلى أن تغبط أولئك وتتمنى منازلهم، وآبى لها إلا الخصومة. وأقول: يا نفس أما تعرفين نفعك من ضرك؟ ألا تنتهين عن الرغبة فيما لم ينله أحد إلا قل انتفاعه به، وكثر عناؤه فيه، واشتدت مثنوته عليه عند فراقه، وعظمت التبعة عليه بعده؟ يا نفس أما تذكرين ما أمامك فتنسي ما تشرهين إليه فيما بين يديك؟ ألا تستحين من مشاركة الفجرة الجهال في حب هذه الفانية البائدة التي من كان في يده منها شيء فليس له، ولا بياق عليه، والتي لا يألفها إلا المغترون الغافلون؟ يا نفس أقصري عن هذا السفه، وما أنت عليه من خطل الرأي فيه، وأقبل بقوتك وسعيك وما تملكين، على تقديم الخير والأجر ما استطعت، وإياك والتسويق والتواني. واعلمي أن هذا الجسد ذو آفات، وأنه مملوء أخلاطاً فاسدة قدرة تجمعها أربعة أشياء متعادية متغلبة تعمدهن الحياة، وهي إلى نفاذ. كالصنم المفصل أعضاؤه إذا ركبت جمعها مسمار واحد، وأمسك بعضها على بعض. فإذا أخذ المسمار تساقطت الأوصال. يا نفس لا تغتري بصحبة أحبائك وأخلائك، ولا تحرصي على ذلك؛

ويعمرها ابتغاء
الزرع لا العشب،
ثم ينبت فيها
ألوان منه .



فإنها، على ما فيها من السرور والبهجة، كثيرة الأذى والمثونات والأحزان؛ ثم تحتم ذلك بقطع الفراق. كالمغرفة تُستعمل في صحتها وجدتها في حرارة المرق وسخونته، فإذا هي انكسرت صار عاقبة أمرها إلى النار. يا نفس لا يحملنك ما تريدن من صلة أهلك وأقاربك والتماس رضاهم على جمع ما تهلكين فيه، فإذا أنت كالدخنة الطيبة التي تحترق ويذهب بعرفها آخرون، وكالدُّبالة تضيء لغيرها باحتراقها⁴. يا نفس لا تغتري بالغنى والمنزلة التي تُبطل أهلها؛ فإنها إلى انقلاب. وإن صاحب ذلك لا يبصر صغر ما يستعظم حتى يفارقه؛ فيكون كشعر الرأس الذي يكرمه صاحبه، ويخذه ما دام على رأسه؛ فإذا فارق رأسه قدره وقز منه. يا نفس دومي على مداواة المرضى، ولا يعوقك عن ذلك أن تقولي إن الطب مثونة شديدة، والناس بمنافعها ومنافع الطب جهال؛ ولكن اعتبري بمن يفرج عن رجل كربة تحلُّ به، ويستنقذه منها حتى يعود بعدها إلى ما كان يكون فيه من السعة والروح، فإنه أهل لعظيم الأجر وحسن الجزاء. فكيف بالمتطبب الذي يفعل ذلك بالعدة التي الله أعلم بها، فيعودون - بعد الأسقام الممضّة والأوجاع الحائلة بينهم وبين لذات الدنيا من طعامها وشرابها وأزواجها وأولادها - إلى أحسن ما كانوا يكونون عليه من حالاتهم. فإن هذا خليق بجزيل الثواب وعظيم الرجاء. يا نفس لا يبعدن عليك أمر الآخرة الدائمة فتميلي إلى الدنيا الزائلة، فتكوني في استعجال القليل وبيع الكثير باليسير كالتاجر

الذي زعموا أنه كان له ملء بيت صندلاً، فقال: إن أنا بعته موزوناً طال عليّ. فباعه مجازفة بأخس الثمن .

فلما⁵ خاصمت نفسي بهذا وأخذتها به وبصرتها إياه، لم تجد له نقضاً، ولا عنه مذهباً ولا مُنصرفاً، فاعترفت وأقرت، ولهت عما كانت تنزع إليه وترغب فيه. وأقمت على مداواة المرضى ابتغاء أجر الآخرة. فلم يمنعني ذلك من أن أصبت من الدنيا حظاً جسيماً، ونصيباً عظيماً، من الملوك والأولياء والإخوان، قبل أن آتي الهند، وبعد رجوعي منها، وفوق الذي كان طمعي يحنح إليه، وفوق ما كنت له أهلاً .

ثم نظرت في الطب فوجدت الطبيب لا يستطيع أن يداوي المريض بدواءٍ يُذهب عنه داءه، فلا يعود إليه أبداً ذلك الداء ولا غيره من الأدوية التي هي مثله أو أشد منه. فلم أدر كيف أعدّ البرء بُرءاً - والداء لا تؤمن عودته أو اعتراء ما هو أشد منه - ووجدتُ عمل الآخرة هو الذي يُسلم من الأذى حتى يبرأ صاحبها بُرءاً يأمن معه من الأدوية كلها. فاستخففتُ بالطب وأردت الدين. فلما وقع ذلك في نفسي اشتبه عليّ أمر الدين؛ أما كتبتُ الطب فلم أجد فيها لشيء من الأديان ذكراً يدلني على أهداها وأصوبها. وأما الملل فكثيرة مختلفة ليس منها شيء إلا وهو على ثلاثة أصناف: قومٌ ورثوا دينهم عن آبائهم، وآخرون أُكْرِهوا عليه حتى ولجوا فيه، وآخرون يبتغون به الدنيا. وكلهم يزعم أنه على صواب وهُدًى، وأن من خالفه على خطأ وضلالة. والاختلاف بينهم كثيرٌ في أمر الخالق والخلق، ومبتدأ الأمر ومُنتهاه، وما سوى ذلك. وكلُّ على كلِّ زارٍ*، وله عدو، وعليه عائب. فرأيتُ أن أراجع علماء أهل كلِّ ملة، وأناظرهم فأنظر فيما يصفون، لعلِّي أعرفُ بذلك الحقَّ من الباطل فأختاره وألزمه على ثقة ويقين، غير مُصدِّق بما لا أعرف، ولا تابعٍ ما لا يبلغه عقلي. ففعلتُ ذلك وسألتُ ونظرتُ فلم أجد أحداً من الأوائل يزيد على مدح دينه، وذم ما يخالفه من الأديان. فاستبان لي أنهم بالهوى يحيون ويتكلمون، لا بالعدل. ولم أجد عند أحدٍ منهم صفةً تكون عدلاً يعرفها ذو العقل ويرضى بها .

وشعر الرأس يكرمه صاحبه، ويخدمه
ما دام على رأسه، فإذا فارق رأسه قدره



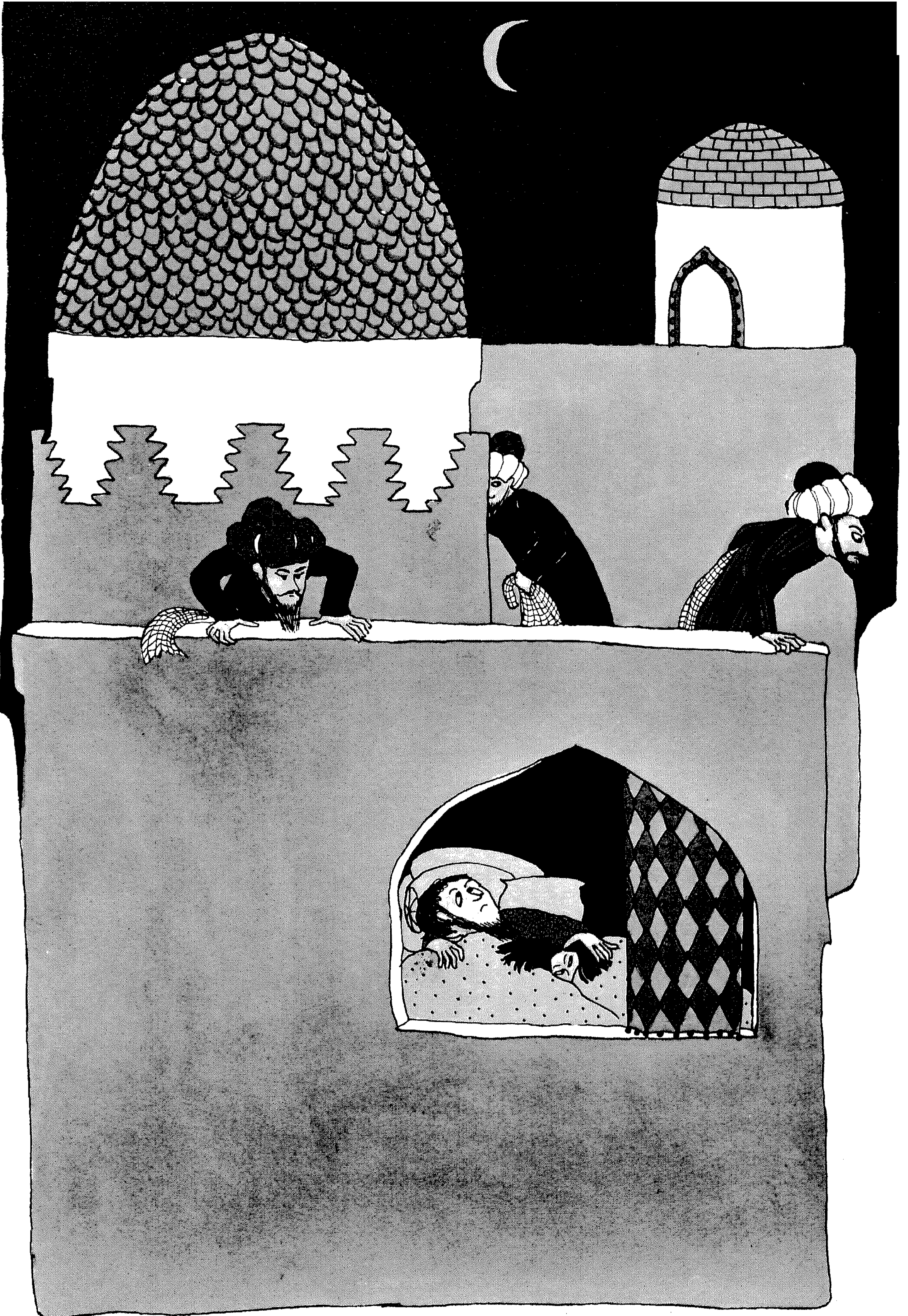
فلما رأيت ذلك لم أجد إلى متابعة أحد منهم سبيلاً، وعرفت أنني، إن أوافقته على ما لا أعلم، أكن كالمصدق المخدوع الذي⁶ زعموا أن جماعة من اللصوص ذهبوا إلى بيت رجل من الأغنياء ليسرقوا متاعه، فعلاً ظهر بيته ليلاً، فانتبه صاحب البيت لوطئهم، وأحس بهم، فعرف أنه لم يعل ظهر بيته في تلك الساعة إلا مريب. فأيقظ امرأته وقال لها: رويداً! إني لأحسب اللصوص قد علوا ظهر بيتنا. وأنا متناوِمٌ لك، فأيقظني بصوتٍ رفيع يسمعه من فوق البيت من اللصوص، ثم قولي لي: ألا تخبرني عن أموالك الكثيرة هذه وكنوزك، من أين جمعتها؟ فإذا أبيت عليك فألحي في السؤال. ففعلت المرأة ذلك. وسمع اللصوص كلامها. فقال الرجل: أيتها المرأة، قد ساقك القدر إلى رزقٍ واسع، فكلي واشربي واسكتي ولا تسألي عما لو أخبرتك به لم آمن أن يسمعه سامع فيكون في ذلك ما أكره وتكرهين. فقالت المرأة: لعمري ما بقربنا أحد يفهم كلامنا. قال الرجل: فإني مخبرك أنني لم أجمع هذه الأموال والكنوز إلا من السرقة. قالت: وكيف كان ذلك وأنت في أعين الناس عدلٌ مرضيٌ لم يتهمك ولم يسترب بك أحد؟ قال: ذلك لعلم أصبته في السرقة كان اللفظ وأرفق من أن يتهمني أحد أو يرتاب في. قالت: وكيف كان ذلك؟ قال: كنت أذهب في الليلة المقمرة ومعني أصحابي حتى أعلو ظهر البيت الذي أريد أن أسرقه، فأنتهي إلى الكوة التي يدخل منها الضوء إلى البيت فأرقي بهذه الرقية وهي: «شولم، شولم» سبع مرات، ثم أعتق الضوء فأهبط فيه إلى البيت، ولا يحس بوقوعي أحد. ثم

أقوم في أسفل الضوء فأعيدُ الرُّقِيَّةَ سبعَ مراتٍ فلا يبقى في البيتُ مالٌ ولا متاعٌ إلا ظهر لي،
وأمكنني أن أتأوله، وقويتُ على حملي. ثم أُعيدُها وأعتنقُ الضوء وأصعدُ إلى أصحابي فأحملهم
ما معي، ثم ننسلُّ ولا يشعر بنا أحد.

فلما سمع اللصوص ذلك فرحوا وقالوا: لقد ظفِرنا من هذا البيت بأمرٍ هو خيرٌ لنا من
المال، وأمنًا به من السلطان. وأطالوا المُكثَ حتى ظنوا أن الرجل قد نام. ودنا رئيسهم إلى مدخل
الضوء من الكوة فقال: «شولم، شولم» سبعَ مراتٍ. ثم اعتنقَ الضوء لينزل إلى البيت فوق منكسًا.
فوثب إليه صاحبُ البيت بهراوة فأوجعه ضرباً وقال له: مَنْ أنت؟ قال: أنا المصدقُ المخدوعُ،
وهذه ثمرة تصديقي.

فلما تحرّزت من التصديق بما لم آمن أن يوقِعني في مهلكة، عدتُ إلى البحث عن الأديان
والتماس العدل منها؛ فلم أجد عند أحدٍ ممن كلمته، في جواب ما سألتُه عنه، ولا فيما ابتدأني
به، شيئاً يحقُّ عليّ في عقلي أن أوقن به وأتبعه. فقلت: أما إذا لم أُصِبْ ثقةً آخذ منه فإنّ الرأي
أن أُلزم دين آبائي. وهممتُ بذلك فلم أر لي فيه مخرجاً، ولا وجدت الثبوت على دين الآباء
سبيلاً، ولا لي فيه حُجَّةٌ ولا عذراً. فأردت التفرُّغ للعود إلى البحث عن الأديان والمسألة عنها.
فعرّض لي تخوُّفٌ قُرب الأجل وسرعته، وانقطاع الدنيا وفنائها، وفكرت في ذلك وقلت: أما
أنا فلعل موتي يكون أوْشَكَ من تقلب كفيّ ورجع جفنيّ على عيني. وقد كنتُ أعملُ أموراً
أرجو أن تكون من صالح الأعمال، لعل تردّدي وتنقلي وبحثي عن الأديان يشغلني عن خير
كنتُ أفعله، فيكون أجلي دون ما يطمح إليه أُملي، أو يصيبني في تردّدي وتحوّلي ما أصاب
الرجل الذي زعموا أنه علّق امرأةً ذاتَ بعلٍ وعلّقته. فحفرت له من بيتها سرّاً إلى الطريق وجعلت
مخرجه عند حُبّ* الماء، تخوفاً أن يفاجئها زوجها أو أحد وهو عندها، فبينما هي ذاتَ يوم

إني لأحسب اللصوص قد علوا ظهر بيتنا.



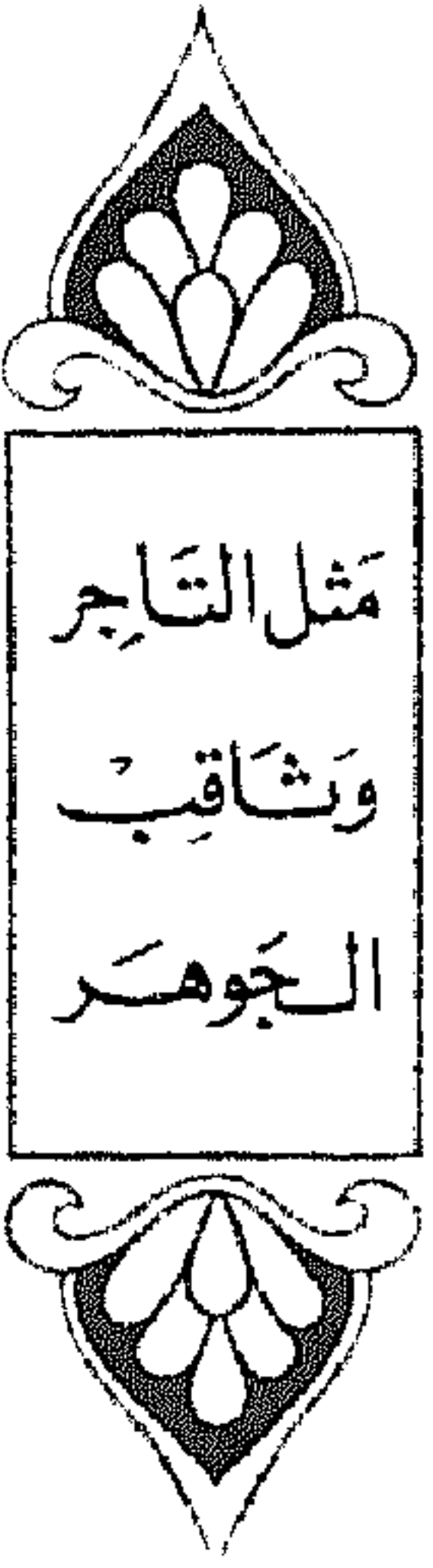
فقالَت المرأة: أيها المائق وما تصنع بالحب ؟



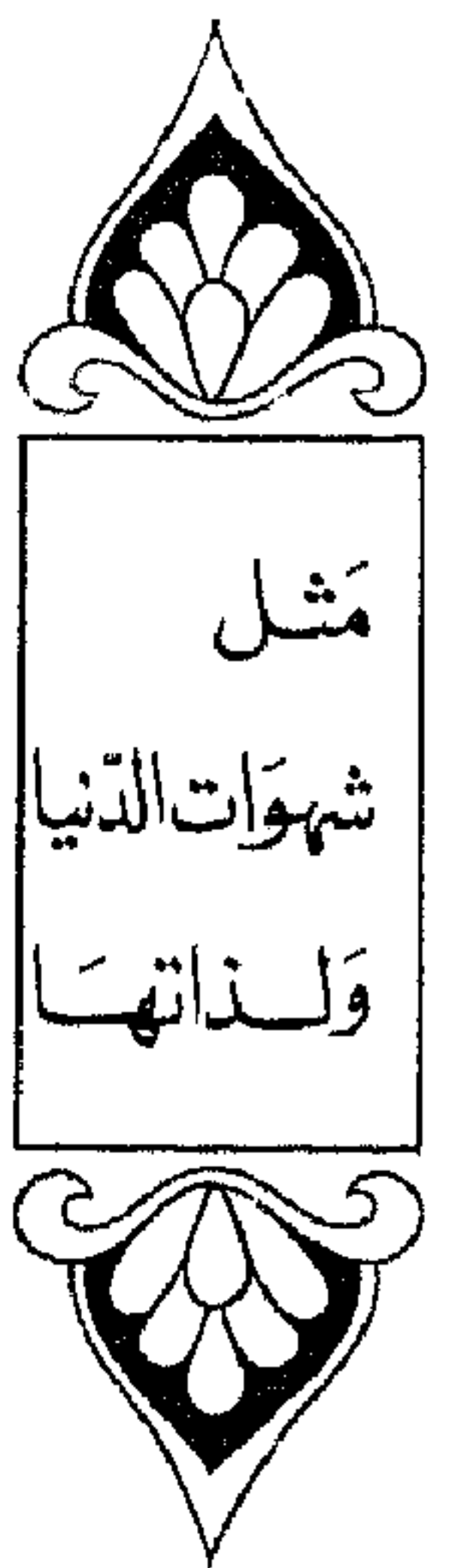
وهو عندها، إذ بلغها أن زوجها بالباب. فقالت للرجل: اعجل واخرج من السرب الذي عند الحب. فانطلق الرجل إلى ذلك المكان، فوافق الحب قد رُفِعَ من ذلك المكان. فرجع إلى المرأة قال: قد انتهيت إلى حيث أمرت فلم أجد الحب. فقالت المرأة: أيها المائق وما تصنع بالحب؟ وهل سميتُ لك إلا لتستدلَّ به على السرب؟ قال: لم تكوني حقيقة أن تذكره لي فتغلطيني به. فقالت المرأة: وَيَحَكْ! انجُ بنفسك، ودع التردد والحمق. فقال: كيف أذهب وقد خلطت علي؟ فلم تزل تلك حالته حتى دخل زوجها فأوجعه ضرباً ثم رفعه إلى السلطان.

فلما خفتُ التردد والتحول رأيتُ ألا أتعرض لهما، وأن أقتصر على كل شيء تشهد العقول أنه برّ، ويتفق عليه كل أهل الأديان. فكففتُ يدي عن الضرب والقتل والسَّرِقة والخيانة، ونفسي عن الغضب، ولساني عن الكذب وعن كل كلام فيه ضرر لأحد. وكففتُ عن أذى الناس والغيبة والبُهتان. وحصنتُ فرجي عن النساء، والتمستُ من قلبي ألا أتمنى ما لغيري، ولا أُحبُّ له سوءاً، ولا أكذب بالبعث والحساب والقيامة والثواب والعقاب، وزايلتُ الأشرار بقلبي، وأحببتُ الصُّلحاء جُهدي، ورأيتُ الصلاح ليس مثله قرينٌ ولا صاحب، ومُكْتَسَبه - إذا وفق الله له - يسيرٌ، وأصبتُه خيراً على أهله، وأبرَّ من الآباء والأمّهات. ووجدته يدلُّ على الخير،

ويُشير بالنُّصح، فِعْلَ الصِّدِّيقِ بِالصِّدِّيقِ. ووجدته لا ينقص إذا أنفقَ منه؛ بل يزداد على الإنفاق ويكثر، ولا يخلق على الابتذال والاستعمال، بل يجِدُّ ويحسن، ولا خوفَ عليه من السلطان أن يسلبه، ولا من الآفات أن تُفسِده، ولا من النار أن تُحرِّقه، ولا من اللصوص سرَّقا، ولا من السباع افتراساً، ولا من ذي حُمةٍ لدغاً، ولا من الغارة، ولا من الجوائح. ووجدتُ الرجلَ الذي يزهد في الصِّلاح وعاقبته، ويُلهيه عن ذلك قليلُ ما هو فيه من الحلاوة العاجلة النِّفاد، إنما مثله، فيما ذهبَتْ فيه أيامه، مثلُ التاجر الذي زعموا أنه كان له جَوهَرٌ كثير، فاستأجر لثقبه وعمله رجلاً بمائة دينار يومه إلى الليل فانطلق به إلى بيته. فلما جلسا إذا بصنَّجٍ موضوع، فنظر إليه، فقال له التاجر: أتُحسِنُ أن تُضربَ به؟ قال: نعم، قال: فدونك. فتناولَه، وكان به ماهراً، فلم يزل يُسمِعُه صوتاً حسناً مصيباً. وترك سَفَطَ جَوهَرِه مفتوحاً وأقبل عليه.



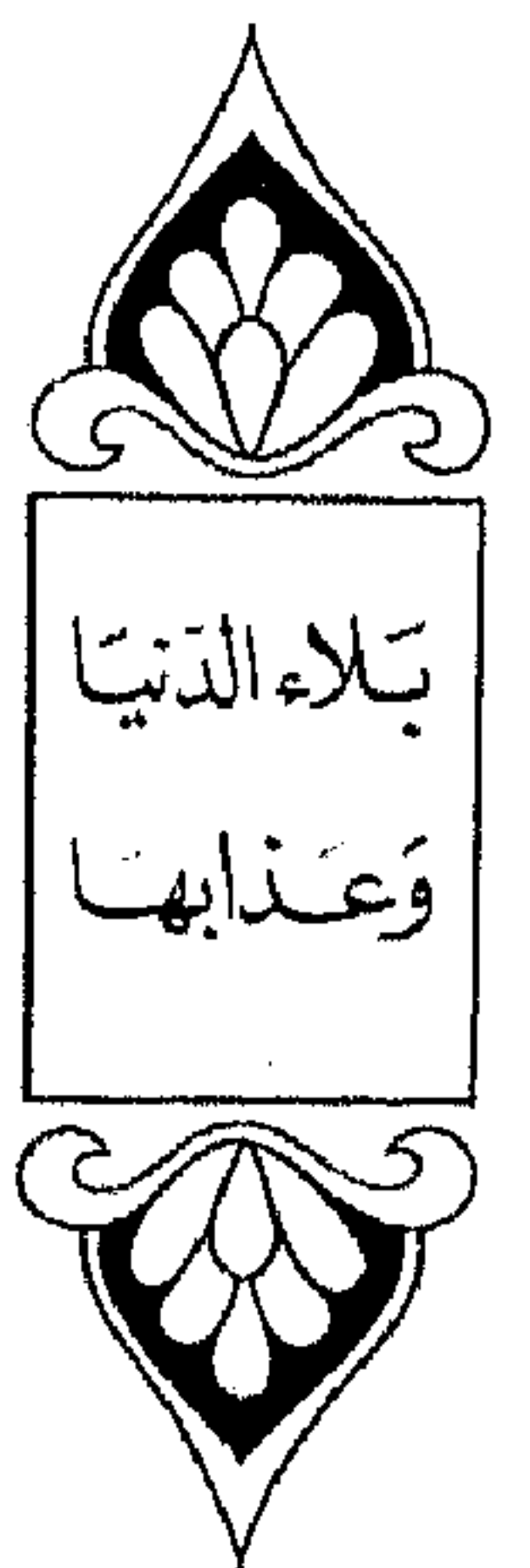
فلما أمسى قال: مرُّ لي بأجرتي. قال: وهل عملتَ شيئاً؟ قال: نعم. عملتُ ما أمرتني به. فوقاه أجرته، وبقي ما استأجره عليه غيرَ معمول. فلم أزدَ في أمور الدنيا نظراً إلا أحدث لي ذلك فيها زهداً. ورأيت أن أعتصم بالتأله والنُّسك، ووجدتهما اللذين يمهدان للعباد، كما يفعل بالمرء أبوه⁷. وشبَّهتُهما الجَنَّةَ الحريرة في دفع الشر الباقي الدائم. ورأيتُهما البابَ المفتوح إلى الجَنَّة. ووجدتُ الناسك قد فكَّرَ فعَلَّتْهُ السكينة، وشكر فتواضع، وقنع فاستغنى، ورضي فلم يهتم، وخلع الدنيا فنجا من الشرور، ورفض الشهوات فصار طاهراً، وانفردَ فكُفِّيَ الأحزان، وطرح الحسد فظهرت منه المحبة، وسخت نفسه عن كل شيءٍ فان استكمل العقل، وأبصر العاقبة فأمن من الندامة، ولم يُخِفِ الناس فأمن منهم، ولم يُذنب إليهم فسلم. فلم أزدَ في أمر النُّسك تفكُّراً إلا أحدث لي عليه حرصاً. فهَمَمْتُ أن أكون من أهله، ثم تحوّفتُ إلا أصبر على عيشهم وأن تردني العادة التي جرَّيتُ عليها وغذيتُ بها. ولم آمن، إن أنا خلعتُ الدنيا وأخذتُ في النُّسك، أن أضعف عنه، وأكون قد رفضتُ أموراً كنتُ أعملُها قبله، أرجو عائدتها، فأكون كالكلب الذي مرَّ بنهرٍ وفي فيه ضلع، فرأى ظلّه في الماء فأهوى إليه ليأخذه وترك ما كان معه فذهب، ولم ينل الذي طمع فيه. فهبتُ النُّسك هيبة شديدة. فأحجمتُ عن الإقدام عليه، ونخفتُ على نفسي من الضجر فيه وقلة الصبر عليه، ودعاني الهوى إلى الرضا بما كنتُ عليه من حالي في الدنيا، والثبوتِ عليها. ثم بدا لي أن أقيسَ بين ما أشفقُ إلا أقوى عليه، من الأذى والضيق في



مثل
شهوات الدنيا
ولذاتها

النُّسْكُ، وبين الذي يُصِيبُ صاحبَ الدنيا من البلاء فيها. فكان يتحقَّقُ عندي أنه ليس من شهواتها ولذاتها شيء إلا وهو متحوِّلٌ مكروهاً وحُزناً، وأنه كالماء المِلْح الذي لا يزداد الظمَّان منه شُرباً إلا ازداد به عطشاً. وكالعَظْم المتعَرِّق الذي يُصِيبُه الكلب فيجدُ فيه ريحَ لحم فلا يزال يَلوكه، وكلما ازداد له نهشاً زاد كُدوحاً حتى يُدمِي فاه؛ وهو لا يُكثِر التماسه إلا جرحه وأدماه. وكالحِدَاة التي تظفر بالبَصعة من اللحم، فتجتمع عليها الطير، فلا تزال في تعب حتى تَلْفِظها وقد أعيَتْ وتعبت. وكالكوزة من العسل، في أسفلها سَمٌّ، والذائق لها مصيب منها حلاوة عاجلة، وفي أسفلها موت زعاف. وكأحلام النائم التي تُفْرِحُه، فإذا استيقظ انقطع ذلك عنه. وكالبرق الذي يُضيء قليلاً ويذهبُ وشيكاً، ويبقى راجيه في الظلام. وكدودة الأبريسم التي لا تزداد على نفسها لفاً إلا ازدادت تشبُّكاً، ومن الخروج بُعداً.

فلما فكَّرتُ في ذلك راجعتُ نفسي في اختيار النُّسْكِ وخاصمتها فقلت: ما يجوز هذا أن⁸ أفرَّ من الدنيا إلى النُّسْكِ، إذا فكَّرتُ في شرورها وأحزانها، ثم أهرَّبَ منه إليها إذا تذكَّرتُ ما فيه من الضيق والمشقة؛ فلا أزال في تصرُّف وفي تقلُّب لا أبرم رأياً، ولا أعزم عليه. فصرتُ كحديرون قاضي مرَّو⁹ الذي سمع من أول الخصمين فقضى على الآخر، ثم سمع من الآخر فقضى له على الأول. فنظرتُ إلى الذي يتكأءُني من أذى النُّسْكِ وضيقه فقلت: ما أصغر هذا في جنب رُوح الأبد وراحته! وفكَّرتُ فيما تشره إليه النفس من اللهو واللذة فقلت: ما أَوْخَمه مع ما يُتَخَوَّف من العذاب والهوان! فكيف لا يستحلي الإنسان مرارةً فانية قليلة تُورثه حلاوةً كثيرة باقية.



بلاء الدنيا
وعذابها

ولو أنَّ الرجل عَرِض عليه أن يعيش ألف سنة، لا يأتي عليه يومٌ إلا بُضِعَ* لحمه، غير أنه شرط له أنه إذا استوفاهما نجا من الألم والمشقة، وصار إلى الأمن والسرور - كان حقيقاً ألا يراها شيئاً. فكيف لا يصبر على أيام يسيرة، وأذى حقير يُصِيبه من الدنيا؟ أو ليس إنما الدنيا كلُّها عذاب وبلاء؟ فإنَّ الإنسان يتقلَّب في ذلك من حين يكونُ جنيناً إلى أن يستوفيَ

* جرح وقطع.



فلم يزل يسمعه صوتاً حسناً، وترك سفظ جوهرة مفتوحاً .

أيامه. فإننا نجد في كتب الطب أنّ الماء الذي يُقدَّر منه الولد السويّ، إذا وقع في رَجِم المرأة، اختلط بمائها ودمها، فخرَّ وغلُظ، فمخضته الريح حتى يصير كماء الجبن، ثم يصير كاللبن الرائب، ثم تنقسم أعضاؤه لإبان أجله. فإن كان ذكراً فوجهه قبل ظهر أمه. وإن كانت أنثى فوجهها قبل بطنها. ويداه على وجهه، وذقنه على ركبتيه، مقبّض في المشيمة كأنه مصرور في صرة. وهو يتنفس من متنفس شاقّ عليه. وليس منه عضو إلا كأنه في وثاق؛ فوَقه حرّ البطن وثقله، وتحتته ما تحتته. منوطٌ قمع سرته إلى مريءٍ بأمعائها، يمصّ به من طعامها وشرابها. وبذلك يعيش ويحيا. فهو بهذه المنزلة وعلى هذا الحال إلى يوم ولادته. فإذا كان إبان ذلك سلّطت الريح على الرَجِم، وقويَ على التحريك، فيتصوّب رأسه قبل المخرج، فيجد من ضيقه مثل

ما يجد صاحبُ الوَهْقِ من عَصْرِهِ. فإذا وقع على الأرض فأصابته ريح أو مسّته يد، وجد لذلك من الألم ما يجد الإنسان الذي قد سلخ جلوده. ثم هو في ألوان العذاب إذا جاع وليس به استطعام، أو عطش وليس به استسقاء، أو اشتكى وليس به استغاثة، مع ما يلقي من الوضع والرفع واللف والحلّ والدّهْن والمسح. وإذا أُنيم على ظهره أو بطنه لم يستطع تقلّباً ولا تحوّلاً، مع أصناف من العذاب ما دام رضيعاً. فإذا هو أفلت من ذلك أخذ بالأدب، وأذيق منه فنوناً وألواناً، ثم الدوائِ والحِمِيّة، والأوجاع والأسقام، وغير ذلك. فاذا هو أدرك فهمه المال والأهل والولد، وتعب الشّرّ والحرص والمخاطرة والسعي، ومجاهدة العدو. وفي كل ما وصفت يتقلّب معه أعداؤه الأربعة، من المرّة والبلغم والدم والريح، والسّم المميت والهوامّ والسباع والناس، والحرّ والبرد والأمطار والرياح، وألوان مكاره الهرم لمن بلغه. فلو لم يخف من هذه الأمور شيئاً، ووثق له بالسلامة منها، وكان حقيقاً ألا يفكر إلا في الساعة التي يحضره فيها الموت، ويفكر فيما هو نازلٌ به عندها - من فراق الأهل والأحبة والأقارب، وكل مضمون به ومرغوب فيه، والإشراف على الهول العظيم الفظيع المهول بعد الموت - لكان حقيقاً أن يُعدّ عاجزاً مُفَرطاً واهناً، إن لم يُعدّ لذلك، ويتأهبّ لفجأته قبل حلوله ونزوله بعقوته * *، ويرفض ما يشغله ويُلْهيه من شهوات الدنيا وشروورها. لا سيّما في هذا الزمان الهرم البالي الشبيه بالصباية والكدر؛ فإنه وإن كان الله تعالى قد جعل الملك سعيد الأمر، ميمون النقيبة، حازم الرأي، بعيد المقدرة، رفيع الهمة، بليغ الفحص، عدلاً براً جواداً صادقاً شكوراً رَحْب الذراع، متفقداً للحقوق، مواظباً فهماً حليماً رعوفاً رحيماً، عالماً بالناس، محباً للخير وأهله، شديداً على الظلمة، مُوسِعاً على رعيته، فإننا نرى الزمان مُدبراً بكل مكان، حتى كأنّ الفضل قد ودّع. وأصبح مفقوداً ما كان عزيزاً فقده، موجوداً ما هو ضارّ لمن ظفر به. وكأنّ الخير أصبح ذابلاً والشرّ نصيراً. وكأنّ الغيّ أقبلَ ضاحكاً، وأدبرَ الرشدُ باكياً. وكأنّ العدلَ أصبح غابراً، وأصبح الجور غالباً. وكأنّ العلم أصبح مستوراً، وأصبح الجهل منشوراً. وكأنّ اللؤم أصبح آمراً، وأصبح الكرم موطوءاً. وكأنّ الود أصبح مقطوعاً، وأصبح الحقد موصولاً وكأنّ الكرامة قد سُلبت من الصالحين وتُوخّي بها

* حبل في طرفه أنشودة . * * بساحته .

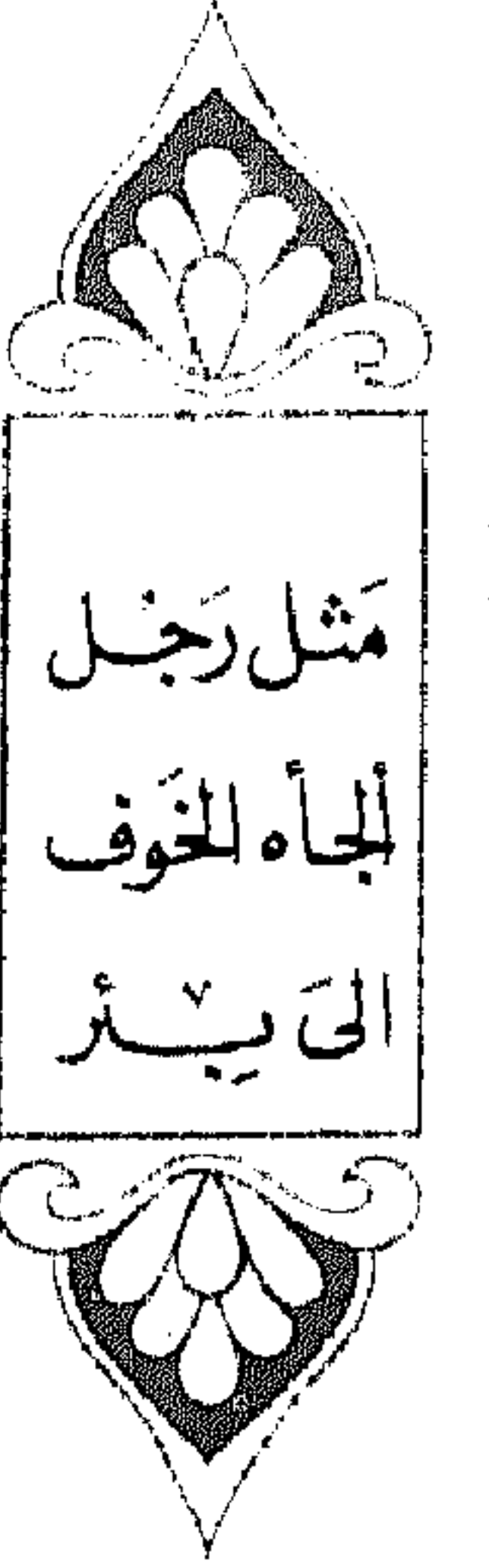
الأشرار. وكان الغدر أصبح مستيقظاً، وأصبح الوفاء نائماً. وكان الكذب أصبح غضاً، والصدق قاحلاً. وكان الحق ولى عاثراً وأصبح العُدوان قد جرى سبيله، والانصافُ بائساً والباطلُ مستعلياً، والهوى بالحكام موكلاً، والمظلومُ بالخسف مُقراً، والظالمُ لنفسه فيه مستطيلاً، والحرصُ فاغراً فاه يتلقف من كل جهة ما قرب منه وما بُعد عنه، والرضا مجهوداً مفقوداً، والأشْرارُ يُسامون السماء، والأبرارُ يُريدون بطن الأرض. وأصبحت المروءةُ مقدوفاً بها من أعلى شرف إلى أسفل مهواة، والدناءةُ مكرمةً، والرفعةُ مجفوةً، والسلطانُ مُنتقلاً من أهل الفضل إلى أهل النقص، والدنيا جذلة مسرورة تقول: قد غيبت الحسنات، وأظهرت السيئات.

فلما فكرتُ في أمر الدنيا وعلمتُ أن هذا الإنسان هو أشرفُ الخلق وأفضله فيها، ثم هو، على منزلته، لا يتقلب إلا في شرٍّ ولا يوصف إلا به، علمتُ أنه ليس من أحد له أدنى عقل يفهم هذا ثم لا يحتاطُ لنفسه ولا يعملُ لنجاتها ويلتمسُ الخلاص لها إلا وهو ضعيفُ الرأي قليلُ المعرفة بما عليه وله. ونظرتُ فإذا هو لا يمنع من ذلك إلا لذّةً حقيرةً يسيرةً من المشرب والمطعم والشمّ والنظر والسمع واللمس، لعله يصيب منه طفيفاً لا يُوصف، سريعُ انقطاعه وامتحاقه وزواله. فالتمستُ له مثلاً فإذا مثله مثلُ رجل أجهأ الخوف إلى بثر تدلى فيها وتعلق بغصنين نابتين على شفرها فوق رجلاه على شيء عمدهما فنظر فإذا هو بأربع أفاعٍ قد أطلعن رءوسهن من أجحرتهن. ونظر إلى أسفلها فإذا هو بتنينٍ فاغرٍ فاه نحوه. ورفع بصره إلى الغصنين فإذا في أصولهما جردان أبيضٌ وأسودٌ يقرضانها دائبين لا يفتران. فبينما هو على ذلك يهتم بالحيلة



وإذا أنيم على ظهره أو بطنه لم يستطع تقلباً.

لنفسه إذ نظر فإذا قريب منه كُؤارة نحل فيها شيء من عسل، فتطعم منه واشتغل بحلاوته عن التفكير في أمره، ونسي الحيات الأربع التي رجلاه عليها ولا يدري متى يثرن به، أو إحداهن. ولم يذكر أن الجرذين دائبان في قطع الغصنين، وأنهما إذا قطعاهما وقع في فم التنين فهلك. فلم يزل لاهياً ساهياً حتى هلك .



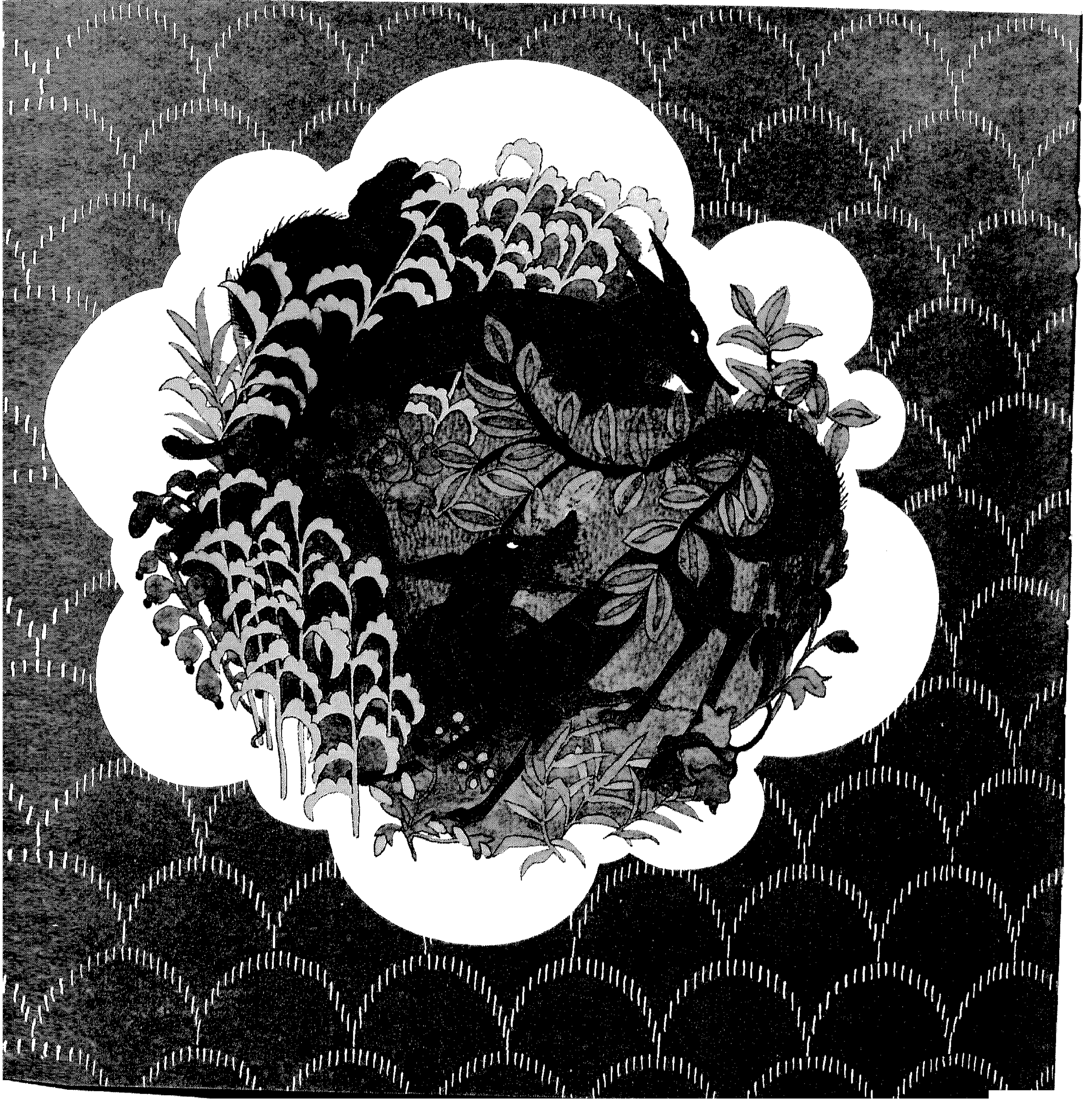
فشبهتُ البئرَ بالدنيا المملوءة آفاتٍ وشروراً ومخاوفٍ ومتالفٍ، وشبهتُ الحياتِ الأربعَ بالأخلاط الأربعة التي تعمّدت الإنسان، ومتى يهيج منها شيء فهو كالحمة من الأفعى والسم المميت. وشبهتُ الغصنين بالحياة. وشبهتُ الجرذين بالليل والنهار، وقرضهما دأبهما في إنفاد الآجال التي هي حصون الحياة. وشبهتُ التنين بالموت الذي لا بد منه. والعسلُ هذه الحلاوة القليلة التي يصيبها الإنسان فتشغله عن نفسه، وتلهيه عن التحيل لخلاصه، وتصدّه عن سبيل نجاته .

فصار أمري إلى الرضا بحالي، وإصلاح ما استطعت من عملي لمعادي؛ لعلّي أصادف فيما أمامي زماناً فيه دليلٌ على هداي، وسلطانٌ على نفسي، وأعوانٌ على أمري. فأقمتُ على ما وصفتُ من حالي. وانصرفتُ من أرض الهند إلى بلادي¹⁰، وانتسخت من كتبهم كتباً كثيرة، ومنها هذا الكتاب .

رجل ألقاه الخوف إلى بئر تدلى
فيها، وتعلق بغصنين نابتين على
شفرها .



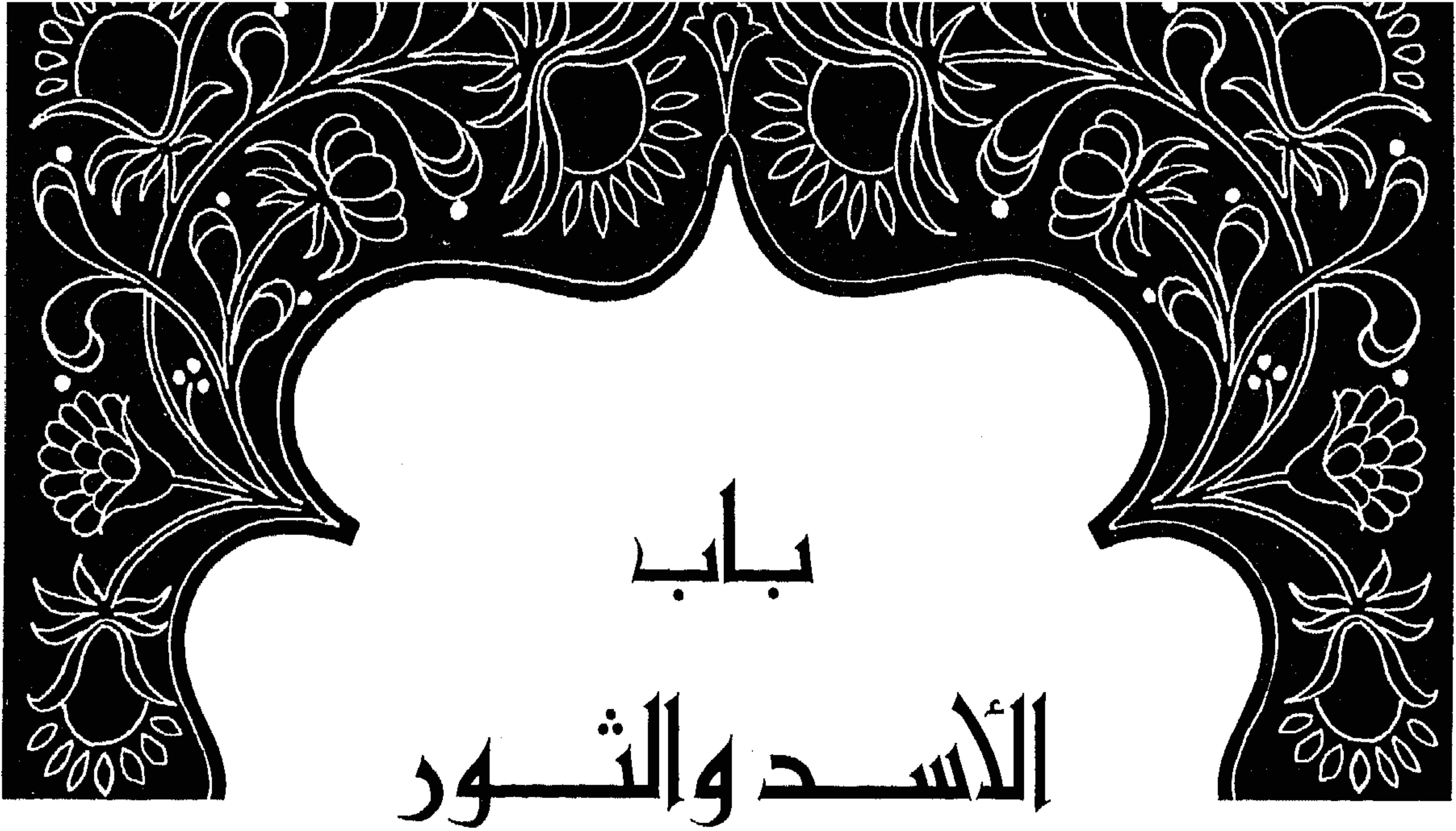
كليلة ودمنة



أبواب الكتاب

- باب الأسد والثور
- باب الفحص عن أمر دمنة
- باب الحمامة المطوقة
- باب اليوم والغربان
- باب القرد والغنم
- باب الناسك وأبن عرس
- باب أبلاد وإيراخت وشادرم ملك الهند
- باب مهران ملك الجرذان
- باب السنور والجرذ
- باب الملك والطيرقبة
- باب الأسد وأبن آوى
- باب السائح والصواغ
- باب ابن الملك وأصحابه
- باب اللبوة والشعهر
- باب الناسك والضيف
- باب الحمامة والشعب ومالك الحزين





باب الأسد والثور

قال دبشليم¹ ملك الهند لبيدبا² رأس فلاسفته: اضرب لي مثل الرجلين المتحابين يقطع بينهما الكذوب الخئون ويحملهما على العداوة والشنان .

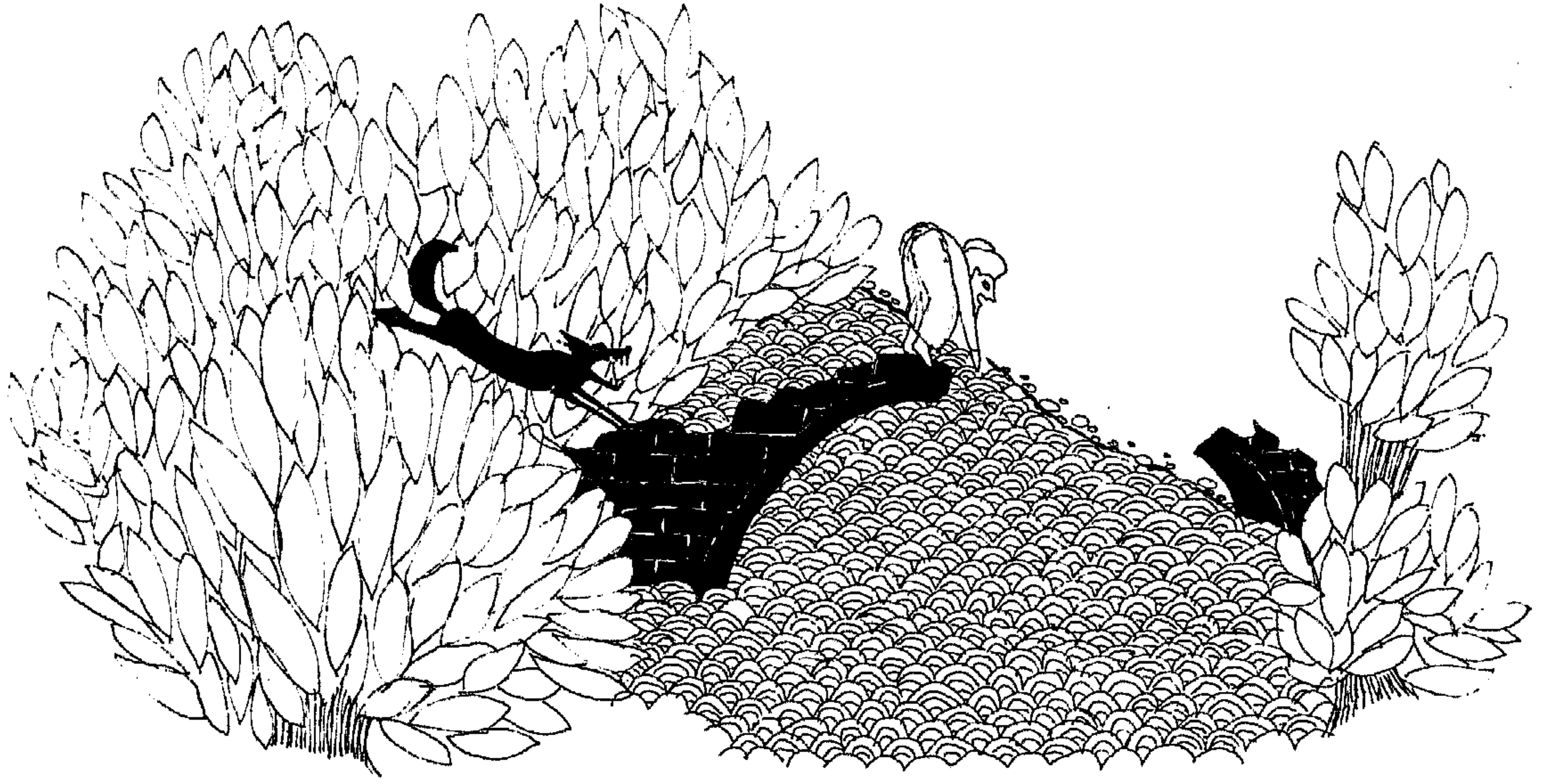
قال بيدبا الفيلسوف: إذا ابتلي الرجلان المتحابان بأن يدخل بينهما الخئون الكذوب تقاطعا وتدابرا وفسد ما بينهما من المودة. ومن أمثال ذلك أنه كان بأرض دستابند³ تاجر مكثر، وكان له بنون. فلما أدركوا أسرعوا في مال أبيهم، ولم يحترفوا حرفة تردُّ عليه وعليهم⁴. فلامهم أبوهم ووعظهم فكان من عِظته لهم أنه قال: يا بني، إنَّ صاحبَ الدنيا يطلبُ ثلاثة أمور لا يدركها إلا بأربعة أشياء: أما الثلاثة التي يطلب، فالسعة في المعيشة، والمنزلة في الناس، والزيادة إلى الآخرة. وأما الأربعة التي يحتاج إليها في دركها، فإكتساب المال من معروف وجوهه، وحسن القيام عليه، والتمير له بعد اكتسابه، وإنفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الأهل والإخوان، ويعود عليه في الآخرة، ثم التوقّي لجميع الآفات بجُهدِه. فمن أضاع هذه الخلال الأربع لم يدرك

ما أراد؛ لأنه إن هو لم يكتسب لم يكن له مالٌ يعيش به. وإن هو كان ذا مال واكتساب ثم لم يُحكِم تقديره أوشك أن ينفد فإذا هو ليس له شيء. وإن هو وضعه ولم يُثمِّره، لم تمنعه قلة الإنفاق من سرعة النَّفاد؛ كالكُّحل الذي لا يُؤخذ منه إلا مثلُ الغبار ثم هو سريع الفناء. ثم إن كانت نفقته في غير مواضع الحقوق اكتسب المذمَّة، وصار إلى عواقب الندامة. وإن هو اكتسب وأصلح ثم أمسك عن إنفاقه في وجوهه كان كمن يُعدُّ فقيراً لا مال له، ثم لا يمنع ذلك ماله من أن يُفارقه ويذهب حيث لا يريد بالمقادير والعلل؛ كالمكان الذي لا تزال المياه تنصبُّ إليه؛ فإن لم يكن له مَفِيز ومَخْرَج يخرج منه بالقدر الذي ينبغي، تحلَّب وسال من نواحٍ كثيرة، وربما انبثق البثق الذي لا يغادر قطرة⁵، وذهب الماء ضياعاً.

ثم إن بني التاجر اتعضوا وأخذوا بأمر أبيهم. وانطلق كبيرهم متوجِّهاً بتجارة له إلى أرض يقال لها مَثور⁶ فأتى في طريقه على مكان شديد الوحل، ومعه عَجَلَةٌ يجرها ثوران يُدعى أحدهما

فأتى في طريقه على مكان شديد الوحل، ومعه عجلة يجرها ثوران

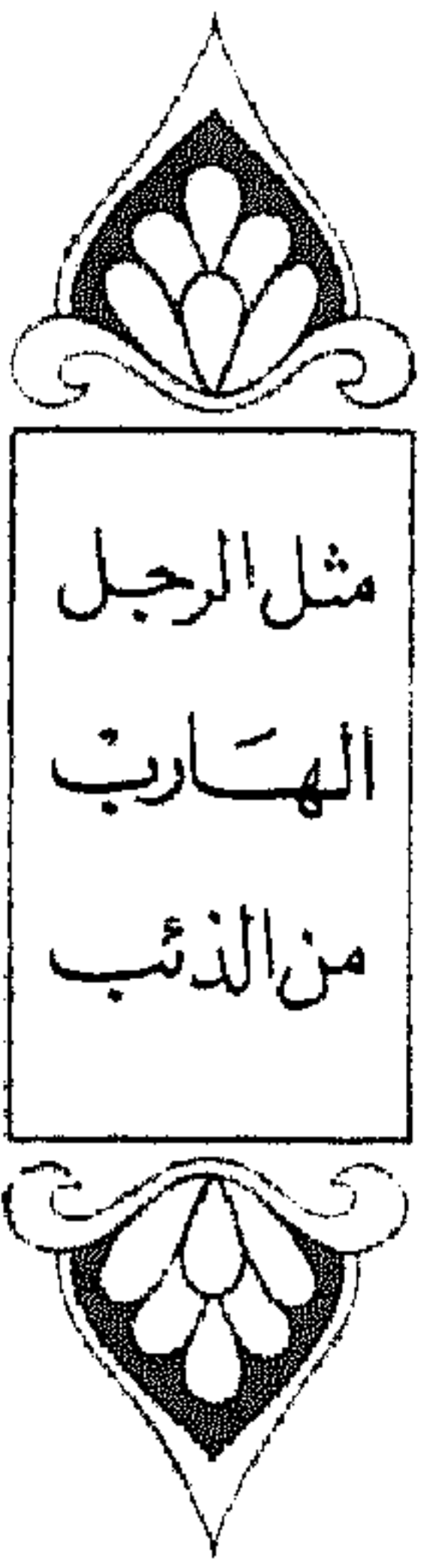




فلما انتهى إلى النهر وجد عليه قنطرة منكسرة، ورهقه الذئب

شَنْزَبَةً⁷ والآخر نَنْدَبَةً⁸، فوحل شَنْزَبَةً في ذلك الوحل، فلم يزل الرجل وأعوانه حتى أخرجوه بعدما بلغ الجهد، وأشرف على الهلكة. وخلف التاجر عنده رجلاً وأمره أن يقوم عليه؛ فإن رآه قد أبلَّ وصلح لِحِقِّه به. فلما كان من غد ذلك اليوم برِمَ الأجير بمكانه، وترك الثور ولحق ابن التاجر، فأخبره أنه قد مات .

وإن شَنْزَبَةً انتعش بعدما فارقه الرجل، فلم يزل يدب حتى أتى مَرَجاً خصيباً كثير الماء والكَلأ، لما قُضِيَ أن يُصِيبَه في ذلك المكان من العَرَض الذي لم يكن ليُخَطِّئه؛ فإنهم يزعمون أن رجلاً⁹ كان يجرّ خشباً فقصدته ذئب ليأكله، فلم يفتن حتى دنا منه. فلما رآه اشتد وجَلَه، وخرج هارباً نحو قرية على شاطئ نهر. فلما انتهى إلى النهر وجد عليه قنطرة منكسرة. ورهقه الذئب، فقال: كيف أصنع؟ الذئب يتلوني، والنهر عميق، والقنطرة مكسورة، وأنا لا أحسن السباحة. غير أن الأحرز أن أرمي بنفسي في الماء. فلما وقع فيه رآه أهلُ القرية، فأرسلوا إليه من استخرجه، وقد أشرف على الهلكة، ثم اتاهم به؛ فتمسند إلى حائط فلما أفاق حدّثهم بما لقي، وعظّم هول ما خلّصه الله منه؛ فبينما هو على ذلك إذ تهدّم عليه الحائط فقتله¹⁰.

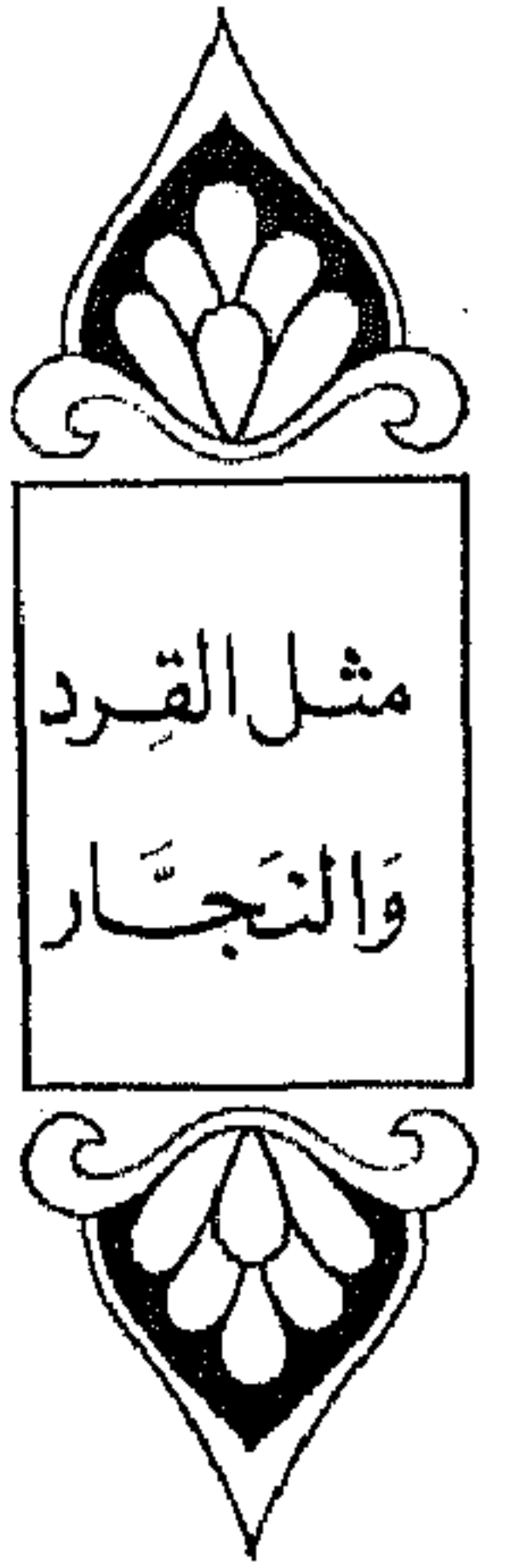


ثم إن شنزبة لم يلبث أن عكِد * وشحُم وتَرَّ * وجعل يحكُّ بقرنيه الأرض ويخور¹¹ ، ويرفع صوته بالخوار. وكان يقربه أسد يقال له بنكلة¹². وكان ملك تلك الناحية ومعه سباع كثيرة من الذئاب وبنات آوى والثعالب وغير ذلك. وكان مزهواً متكبراً منفرداً مكتفياً برأيه. وإن ذلك الأسد، لما سمع خوار الثور، ولم يكن رأى ثوراً قط، ولا سمع خواره، رُعب منه، وكره أن يفطن لذلك جُنْدُه، فلم يبرح من مكانه .

وكان فيما معه ابنا آوى، يقال لأحدهما كليلة وللآخر دمنة¹³. وكانا ذوي دهاء وأدب. وكان دمنة أشرهما نفساً، وأبعدهما همّة، وأقلهما رضاً بحاله. ولم يكن الأسد عرفهما. فقال دمنة لكليّة: ما ترى يا أخي؟ ما شأن الملك مقيماً في مكانه لا يتحوّل ولا ينشط كما كان يفعل؟ فقال كليّة: ما شأنك والمسألة عما ليس لك ولا يعينك؟ أما نحن فحالنا حالُ صديق، ونحن على باب الملك واجدون ما نأكل، ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلام الملوك وما يكون من أمورهم؛ فاسكُت عن هذا، واعلم أنه من تكلف من القول والعمل ما ليس من شكله أصابه ما أصاب القرد. قال دمنة: وكيف كان ذلك؟

قال كليّة: زعموا أن قرداً رأى نجّاراً يشقّ خشبة على وتدّين راكباً عليها كالأسوار على الفرس، وكلّمها شقّ منها ذراعاً أدخل فيه وتدّاً، وأنّ النجّار قام لبعض شأنه، فانطلق القرد يتكلّف من ذلك ما ليس من صناعته، فركب الخشبة، ووجهه قبل ذلك الوتد، وتدّت خُصيتاه في الشق؛ فلما نزع الوتد انضمت الخشبة على خُصيتيه، فخرّ مغشياً عليه. وجاء النجّار فكان ما لقي منه من الضرب أشدّ مما مرّ به أضعافاً كثيرة .

قال دمنة: قد فهمت ما ذكرت، وسمعت المثل الذي ضربت، ولكن اعلم أنه ليس كل من يدنو من الملوك إنما يدنو منهم لبطنه؛ فإن البطن يُحشى بكل مكان؛ ولكنه يلتمس، بالقرب منهم، أن يسرّ الصديق، ويسوء العدو. فأدنا الناس وأضعفهم مروءة الذين يرضون بالقليل،



* * استرخى جسمه .

* كثر لحمه .



وكان فيما معه ابنا آوى، يقال لأحدهما كليلة وللآخر دمنة

ويفرحون به؛ كالكلب الجائع الذي يُصيب عَظْماً يابساً فيفرحُ به. فأما أهلُ المروءة والفضل فلا يُغنيهم القليلُ، ولا يفرحون به دون أن يَسْمُوا إلى ما هُم له أهل؛ كالأسد الذي يفترس الأرنب، فإذا رأى العَيْرَ تركها وأخذه. أَوَلا ترى أن الكلب يُصَبِّصُ بذيَبه حتى تُلقَى إليه الكِسرة، وأنَّ الفيلَ المَغتلمَ* يَعْرِفُ فضلَ نفسه؛ فإذا قُدِّمَ إليه عَلفه مكرِّماً لم يأكله حتى يُمسحَ رأسه ويَتَمَلَّقَ؟

فمن عاش ما عاش غير حامل المنزلة، ذا فضلٍ على نفسه وأصحابه، فهو - وإن قلَّ عُمره - طويلُ العُمُر. ومن كان عيشه في وحدةٍ وضيقٍ وقلةٍ خيرٍ على نفسه وأصحابه، فهو - وإن طال عُمره - قصيرُ العُمُر؛ فإنه يقال: إنَّ البائس من طال عمره في ضُرِّ. وقيل: لِيُعَدَّ من البقر والغنم من لم تكن هِمَّتُهُ إِلَّا بطنه وفرجه .

قال كليلة: قد فهمتُ ما ذكرتَ. فراجعْ عقلك، واعلم أن لكل إنسان منزلةً وقدرًا: فإذا كان في منزلته التي هو فيها مكفياً متماسك الحال في أهل طبقتَه، كان حقيقاً أن يَقنع وَيَرْضَى. وليس لنا من المنزلة ما نَسَخَطَ له حالنا التي نحن عليها .

قال دمنة: إنَّ المنازل متنازعةٌ مشتركةٌ، فذو المُرُوءة ترفعه مُرُوءته من المنزلة الوضيعة إلى المنزلة الرفيعة، والذي لا مُرُوءة له يَحُطُّ نفسه من المنزلة الرفيعة إلى المنزلة الوضيعة، والارتفاع من ضعة المنزلة إلى شرفها شديدُ المُوئنة، والانحطاط منها إلى الضعة هينٌ يسير. وإنما مثلُ ذلك كالحجر الثقيل الذي رَفَعَهُ من الأرض إلى العاتقِ * شاقٌّ، وطَرَحَهُ من العاتقِ إلى الأرض يسير. فنحن أحقُّ أن نروم ما فوقنا من المنازل بمرُوءاتنا، ولا نقيم على حالنا هذه، ونحن نستطيع ذلك. قال كليلة: فما هذا الذي تُجمِعُ عليه؟ قال دمنة: أريدُ أن أتعرِّضَ للأسد عند هذه الفرصة؛ فإنه ضعيفُ الرأي، وقد التبس عليه وعلى جُنده أمرهم. فلعلِّي أدنو منه وأصيبُ حاجتي عنده .

فقال كليلة: وما يدريك أن ذلك على ما وصفتَ؟ قال دمنة: أعرفُ ذلك بالرأي والفطنة والظنَّ والحدس؛ فإنَّ الرجلَ ذا الرأي ربما عرف حال صاحبه، وغامضَ أمره بما يظهر له من أمره وصنيعه، حتى لعل ذلك أن يكون من قِبَلِ دَلِّه وشكله. قال كليلة: كيف ترجو المكانية عند الأسد ولستَ صاحبَ سلطان، وليس لك علمٌ بخدمتهم¹⁴ وآدابهم، وما يوافقهم ويخالفهم؟ قال دمنة: إنَّ الرجلَ القويَّ الشديد لا يعيا بالحمل الثقيل وإن بُدِه * به؛ بل يستقلُّ به وتكون له القوَّة عليه؛ فلا يُعسِّفُ الشديدَ حملٌ، ولا القلِّب * * * عملٌ، ولا العاقلَ أرضٌ، ولا المتواضعَ اللينَ الجانبَ أحدٌ. قال كليلة: إنَّ السلطان لا يتوخى بكرامته أفضلَ من بحضرتَه، ولكنه يُؤثرُ بذلك

* موضع الرداء من المنكب . * * فوجيء . * * * البصير بتقليب الأمور .

مَنْ قُرْبَ مِنْهُ. وَيُقَالُ إِنَّ مَثَلَ السُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ كَالكَرْمِ الَّذِي لَا يَتَعَلَّقُ بِأَكْرَمِ الشَّجَرِ وَلَكِنْ بِأَدْنَاهَا مِنْهُ. وَكَذَلِكَ السُّلْطَانُ. فَكَيْفَ تَرْجُو الْمُنْزَلَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَلَسْتَ مِمَّنْ يَغْشَاهُ وَلَا تَدْنُو مِنْهُ؟ قَالَ دِمْنَةُ: قَدْ فَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَ، وَصَدَقْتَ. وَلَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّ الَّذِينَ لَهُمُ الْمَنَازِلُ الْحَسَنَةُ عِنْدَ السُّلْطَانِ قَدْ كَانُوا وَلَيْسَتْ تِلْكَ حَالَهُمْ. فَتَقَرَّبُوا مِنْهُ بَعْدَ الْبُعْدِ عَنْهُ، وَدَنُوا إِلَيْهِ. فَأَنَا مَلْتَمِسٌ مِثْلَ ذَلِكَ، وَطَالِبٌ بُلُوغَهُ. وَقَدْ قِيلَ: لَا يُوَاطَبُ أَحَدٌ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ وَيَطْرَحُ الْأَنْفَةَ، وَيَحْمِلُ الْأَذَى، وَيُظْهِرُ الْبِشْرَ، وَيَكْظِمُ الْغَيْظَ، وَيَرْفُقُ فِي أَمْرِهِ إِلَّا خَلَصَ إِلَى حَاجَتِهِ مِنْهُ. قَالَ كَلِيلَةُ: فَهَبَّكَ قَدْ وَصَلْتَ إِلَى الْأَسَدِ؛ فَمَا رَفِقُكَ¹⁵ الَّذِي تَرْجُو أَنْ تَنَالَ بِهِ الْمُنْزَلَةَ عِنْدَهُ؟ قَالَ دِمْنَةُ: لَوْ قَدْ دَنَوْتُ مِنَ الْأَسَدِ وَعَرَفْتُ أَخْلَاقَهُ، رَفِقْتُ فِي مَتَابَعَتِهِ وَقَلَّةِ الْخِلَافِ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْحَطَطْتُ فِي هَوَاهُ؛ فَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا هُوَ فِي نَفْسِهِ صَوَابٌ، زَيَّنْتُهُ لَهُ وَشَجَّعْتُهُ عَلَيْهِ، حَتَّى يَعْمَلَ بِهِ وَيُنْفِذَ رَأْيَهُ فِيهِ. وَإِذَا هُمْ بِأَمْرٍ أَخَافُ ضَرَّهُ إِيَّاهُ، بَصَّرْتُهُ مَا فِيهِ مِنَ الضَّرَرِ وَالشَّيْنِ، بِأَرْفُقَ مَا أَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ وَأَلِينَهُ؛ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَرَى مِنِّي فِي ذَلِكَ أَفْضَلَ مِمَّا يَرَى مِنْ غَيْرِي. فَإِنَّ الرَّجُلَ الْأَدِيبَ الْأَرِيبَ الدَّهِيَّ لَوْ شَاءَ أَنْ يُبْطِلَ الْحَقَّ وَيُحِقِّقَ الْبَاطِلَ أحياناً لَفَعَلَ، كَالْمَصُورِ الْمَاهِرِ الَّذِي يَصُورُ فِي الْحَائِطِ تَمَائِيلَ كَأَنَّهَا خَارِجَةٌ وَلَيْسَتْ بِخَارِجَةٍ، وَأُخْرَى كَأَنَّهَا دَاخِلَةٌ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ. فَإِذَا هُوَ عَرَفَ نُبْلِي وَكَمَالَ مَا عِنْدِي، كَانَ هُوَ الَّذِي يَلْتَمِسُ إِكْرَامِي وَتَقْرِيبي.

قَالَ كَلِيلَةُ: أَمَا إِذَا كَانَ هَذَا مِنْ رَأْيِكَ فَإِنِّي أُحْذِرُكَ صَحْبَةَ السُّلْطَانِ؛ فَإِنَّ فِي صَحْبَةِ السُّلْطَانِ خَطراً عَظِيماً. وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: أُمُورٌ ثَلَاثَةٌ لَا يَجْتَرِءُ عَلَيْهَا إِلَّا الْأَهْوَجُ، وَلَا يَسْلُمُ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ: صَحْبَةُ السُّلْطَانِ، وَائْتِمَانُ النِّسَاءِ عَلَى الْأَسْرَارِ، وَشُرْبُ السَّمِّ لِلتَّجْرِبَةِ. وَإِنَّمَا شَبَّهَ الْعُلَمَاءُ السُّلْطَانَ بِالْجَبَلِ الْوَعْرِ الَّذِي فِيهِ الثَّمَارُ الطَّيِّبَةُ، وَهُوَ مَعْدِنُ السَّبَاعِ الْمَخُوفَةِ؛ فَالِارْتِقَاءُ إِلَيْهِ شَدِيدٌ، وَالْمُقَامُ فِيهِ أَشَدُّ وَأَهْوَلٌ.

قَالَ دِمْنَةُ: قَدْ صَدَقْتَ فِي مَا ذَكَرْتَ، وَفَهَمْتُهُ؛ وَلَكِنِّي أَعْرِفُ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْلِ الرِّغَائِبَ*. وَمَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ الَّذِي لَعَلَّهُ أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُ حَاجَتَهُ، مَخَافَةً لِمَا لَعَلَّهُ يَتَوَقَّاهُ وَيُسْفِقُ

منه، فليس ببالغ جسيماً. وقد قيل في أمور لا يستطيعها أحدٌ إلا بمعونةٍ من ارتفاعِ همّةٍ وعِظَمِ خَطَرٍ، منها عمَلُ السلطان، وتجارةُ البحر، ومناجزةُ العدو. وقيل أيضاً: لا ينبغي للرجل ذي المروءة أن يرى إلا في مكانين، ولا يليق به غيرُهُما: إما مع الملوِك مُكرِّماً، وإما مع النُّسَّاك متبتلاً؛ كالفيل الذي إنما بهأؤه وجماله في مكانين: إما في البرية وحشياً، وإما مَرَكباً للملوِك .

قال كليلة: خارَ الله لك فيما عزمتَ عليه .

ثم إن دمنة انطلق حتى دخل على الأسد فسلم عليه. فقال الأسد لقرابينه* 16: من هذا؟ قالوا: ابن فلان. قال الأسد: قد كنت أعرف أباه. ثم قال له: أين كنت تكون؟

قال دمنة: لم أزل بباب الملك مرابطاً رجاءً أن يحضر أمرٌ أعينُ الملكَ فيه برأيي ونفسي؛ فإنَّ باب الملك يكثر فيه الأمور التي ربما احتيج فيها إلى من لا نباهة له؛ وربما كان صغير المنزلة فيكون عنده منفعة بقدره؛ فإنَّ العود المطروح في الأرض ربما انتفع به الإنسان في حَكِّ أُذنه. فالحيوان العالم بالضرر والنفع حريٌّ بأن يكون ذلك عنده، ويتنفع به .

فلما سمع الأسد كلامَ دمنة أعجبه واستظرفه، ورجا أن يكون عنده نصيحةٌ ورأيٌ. فأقبل على قرابينه فقال لهم: إنَّ الرجل ذا النبل والفضل ليكون خاملَ الذِّكر، غامضَ الأمر، فتأبى مُروءته إلا أن يظهر ويستبين، كالشُّعلة من النار التي يصونها¹⁷ صاحبها وتأبى إلا ضياءً وارتفاعاً. فلما عرف دمنة أن الأسد قد أعجبه كلامه قال: إنَّ رعيّة الملك ومن بحضرته منهم يجب¹⁸ أن يُعرفوه ما عندهم من المروءة والعلم، ويبدلوا له نصيحتهم. فإنَّ الملك لا يعرفهم ولا يضعهم في منازلهم التي هم أهلها ومستحقّون لها إلا بذلك؛ كالزراع المدفون في الأرض من الحنطة والشعير وسائر الأنواع، فلا يستطيع أحد أن يعرفه ولا يصفه حتى يكون هو الذي ينجم* ويظهر ويخرج على الأرض. وقد يحقُّ على من خصّه السلطان أن يُطلِّعه على ما عنده من المنفعة والأدب، ويحقُّ على السلطان أن يبلغ بكلِّ امرئ مرتبته على قدر رأيه وما يجد من المنفعة عنده. فإنه كان يقال:

* * يظهر ويبرز .

* المقربين إليه .



أمران لا ينبغي لأحد، وإن
كان ملكاً، أن يجعل شيئاً
منهما في غير مكانه، وأن
يُنزله غير منزلته: الرجال
والحلية؛ فإنه يُعدّ جاهلاً من
عقد على رأسه حلية الرجلين،
وعلى رجله حلية الرأس. ومن
ضَبَّ اللؤلؤ والياقوت
بالرصاص، فليس ذلك
بتصغير للياقوت واللؤلؤ؛ ولكنه
جهل ممن فعل ذلك. وكذلك
كان يقال: لا تصاحب رجلاً
لا يعرف موضع يمينه وشماله.
وإنما يستخرج ما عند الرجال
ولا تُهم، وما عند الجنود قادتهم،
وما في الدين علماءه. وقد قيل
في أشياء ثلاثة، فضل ما بينها
متفاوت: فضل المقاتل على
المقاتل، وفضل العالم على العالم،

الجبَل الوعر الذي فيه الثمار
الطيبة وهو معدن السباع

وفضل القَيْل * على القَيْل¹⁹. وكثرة الأعوان، إذا لم يكونوا نصحاء مجرّبين، مَصْرَةٌ على العمل؛ فإنّ العمل ليس بذلك رجاءه، بل بصالح الأعوان وذوي الفضل؛ كالرجل الذي يحمل الحجر الثقيل فيثقله، ولا يجد له ثمناً؛ والرجل الذي يحمل الياقوت فلا يثقل عليه، وهو قادر على بيعه بالكثير من المال. والعمل الذي يحتاج فيه إلى الجذع لا يُجزئه * القَصَبُ وإن كثر. والوالي حقيقاً ألاّ يحتقر مَرُوءَةً وجَدَّهَا عند أحد وإن كان صغير المنزلة؛ فإنّ الصغير ربما عَظُمَ؛ كالعَصَب الذي يُؤخَذ من الميتة، فإذا عُمِلت منه القوس أُكْرِمَ فيقبضُ عليه المَلِكُ، ويحتاجُ إليه في لهوه وبأسه .

وأحبّ دمنة أن يصيب الكرامة من الأسد، والمنزلة عنده وعند جنده، ويعلمهم أنّ ذلك ليس لمعرفة أبيه فقط ولكن لرأي دمنة ومروءته، فقال: إنّ السلطان لا يُقرب الرجال لقرب آبائهم ولا يباعدهم لبعدهم؛ ولكنه ينظر إلى ما عندهم وما يحتاج فيه إليهم. ثم يمضي رأيه على ما يحقّ عليه فيهم، من إنزالهم منازلهم؛ فإنه لا شيء أقرب ولا أخصُّ بالرجل من جسده؛ وربما دَوِيَ * * * عليه حتى يؤذيه، فلا يدفع ما به عنه إلاّ الدواء الذي يأتيه من بعيد. والجُرْدُ مُجاوِرُ الإنسان في البيت؛ فمن أجل إضراره نُفي. والبازي وحشيّ غريب؛ فلما صار نافعاً اقتني واتُّخِذَ وأكْرِمَ .

فلما فرغ دمنة من مقالته، ازداد الأسد به إعجاباً، وله استظرافاً، وأحسن عليه الردّ، وقال لجلسائه: إنه ينبغي للسلطان ألاّ يلبج في تضييع حقّ ذي الفضل والمروءة ولا وضع منزلته، وأنّ يستدرك ما فاته من ذلك ولا يغرّه أن يرى من صاحبه المفعول به ذلك رضاً؛ فإنّ الناس في ذلك رجلان: أحدهما طباعه الشّراسة؛ فهو كالحية التي إن وطئها الواطئ فلم تلدغه، لم يكن جديراً أن يعود لوطئها ثانية. وآخر طباعه السّهولة واللّين؛ فهو كالصّندل * * * الذي إذا أُفْرِط في حكه صار حارّاً مؤذياً .

* عزيز القوم .

* لا يغنيه ولا يكفيه .

* * * سقم .

* * * * شجر طيب الرائحة .

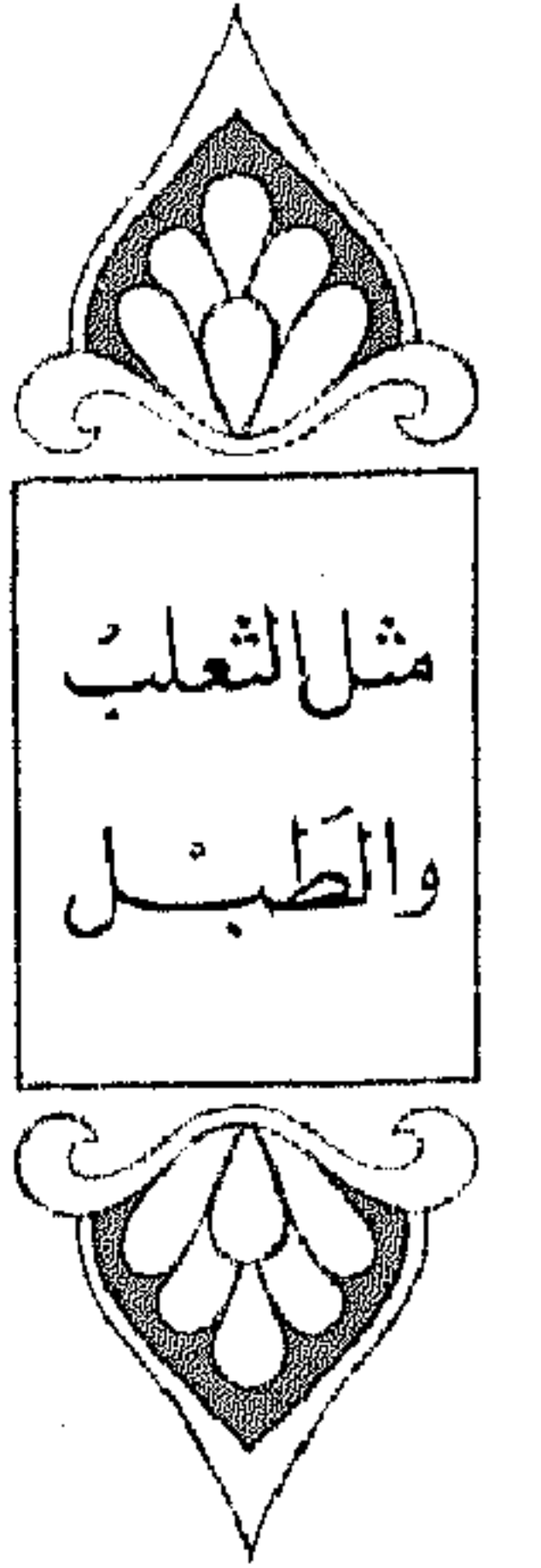


ونخار الثور خواراً شديداً فهيج الأسد

فلما استأنس دمنةً بالأسد وخلا به، قال: إني قد رأيتُ الملكَ أقام منذ زمان بمكان واحد لا يبرح منه؛ ففيم ذلك؟ قال له الأسد، وكرهه أن يعلم منه دمنةً جُبناً: لم يكن ذلك لبأس. فبينما هما على ذلك إذ نخار الثور خواراً شديداً، فهيج الأسد على أن يُخبر دمنةً بما في نفسه، فقال: هذا الصوت الذي تسمعُ، ما أدري ما هو. غير أنه خليق أن تكون الجثّة على قدر الصوت؛ فإن يكن ذلك كذلك فليس مكاننا هذا لنا بمكان. قال دمنة: هل راب الملك

شيءٌ غيرُ هذا؟ قال الأسد: لم يكن غير هذا. قال دمنة²⁰: ليس الملكُ بحقيقٍ أن يبلغ منه هذا الصوت أن يدع مكانه؛ فإنَّ السَّكْرَ الضَّعيفَ آفَتْهُ الماء، والشَّرْفَ آفَتْهُ الصَّلْفُ، والمودَّةَ آفَتْهَا النَّميمة، والقلبَ الضَّعيفَ آفَتْهُ الصوت والجَلْبَة. وفي بعض الأمثال بيانُ أنه ليس كلُّ الأصوات تُهاب. قال الأسد: وما ذلك المثل؟ قال دمنة:

زعموا أنَّ ثعلباً جائعاً مرَّ بأجمعة فيها طبل معلق في شجرة؛ فهبَّت الريح، فجعلت قُضبانُ الشجرة تقرعُ ذلك الطبلَ فيصوتُ صوتاً شديداً؛ فسمع الثعلبُ ذلك الصوتَ فتوجَّه إليه حتى أتاه. فلما رآه ضحخماً ظنَّ أن ذلك لكثرة شحمه ولحمه، فعالجَه حتى شقَّه. فلما رآه أجوفاً قال: ما أدري؛ لعل أفسل* الأشياء أعظمها جثَّة، وأشدُّها صوتاً.



وإنما ضربتُ لك هذا المثل رجاءً أن يكون الذي يدعُرنا من هذا الصوت ويروعنا لو قد انتهينا إليه، وجدناه أيسرَ أمراً مما في أنفسنا. فإن شاء الملك فليبعثني نحوه، وليقيم مكانه حتى أرجعَ إليه بيان ما يُحبُّ أن يعلم منه. فوافق ذلك الأسد. وانطلق دمنة إلى المكان الذي فيه شنزبةُ.

فلما فصل* دمنة من عند الأسد، فكَّر الأسد في أمره، فندِم على إرساله، وقال في نفسه: ما أصبتُ بائتماني دمنةً على ما ائتمنته، ووجهته فيه؛ فإنَّ الرجل الذي بحضرة السلطان إذا كان قد أُطيلت جفوتُه عن غير جرم كان منه، أو كان مَبغياً عليه، أو كان معروفاً بالحِرص والشَّره، أو كان قد أصابه ضرٌّ أو ضيقٌ فلم يُنعش، أو كان قد أجرم جرماً فهو يخافُ العقوبة، أو كان شَريراً لا يُحبُّ الخير، أو كان قد وُقِف على خيانتِه، أو كان قد حيل بينه وبين ما كان في يده من سلطان، أو كان يلي عملاً فعزِل عنه أو فُرِقَ عليه أو انتقص منه أو أُشرك بينه وبين غيره فيه، أو كان أذنب في نظرائه فعُفي عنهم وعوقب، أو عوقبوا جميعاً فبلغ منه ما لم يُبلِّغ من أحد منهم مثله، أو كان قد أبلى بلاءً نظرائه ففضلوا عليه في المنزلة والجاه، أو كان غيرَ موثوق به في الهوى والدين، أو كان يرجو في شيء مما يضرُّ بالولاية نفعاً، أو يخافُ

* أضعفها وأكثرها جبناً.

** خرج.

في شيء مما ينفعهم ضرراً، أو كان لعدو السلطان مؤاداً. كل هؤلاء ليس السلطان حقيقاً بالاسترسال إليهم، والطمانينة إلى ما قبلهم، والائتمان لهم. وإن دمنة داهٍ أريبٌ. وقد كان بباي مطروحاً مجفواً؛ فلعله قد احتمل عليّ بذلك ضيقاً. ولعل ذلك يدعو إلى أن يخونني ويبغي عليّ. ولعله يصادف صاحب الصوت أقوى مني وأعظم سلطاناً فيرغب فيما عنده، ويميل عليّ معه فيدله على عورتي*. فلم يزل الأسد يحدث نفسه بذلك ويراجعها فيه حتى استخفّه ذلك وقام من مجلسه. فجعل يمشي وينظر إلى الطريق حتى رُفِعَ* له دمنة من بعيد مقبلاً وحده. فاطمأن ورجع إلى مكانه، كراهة أن يظن دمنة أن شيئاً أقلقه وأزعجه من مكانه.

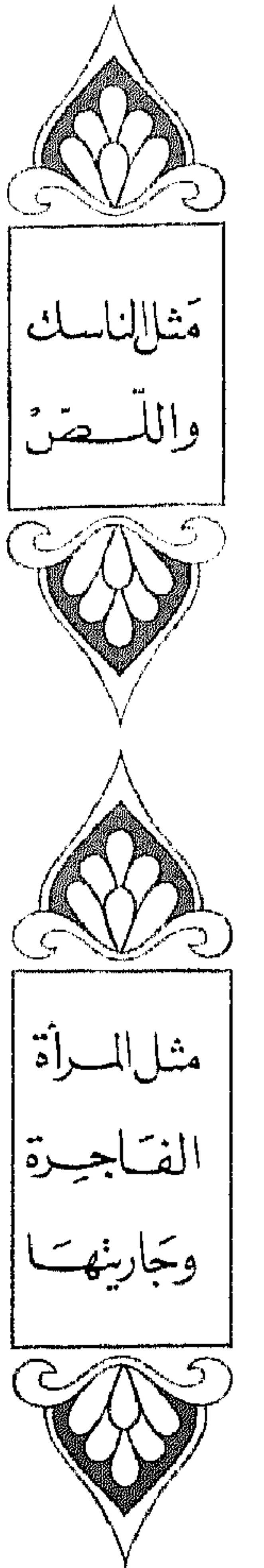
فلما دخل عليه دمنة، قال له الأسد: ما صنعت وما رأيت؟ قال دمنة: رأيت ثوراً، وهو صاحب الصوت الذي سمعت. قال الأسد: فما حاله وشدته؟ قال: لا شدة له؛ قد دنوت منه وحاورته محاورته الأكفاء؛ فلم يستطع لي شيئاً. فقال الأسد: لا يغرنك ذلك منه، ولا تضعن ذلك على الضعف. فإنّ الريح لا تضرّ بصغير الحشيش، ولا تحطمه، وهي تحطم الشجر. وكذلك الصناديد إنما يصمد بعضها لبعض. قال دمنة: لا يهابنّ الملك أمره ولا يكبرنّ في صدره شيئاً منه؛ وأنا آتية به حتى يكون له عبداً سامعاً مطيعاً. ففرح الأسد بذلك، وقال له: دونك.

ثم إن دمنة انطلق إلى شنزبة فقال له غير هائب ولا متعتع: إن الأسد أرسلني إليك لآتيه بك. وأمرني، إن أنت عجلت الإقبال عليه طائعاً، أن أومنك على نفسك وما سلف منك من الذنب في التأخير عنه والتّرك للقائه، وإن تأخرت، أن أعجل الرجعة إليه فأخبره بذلك. قال شنزبة: ومن هذا الأسد الذي أرسلك إليّ، وأين هو؟ قال دمنة: هو ملك السباع. ومعه جند كثير منهم. فرعب الثور من ذلك، وقال: إن أنت جعلت لي على نفسك عهداً، أو أخذت لي منه الأمان، أقبلت معك. فأعطاه دمنة ما سأل من ذلك.

ثم أقبلًا جميعاً حتى دخلا على الأسد. فأحسنَ الأسدُ مسألةَ شنزبة، وألطفه، وقال له: متى قدمتَ هذه الأرضَ؟ وما نزع بك إليها؟ فقصَّ عليه أمره. فقال له الأسد: الزمّني؛ فإني مكرمك ومحسنٌ إليك. فدعا له شنزبة وأثنى عليه.

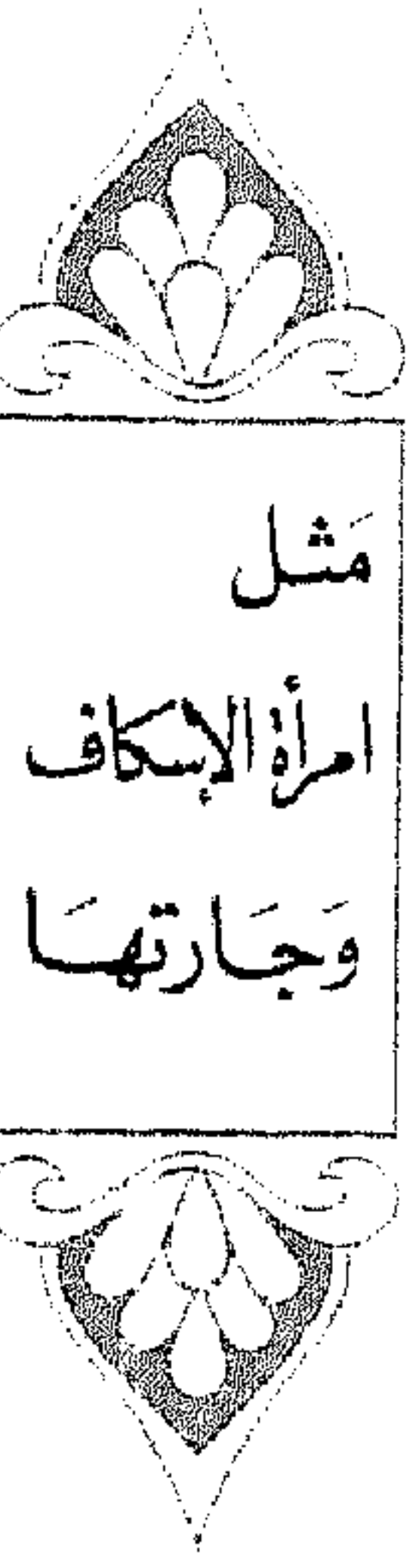
ثم إنَّ الأسدَ قَرَّبَ شنزبةَ وأدناه وكرّمه وأنس منه رأياً وعقلاً. فائتمنه على أسراره، وشاوره في أموره. ولم تزد الأيام إلا إعجاباً به، ورغبةً فيه، وتقريباً له، حتى صار أخصَّ أصحابه عنده منزلة. فلما رأى دمنة أن الملك قد استخصَّ شنزبة واستدناه دونه ودون أصحابه، وأنه صاحبُ رأيه وخلّواته وأنسه وهواه، اشتدَّ ذلك عليه. فشكا ذلك إلى كليلة أخيه وقال: ألا تعجب لعجز رأيي وصنيعي بنفسي، ونظري فيما ينفع الأسد، وإغفالي أمر نفسي، حتى جلبتُ ثوراً غلبي على منزلي؟ قال كليلة: أصابك ما أصاب الناسك؟ قال دمنة: وكيف كان ذلك؟ قال كليلة:

زعموا أن ناسكاً أصاب من بعض الملوك كُسوة فاخرة. فبصر بها لصٌ فرغب فيها، فصرّف الحيلَ وقلبَ الأمور لاستراقه إياها، فأتاه فقال: إني أريد أن أصحبك وأتعلّم منك وأخذَ عنك. فأجابه إلى ذلك. فلزمه ولطف به، وأحسنَ الخدمةَ له حتى أمّنه، ووثق به، وفوّض إليه أمره. حتى إذا ظفر من الناسك بغفلةٍ أخذ الثياب وذهب بها. فخرج في طلبه نحو مدينة من المدائن. فمرّ في طريقه على وعلين يتناطحان. وقد سالت دماؤهما، وجاء ثعلب فجعل يلبغ في الدماء. فبينما هو يلبغ إذ التقيا عليه وهو غافل فقتلاه. ثم مضى حتى أتى المدينة مُمسياً فنزل على امرأة فاجرة من غير معرفة. وكان لها جارية تُؤاجرها قد عشقت رجلاً فهي لا تريد غيره. فأضرت ذلك بمولاتها، فاحتالت لقتل ذلك الرجل الذي عشقته جاريته، في تلك الليلة التي أضافت بها الناسك. فسقت الرجل من الخمر صرفاً حتى سكر ونام. فعمدت إلى سمّ فوضعت في قصبته. وجاءت بها إلى دُبره لتنفخه فيه، وفمها على رأس القصبته. فلما وضعتها بدرتها ريح خرجت من دُبر الرجل، فرجع السمّ في حلقها فوقت ميتة. وكل ذلك بعين الناسك.



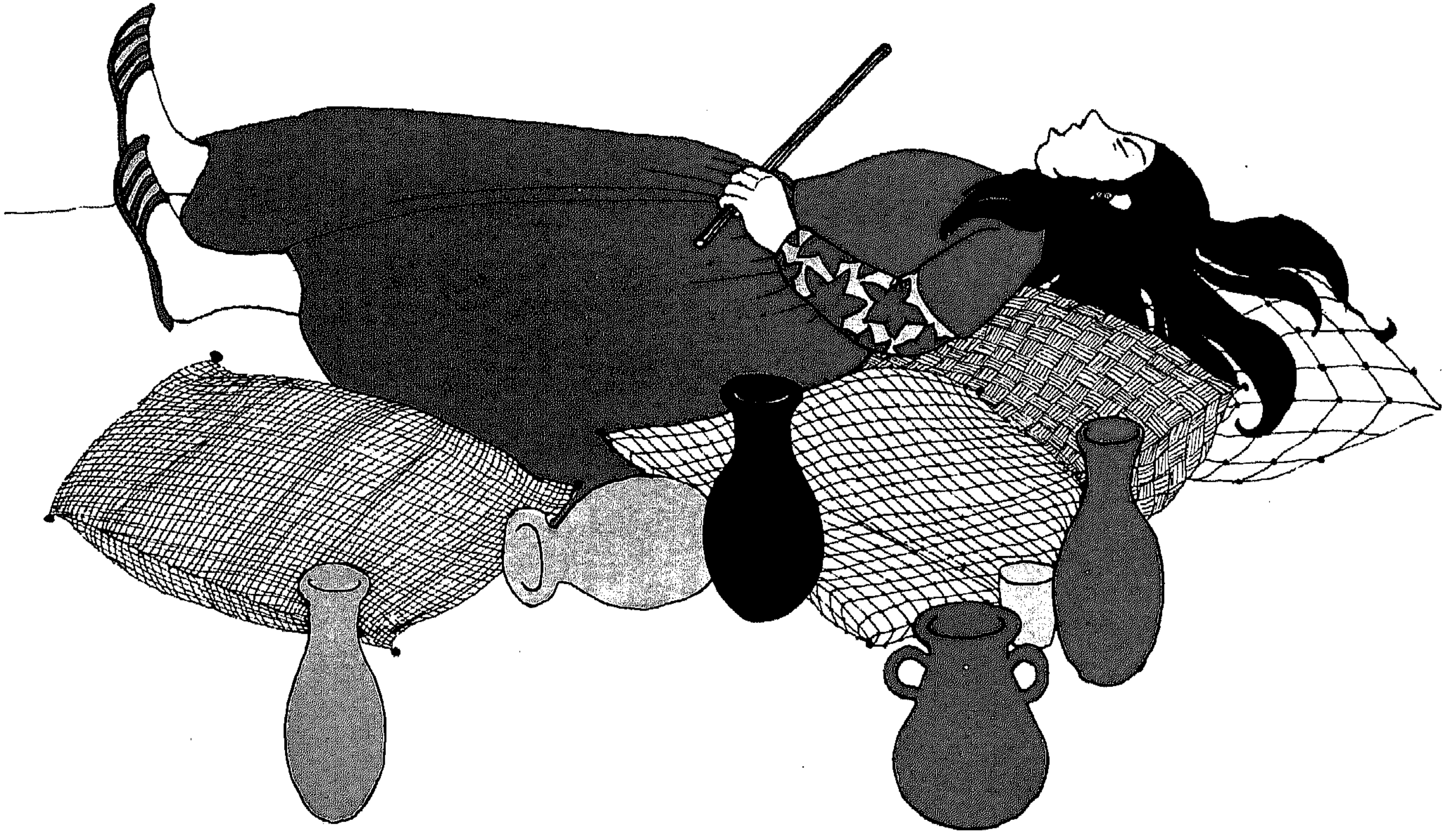
* يمصّ ويلعق .

ثم أصبح غادياً في طلب منزل غير ذلك المنزل. فأضافه رجل إسكاف. فقال الإسكاف لامرأته: انظري هذا الناسك فأكرميه وأحسني إليه؛ فإنه قد دعاني بعض أصحابي إلى منادمتهم. وكان لامرأة الإسكاف صديق قد علقها وعلقته. وكان الرسول فيما بينهما امرأة حجاج، جارة لها. فأرسلت امرأة الإسكاف إلى امرأة الحجاج. فأمرتها أن تأتي صديقها، وتخبّره أن الإسكاف غائب في الشرب، وأنه لا يرجع إلا ممسياً وهو سكران، فتأمره أن يأتي عند العشاء فيقعد على الباب حتى تأذن له فيدخل عليها. فأقبل صديقها عشياً حتى قعد على الباب ينتظر أمر المرأة.



فلما رأى دمنة أن الملك استخصّ شنزة دونه اشتد ذلك عليه





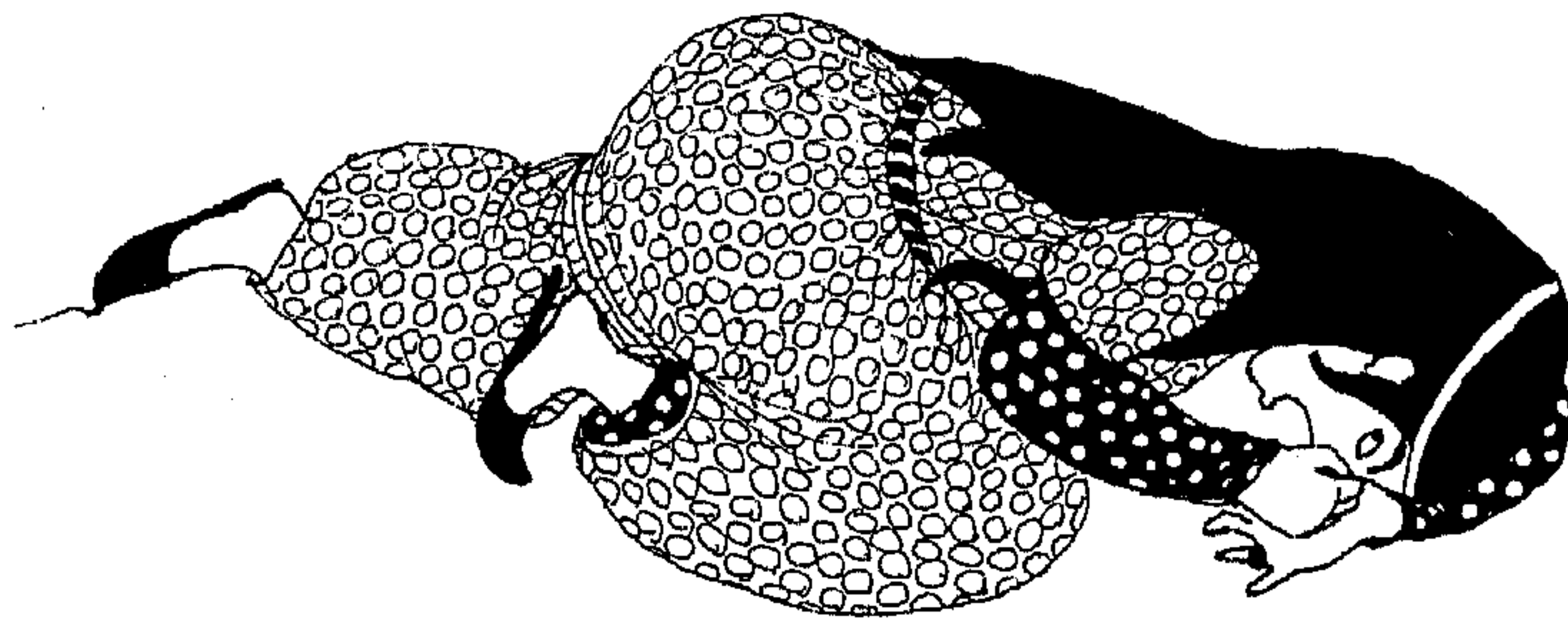
فرجع السمّ في حلقها، فوقعت ميتة

وانصرف الإسكاف إلى بيته حين أمسى وهو سكران. فلما رأى الرجل قاعداً على باب منزله ارتاب به وغضب. ودخل إلى البيت فأخذ امرأته فأوجعها ضرباً وأوثقها إلى سارية من سواري البيت. فلما هدأت العيون جاءت امرأة الحجاج إليها فقالت لها: قد أطال الرجلُ صديقك القعود. فماذا تريدان؟ فقالت: لو أحسنتِ إليَّ بأن تُخلّيني وتربّطي نفسك مكاني ساعةً، حتى آتية ثم أسرع الكرة إليك. ففعلت وحلّتها وربطت نفسها مكانها. فانتبه الإسكاف قبل أن ترجع امرأته. فنادها باسمها فلم تجبه امرأة الحجاج مخافةً أن يعرف صوتها. ثم دعاها مراراً كثيرة وهي لا تجيبه، فازداد عليها غيظاً وحنقاً. ثم قام إليها بسكين فجدع أنفها، وقال لها: تناولي هذا وأتحفي به خليلك .

فلما رجعت امرأة الإسكاف ورأت زوجها نائماً، وعرفت ما حلّ بامرأة الحجّام، حلّت بها وربطت نفسها مكانها؛ وأخذت امرأة الحجّام أنفها بيدها ومضت إلى بيتها. وكلُّ هذا بعين الناسك .

ثم إنّ امرأة الإسكاف فكّرت في أمرها، وطلبت المخرج. فرفعت صوتها تدعو وتتضرّع وتبكي وتقول: اللهمّ إن كان زوجي قد ظلمني واعتدى عليّ فأعد إليّ أنفي صحيحاً كما كان. ثم نادت الإسكاف أن قم أيها الظالم ! وانظر إلى أمر ربّك وقضائه ونعمته عليّ؛ فإنه قد أعاد أنفي صحيحاً كما كان. فقال الإسكاف: ما هذا الكلام يا ساحرة؟ ثم قام فأوقد ناراً ونظر، فإذا الأمر كما قالت. فتاب إلى ربّه واعتذر إلى امرأته وترضّأها وتصلّى إليها وسأل الله المغفرة .

ولما انتهت امرأة الحجّام إلى بيتها قلبت الحيلَ ظهراً لبطن، والتمست المخرج مما وقعت فيه. وقالت: ما عُدري عند زوجي وعند الناس في جدع أنفي؟ فلما كان عند السحر استيقظ الحجّام ونادىها أن ائيني بمتاعي كلّهُ؛ فإني أريد أن أنطلق إلى بعض الأشراف. فلم تأته إلا بالموسى وحده. فقال: هاتي متاعي كلّهُ. فلم تَزِدْه على الموسى. فغضب ورماها بالموسى. فألقت نفسها إلى الأرض وولّوت، وقالت: أنفي أنفي. وأقبلت تصيح وتضطرب. فجاء أقاربها فأخذوه وانطلقوا به إلى القاضي. فقال القاضي للحجّام: ما حمّلك على جدع أنف امرأتك؟ فلم تكن له حُجّةٌ يحتجُّ بها. فأمر بالحجّام أن يعاقب. فلما أقيم لذلك، قام الناسك فتقدم إلى القاضي فقال: أيها القاضي ! لا يشتبهنّ عليك؛ إنّ اللص ليس سرقني، وإنّ الثعلب ليس الوعلان قتلاه، وإنّ البغيّ ليس السمُّ قتلها، وإنّ امرأة الحجّام ليس زوجها جدع أنفها. بل نحن فعلنا ذلك بأنفسنا. فسأله القاضي عن تفسير ذلك فأخبره .



فألقت نفسها إلى الأرض وولّوت،
وقالت: أنفي أنفي

قال كليلة لدمنة: وأنت أيضاً فعلت ذلك بنفسك. قال دمنة: نعم! ما ضررتي غير نفسي، ولكن ما الحيلة؟ قال كليلة: بل أخبرني أنت عن رأيك. قال دمنة: أما أنا فليست ألتمس أن تزداد منزلتي فوق ما كنت؛ ولكني أريد أن تعود إلى ما كانت عليه؛ فإنّ خِلالاً ثلاثاً المرءُ حقيقٌ بالتفكير فيها والاحتياال لها: ما يمضي من الضر والنفع؛ بأن يحترس من الضر الذي أصابه لئلا يعود إليه، ويرفق في المحبوب طلب مراجعته. وما هو مقيم فيه من ذلك؛ فيستوثق مما يوافقه، ويهرب مما يخالفه. وما هو منتظر له؛ فيطلب المرجو ويلتجئ من المحذور بالاستعداد لما يرجو أو يخاف.

وإني لما نظرت في أمري الذي أرجو أن يعود لي منه ما غلبت عليه مما كنت فيه، لم أجد شيئاً غير الاحتياال لشنزة حتى يفارق الحياة. فإني إن قدرت على ذلك صرت إلى حالي عند الأسد. ولعل ذلك أن يكون خيراً له، فإن إفراطه فيه²¹ خليق أن يشينه.

قال كليلة: ما أرى على الأسد في شنزة مضرة ولا منقصة ولا شيئاً. قال دمنة: إن السلطان إنما يؤتى من قبل سبت خلال: الحرمان والفتنة والهوى والفظاظة والزمان والخرق. فأما الحرمان فهو أن يفقد الأعوان والنصحاء والساسة من أهل الرأي والنجدة والأمانة، أو يُبعد بعض من هو كذلك. وأما الفتنة فهي تحزب الناس ووقوع التحارب بينهم. وأما الهوى فهو الإغرام بالنساء أو الحديث والشرب والصيد وما أشبه ذلك. وأما الفظاظة فالإفراط في الشدة حتى يبتلى اللسان بالشم، واليد بالبطش والضرب. وأما الزمان فهو ما يصيب الناس من القحط والموت ونقص الثمرات وأشباه ذلك. وأما الخرق فإعمال الشدة في موضع اللين، والرفق في مكان الغلظة.

وإنّ الأسد قد أُغرم بشنزة إغراماً شديداً. فهو خليق أن يُزري به ويشينه. قال كليلة: وكيف تطيق الثور وهو أشد منك، وأكرم على الأسد، وأحسن منزلة، وأكثر أصدقاء وأعواناً؟ قال دمنة: لا تنظرن إلى صغري وضعفي؛ فإنّ الأمور ليست بالقوة والعظم. ورب ضعيف صغير قد بلغ بدهائه وحيلته ورأيه ما يعجز عنه كثير من الأقوياء. أو لم يبلغك أنّ غراباً احتال لأسود*

* نوع عظيم من الحيات.



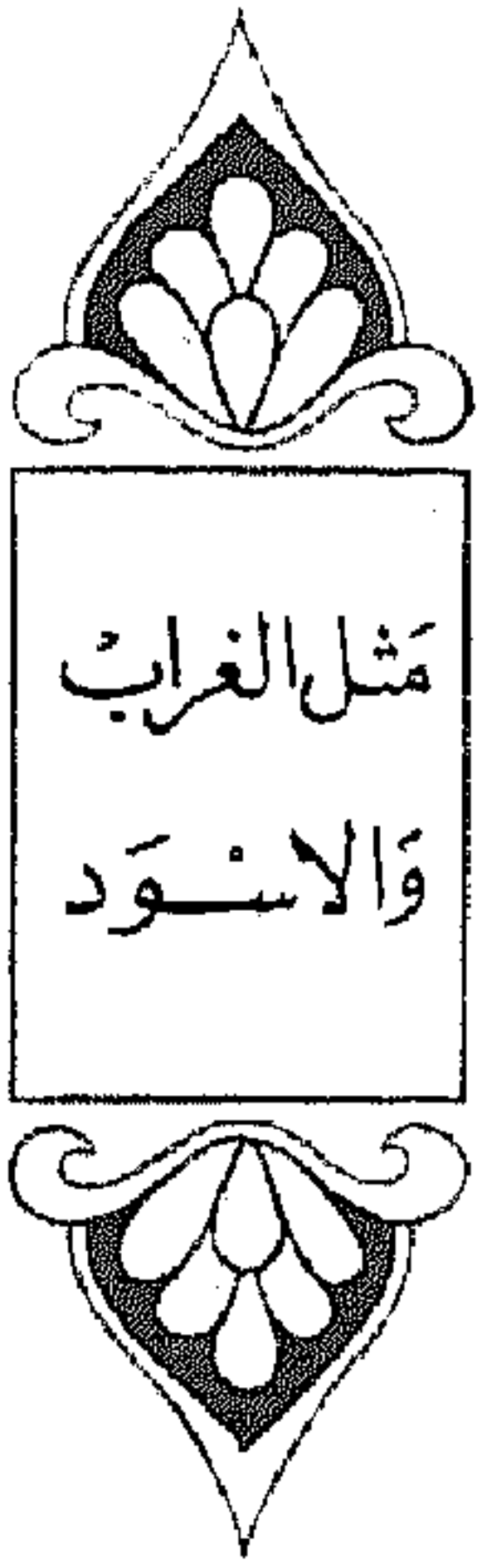
كلما فرّخ الغراب عمد الأسود إلى فراخه فأكلها

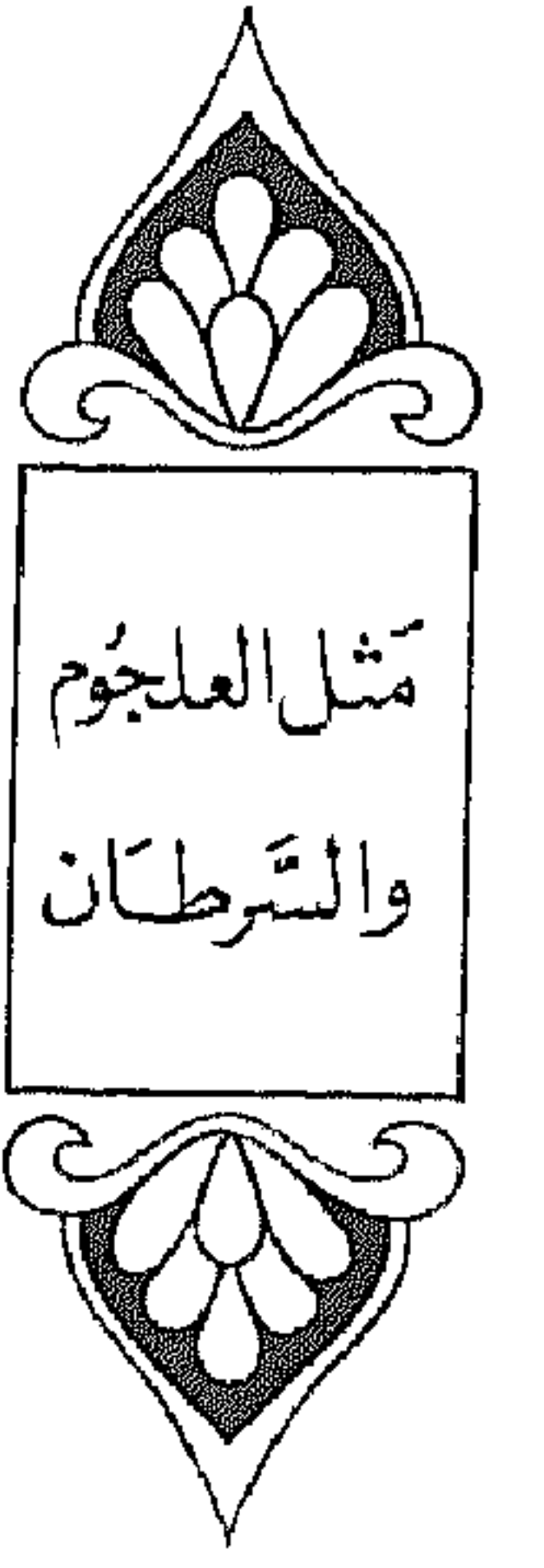
حتى قتله. قال كليلة: وكيف كان هذا الحديث؟ قال دمنة:

زعموا أنه كان وكر لغراب في شجرة في جبل. وكان يقربه جحر أسود. وكان الغراب كلما فرّخ عمد الأسود إلى فراخه فأكلها. فاشتد ذلك عليه، وبلغ منه مبلغاً شديداً. فشكا ذلك إلى صديق له من بنات آوى، وقال: أردت أن أستأمرك* في شيء هممت به إن أنت وافقتني عليه. قال: وما هو؟ قال: أن آتي الأسود وهو نائم، فأنقر عينيه لعلّي أفضأهما. فقال ابن آوى: بثت الحيلة هممت بها! فالتمسُ أمراً تصيبُ منه حاجتك، ولا يصلُ فيه مكروهٌ إليك. وإياك أن يكون مثلك مثل العُلجوم الذي أراد قتلَ السرطان فقتل نفسه. قال الغراب: وكيف كان ذلك؟ قال ابن آوى:

كان عُلجوم معششاً في أجمةٍ مُخصبةٍ كثيرةِ السمك. فعاش هنالك ما عاش، ثم هَرِم فلم يستطع الصيد، فأصابه جوع وجهد، فالتمس الحيلَ وقعد مفكراً حزيناً، فرآه سَرطان من

* أشورك .





بعيد. فلما رأى حاله عرف ما به، فأتاه فقال له: مالي أراك كئيباً حزينا؟ قال العُلجوم: وكيف لا أكتئب وأحزن، وإنما كان معاشي من السمك ههنا. وهنّ كثير. وإني رأيت اليوم صيادين أتيا مكاننا هذا فقال أحدهما لصاحبه: إن ههنا سمكاً كثيراً أفلا نصيده؟ فقال صاحبه: إني عرفت أمامنا مكاناً فيه سمك أكثر منه. فأنا أحبُّ أن نبدأ به ثم نرجعَ إلى ما ههنا، فنفضيه. وقد علمتُ أنهما لو فرغا من هناك رجعا إلينا فلم يدعَا في هذه الأجمة سمكةً إلا صادها، فإذا كان ذلك فإنّ فيه هلاكٍ وموتٍ. فانطلق السَّرطان إلى جماعة السمك فأخبرهنّ بذلك. فأقبلن إلى العُلجوم وقُلن: أتيناك لتُشير علينا؛ فإنّ ذا العقل لا يدعُ مشاورة عدوّه، إذا كان ذا رأي في الأمر الذي يَشركه فيه. وأنت ذو رأيٍ، ولك في بقائنا صلاح، فأشِرْ علينا برأيك. قال العُلجوم: أما مُكابرة الصيادين وقتالهما فليسا عندنا ولا نطيعهما، ولا أعلمُ حيلةً إلاّ أني قد عرفت مكاناً كثيراً الماء والخُصر، فإن شئتُنَّ فانتقلن إليه. فقلن له: ومن يَمُنّ علينا بذلك؟ فقال: أنا. وجعل يَحْمِلُ منهنّ اثنتين في كل يوم، ينطلقُ بهما إلى بعض التلال فيأكلهما.

ثم إنَّ السَّرطانَ قال له: إني قد أشفقتُ مما حذرتنا؛ فلو ذهبتَ بي. فاحتمله حتى دنا من المكان الذي كان يأكلهنّ فيه. فلما بَصُرَ بعظامهنّ مجموعةً تلوح، عرف أنه هو صاحبهنّ وأنه يريد به مثلهنّ. فقال: إذا لقي المرء عدوّه في المواطن التي يعلم أنه هالكٌ فيها، فهو حقيقٌ أن يقاتل كرمًا وحِفاظًا. فأهوى بكلاليبه على عنق العُلجوم فعَصَره، فوقع إلى الأرض ميتاً. ورجع السَّرطانُ إلى السمك فأخبرهنّ.

وإنما ضربتُ لك هذا المثلَ لتعلم أن بعض الحِيلِ مُدمرٌ على صاحبه، مُهلكٌ له. ولكن انطلق فالتمس حلياً، فإذا ظفرتَ به فاخطفه، ثم طرّ به - وأصحابه ينظرون إليك حيث لا تفوتهم فإنهم سيطلبونك - حتى تنتهيَ به إلى جُحر الأسود فترميَ به عليه.

فحلّق الغراب طائراً، فإذا بجارية قد أَلقت ثيابها وحليها، وهي تغتسل. فأهوى فأخذ عقداً نفيساً، وحلّق به طائراً حيث يراه الناس حتى رماه قريباً من جُحر الأسود. فأتى الناسُ وأخذوا الحليَ، ورأوا الأسود نائماً على باب جُحره فقتلوه.



قال السمك والسرطان للعلجوم: أتيناك لتشير علينا

وإنما ضربتُ لك هذا المثل لتعلم أن الاحتياح ربما أجزى ما لا تُجزى القوة .

مثل الأرنب
والأسد

قال كليله: إن شئبة لو لم يجمع مع شدته رأياً، كان كذلك؛ ولكنه قد أُعطي، مع ما ذكرت، فضلاً نبيلاً وقسماً جسيماً. قال دمنة: إن شئبة لعلى ما وصفت؛ ولكنه بي مغتر،

• نفع •

فأنا خَلِيقٌ أن أصرعه كما صرعت الأرنبُ الأسد. قال كليلَةُ: وكيف كان ذلك؟ قال دمنة: زعموا أن أسداً كان في أرضٍ مُخصِبة كثيرة الوحوش والماء والمرعى. وكان لا ينفَعُهُنَّ ما هنَّ فيه من خوفِهِنَّ من الأسد. فاثمرون فيما بينهنَّ، وأتينه فقلن له: إنك لا تُصيبُ منا الدابة إلا بعد تعب ونصب، وقد اجتمعنا على أمرٍ لنا ولك فيه راحة، إن أنت أمنتنا فلم تُخِفنا. فقال: أنا فاعل. فقلن: نُرسل إليك لغدائك كل يوم دابةً منّا. فرضي بذلك وصالحهنَّ عليه، ووفى لهنَّ بما أعطاهنَّ من نفسه، ووفى له به. ثم إنَّ أرنباً أصابتها القرعة فقالت لهنَّ: أيُّ شيء يضرُّكنَّ إن أنتنَّ رَفَقْتُنَّ بي فيما لا يضرُّكنَّ، وأُرِيحُكنَّ من الأسد؟ فقلن لها: وما ذلك؟ قالت: تأمرنَّ من يذهب معي ألا يتبعني لعلِّي أُبطِئُ على الأسد حتى يتأخرَ غداؤه فيغضبَ لذلك. ففعلن بها ما ذكرته، وانطلقت مُتتدة حتى جاءت الساعة التي كان يتغذى فيها. فجاج الأسد وغضب وقام عن مربيهِ يمشي وينظر. فلما رآها قال: من أين جئت؟ وأين الوحوش؟ فقالت: من عندهنَّ جئتُ، وهنَّ قريب، وقد بعثن معي بأرنب، فلما كنتُ قريباً منك، عرض لي أسد فانتزعها مني، فقلت: إنها طعام الملك فلا تغصِبَنَّهُ. فشتمك وقال: أنا أحق بهذه الأرض وما فيها منه. فأتيتك لأخبرك. فقال: انطلقني معي فأرينيه. فانطلقت به إلى جُبِّ صافي الماء. فقالت: هذا مكانه، وهو فيه، وأنا أفرق منه، فاحمِلني في صدرك²². فحملها في صدره ونظر في الجُبِّ فإذا هو بظللها وظلِّه. فوضع الأرنب من صدره، ووثب لقتال الأسد في الجُبِّ وطلبه ففرق، وانفلتت منه الأرنب ورجعت إلى سائر الوحوش فأعلمتهنَّ بخبره.

قال كليلَةُ: إن قدرتَ على هلاكِ شنْزِبة، في غير مشقة تدخلُ على الأسد، فافعل؛ فإنَّ مكانه قد أضرَّ بي وبك وبغيرنا من الجُند. وإن لم تستطع ذلك إلا بما ينغصُّ الأسد، فلا تشتريَنَّ ذلك بذلك؛ فإنه غدرٌ مني ومنك ولؤمٌ وكُفر.

فحلِق الغراب فاذا بجارية أَلقت ثيابها وحليها، فأهوى فأخذ عقدا وحلَّق به، حتى رماه قريباً من جحر الأسود، فأتى الناس وأخذوا الحلي



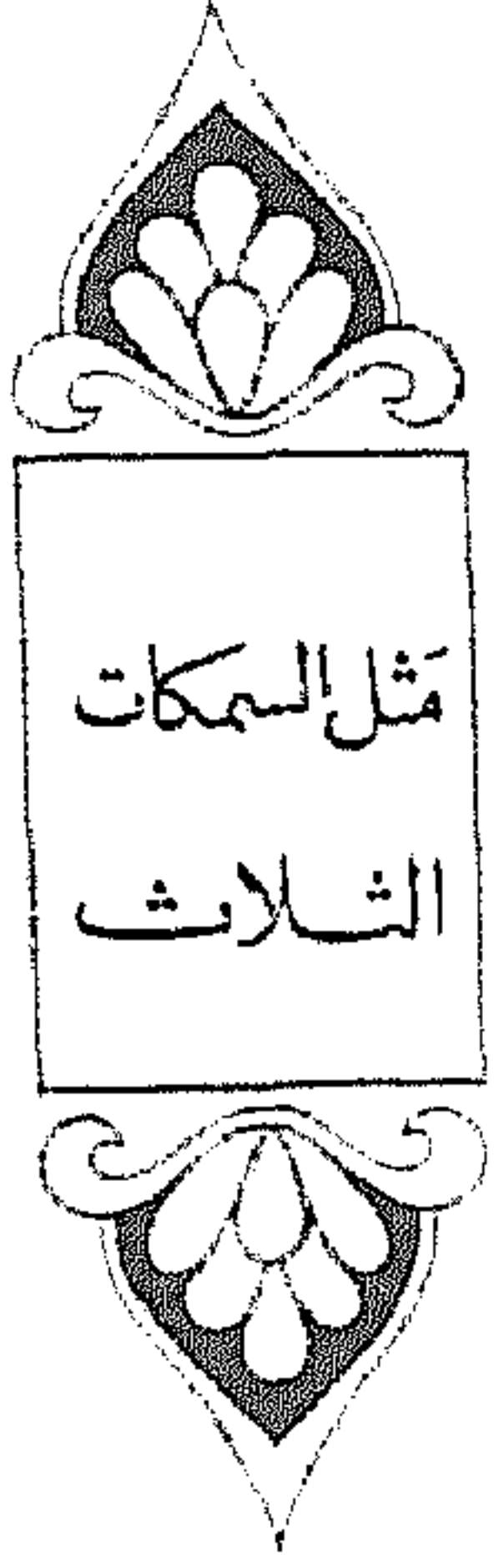
ثم إن دمنة ترك الدخول على الأسد أياماً، ثم أتاه على خلوته متحازناً. فقال له الأسد: ما حبسك عني، منذ مدة لم أرك، أذلك لخير؟ قال دمنة: حدث ما لم يكن الملك يريد ولا نحن. قال الأسد: وما ذلك؟ قال دمنة: هو كلام فظيع. قال الأسد: فأخبرني به. قال دمنة: إنه ما كان من كلام يكرهه سامعه، لم يكذب تشجع عليه قائله - وإن كان ناصحاً مُشفقاً - إلا أن يثق بعقل المقول له، وإلا كان القائل خرقاً؛ فإنه إذا كان المقول له ذلك عاقلاً احتمله واستمعه وعرف ما فيه، لأنه ما كان فيه من نفع فإنما هو للسامع، وأما قائله فلا ينتفع به، بل قلما يسلم من ضرره. وأنت أيها الملك ذو فضيلة في الرأي، ورُجحان في الحلم، فأنا متشجع على أن أخبرك بما تكره، واثق بأنك تعرف نصيحتي، وإيثاري إياك على نفسي. وإنه ليعرض لي أنك غير مصدق بما أنا مُخبرك به؛ ولكني إذا نظرتُ فذكرتُ أن أنفسنا، معشر السباع، مُعلقةٌ بنفسك، لم أجدُ بدءاً من أداء الحق الذي يلزمني لك، وإن أنت لم تسكني عنه، وخفتُ ألا تقبله مني؛ فإنه من كتم السلطان نصيحتَه، والأطباء مرضه، والإخوان رأيه، كان قد غش نفسه. فقال الأسد: وما ذلك؟ قال دمنة: حدثني الأمين الصادق عندي، أن شنزبة خلا برعوس جُندك فقال لهم: قد عجمتُ الأسد، وبلوتُ رأيه ومكيدته وقوته، فاستبان لي في كل ذلك ضعف، وإنه كائن لي وله شأن. وأنه لما بلغني هذا عرفتُ أن شنزبة خئون غادر، وقد عرف أنك أكرمه الكرامة كلها، وجعلته نظير نفسك، فهو اليوم يظن أنه مثلك، وأنت إن زلتَ عن مكانك صار له مُلكك؛ فهو لا يدع جُهداً. فإنه كان يقال: إذا عرف الملك من الرجل، أنه قد ساواه في الرأي والمنزلة والهيبة والمال والتبع، فليصرعه؛ فإنه إن لم يفعل كان هو المصروع. وأنت أيها الملك أعلم بالأمور، وأبلغ فيها رأياً. وأنا أرى أن تحتال للأمر قبل تفاقمه، ولا تنتظر وقوعه، فإنك لا تأمن أن يفوتك ثم لا تستدركه؛ فإنه كان يقال: الرجال ثلاثة: حازمان وعاجز. فأحد الحازمين من إذا نزل به البلاء لم يدهش، ولم يذهب قلبه شعاعاً، ولم يعي برأيه وحيلته أو مكيدته التي بها يرجو المخرج والنجاة. وأحزم من هذا، المتقدم ذو العدة، الذي يعرف الأمر مبتدأً قبل وقوعه، فيُعظمه إعظامه، ويحتال له حيلته كأنه قد لزمه، فيحسمُ الداء

• لم يتردد وتغلبه الحيرة .

قبل أن يُبتلى به، ويدفع الأمر قبل وقوعه. وأما العاجز فهو الذي لا يزال في التردد وتمني الأمان حتى يهلك نفسه. ومثل ذلك مثل السمكات الثلاث. قال الأسد: وكيف كان مثلهن؟ قال دمنة:

زعموا أن غديراً كان فيه ثلاث سمكات: كيسة، وأكيس منها، وعاجزة. وكان ذلك المكان بنجوة من الأرض، لا يكاد يقربه من الناس أحد. فلما كان ذات يوم، مر صيادان على ذلك الغدير مجتازين، فتواعدا أن يرجعا إليه بشباكهما فيصيدا الثلاث السمكات اللواتي رأياهن فيه. فلما رأتهما الحازمة ارتابت بهما، وتحوّفت منهما، فلم تعرّج أن خرجت من مدخل الماء إلى النهر. وأما الكيسة فتلبّثت حتى جاء الصيادان، فلما أبصرتهما قد سدّا مخرجها، وعرفت

فحملها في صدره ونظر في الجب، فإذا هو بظلمة وظله



الذي يريدان بها، قالت: فرطت، وهذه عاقبة التفريط، فكيف الخلاصُ وقلما تنجح حيلة المرهوق؟ ولكن العالم لا يقنطُ على كل حال، ولا يدعُ الأخذ بالرأي. ثم تماوتت وجعلت تطفو على وجه الماء منقلبة، فأخذاها فألقياها على الأرض غير بعيد من النهر، فوثبت فيه فنجت منهما. وأما العاجزة فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صادها.

وأنا أرى لك أيها الملك، معاجلة الحزم والحيلة، فتحسمُ الداء قبل أن تُبتلى به، وتدفعُ الأمر قبل نزوله.

فقال الأسد: قد فهمتُ ما ذكرتَ؛ ولكن لا أظنّ شنزبة يبغيني سوءاً ولم أفعله به. قال دمنة: ألا إنه لا يحمله على ذلك إلا ذلك؛ فإنك لم تدعُ خيراً إلا صنعتَه به، ولا مرتبةً شريفةً إلا بلّغته إياها، فلم يبق شيء يسمو إليه إلا مكانك؛ فإن اللئيم الكفور لا يزالُ ناصحاً نافعاً، حتى يُرفع إلى المنزلة التي ليس لها بأهلٍ، فإذا فعل ذلك به، التمس ما فوقها بالغش والخيانة. ولا يخدم السلطان ولا ينصح له إلا عن فرق أو حاجة؛ فإذا استغنى وأمن عاد إلى أصله وجوهره؛ كذنب الكلب الأعقف، لا يزال مستقيماً ما دام مربوطاً، فإذا حلّ عاد إلى ما كان عليه. واعلم أنه من لم يقبل من نصحائه ما يثقل عليه مما ينظرون له فيه، لم يحمّد مغبّة أمره ورأيه؛ كالمرضى الذي يترك ما ينعت له الطبيب ويعمد لما تشتهي نفسه. وحقُّ على وزير السلطان أن يبالغ في الحضيضِ* له على ما يزينه، ويكون فيه رشده وكفُّ الشين والغبي عنه. وخير الأعوان أقلهم مصانعةً، وأفضل الأعمال أحلاها عاقبةً، وأحسنُ الثناء ما كان على أفواه الأحرار، وأشرف السلطان ما لم يخالطه بطر، وأيسرُ الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً، وأفضلُ الأصدقاء من لم يُخاصم، وأمثلةُ الأخلاق أعونها على الورع. وقد قيل لو أن امرأً توسد النار، وافترش الحيات، كان أحقَّ بأن يهنته النومُ عليها، منه إذا أحسَّ من صاحبه الذي يغدو عليه ويروح، بعداوة يُريد بها نفسه. وأعجزُ الملوك آخذهم بالهويناء، وأشبههم بالفيل المغتلم* الذي لا يلتفت إلى شيء؛ فإن حزبه أمر تهاون به، وإن أضاع ما ينفعه، جعل ذلك على قرابينه***

* التحضيض.

** القوي.

*** ذوي خاصته.

فإن كنت لا تخاف شنزبة وقد وثقتَ به، فربَّ موثوقٍ به غادر. فأشفيق من جندك؛ فإنه قد ألَّهم وحملهم على عداوتك وجراًهم عليك، مع أني قد عرفتُ أنه لا يريد مناظرتك، ولا يكِلُ العملَ إلى غيره في ذلك من أمرك. فوقع في نفس الأسد ما قاله دمنة، وقال له: ما ترى؟ فقال دمنة: إنَّ صاحبَ الضرس المأكول لا يزال في أذى منه حتى يفارقه، والطعام الذي غثيت منه النفس راحتها في قذفه، والعدوُّ المخوف دواؤه في فقده أو قهره. قال الأسد: لقد تركتني كارهاً لمجاورة شنزبة، فأنا مُرسِلٌ إليه فذاكرُ له ما وقع في نفسي، وأميره باللحاق حيث أحب. فكره دمنة ذلك، وعرف أنَّ الأسد إن كَلَّمَ شنزبة وسمع مرجوعه* عليه، عذره وصدقه ولم يخفَ عليه أمره، فقال: ما أرى ذلك لك أيها الملك؛ فإنه لا يزال لك من رأيك الخيار ما دام لا يعلم بأنَّ أمره قد وصل إليك. فإنه إن شعرَ بذلك خِفْتُ أن يكابرك أو يتنحى عنك؛ فإن قاتلك قاتلك مُستعداً، وإن فارقك فارقك حذراً، وكان له عليك في ذلك الفضل. مع أنَّ الملوك حَزَمَةٌ لا يُعلنون بالعقوبة إلا لمن ظهر ذنبه، وما كان من ذلك مكتوماً سترها منه.

قال الأسد: إنَّ الملك إذا عاقب أحداً أو أهانه عن أمرٍ - يظنه به - لا يستيقنه، ثم علم أن ذلك ليس كما بلغه، فبنفسه فعل ذلك، وإياها عاقب ونكَّب.

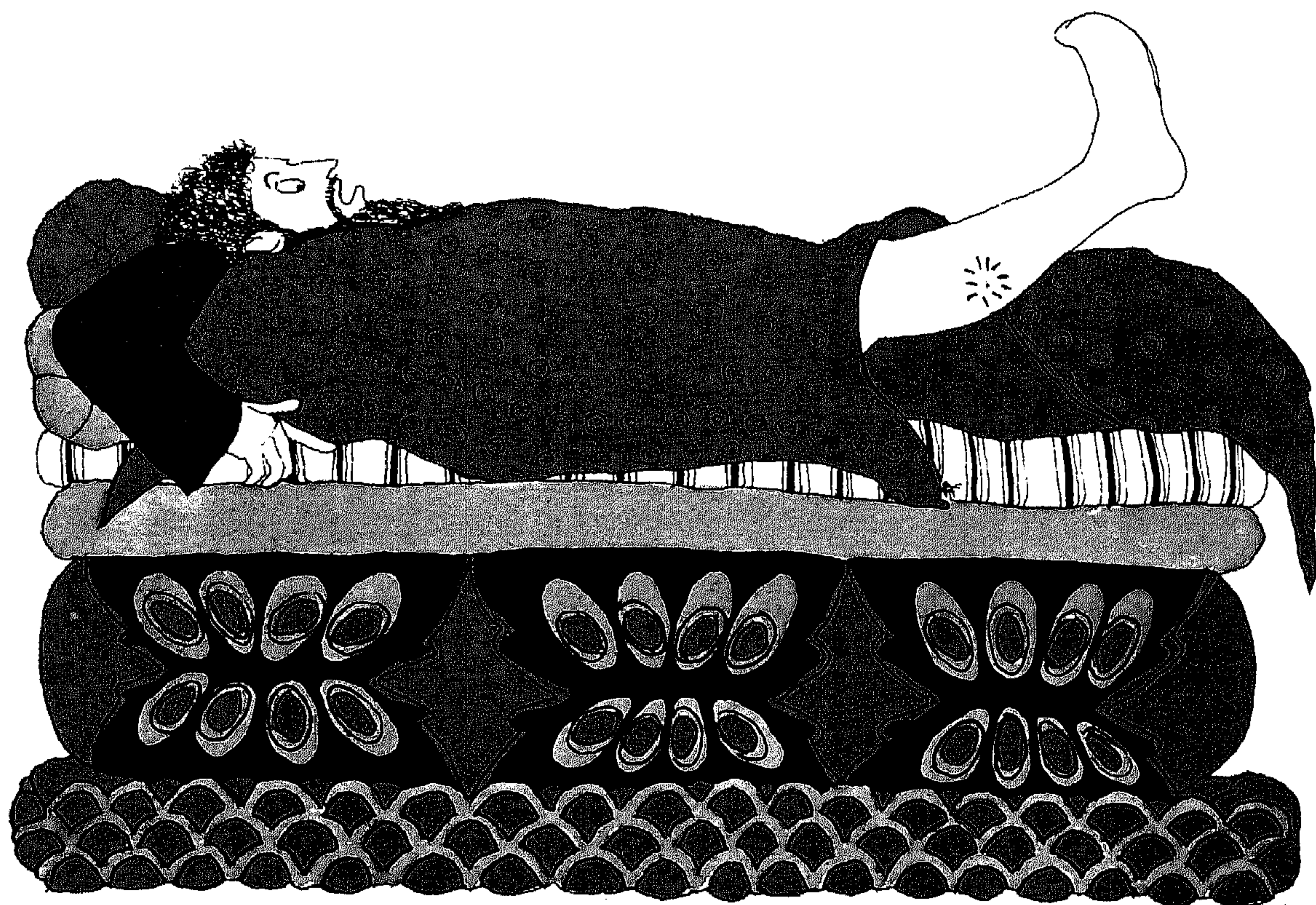
قال دمنة: فلا يدخلنَّ عليك شنزبة إلا وأنت مستعدٌّ له، واحذر أن يصيبَ منك غرَّة؛ فإني لا أحسبك، لو قد نظرتَ إليه حين يدخلُ عليك، إلا ستعرف أنه قد همَّ بعظيمة. ومن علامات ذلك أن ترى لونه متغيراً وأوصاله ترتعد، وهو يلتفت يميناً وشمالاً، ويهيئُ قرنيه كأنه يهيمُّ بالنطح.

قال الأسد: سأخذ بمشورتك في ذلك. ولئن أنا رأيته على ما وصفت، فليس في أمره عندي شك.

فلما فرغ دمنة من تضريب** الأسد على الثور، وأوقع في نفسه الذي أراد، همَّ بأن يذهب إلى شنزبة ليُغريه به ويحمله عليه. وأحبُّ أن يكون ذلك بأمر الأسد وعن علمه، لئلا يبلغه

** حمله على عداوة.

* جوابه.



فلما آوى الرجل إلى فراشه، لذعه البرغوث فأوجعه

ذلك عن غيره فيتهمه فيه، فقال: ألا آتني شنزبة فأنظر إلى حاله وأسمع كلامه لعلني أطلع على بعض أمره، فأعلم الملك به؟ قال الأسد: شأنك وما تريده. ثم إن دمنة انطلق إلى شنزبة فدخل عليه كالحزين المكتئب. فرحب به شنزبة، وقال: لم أرك منذ أيام، فما حبسك؟ أهو خير؟ فقال دمنة: ومتى كان من أهل الخير من لا يملك نفسه، ومن إنما أمره بيد غيره، ممن لا يوثق به، ومن لا ينفك في خوف منه، حتى ما من ساعة يأمنه فيها على نفسه؟

قال شنزبة: فما ذلك؟ قال دمنة: حدث أمر؛ فمن ذا يغلب القدر؟ ومن بلغ في الدنيا جسماً فلم يبطر، أو اتبع الهوى فلم يعثر، أو جاور النساء فلم يفتتن، أو طلب إلى اللثام فلم يهن ويحرم، أو واصل الأشرار فلم يفسد، أو صاحب السلطان فدام له منه الإحسان؟ لقد صدق

مثل البغي
كلما ذهب واحد
جاء آخر مكانه



الذي يقول: إنما مثلهم، في قلة وفائهم لأصحابهم وسخاء أنفسهم عنم فقدوا منهم، مثل البغي²³ كلما ذهب واحد جاء آخر مكانه. فقال شنزبة: أسمع لك كلاماً أعرف به أنه قد رابك من الأسد شيء. قال دمنة: ذلك كذلك؛ ولكن ليس في أمر نفسي. وقد تعرف حَقَّك عليّ، ووَدَّ ما بيني وبينك، وما كنتُ جعلتُ لك من ذمّي أيامَ كان الأسدُ أرسلني إليك. فلم أجدُ بدءاً من حِفْظِك والنصيحةِ لك، وإِطْلَاعِكِ عليّ ما أخاف فيه الهلكة عليك. قال شنزبة: وما ذلك؟ قال دمنة: حدّثني الأمينُ الصدوقُ أنّ الأسدَ قال لبعض أصحابه: لقد أعجبتني سِمَنُ شنزبة، وليست بي حاجةٌ إليه، وما أراني إلا آكله ومُطعمكم منه. فلما بلغني ذلك عرفتُ كفره وغدره، وأقبلت إليك لأحدرك لتحتال في نجاتك في رفق.

فلما سمع شنزبة كلام دمنة، وتذكّر ما كان جعل له، وفكّر في أمر الأسد، ظنّ أنه قد صدّقه، فاهتمّ وقال: ما ينبغي للأسد أن يغيّر بي، ولم أذنبُ إليه، ولا إلى أحد من جنده. وأظنه قد حمّل عليّ، وشبه عليه في أمري؛ فإنه قد صحبه قوم سوء، جرّب وعرف منهم أشياء هي تُصدّق عنده ما بلغه عن غيرهم؛ فإنّ مقارنة الأشرار ربما أورثت أهلها تهمّة الأخيار،

وَحَمَلَهُمْ ذَلِكَ عَلَى خَطِئِ كَخَطِئِ الْبَطَّةِ الَّتِي رَأَتْ فِي الْمَاءِ ضَوْءَ كَوْكَبٍ فَحَاوَلَتْ أَنْ تَصِيدَهُ، فَلَمَّا لَمْ تَرَهُ شَيْئاً تَرَكَتَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْمَسَاءِ أَبْصَرَتْ فِيهِ نُوناً*، فَحَسِبَتْ أَنَّهُ مِثْلُ مَا رَأَتْ قَبْلَهُ، فَرَفَضَتْ طَلَبَهُ .

فَإِنْ كَانَ مَا بَلَّغَهُ عَنِي بَاطِلاً فَحَقَّقْهُ، لِمَا اخْتَبَرَ مِنْ غَيْرِي، فَبِالْحَرِيِّ؛ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَأَرَادَ هَلَاكِي عَنْ غَيْرِ عِلَّةٍ، فَذَلِكَ عَجَبٌ. وَأَعْجَبٌ مِنْهُ أَنْ أَكُونَ أَطْلُبُ رِضَاهُ وَمُوَافَقَتَهُ فَلَا يَرْضَى. وَأَعْجَبٌ مِنْ ذَلِكَ أَنْ أَلْتَمَسَ مَحَبَّتَهُ وَأَجْتَنِبَ مَخَالَفَتَهُ فَيَغْضِبُ وَيَسْخَطُ. وَإِنْ كَانَتْ مَوْجِدَتُهُ عَنْ غَيْرِ سَبَبٍ انْقَطَعَ الرَّجَاءُ؛ لِأَنَّ الْعِلَّةَ إِذَا كَانَتْ الْمَعْتَبَةَ فِي وُرُودِهَا، كَانَ الرِّضَا فِي إِصْدَارِهَا؛ وَهِيَ تَذْهَبُ أحياناً وَتُوجَدُ أحياناً، وَالبَاطِلُ قَائِمٌ غَيْرُ مَفْقُودٍ. وَقَدْ تَذَكَّرْتُ فَلَا أَعْلَمُ لِي ذَنْباً فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَسَدِ - إِنْ كَانَ - إِلَّا صَغِيرًا. وَلِعَمْرِي مَا يَسْتَطِيعُ امْرَأٌ صَاحِبَ أَحَدًا، أَنْ يَتَحَفَّظَ حَتَّى لَا يَفْرُطَ مِنْهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ؛ وَلَكِنَّ الرَّجُلَ ذَا الْعَقْلِ وَالْوَفَاءِ، إِذَا سَقَطَ صَاحِبُهُ نَظَرَ فِي ذَلِكَ، وَمَا حُدَّ مَبْلَغُهُ، وَخَطَأً كَانَ أَوْ عَمْدًا، وَهَلْ فِي الصَّفْحِ عَنْهُ مَخَوفٌ، ثُمَّ لَا يُوَاطِئُهُ مَهْمًا وَجَدَ إِلَى الْعَفْوِ عَنْهُ سَبِيلًا. فَإِنْ كَانَ الْأَسَدُ يَعْتَدُّ عَلَيَّ جُرْمًا فَلَسْتُ أَعْرِفُهُ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أُخَالِفُ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ رَأْيِهِ؛ فَلَعَلَّهُ يَقُولُ: مَا جَرَّاهُ عَلَيَّ أَنْ يَقُولَ «نَعَمْ» إِذَا قُلْتُ «لَا»، أَوْ يَقُولَ «لَا» إِذَا قُلْتُ «نَعَمْ»؟ وَلَا أَجِدُنِي فِي ذَلِكَ مَخْصُومًا، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أُرِيدُ بِذَلِكَ إِلَّا مَنَفْعَتَهُ، وَلَمْ أَكُنْ أَجَاهِرُهُ بِهِ عَلَى رِعْوَسِ جُنْدِهِ، وَلَكِنْ أَخْلُو بِهِ فَأَكَلَّمَهُ فِيهِ وَأَنَا هَائِبٌ لَهُ. وَعَرَفْتُ أَنَّهُ مِنَ التَّمَسُّ الرُّخْصَةِ مِنَ الْإِخْوَانِ عِنْدَ الْمَشَاوِرَةِ، وَالْأَطْبَاءِ عِنْدَ الْمَرَضِ، وَالْفُقَهَاءِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ، فَقَدْ أَخْطَأَ الرَّأْيَ، وَزَادَ فِي الْمَرَضِ، وَاحْتَمَلَ الْوِزْرَ. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ سَكَرَاتِ السُّلْطَانِ؛ فَإِنَّ مِنْهَا أَنْ يَسْخَطَ عَلَيَّ مَنْ لَمْ يَسْتَوْجِبِ السَّخَطَ، وَيَرْضَى عَمَّنْ لَمْ يَسْتَحِقْ ذَلِكَ فِي غَيْرِ أَمْرٍ مَعْلُومٍ .

وَكَذَلِكَ قِيلَ: قَدْ غَرَّرَ مِنْ لَجَجٍ فِي الْبَحْرِ، وَأَشَدُّ مِنْهُ مَخَاطَرَةٌ صَاحِبِ السُّلْطَانِ؛ فَإِنَّهُ خَلِيقٌ، وَإِنْ هُوَ لَزِمَهُمْ بِالْوَفَاءِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالْمُودَّةِ وَالنَّصِيحَةِ، أَنْ يَعْثُرَ فَلَا يَنْتَعِشُ. وَإِنْ²⁴ لَمْ يَكُنْ هَذَا فَلَعَلَّ بَعْضَ مَا أُعْطِيَتْهُ مِنَ الْفَضْلِ جُعِلَ فِيهِ هَلَاكِي؛ فَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْحَسَنَةَ رَبَّمَا كَانَ فَسَادُهَا

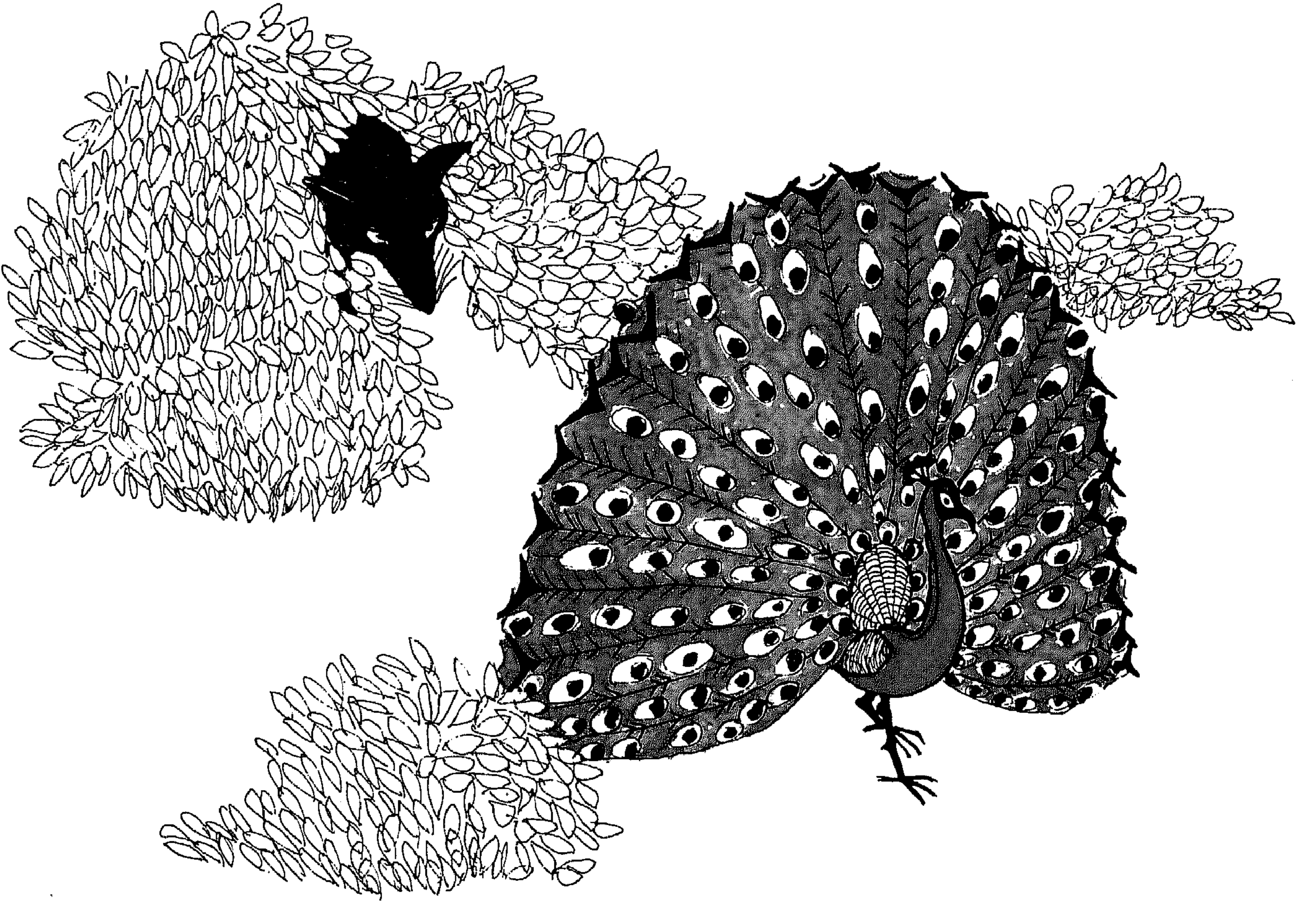
* نوع من السمك، ويقال: هو الحوت .

في طيب ثمرتها إذا تُنوّلت أغصانها وجُذبت حتى تُكسر وتفسد؛ والطاووس ربما صار ذنبه الذي هو حسنه وجماله، وبالأعلى عليه، فاحتال إلى الخفة والنجاة ممن يطلبه، فيشغله عن ذلك ذنبه؛ والفرس الجواد القوي ربما أهلكه ذلك فأجهد وأتعب واستعمل لما عنده من الفضل حتى يهلك؛ والرجل ذا الفضل ربما كان فضله ذلك سبباً لهلاكه، لكثرة من يحسده ويبغى عليه من أهل السوء، وأهل الشر أكثر من أهل الخير بكل مكان، فإذا عادوه وكثروا عليه أوشكوا أن يهلكوه. فإن لم يكن هذا فهو إذاً القدر الذي لا يدفع؛ فإن القدر هو الذي يسلب الأسد شدته وقوته حتى يدخله التابوت، وهو الذي يحمل الضعيف على ظهر الفيل، وهو الذي يسلب الحواء على الحية فينزعه حُمته فيلعب بها كيف شاء، وهو الذي يعجز الأريب ويحزم العاجز، ويثبط الشهم ويشهم الشبيط*، ويوسع على المقتر ويقتر على المؤسر، ويشجع الجبان ويحجبن الشجاع عند ما تعثر به المقادير من معاريض العلل التي عليها قُدرت مجاريها²⁵.

قال دمنة: إن إرادة الأسد لما يريد، ليس لشيء مما ذكرت من تحميل الأشرار ولا غير ذلك، ولكنه الغدر والفجور؛ فإنه جبار غدار، أول طعامه حلاوة، وآخره مرارة، بل أكثره سمٌ مميت. قال شنزبة: صدقت. لعمرى لقد طعمت فاستلذت؛ فأراني قد انتهيت إلى الذي فيه الموت. وما كان، لولا الجبر، مقامي مع الأسد؛ هو آكل لحم وأنا آكل عشب. فقبحاً للحرص وقبحاً للأمل؛ فهما قذفاني في هذه الورطة، واحتبساني عن مذهبي كاحتباس النحل فوق النيلوفر - إذا وجدت ريحه واستلذت به وأغفلت منهاجها الذي ينبغي لها أن تطير فيه قبل انضمام النيلوفر - فتلج فيه فتموت. ومن لم يرض بالكفاف من الدنيا، وطمحت نفسه إلى الفضول والاستكثار، ولم ينظر فيما يتخوف أمامه، كان كالذباب الذي ليس يرضى بالشجر والرياحين، حتى يطلب الماء الذي يسيل من أذن الفيل المغتلم، فيضربه الفيل بأذنيه فيقتله. ومن بذل نصيحته واجتهاده لمن لا يشكر له، فهو كمن بذر بذره في السباخ***، أو أشار على الميت.

قال دمنة: دَعْ عنك هذا الكلام، واجتهد لنفسك. قال شنزبة: بأي شيء أحتال لنفسي،

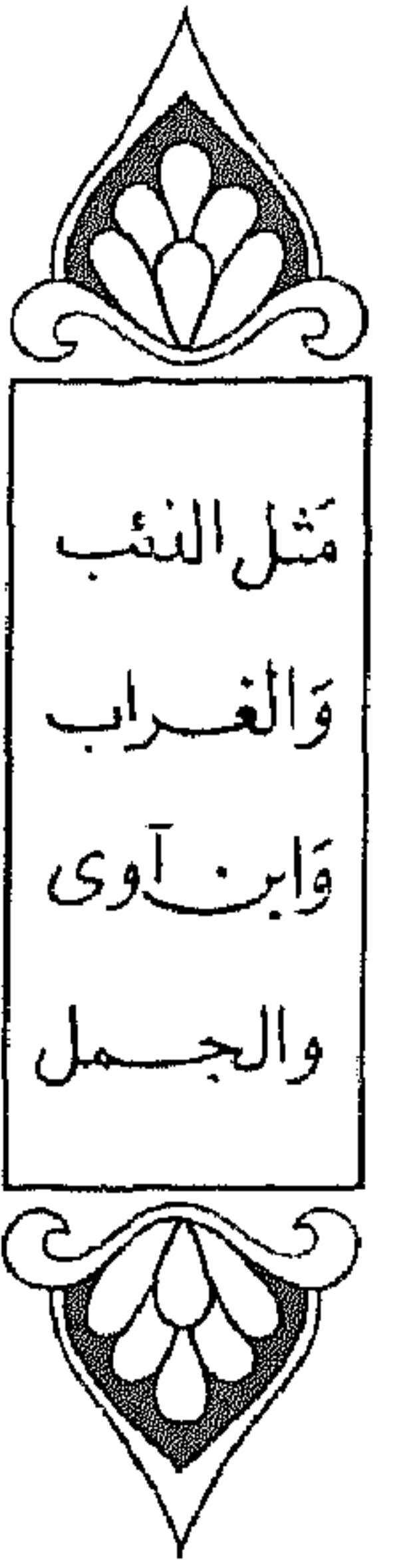
* الذي يلعب الحيات. ** المتكاسل المتشاغل. *** السبخة أرض ذات ملح لا ينبت فيها شيء.



والطاووس ربما صار ذنبه الجميل وبالاً عليه

إن أراد الأسد قتلي؟ فما أعرفني بأخلاق الأسد ورأيه، وأعرّفني بأنه لو لم يُرد بي إلا الخير، ثم أراد أصحابه، بمكرهم وفجورهم، هلاكي عنده، قدروا على ذلك! فإنه لو اجتمع المكرةُ الظلّمةُ على البريء الصحيح كانوا خلّقاءً أن يهلكوه، وإن كانوا ضعفاءً وكان قوياً؛ كما أهلك الذئبُ والغرابُ وابنُ آوى الجملَ، حين اجتمعوا عليه بالمكر والخلافة. قال دمنة: وكيف كان ذلك؟ قال الثور:

زعموا أن أسداً كان في أجمة مجاورةً طريقاً من طرق الناس، له أصحاب ثلاثة: ذئبٌ



وابن آوى وغراب، وأن أناساً من التجار مروا في ذلك الطريق فتخلف عنهم جمل لهم، فدخل الأجمة حتى انتهى إلى الأسد، فقال له الأسد: من أين أقبلت؟ فأخبره بشأنه. فقال له: ما تريد؟ قال: أريد صحبة الملك. قال: فإن أردت صحبتي فاصحبي في الأمن والخصب والسعة. فأقام الجمل مع الأسد حتى إذا كان يوم توجه الأسد في طلب الصيد فلقي فيلاً فقاتله قتالاً شديداً. ثم أقبل الأسد تسيل دماؤه مما جرحه الفيل بناه. فوقع مثنخناً لا يستطيع صيداً. فلبث الذئب وابن آوى والغراب أياماً لا يصبين شيئاً مما كن يعشن به من فضول الأسد، وأصابهم جوع وهزال شديد. فعرف الأسد ذلك منهم فقال: جهدتن واحتجتن إلى ما تأكلن. فقلن: ليس همنا أنفسنا ونحن نرى بالملك ما نرى، ولسنا نجد للملك بعض ما يصلحهُ. قال الأسد: ما أشك في مودتكم وصحبتكم، ولكن إن استطعتم فانتشروا، فعسى أن تُصيوا صيداً فتأتوني به، ولعلي أكسبكم ونفسي خيراً. فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الأسد فتنحوا ناحية، واثمروا بينهم وقالوا: ما لنا ولهذا الجمل الآكل العشب، الذي ليس شأنه شأننا، ولا رأيه رأينا؟ ألا نزين للأسد أن يأكله ويطعمنا من لحمه؟ قال ابن آوى: هذا ما لا تستطيعان ذكره للأسد، فإنه قد آمن الجمل، وجعل له ذمة. قال الغراب: أقيم مكانكما ودعاني والأسد.

فانطلق الغراب إلى الأسد. فلما رآه قال له الأسد: هل حصلتُم شيئاً؟ قال له الغراب: إنما يجد من به ابتغاء، ويُبصر من به نظر. أما نحن فقد ذهب منا البصر والنظر لما أصابنا من الجوع؛ ولكن قد نظرنا في أمر واتفق عليه رأينا، فإن وافقتنا عليه فنحن مخصبون*. قال الأسد: وما ذلك الأمر؟ قال الغراب: هذا الجمل الآكل العشب، المتمرغ بيننا في غير منفعة. فغضب الأسد وقال: ويلك! ما أخطأ مقاتلك، وأعجز رأيك، وأبعدك من الوفاء والرحمة. وما كنت حقيقاً أن تستقبلني بهذه المقالة. ألم تعلم أني أمنتُ الجمل، وجعلت له ذمة؟ ألم يبلغك أنه لم يتصدق المتصدق بصدقة - وإن عظمت - هي أعظم من أن يُجير نفساً خائفة، وأن يحقن دماً مهدوراً؟ وقد أجرتُ الجمل، ولستُ غادراً به. قال الغراب: إني لأعرف ما قال الملك؛

ولكن النفس الواحدة يفتدي بها أهل البيت، وأهل البيت تفتدي بهم القبيلة، والقبيلة يفتدي بها المصر، والمصر فدى الملك إذا نزلت به الحاجة. وإني جاعلٌ للملك من ذمته مخرجاً، فلا يتكلف الأسد أن يتولى غدرًا ولا يأمر به؛ ولكننا محتالون حيلة فيها وفاءٌ للملك بدمته وظفرٌ منّا بحاجتنا. فسكت الأسد .

فأتى الغراب أصحابه فقال: إني قد كلمت الأسد حتى أقرّ بكذا وكذا. فكيف الحيلة للجمل إذا أبى الأسد أن يلي قتله أو يأمر به؟ قال صاحبه: برفقك ورأيك نرجو ذلك. قال الغراب: الرأي أن نجتمع والجمل، ونذكر حال الأسد، وما قد أصابه من الجوع والجهد، ونقول: لقد كان إلينا مُحسنًا، ولنا مُكرِمًا. فإن لم ير منّا اليوم - وقد نزل به ما نزل - اهتماماً بأمره وحرصاً على صلاحه، أنزل ذلك منّا على لؤم الأخلاق وكُفر الإحسان. ولكن هلموا فتقدموا إلى الأسد نذكر له حسن بلائه عندنا، وما كنا نعيش به في جاهه، وأنه قد احتاج إلى شكرنا ووفائنا، وأنا لو كنا نقدر له على فائدة نأتيه بها لم ندّخر ذلك عنه، فإن لم نقدر على ذلك فأنفسنا له مبدولة. ثم ليعرض عليه كلُّ واحد منّا نفسه وليقل: كلني أيها الملك، ولا تمت جوعاً. فإذا قال ذلك قائل، أجابه الآخرون وردّوا عليه مقالته بشيء يكون له فيه عُذر، فيسكت ويسكتون، ونسلم كلنا ونكون قد قضينا ذمام الأسد. ففعلوا وواطأهم* الجمل على ذلك .

ثم تقدموا إلى الأسد، فبدأ الغراب وقال: إنك احتجت أيها الملك إلى ما يُقيمك، ونحن أحقُّ أن نهب أنفسنا لك؛ فإنّا بك كنا نعيش، وبك نرجو عيش من بعدنا من أعقابنا، وإن أنت هلكت فليس لأحدٍ منّا بعدك بقاء، ولا لنا في الحياة خير؛ فأنا أُحبُّ أن تأكلني، فما أطيب نفسي لك بذلك. فأجابه الذئب والجمل وابن آوى أن أسكت فما أنت؟ وما في أكلك من الشُّبُع للملك؟ قال ابن آوى: أنا مشبعُ الملك. قال الذئب والجمل والغراب: أنت مُتِن البطن والريح، خبيثُ اللحم؛ فنخاف إن أكلك الملك، أن يقتله خُبثُ لحمك. قال الذئب: لكني لست كذلك، فليأكلني الملك. قال الغراب وابن آوى والجمل: من أراد قتل نفسه فليأكل

لحم الذئب، فإنه يأخذه منه الخناق. وظنَّ الجمل أنه، إذا قال مثل ذلك عن نفسه، يلتمسون له مخرجاً كما صنعوا بأنفسهم، ويسلم ويُرَضِّي الأسد. قال الجمل: لكن أيها الملك، لحمي طيب ومريء، وفيه شيبع للملك. قال الذئب والغراب وابن آوى: صدقت وتكرّمت وقلت ما نعرف. فوثبوا عليه فزقوه.

وإنما ضربت هذا المثل للأسد وأصحابه، لعلمي بأنهم إن اجتمعوا على هلاكه لم أمتنع منهم، ولو كان رأي الأسد في غير ما هو عليه، ولم يكن في نفسه إلا الخير. فإنه قد قيل: إن خير السلطان من أشبه النُّسور حولها الجيف، لا من أشبه الجيف حولها النُّسور. ولو أن الأسد لم يكن في نفسه إلا الرحمة والحب لم تلبثه الأقاويل، إذا كثرت عليه، أن يذهب ذلك كله، حتى يستبدل به الشرارة والغلظة. ألا ترى أن الماء ألين من القول، وأن الحجر أشد من القلب؛ وليس يلبث الماء إذا طال تحدره على الحجر الصلد أن يؤثر فيه؟

قال دمنة: فماذا تريد أن تصنع؟ قال شتربة: ما إن أرى إلا أن أجاهده. فإنه ليس للمصلي في صلاته، ولا للمتصدق في صدقته، ولا للورع في ورعه مثل أجر المجاهد بنفسه ساعة من نهار إذا كان مُحَقَّقًا، وكان عدوه مُبْطَلًا؛ فإنه من ذلك على أمرين يستيقن منهما الأختيار: إن قُتِلَ فالجنة، وإن قُتِلَ فأجر وظفر.

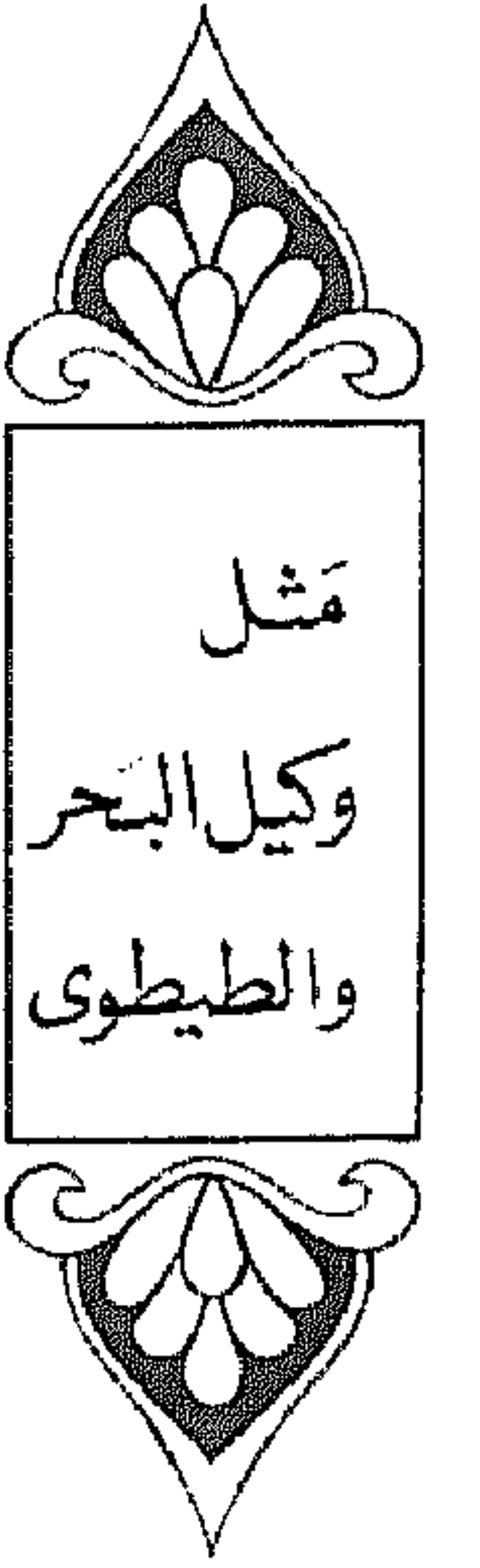
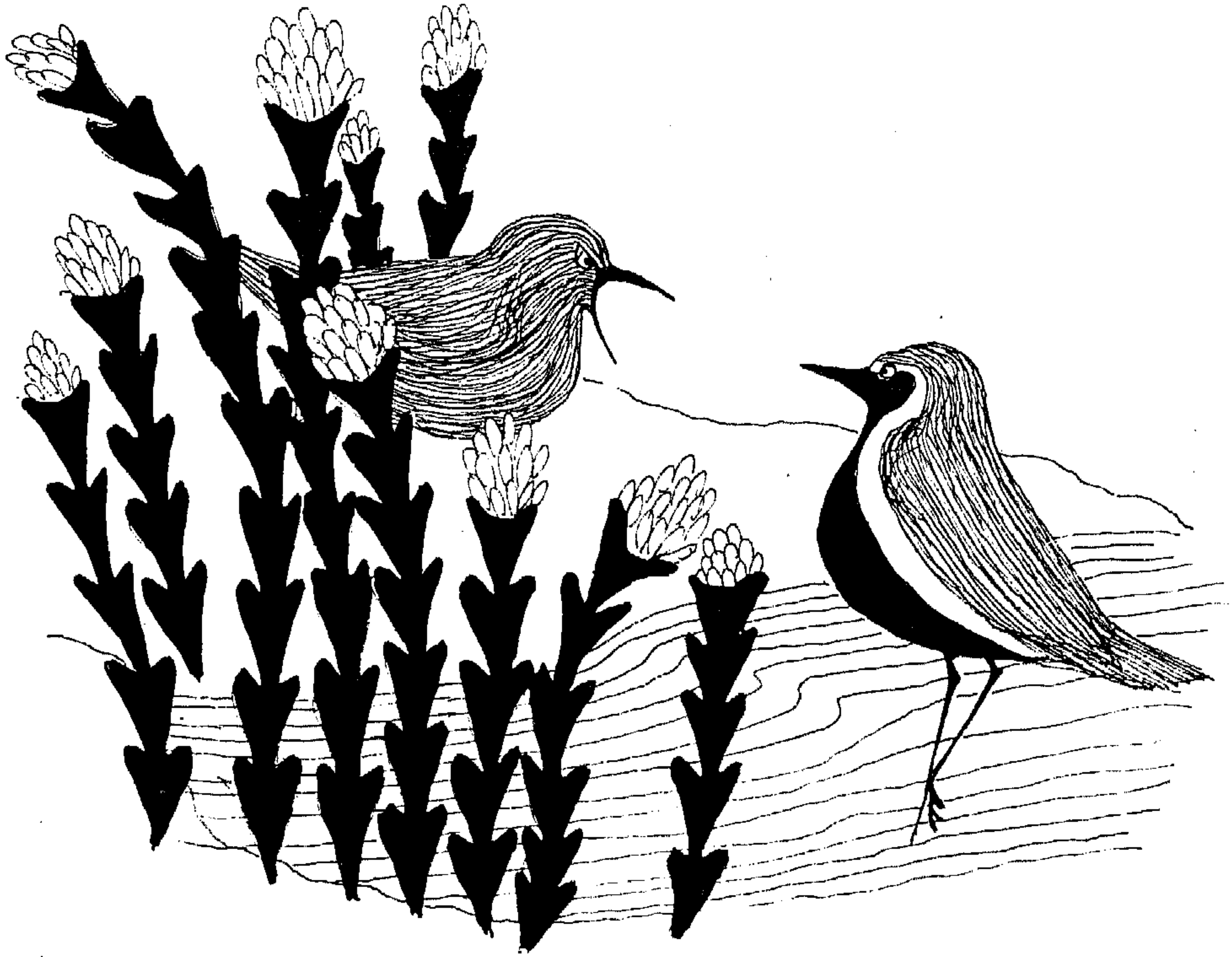
قال دمنة: ليس ينبغي لأحد أن يخاطر بنفسه؛ فإنه إن فعل ذلك وهلك، كان قد أضاع نفسه وأثم، وإن ظفر كان من قبل القضاء؛ ولكن ذا العقل يجعل القتال آخر حيله، ويبدأ بما استطاع من رفق أو تمحل ولا يعجل. وقد قيل: لا تحقرن العدو الضعيف المهين، ثم لا سيما إن كان ذا حيلة؛ فكيف بالأسد، وهو في جرأته وشدته على ما قد عرفت؟ فإنه من استصغر أمر عدوه وتهاون به، أصابه ما أصاب وكيل البحر من الطيطوى. قال شتربة: وكيف كان ذلك؟

قال الجمل: أيها الملك، لحمي طيب ومريء

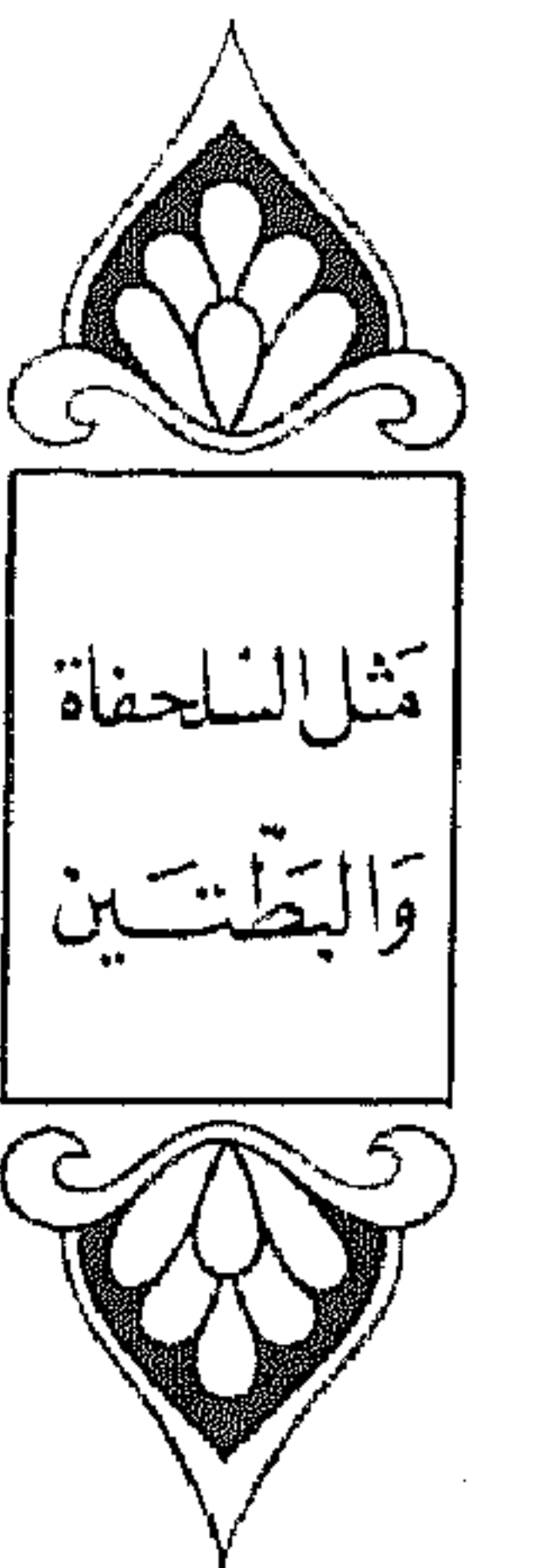
* لم تلبثه: لم تؤخره.



فقال زوجة الطيطوي
له: يا غافل، لتحسن
نظرك فيما تقول!



مثل
وكيل البحر
والطيطوي



مثل السلحفاة
والبطتين

قال دمنة: زعموا أنّ طائراً من طيور الماء يُدعى الطيطوي كان هو وزوجته في بعض سواحل البحر. فلما كان إبان بيضها أعلمته بذلك، وقالت له: التمس مكاناً حريزاً أبيض فيه. فقال لها: ليكن ذلك في منزلنا؛ فإنّ العشب والماء كثير، ومنا قريب، وذلك أرقق بنا من غيره. فقالت: يا غافل، لتحسن نظرك فيما تقول؛ فإننا بمكاننا هذا على غرر؛ لأنّ البحر لو قد مدّ ذهب بفراخنا. فقال: لا أراه يحمل علينا لما يخاف الوكيل عليه من الانتقام منه. فقالت: ما أشدّ بغيك في هذه المقالة! أو ما تستحي وتعرف قدر نفسك، في وعيدك من لا طاقة لك به، وتهدّدك إياه؟ وقد قيل: إنه ليس من شيء أشدّ معرفةً لنفسه من الإنسان²⁶. وذلك حقّ فاسمع كلامي، وأطع أمري؛ فأبى أن يجيبها إلى ما تدعوه إليه.

فلما رأت ذلك قالت: إنّ من لا يسمع القول النافع من أصدقائه، يُصيبه ما أصاب السلحفاة. قال: وكيف كان ذلك؟ قالت: زعموا أنّ عيناً كان فيها بطتان وسلحفاة، وكان قد أليف بعضهم بعضاً وصادقه. ثم إنّ تلك العين نقص ماؤها في بعض الأزمان نقصاناً فاحشاً.



فلما رأت البطتان ذلك قالت :
 إنه لينبغي لنا ترك ما نحن فيه ،
 والتحول إلى غيره . فودّعتنا
 السلحفاة وقالتا : عليك السلام
 فإننا ذاهبتان . قالت السلحفاة :
 إنما يشتدُّ نقصان الماء على
 مثلي ، لأنني لا أعيش إلا به ؛
 فاحتالا لي واذهبا بي معكما .
 فقالتا : لا نستطيع أن نفعل
 ذلك بك ، حتى تشرطي لنا
 أنا إذا حملناك فراك أحد
 فذكرك ، ألا تجيبيه . فقالت :
 نعم ؛ ولكن كيف السبيل إلى
 ما ذكرتما ؟ فقالتا : تعضين
 على وسط عود ، وتأخذ كل
 واحدة منا بطرفه . فرضيت
 بذلك وطارا بها ، فراها الناس
 فقال بعضهم لبعض : انظروا
 إلى العجَب : سلحفاة بين



قال الناس : انظروا إلى العجب !

سلحفاة بين بطتين

بَطْنَيْنِ تَطِيرَانِ بِهَا فِي الْهَوَاءِ. فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ قَالَتْ: رَغْمٌ لَأَنْفِكُمْ. فَلَمَّا فَتَحَتْ فَاها بِالْمَنْطِقِ، وَقَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ فَمَاتَتْ.

فَقَالَ الطَّيْطُورِيُّ لِلْأُنْثَى: قَدْ فَهَمْتُ مَا ذَكَرْتِ، فَلَا تَخَافِي وَكَيْلَ الْبَحْرِ، وَلَا تَرْهَبِيهِ. فَبَاضَتْ مَكَانَهَا وَفَرَّخَتْ. فَلَمَّا سَمِعَ وَكَيْلُ الْبَحْرِ ذَلِكَ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ كُنْهَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَيْهِ الطَّيْطُورِيُّ مِنَ الْاجْتِزَاءِ* مِنْهُ، وَمَا حِيلَتَهُ فِي ذَلِكَ. وَأَمَهَلَهُ حَتَّى مَدَّ الْبَحْرُ، وَذَهَبَ بِالْفِرَاحِ فِي عُشْبَيْنِ فَغَيَّبَهُنَّ. فَلَمَّا فَقَدْتَهُنَّ أُمَّهِنَّ قَالَتْ لِلطَّيْطُورِيِّ: قَدْ كُنْتُ عَارِفَةً فِي بَدْءِ أَمْرِنَا أَنَّ هَذَا كَائِنٌ، وَأَنَّهَا سَيَرْجِعُ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ، قِلَّةَ مَعْرِفَتِكَ بِنَفْسِكَ. فَانظُرْ إِلَى مَا أَصَابَنَا مِنَ الضَّرِّ فِي سَبَبِ ذَلِكَ. فَقَالَ: سَتَرَيْنِ صُنْعِي، وَمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ عَاقِبَةُ أَمْرِي. وَانْطَلَقَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: إِنَّكُمْ إِخْوَتِي وَأَهْلُ مَوَدَّتِي وَثِقَتِي، وَأَنَا أَطْلُبُ ظُلَامَتِي، فَأَعِينُونِي وَظَافِرُونِي؛ فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ مِثْلُ مَا نَزَلَ بِي. فَقَالُوا لَهُ: نَحْنُ عَلَى مَا وَصَفْتَ، وَأَنْتَ أَهْلٌ لِأَنْ تُسْعَفَ بِمَا طَلَبْتَ؛ وَلَكِنْ مَا عَسَيْنَا أَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ مِنْ ضُرِّ الْبَحْرِ وَوَكِيلِهِ؟ قَالَ: فَاجْتَمِعُوا بِنَا، فَلَنَأْتِ سَائِرَ الطَّيْرِ، فَلَنَذْكُرُ ذَلِكَ لَهُمْ. فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ، وَأَعْلَمَهُنَّ مَا أَصَابَهُ وَحَلَّ بِهِ، وَحَذَّرَهُنَّ أَنْ يَنْزِلَ بِهِنَّ مِثْلَهُ. فَقَلْنَ لَهُ: الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ؛ فَمَا الَّذِي نَسْتَطِيعُ مِنْ مَسَاءَةِ الْبَحْرِ وَوَكِيلِهِ؟ فَقَالَ: إِنَّ مَلِكَنَا مَعْشَرَ الطَّيْرِ الْعِنَقَاءُ²⁷، فَتَعَالَوْا نَصْرُحْ بِهَا حَتَّى تَبْدُو لَنَا. فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَظَهَرَتْ لَهُنَّ وَقَالَتْ: مَا جَمَعَكُنَّ؟ وَلِمَ دَعَوْتُونِي؟ فَأَنْهَيْنَ إِلَيْهَا مَا لَقَيْنَ مِنَ الْبَحْرِ وَوَكِيلِهِ، وَقَلْنَ لَهَا: إِنَّكَ مَلِكُنَا، وَالْمَلِكُ الَّذِي يَقْتَعِدُكَ أَقْوَى مِنْ وَكَيْلِ الْبَحْرِ، فَانْطَلِقِي إِلَيْهِ فليُعِنَا عَلَيْهِ. فَفَعَلَتْ ذَلِكَ، فَأَجَابَهَا إِلَى مَا سَأَلَتْ، وَانْطَلَقَ لِيَقَاتِلَهُ. فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ وَكَيْلُ الْبَحْرِ، وَعَرَفَ ضَعْفَهُ عِنْدَ قُوَّتِهِ، رَدَّ فِرَاحَ الطَّيْطُورِيِّ عَلَيْهِ.

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِأَنِّي لَا أَرَى لَكَ قِتَالَ الْأَسَدِ، وَلَا الْمَجَاهِرَةَ لَهُ بِهِ. قَالَ شَنْزَبَةُ: مَا أَنَا بِنَاصِبٍ لِلْأَسَدِ الْعِدَاوَةِ، وَلَا مُتَغَيِّرٍ لَهُ عَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ حَتَّى يَبْدُو لِي مَا أَتَخَوَّفُ مِنْهُ، فَأُغَالِبُهُ. فَكَّرَهُ ذَلِكَ دَمْنَةً، وَظَنَّ أَنَّ الْأَسَدَ، إِنْ لَمْ يَرَ مِنْ شَنْزَبَةَ الْعَلَامَاتِ الَّتِي وَصَفَ لَهُ، أَتَمَّهُ. فَقَالَ: انْطَلِقِي؛ سَيَسْتَبِينُ لَكَ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ، آيَاتُ مَا ذَكَرْتُ لَكَ. قَالَ شَنْزَبَةُ: وَكَيْفَ أَعْرِفُ

إذا رأيت الأسد يسدد إليك
بصره ويتلمّظ ، فاعلم أنه يريد
قتلك



ذلك ؟ فقال دمنة : إن أنت رأيت الأسد حين تدخل عليه ، ينتصبُ مُقْعِيّاً ، ويرفعُ صدره ، ويسدّدُ إليك بصره ، ويضربُ بذنبه ، ويتلمّظُ ، فاعلم أنه يريد قتلَكَ ، فاحذره ولا تغترّ إليه . فقال شنزبة : لئن أنا عاينتُ منه ما وصفتَ ، فما في أمره عندي شك .

فلما فرغ دمنة من تحميل الأسد على شنزبة ، وشنزبة على الأسد ، توجه إلى كليلة . فلما لقيه قال : إلامَ انتهى عملك الذي كنتَ فيه ؟ فقال دمنة : يا أخي قد تقارب نجاحه على الذي تُحب . فلا تشكّن في ذلك ، ولا تظنن أن الإخاء بين الأخوين ثابت إذا احتال لقطعه الأريب الرفيق . فانطلقا حتى أتيا الأسد في عرينه ؛ ووافقا شنزبة قد دخل عليه فرآه على حال ما ذكر دمنة ، ووصفه له . فاستيقن بالهلكة ، وقال : ما صاحبُ السلطان - فيما يُتخوّف من بوادره عندما يرقى أهلُ البغي إليه - إلا كمجاور الحية في بيته ، والأسد في عرينه . والسابحُ في الماء الذي فيه التماسيح²⁸ لا يدري متى يهيج به بعضهنّ . ففكّر في ذلك وتهايا لقتاله . ونظر إليه الأسد فعرف ما كان دمنة ذكر له منه ، فوثابه ؛ فاقتتلا قتالاً شديداً سالت منه الدماء بينهما .

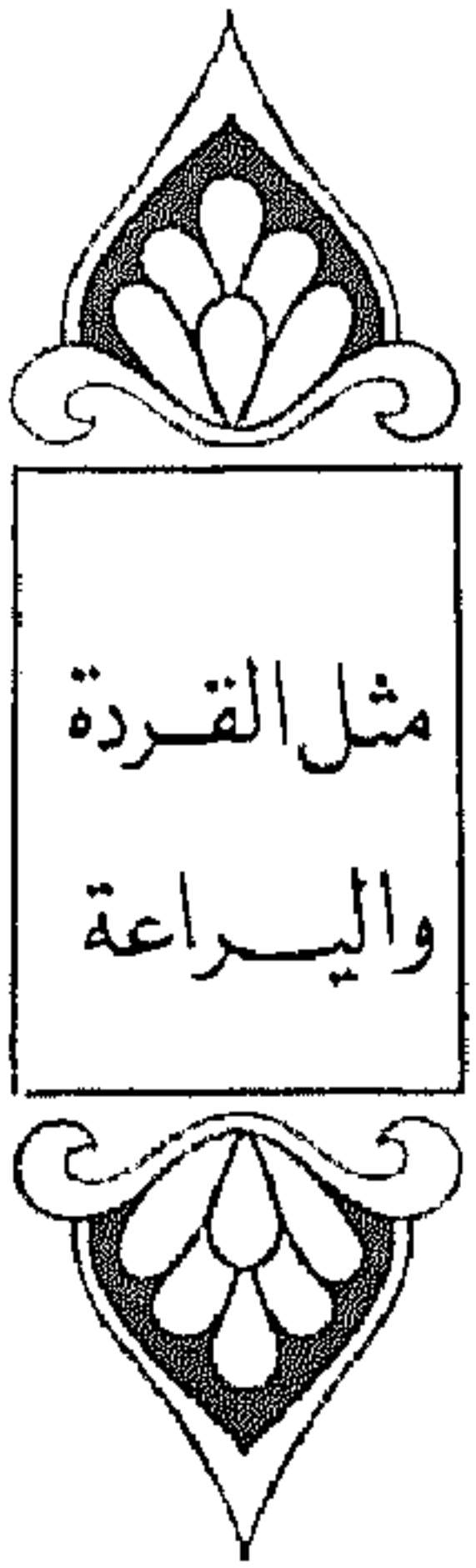
فلما رأى كليله ذلك قال لدمنة: أيها الفسل* ! انظر إلى حيلتك؛ ما أنكدها وأوخم عاقبتها ! فإنك قد فضحت الأسد، وأهلكت شنزبة، وفرقت كلمة الجند، مع ما استبان لي من خرقك فيما ادّعت فيه الرفق. أولست تعلم أن أعجز الرأي ما كلف صاحبه القتال، وهو عنه غني؟ وأن الرجل ربما أمكنته فرصته في عدوه فتركها، مخافة تعرض النكبة، ورجاء أن يقدر على حاجته بغير ذلك. وإذا كان وزير السلطان يأمره بالمحاربة فيما يقدر على بُغيته فيه بالمسألة فهو أشد من عدوه له ضرراً. وكما أن اللسان يدركه الضعف عن نهكة الفؤاد، فكذلك النجدة تلحقها السخافة عن خطأ الرأي، فإنهما إذا فقد أحدهما صاحبه لم يكن للآخر عمل عند اللقاء. وللرأي عليها الفضل؛ لأنّ أموراً كثيرة يُجزى* فيها الرأي، ولا تبلغُ هي شيئاً إلا به. ومن أراد المكر، ولم يعرف وجه الأمر الذي يأتيه منه ويحيدُ فيه عنه، كان عمّله كعملك. ومن عرف التمحل والرفق. وهو ضعيفٌ بنفسه وعدوه قويٌّ، فإنه أقوى من عدوه؛ لأنّ الفيل والأسد مع قوتيهما، والحية الأسود مع سمّه ونهشته، وقوة الماء والنار والريح والشمس؛ فإنّ الرجل الضعيف، بالرفق والحيل يظفر بهم، وبالحيل يركب الفيل، ويأخذ الحية ويلعب بها، ويصير الأسد في التابوت، ويجري الماء على موضع ما يريد، ويمنع مضرة النار والريح والشمس، ويستخدم القوي. وقد كانت لي معرفة ببغيك وعجبك بنفسك. ولم أزل أتوقع، منذ رأيت شرهك وحرصك، داهيةً تجني بها عليّ وعليك؛ فإنّ ذا العقل يفكر في الأشياء قبل ملبستها؛ فما رجا أن يتم له أقدم عليه، وما خاف أن يتعدّر عليه انصرف عنه. ولم يمنعني من تأنيبك في أول أمرك، ووقفك على خطل رأيك، إلا أنّ ذلك كان ما لا أستطيع إظهاره، ولا ابتغاء الشهود عليك فيه. فأما الآن فإني سأفسر لك ما أنت عليه من ذلك؛ فإنك تحسن القول ولا تحكّم العمل. وقد قيل: ليس شيء بأهلك للسلطان ممن كان كذلك. وهذا الذي غرّ الأسد منك. ولا خير في الكلام إلا مع الفعل، ولا في الفقه إلا مع الورع، ولا في الصدقة إلا مع النية، ولا في المنظر إلا مع المخبر، ولا في المال إلا مع الجود، ولا في الحياة إلا مع الصحة والسرور والأمن. وقد سوّطت*^{***} أمراً لا يداويه إلا العاقل الرفيق، كالمريض الذي يجتمع عليه فساد المرّة والبَلغم والدم،

*** اجترحت وارتكبت .

** ينفع .

* عديم المروءة .

فلا يُذهب ذلك عنه إلا الطيبُ الحاذقُ الماهر. واعلم أنَّ الأدبَ يدفع عن اللبيبِ السكرَ،
 ويزيد الأحمقَ سكرًا؛ كالنهار فإنه يُنير لكل ذي بصر من الطير وغيره، ولا تستطيع الخفافيش
 الاستقلال فيه. وذو الرأي لا تُبطره منزلةُ أصحابها؛ كالجبل الذي لا يتزلزل وإن اشتدت الرياح.
 وذو السُخف يُنزقه أدنى أمر كالخشيش الذي يُميله الشيء اليسير. وقد قيل: إنَّ السلطان إذا
 كان صالحًا، ووزراؤه غير صالحين، قلَّ خيره على الناس، وامتنع منهم فلم يجترِ عليه أحد،
 ولم يدنُ منه؛ كالماء الصافي الطيب الذي فيه التماسيح، فلا يستطيع الرجل دُخولَه وإن كان
 سابحًا، وإليه محتاجًا. وإنما حلية الملوك وزينتهم قرايبتهم* أن يكثروا ويصلحوا. وإنك أردتَ
 ألا يدنُو من الأسد غيرُك. وإنما السلطان بأصحابه وأعوانه كالبحر بأمواجه. ومن الحمق التماس
 الإخوان بغير الوفاء، والأجر بالرياء، ومودة النساء بالغلظة، ونفع المرء نفسه بضر الناس، والفضل
 والعلم بالدعة والخفض؛ ولكن ما غناء هذه المقالة وجدًا* هذا التأييب، وأنا أعرف أن الأمر
 فيه كما قال الرجل للطائر: لا تلتمس تقويم ما لا يعتدل، ولا تبصّر من لا يفهم. فقال دمنة:
 وكيف كان ذلك؟ قال كليله:

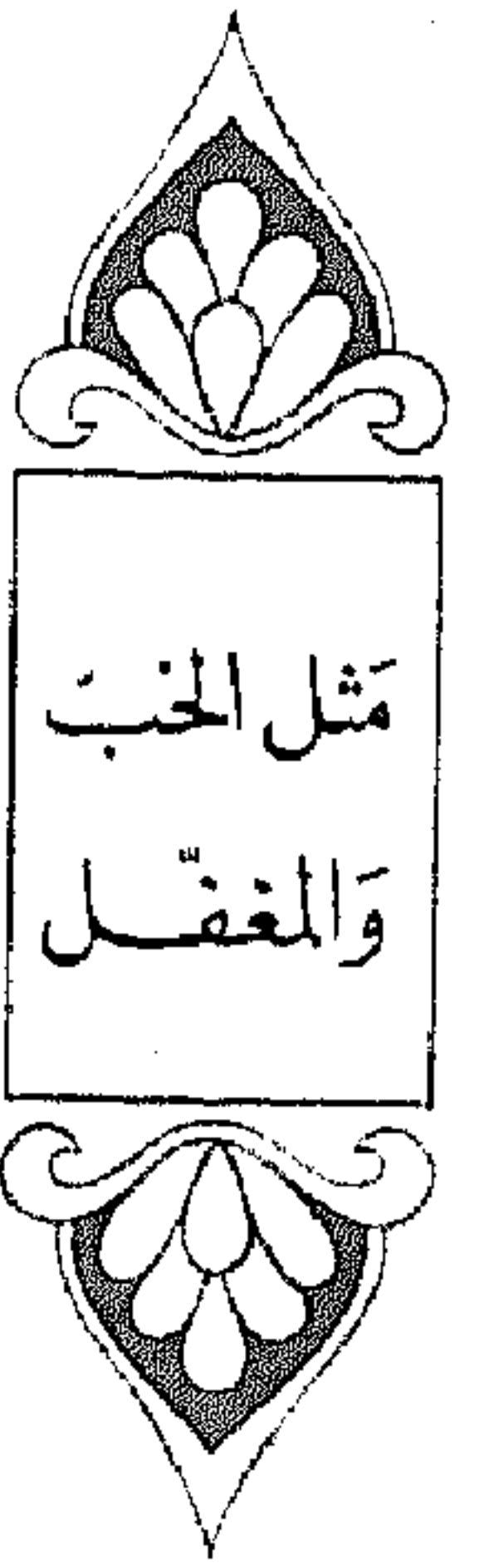


زعموا أن جماعة من القردة كُنَّ في جبل. فأرَيْنَ في ليلة باردة يراعة***، فحسبها نارًا،
 فجمعن حطبًا فوضعه عليها، وجعلن ينفخن بأفواههنَّ، ويروحن بأيديهن. وقرب ذلك الموضع
 شجرةٌ عليها طائر، فقال لهنَّ: لا تتعبن أنفسكنَّ، فإن الذي ترين ليس بنار كما تحسبن.
 فلم يسمعن منه، ولم يطعنه. فلما طال ذلك عليه، نزل إليهنَّ، فمرَّ به رجل، فقال: أيها الطائر،
 لا تلتمس تقويم ما لا يعتدل، وتبصير من لا يفهم؛ فإنَّ الحجر الذي لا يُقدر على قطعه
 لا تُجرب فيه السيوف، والعود الذي لا ينحني لا يُعالج حنَّيه؛ فإنَّ من فعل ذلك ندم. فلم يلتفت
 إلى قوله، ودنا منهنَّ ليصرنَّ، فتناوله بعضهم وضرب به الأرض فقتله. فهذا مثلك في قلة الانتفاع
 بالموعظة؛ مع أنه قد غلب عليك المكر والعجب، وهما خلقتا سوء. إنه سيصيبك، من عاقبة ما
 أنت فيه، ما دخل على الخبِّ شريك المغفل. قال دمنة: وكيف كان ذلك؟ فقال كليله:

*** حشرة تلتمع وتظير ليلاً.

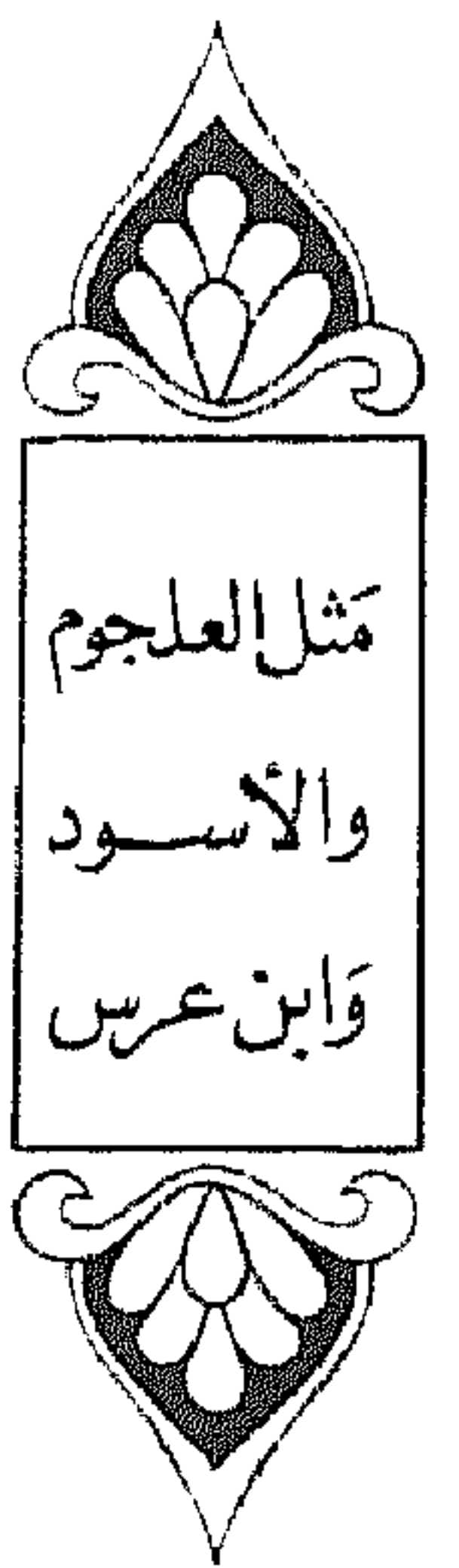
** نفع.

* ذوو خاصتهم.



مثل الخب
والمغفل

زعموا أن رجلين، أحدهما خبّ والآخر مغفل، اشتركا. فبينما هما يتمشيان إذ وجدا بكرة فيها ألف دينار فأخذاها. وبدا لهما أن يرجعا إلى مدينتهما، فلما ذنوا منها قال المغفل للخب: خذ نصفها وأعطني نصفها. فقال الخب، وكان قد أضمر الذهب بها كلها: لا؛ فإنّ المفاوضة أدوم للمصافاة؛ ولكن يقبض كل واحد منا منها شيئاً ينفقه، وندفن بقيتها مكاناً حريزاً. فإذا احتجنا إليها استثرناها. فأجابه إلى ذلك، ودفناها تحت شجرة عظيمة. ثم خالف إليها الخب، فذهب بها. ولقيه المغفل فقال: اخرج بنا إلى وديعتنا فلنقبضها. فانطلقا إلى المكان فاحتفراه فلم يجداها. فجعل الخب يتف شعره ويدق صدره، ويقول: لا يثقن أحد بأحد؛ رجعت إليها فأخذتها. وجعل المغفل يحلف أنه ما فعل. ثم انطلق به إلى القاضي فقص عليه الأمر. فقال له: هل من يشهد؟ قال نعم! الشجرة تشهد لي بما أقول. فأنكر ذلك عليه القاضي أشدّ الإنكار، وأمر به فكفل، وقال: وافوني به غداً باكراً. فانصرف إلى أبيه وأعلمه بذلك، وقال: إني لم أقل الذي ذكرت إلا لأمر قد روات فيه؛ فإن أنت طاوعتني أحرزنا ما أخذنا، وأضفنا إليه مثله من المغفل. فقال: وما ذاك؟ قال: إني قد كنت توخيت بالدنانير شجرة عظيمة من الدوح جوفاء فيها مدخل لا يرى، فدفنته في أصلها، ثم خالفته إليها فأخذتها وادّعت على المغفل²⁹؛ فأنا أحب أن تذهب الليلة فتدخلها. فإذا جاء القاضي فسألها قلت: «المغفل أخذ الدنانير». فقال: يا بُنيّ إنه ربّ امرئ قد أوقعه تمحلّه في ورطة؛ فإياك أن تكون كالعلجوم الذي أهلكه تحيئه³⁰. قال: وكيف كان ذلك؟ قال:



مثل العلجوم
والأسود
وإبن عرس

زعموا أن علجوماً كان مجاوراً لأسود. وكان لا يدع له فرخاً إلا أكله. وكان وطنه قد وافقه وأعجبه، فحزن لذلك واهتم. ففطن له سرطان، فسأله عن حاله فأخبره به. فقال: ألا أدلك على شيء يُريحك منه؟ قال: بلى! فأشار إليه، وقال: انظر إلى ذلك الجحر، إنه³¹ جحر ابن عرس - وأعلمه عداوته إياه، وجوهره - وقال: اجمع سمكاً واجعله له سطرّاً فيما بين مكانيهما؛ فإنه يأكل الأول فالأول حتى ينتهي إليه فيهلكه. ففعل ذلك به فتبعه حتى وجد الأسود، فقتله. ثم جعل ابن عرس يخرج بعد ذلك يلتمس العادة. فلم يزل يطوف حتى وقع على عشّ العلجوم، فأكله وفراخه.



ان جماعة من القردة رأين في ليلة باردة يراعة ، فحسبها
ناراً ، فجمعن عليها حطباً ، وجعلن ينفخن بأفواههن

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنه من لم يتثبت ، أوقعه ما يحتال به فما عسى ألا يخلص
منه . قال : قد فهمت ما ذكرت فلا تهابن ، فإن الأمر يسير . فلم يزل به حتى أطاعه ، واتبع رأيه .
فلما انتهى القاضي إلى الشجرة وسألها ، أجابه من جوفها بأن المغفل أخذ الدنانير . فاشتد
عجبه من ذلك ، وطاف بها فلم ير شيئاً ، فأمر بحطب فجمع ، وألقي عليها ، وجعل فيه ناراً .
فلما دخل عليه الدخان ووصل إليه الوهج ، تصبر ساعة ثم صاح ، فأخرج بعدما أشفى على



وجمع فيما بين جحري الأسود وابن عرس سطرًا من
السّمك ليأكله حتى يصل إلى الأسود فيهلكه

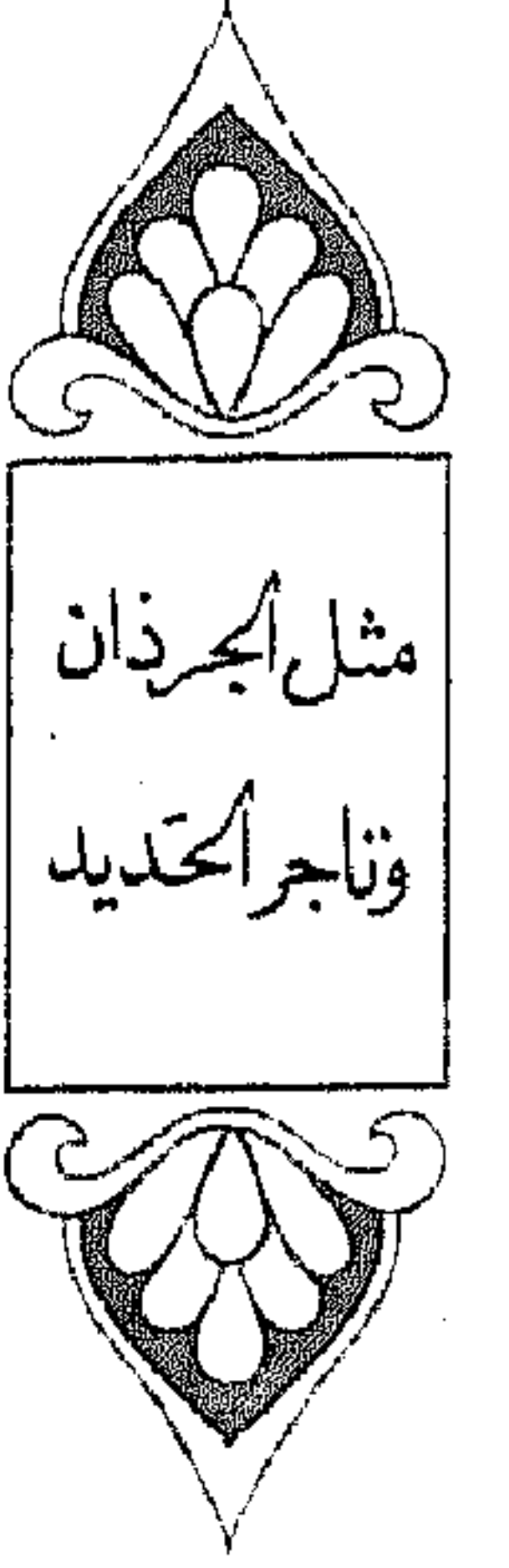
الموت. ثم عاقبه القاضي وابنه. فمات الشيخ وانصرف به ابنه يحملُه ميتاً، ورجع المغفل وقد أخذ
الدنانير وفلج عليهما .

وإنما ضربتُ لك هذا المثل، لأن الخديعة والمكر ربما كان صاحبهما هو المغبون. وأنت
يا دمنة جامعُ الخصال الرديّة التي وصفتُ. فكان الذي اجتنيتَ من ثمرة عملك ما ترى؛ مع
أني لا أحسبُك تنجو، فإنك ذو لونين ولسانين. وإنما صلاح أهل بيتٍ ما لم يدخل فيه مُفسد،
وبقاء إخاء الإخوان ما لم يحتل له مثلك. فإنه لا شيء أشبه بك من الحيّة التي يجري من نابها
السّم وقد كنتُ لذلك من لسانك خائفاً مُشفقاً، لقربك مني كارهاً؛ فإنّ العقلاء قد قالوا:
اجتنب أهل الفُجور، وإن كانوا ذوي قرابتك؛ فإنّ من كان كذلك فإنما هو بمنزلة الحيّة
التي يرقبها صاحبها ويمسحها، ثم لا يكون له منها إلا اللدغ. وكان يقال: الزم ذا العقل والكرم
واسترسل إليه، وإياك وفراقه؛ ولا عليك أن تصحب من لا جودَ له إذا كان محمودَ الرأي،

فلما وصل إليه الدخان
واللهب، تصبر ساعة، ثم صاح



واحترس من سيئ أخلاقه، وانتفع بما عنده؛ ولا تدع مواصلة السخيِّ وإن كان لا نبل له، واستمتع بسخائه، وانفعه بلبك؛ واهرب من اللئيم الأحمق. وأنا بالفرار منك والتنحي عنك جدير حقيق. وكيف يرجو إخوانك وفاءك لهم، وقد صنعت بملكك الذي شرفك ما أرى؟ ومثلك في ذلك قولُ التاجر: إن أرضاً، يأكل جردانها مائة من الحديد، غير مُستنكر أن تخطف بزاتها الفيئة. فقال دمنة: وكيف كان ذلك؟ قال كيلة:



زعموا أنه كان بأرض مردات³² تاجرٌ مُقلِّ. فأراد الشخصوص إلى حاجة له، وكان له مائة من حديد، فاستودعها رجلاً من معارفه، وانطلق إلى حاجته. فلما رجع طلبها منه، وكان قد باعها واستنفق ثمنها، فقال له: كنت تركتها في ناحية البيت فأكلها الجرذان. فقال له: لقد يبلغنا أنه ليس شيء بأقطع للحديد من أنيابهن؛ وما أهون المرزية في ذلك إذا سلمك الله. ففرح بما سمع منه، وقال: اشرب اليوم عندي. فوعده بذلك، وخرج فأخذ ابناً له صغيراً حتى خبأه في بيته ثم رجع إليه، فلم يزالا في شأنهما حتى ذكر التاجر ابنه وافتقده، فقال له: هل رأيت ابني؟ فقال صاحب الحديد: لقد رأيت حين دنوت منكم، بازياً اختطف غلاماً فلعله هو. فصاح التاجر وقال: يا من حضر! هل سمعتم بمثل هذا قط؟ فقال: إن أرضاً يأكل جردانها مائة من حديد ليس بمستكبر لها أن تحتطف بزاتها الفيئة. فقال: أنا أكلت حديدك، وسماً أدخلت جوفي، فادفع إليّ ابني، وأرد إليك ما أكلت لك، وما كنت استودعني، ففعلا ذلك.

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنك، إذا غدرت بملكك ذي البلاء الحسن عندك، فإنه لا شك في صنيعك مثل ذلك بمن ساواك، وأنه ليس للمودعة عندك منزلة ولا مكافأة. فإنه لا شيء أضيع من إخاء يُمنح من لا وفاء له، وبلاء يُضيع عند من لا شكر له، وأدب يُستودع من لا يفهمه، وسر يُستكتمه من لا يحفظه. ولست في طمع من تغير طبيعتك، ولا تحول أخلاقك؛ فإني قد عرفت أن ثمرة الشجرة المرة لو طليت بالعسل لم تنقلب عن جوهرها. وقد خفت صحبتك على رأي وأخلاق؛ فإن صُحبة الأخيار تورث الخير، وصُحبة الأشرار تورث الشر؛ كالريح إذا مرّت على التّن حملت نتناً، وإذا مرّت بالطيب حملت طيباً. وقد عرفت



هل سمعتم أن البزاة تخطف الصبيان

ثقل كلامي عليك. وكذلك الجهال لم يزالوا يستثقلون عقلاءهم، واللؤماء كرامهم، والسفهاء
 حلماءهم، والمعوج منهم المستقيم.

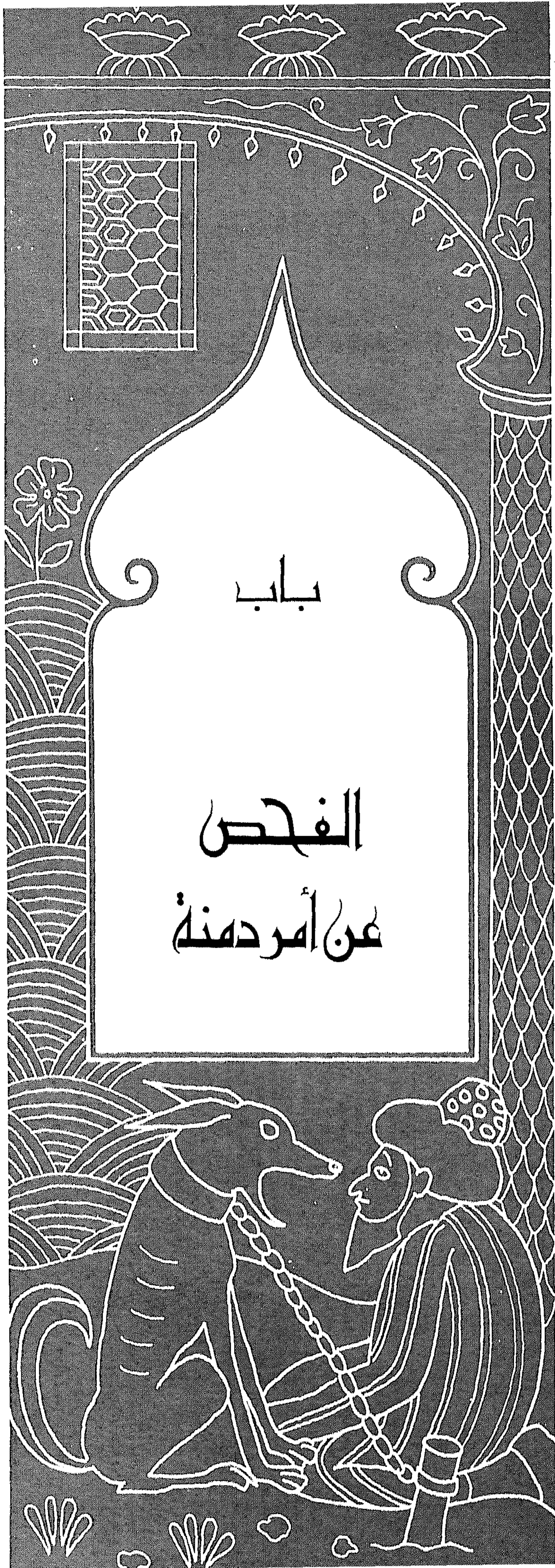
فانتهى كلام كليلة إلى هذا المكان، وقد فرغ الأسد من شنزبة. وفكر بعدما قتله وقد
 ذهب عنه الغيظ، فقال: لقد فجعتني شنزبة بنفسه، وقد كان ذا رأي وعقل، ولا أدري لعله
 كان مَبغياً عليه. فحزن وندم.

وبصُر به دمنة، فترك محاورة كليلة وتقدّم إلى الأسد، وقال: قد أظفرك الله أيها الملك، وأهلك عدوك، فما الذي تهتم له ويحزنك؟ فقال الأسد: لقد أشفقتُ على قتل شنزبة لعقله وكرم خلقه. فقال دمنة: لا تفعلن ذلك أيها الملك ولا ترحم من تخافه؛ فإن الملك الحازم، ربما أبغض الرجل وأقصاه، ثم تكأره عليه، فقرّبه وولاه لما يعرف من غناؤه وفضله، فعل المتكأره على الدواء البشيع رجاء منفعة ومغبتة. وربما أحب الرجل وأدناه، ثم أهلكه واستأصله، مخافة ضره، كالذي تلدغ الحية إصبغه فيقطعها مخافة أن ينتشر السم في جسده كله فيقتله. فلما سمع الأسد ذلك منه صدقه وقرّبه.

ثم³³ قال الفيلسوف للملك: فكان في صنع دمنة - في صغره وضعفه وهو من أرذل السباع وأحقرها - بالأسد والثور ما شغّب به بينهما، وألب كل واحد منهما على صاحبه، حتى قطع ودهما وإخاءهما - من الأعاجيب والعبر لذوي الألباب، في الاتقاء والحذر لأهل النسيمة والوهس، والنظر فيما يزوّقون من خديعتهم ومكرهم وسعايتهم. وذو العقول أحق أن يتقوا كذب أولئك ويتجنبوا عطبهم، ويفحصوا عن هذه الأشياء منهم، ثم لا يقدموا على شيء من أقاويلهم إلا عن تثبت وضياء ونور، وأن يرفضوا كل من عرفوا مثل ذلك منه؛ فإنه الرأي والحزم والأخذ بأمر السعادة، إن شاء الله.



تلدغ الحية اصبغه فيقطعها



باب

الفحص
عن أمر دمنه



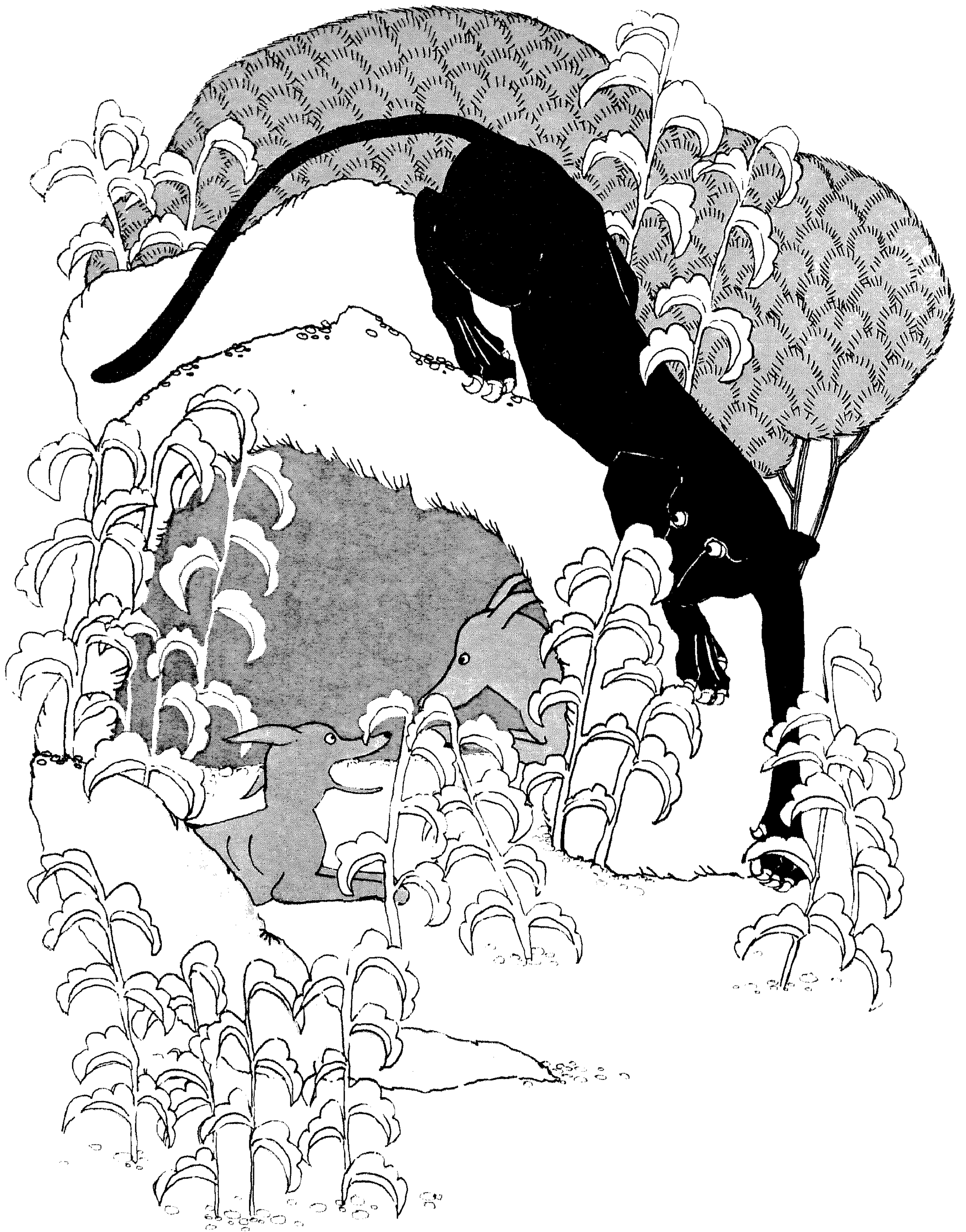
قال دَبشَلِيمُ ملك الهند لبيدبا الفيلسوف: قد سمعتُ خبرَ الواشي المحتال الماهر بالخِلافة كيف يُفسد - بتشبيهه وتلبيسه - الودَّ الثابت بين المتحابين؛ فأخبرني إلامَ آلِ أمره، وما كانت عاقبته².

قال بيدبا: إنا وجدنا في الكتب أنَّ الأسد لما قتل شترزة، ومرَّ لذلك أيام، خرج النمر ذات يوم - وكان يُدعى المعجب الوشي، وكان معلِّم الأسد وأمينه وموضع سرّه - يطلب قيساً، فاضطرَّته السماء إلى منزل كليلة ودمنة. فلما انتهى إلى الباب سمع كليلة يعاتب دمنة ويلومه على سوء رأيه وصنيعه وما ارتكب من شترزة في غير ذنب أتاها إليه؛ فكان في بعض قوله: إنَّ الذي أتيت من النميمة والخِلافة سيظهرُ للأسد ويطلِّع طلعه بعد اليوم. ولست بناجٍ منه إلاّ بأكثر مما يُعاقب به أهلُ الذنوب. ولستُ أنا أيضاً - فيما بعد اليوم - بمتَّخذِك خليلاً، ولا مُفشيِّ إليك سرّاً، ولا مُقارِبِك في شيء؛ فإنَّ العلماء قد قالوا: تباعدُ ممن لا رغبة له في الصلاح،

وإنما عمّله النميمة والخلافة. وكذلك حملت الملك على خليله البريء الرفيق العالم شنزبة، ولم تزل به حتى اتّهمه فقتله .

فلما سمع النمر قول كليلة، رجع فدخل على أمّ الأسد فحدّثها الحديث الذي سمع كلاً. فلما أصبحت انطلقت إلى ابنها فرأته حزينا كئيباً؛ فلما عاينت ذلك منه عرفت أنه ليس إلا على شنزبة، فقالت: إنّ الأسف والهّم لا يردّان شيئاً، وهما يُنحلان الجسم، ويذهبان العقل، ويُضعفان القوّة. فأعلمني شأنك، فإن كان مما ينبغي لك أن تحزن له وتخبّل عنه فليست ولا أحدٌ من جنّدك يخلو من ذلك. وإن كان إنما هو لقتل شنزبة فقد استبان لنا ولك أنك ركبت ذلك منه ظلماً على غير جرم ولا غش ولا حدّث؛ فلو كنت فكرت في أمره، وقست مالك في نفسه بما تجدّ في نفسك له، لكان في ذلك مُعْتَبَرٌ؛ فإنه يقال إنّ امرأً لا يودّ أحداً ولا يُبغضه إلا وجدّ له في نفسه مثل ذلك. فأعلمني هل ترى ضميرك يشهد أنّ الذي فعلت بشنزبة كان على حقد وعداوة؟ فإن كان كذلك فهو لك عدوّ، وقد أظفرك الله به وأراحك منه؛ فدع الحزن عليه والتأسّف لفراقه، فإنّ العداوة لا تُستقال. وإن كان قلبك لا يشهد بعداوته ولا يذكر منه حقداً ولا مخالفة لك، فأنت حريّ بالحزن عليه. فقال الأسد: ما زلتُ لشنزبة سليم الصدر، واثقاً به، مُعجَباً برأيه، محبباً له، مسترسلاً إليه؛ وقد دخل عليّ لقتله همٌّ شديد، وما أنكرتُ من نفسي له شيئاً قبل قتله ولا بعده؛ وإني لنادم على ما كان مني، متلهّف له موجّع؛ وما أشكل عليّ الرأي أنه بريء مما لُطخ به غير متّهم، ولكن قُتِلَ لتحميل الأشرار وبغيتهم وزخرفتهم الكلام الكاذب. ولكن أعلمني هل سمعت شيئاً أو حدّثك به أحد؟ فإنه إذا كان الرأي موافقاً لإخبار الموثوق به، كان أسدّاً للبصيرة وأثلج للصدر، وأحرى أن يُقدم المرء به على غير الشبهة والشك. فقالت أمّ الأسد: حدّثني الأمين الصدوق عندك أنّ دمنة لم يركب من شنزبة الذي ركب من تحميله إياك عليه، إلا لحسده إياه على منزلته منك، ومكانه عندك. فقال الأسد: ومن خبرك

فلما انتهى النمر إلى الباب
سمع كليلة يعاتب دمنة



بهذا؟ فقالت أمّ الأسد: قد استحفّظني، والمستكتم مؤتمن، ومن أفضى سرّاً استودعه فقد خان أمانته؛ ومن فعل ذلك كان بشرّ المنازل في المعاد. فقال الأسد: لعمري لقد صدقت، ولكن ليس هذا مما ينبغي أن يُكتم، بل يحقّ على صاحبه أن يُعلنه، ويُظهر شهادته عليه، ويستكمل الأجر فيه، ولا يبطل حقاً عليه - ولا سيّما في دم المظلوم - فإنّ الكاتم لجرم المجرم في وتغ، مُبتغٍ شركة فيه³، وإنّ السلطان لا ينبغي له أن يعاقب على الظنّ والشبهة؛ فإنّ الدم عظيم شأنه. وأنا - وإن كنت أوطئتُ عشوةً في شتربة - أكره أن أركب من دمنةٍ مثلها بغير بينة ولا يقين. وقد رمى إليك من أخبرك بما ذكرت، وقذفه في عنقك. قالت أمّ الأسد: صدقت، ولكني كنتُ أظنّ أنك تستكفي بي فيما حدثتُك وتصدّقني به فلا تتهمني عليه. فقال الأسد: ما أنتِ عندي بمردودة القول، ولا أنتِ في نفسي بمتهمّة، ولا أنا في نصحك بمرتاب؛ ولكن أحبُّ أن تُعلميني من هو ليكون أشفى لصدري. قالت أمّ الأسد: فإن كنتُ عندك كذلك، فعاقب هذا الفاجر عقوبةً مثله. قال الأسد: وما عليكِ أن تُخبريني من ذكر ذلك لك؟ فإنه لا مضرة فيه عليك. فقالت أمّ الأسد: ضرر هذا عليّ في خلال ثلاث: أما الأولى فانقطاع ما بيني وبين صاحب هذا السرّ من المودة لإباحتي بسرّه، والثانية خيائتي ما استحفّظت من الأمانة، وأما الثالثة فوجّل من كان يترسل إليّ قبل اليوم وقطعهم أسرارهم عني، ومتى أفعل ذلك لا يثق بي أحد، ولا يطمئن إليّ. فلما سمع الأسد ذلك منها وعرف أنها غير مخبرته باسم من أخبرها، قال: الأمر على ما قلت؛ وما أنا عمّا كرهتِ بالمفتش، وما يختلج في صدري الارتبابُ بنصحك، فأخبريني بجملة الأمر إذ كرهتِ أن تُخبريني باسم صاحب السرّ⁴. فأخبرته بجملة الأمر، وقالت: لستُ أجهل قول العلماء في تعظيم فضل العفو عن أهل الجرائم، ولكن ذلك إنما هو فيما دون النفوس، أو خيانة العامة التي يقع بها الشرّ، ويحتجّ بها السفهاء عندما يكون من أعمالهم السيئة، واستغشاش الملك بالأمر الذي يصل خطأ - إن كان فيه - إلى العامة؛ وكان فيما يقال: لا ينبغي للولاة استبقاء الخونة الفجار أهل الغدر والنميمة، والتحيل والإفساد بين الناس، ومن يكرهون صلاحهم ولا يرحمونهم لما نزل بهم. وأولى من نفى عن الرعيّة ما أفسدهم، وساق إليهم



فلما أصبحت أم الأسد انطلقت إلى ابنها فوجدته حزيناً

ما أصلحهم، القادة المتولون لأموهم. وأنت بقتل دمنة حقيق؛ فإنه كان يقال: إفساد جُلّ الأشياء من قبل خلتين: إذاعة السر، واثمان أهل الفجور. وإن الذي أنشب العداوة بينك وبين شتربة أنصح الوزراء وخير الأعوان حتى قتلته غدراً، دمنةً بحيلته وخيائنه ومكره وخيائنه. وقد اطلعت على مكنونه، وبدا لك ما كان يخفي عليك، وعلمته في نحو ما تذكر من حديثه إياك قبل اليوم؛ فالراحة لك ولجندك - إذ ظهر لك منه ما يكتف - قتله عقوبةً لجريمته، وإبقاءً على جندك من شره؛ فإنه ليس على مثلها بمأمون. ولعلك أيها الملك أن تركز إلى ما آثرته من العفو عن أهل الجرائم؛ فإن روايت في ذلك فاعلم أنه ليس منهم من يبلغ جرمه جرم دمنة.

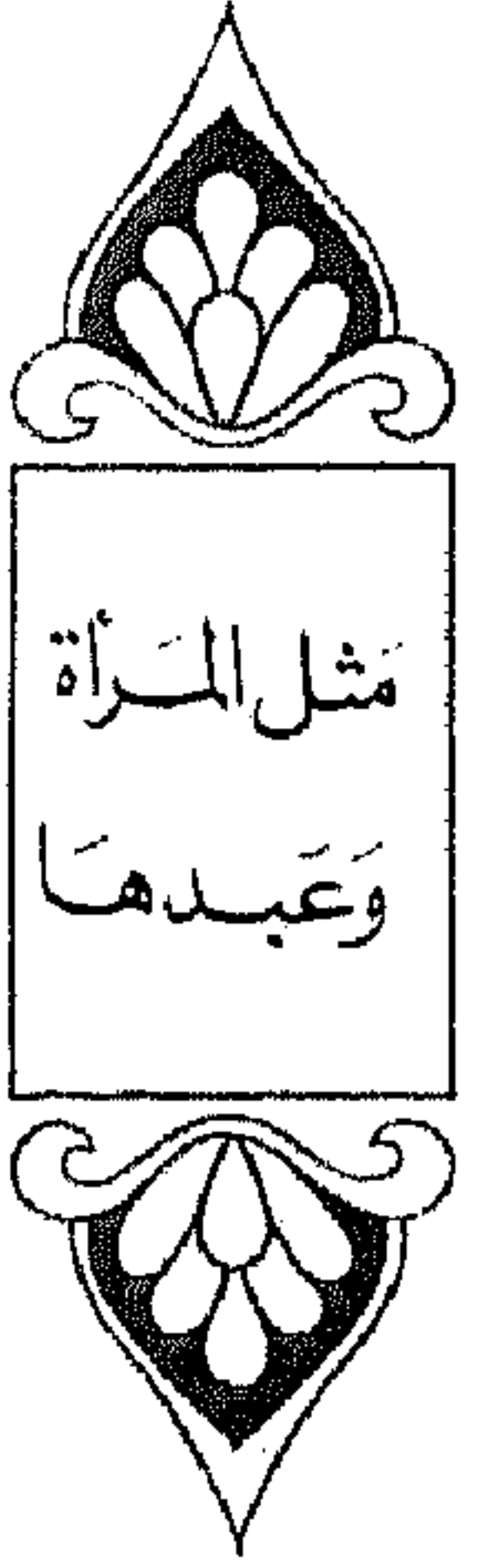
فلما سمع الأسد ذلك، نادى في جموعه، فحضروا وأُتِيَ بدمنة. ونكس الأسد مستحيماً مما ركب من قتل شترية. فلما رأى دمنة ذلك قال لبعض من يليه متجاهلاً: مالي أرى الملك مكتئباً مهموماً؟ هل حدث أمر جمعكم له؟ فلما سمعت ذلك أمّ الأسد قالت مجيبة له: الذي كَرَبَ الملكَ بقاءك حياً إلى اليوم - مع عظيم حدّتك وجُرمك - أيها الغادر الكذوب! قال دمنة: وما الذي جنيتُ مما يُستحلُّ به قتلي ويكربُ الملك بقائي؟ قالت أمّ الأسد: أعظمُ الحدّث حدّثك، وأشدُّ الخيانة خيانتك واستجهاؤك الملك، وقتلُك البريء من وزرائه. قال دمنة: إن تصديق ما كان يُذكر قد حضر؛ فإنه كان يقال: مَنْ اجتهد في طلب الخير أسرع إليه الشر. ولا يكون الملك وجنوده المثل السوء. وقد علمت أن ذلك إنما كان قيل في صحبة الأشرار، أنه مَنْ صحبهم وهو يعلم علمهم لم ينبج من شرهم. ولذلك رفض أهل الدين والنسك الدنيا ولذتها، واختاروا الوحدة وتركوا مخالطة الناس ومحادثتهم، لما يرون فيها من مؤاخذه الأبرار بأعمال الفجّار، وإثابة الفجّار بأعمال الأبرار، وآثروا العمل لله على العمل لخلقه؛ لأنه ليس أحد يجزي بالخير خيراً إلا الله، وأما مَنْ دونه فقد تجرّي أمورهم فنوناً يغلب على أكثر ذلك⁵ الخطأ. وما أحدٌ أحقُّ بالصفات الجميلة من الملك الموفّق الذي لا يصانع أحداً لحاجة به إليه، ولا لعاقبة يتخوّفها منه؛ فإنّ أحقّ ما عظمت فيه رغبة الملوك من محاسن الصواب، المكافأة لأهل البلاء الحسن عندهم⁶، ومن يُرقي إليهم نصيحته. وهذا أقرب من أمري وأشبه فيما حملني النصيح للملك، والإيثار له على غيره، والنظر للعامة من إعلان سرّ الخائن الكفور، وما كان ربّض في نفسه وارتفعت إليه همته من الغدر بالملك والثوب عليه. وقد كان استبان للملك، الذي كان منظوياً عليه ومضمراً له من العداوة والغلّ، بالأمارات البيّنات الواضحات التي لا تحتاج معها إلى غيرها، بالذي لقيه به حين لقيه وثأوره. ولم يأت إليه شيئاً إلا عن بصيرة. وإن هو أيضاً تحرّى الأمر وسأل عنه ونظر فيه، عرف مصداق ما كنت قلتُ له؛ فإنّ النار التي تكون في الحجر والعود إنما تُستخرج بالحيل. وليس يخفى مثل ذلك؛ فإنّ جرم المرء، إذا فُحص عنه وفتش، ازداد استنارة واستبانة، كما أنّ كل نتن من حمأة وغيرها إذا تُورث ظهر ريحها وقدرها. ولقد علم الملك ومن حضر أنه لم يكن بيني وبين الثور أمر أضطغنه عليه ولا أبغيه به غائلة، وما كان يملك من ضرّ ولا نفع لي. ولقد كان الملك - فيما أعلمته من أمره حتى أبصر مصداقه - أفضل رأياً

وأشدّ عزمًا. وإني لأعرف أنه يتخوّف مثلها مني غير واحد من أهل الغشّ والعُدوان والعداوة للملك ،
فنصبوا لمصيّبي واجتمعوا على هلاكي .

فلما سمع الأسد قوله ارتاب به ، فأخرجه وأمر بالفحص عنه ورفعِهِ إلى القضاة لينظروا في أمره . فسجد دمنة للملك وقال : أيها الملك ، لست بحقيق بمعاجلة أحد بالعقوبة عن قول الأشرار دون الفحص والتثبت . وإني لواثق عن فحصك ببراءتي وتصديق مقالتني ؛ وقد قالت العلماء :
إنّ مَنْ استخرج النار من الحجر - وهي كامنة فيه - كالقادر أن يستخرج بالفحص وطول البحث ما خفي عليه من الأمور . ولو كنت مجرمًا سرّي تركك التفتيش عني ، ولما كنت مُرابطًا بباب الملك . ولو كنت مذنبًا هربتُ في الأرض وكان لي فيها مذهب ؛ ولكن - لثقتي وبراءتي ونصيحتي - لم أبرحه ولم أفارقه . وأنا أرغب إليه - إن كان في شك من ذلك - أن يأمر بالنظر فيه ، ويكون مَنْ يولّيه إيّاه ذا أمانة وإسلام⁷ ، لا تأخذه في الحق لومة لائم ، ولا يكون عنده محاباة لأحد ولا غمزه ، ويرفعُ إليه عذري وما يسمع من غيري فينظرُ فيه ولا يأخذه فيه أقاويل البغاة عليّ ، الحسدة لي ، فإنه قد كانت لي منه منزلة أنافسها وأحسد عليها . فإن هو لم يفعل ذلك فيّ ، ويكن رأيه عليه ، فلا مؤمّل لي ولا منجى إلاّ الله الذي يعلم سرائر العباد وخفيّ ضميرهم ؛ ولعليّ ألاّ أكونَ بذلك أضرّ منه . وقد كان يقال : إنّ الذي يعمل بالشبهة ولا يتنذّر عندها ولا



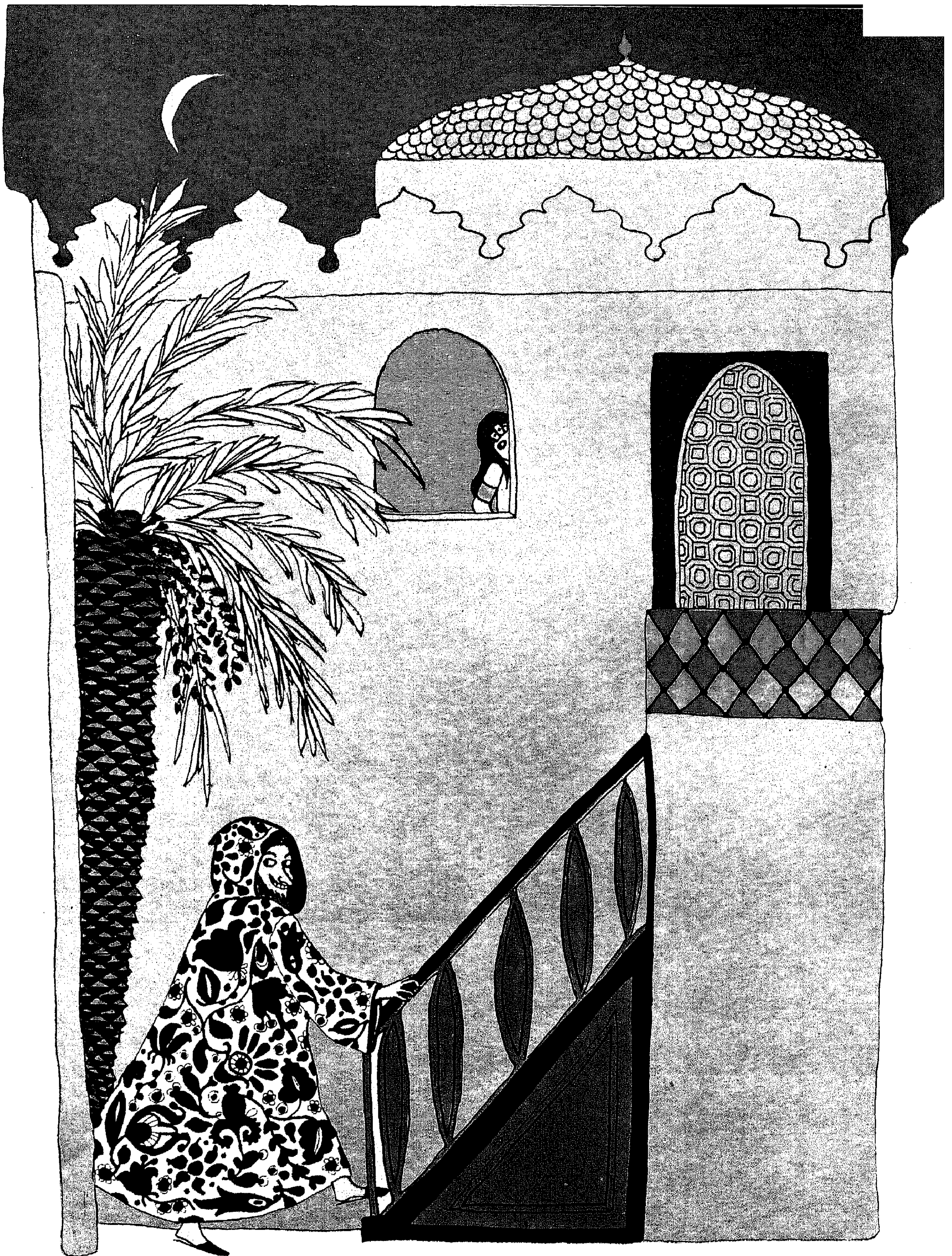
كل نتن أو حمأة إذا
ثورت ظهر ريحها وقدرها



يثبت فيها، يكون قد صدق ما ينبغي أن يشك فيه، وكذب ما ينبغي أن يصدق، فيكون أمره كأمر المرأة التي بذلت نفسها لعبدها حتى فضحها. قال الأسد: وكيف كان ذلك؟ قال دمنة: كانت بأرض كشمير مدينة تسمى برود، وكان فيها تاجر يقال له كبرغ⁸، وكانت له امرأة ذات حسن، وكان له جار مصور، وهو صديق لها. فقالت له المرأة في بعض أحيائها التي كان يأتيها فيها: إن استطعت أن تصنع شيئاً يكون علامةً بيني وبينك أطلع بها على مجيئك إذا جئتني بالليل من غير نداء ولا رمي ولا شيء يرتاب به، رفق ذلك بك وبى. قال المصور: نعم، ملاءة بقاء، بياضها كضوء القمر، وسوادها كسواد الحدقة، فإذا رأيته فخرجني فهي آية بيني وبينك؛ فأعجبها ذلك وفرحت به. وكان يأتيها في تلك الملاءة متى أراد. وسمع عبد التاجر حديث الملاءة، وكان لأمة المصور صديقاً، فطلب العبد إلى أمة المصور أن تُعيّره الملاءة التي له ليربها صديقاً له ويسرع ردها - وكان المصور غائباً في دار الملك - فأعطته إياها ولم ترتب بشيء من شأنه. فأخذها ومضى إلى سيده ليلاً، فلم ترتب به لما رأتها عليه، فظنته صديقها المصور فبذلت له نفسها، وقضى حاجته، ورجع العبد بها إلى الأمة فوضعها في موضعها. ولما مضت هدأة من الليل رجع المصور إلى بيته فلبسها ثم أتى المرأة. فلما رآته دنت منه وقالت له: ما شأنك؟ لقد أسرعت العودة بعد قضاء حاجتك. فلما سمع كلامها عرف أنه قد ذهب. ومضى من وقته إلى وليده فأوجعها ضرباً، فحدثته الحديث فأخذ الملاءة فخرقها وأحرقها.

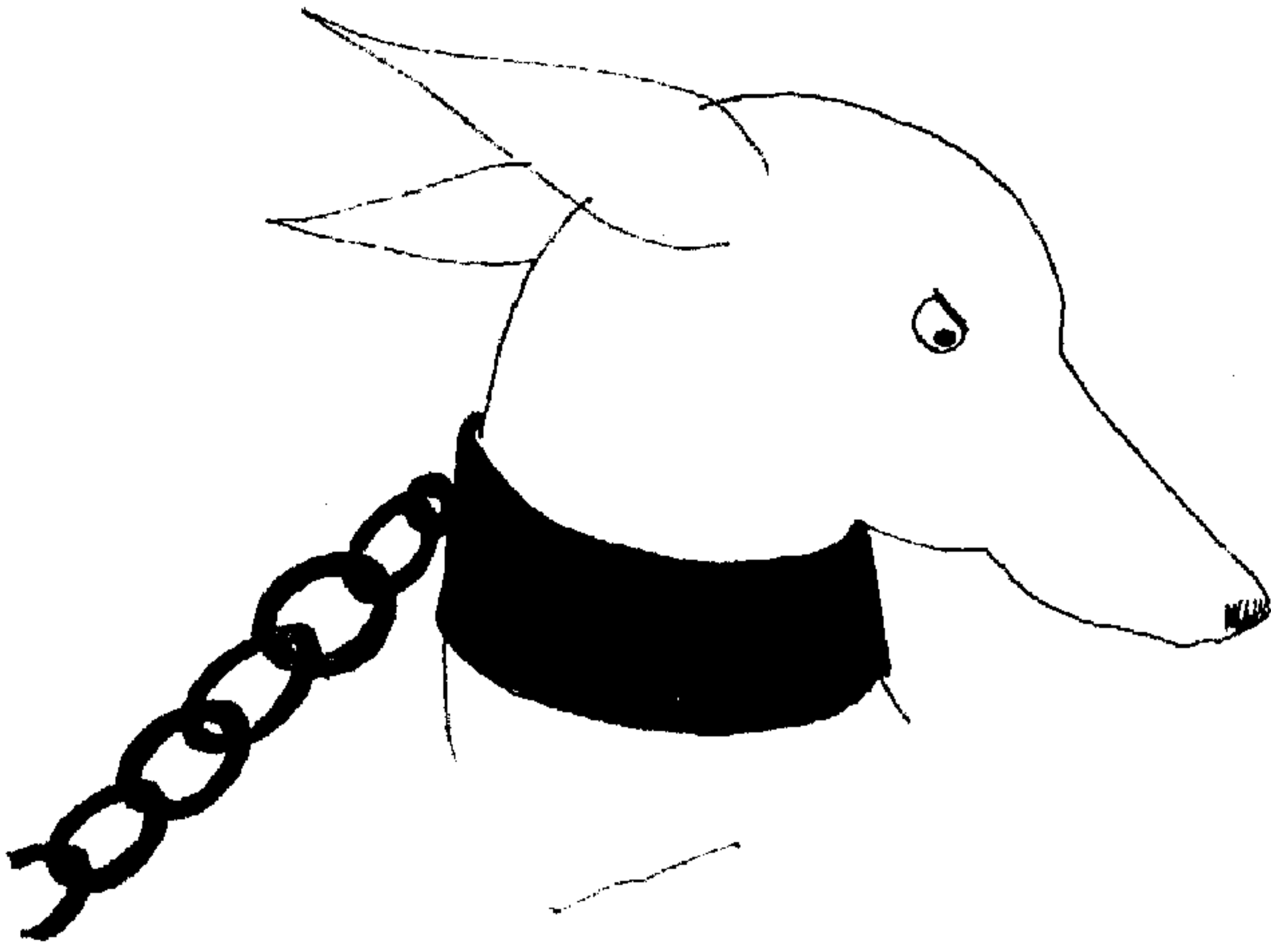
وإنما ضربت لك هذا المثل لئلا تعجل لأمر فيه تشبيه وكذب؛ فإن الكذب مُعنت لصاحبه. وأنت بالنظر في أمري جدير. ولست أقول ما تسمع شفقاً من الموت؛ فإنه - وإن كان كريهاً - لا منجى منه ولا مَحِيصَ عنه. ولو كنت أعلم لي مائة نفس، أعلم هواه في تلفها،

فاذا أتيتك بملاءة بقاء، بياضها كضوء القمر، وسوادها كسواد الحدقة، فخرجني



جُدْتُ بها له. فقال بعض جلساء الملك: لم تنطق بهذا لحبِّ الملك ولا لكرامته عليك، ولكن ذلك للدفاع عن نفسك، ولطلب الخلاص من الورطة التي قد لزمته، والتماس العذر مما وقعت فيه. فأقبل عليه دمنة فقال: إني إن كنتُ كما ذكرت، فلست أجدني مخصوماً ولا ملوماً على دفع البلاء عن نفسي ما استطعت، والتماس البراءة لها، وجرِّ العافية إليها. ولا أحد أقرب إلى الإنسان من نفسه، ولا أولى بنصحها وإظهار عذرها منه. فأما أنت فلك الويلُ بما أظهرت من ضعف عهدك وودك لنفسك وسوء حالها عندك وأنت عدوها فمن دونها أولى؛ وقد قالت العلماء: إنَّ المستهجن لنفسه المبغض لها، لغيرها أشناً وأقطع، ولن سواها أغش وأرفض. وما أنزه الملك عن صحبتك، بل أجدني منزهاً للبهائم عن أخلاقك، مكرماً لها عن خلطتك. فلما سمع ذلك من دمنة لم يُحرَّ جواباً. فقالت أمُّ الأسد: إنَّ من العجب انطلاقَ لسانك بالقول مجيئاً لمن تكلم، وقد كان منك الذي كان. فقال دمنة: فعلامَ تنظرين بعين واحدة وتسمعين بأذن واحدة؟ ولذلك شقيَّ جدِّي؛ مع أني أرى كل شيء تغير وتكفر، فليس أحدٌ ينطق بحق ولا يتكلم إلا بالهوى. ومن بباب الملك - لثقتهم بليته وطمانيتهم إلى كرمه - لا يتقون ذلك فيما وافق الحق أو خالفه؛ لأنه لا يغير عليهم ولا يبدئهم ولا يزجرهم. فقالت أمُّ الأسد: انظروا إلى هذا الفاجر الذي يركب الأمر العظيم، ثم هو يأخذ بأعين الناس ليُبطله ويُبريء نفسه منه. قال دمنة: إنَّ صاحب ما ذكرت من يُذيع السر ولا يدفنه، والرجل الذي يلبس لباس المرأة، والمرأة التي تلبس لباس الرجل، والضيف الذي يزعم أنه رب البيت، ومن ينطق في المجمع عند الملك بما لا يُسأل عنه. فقالت أمُّ الأسد: أما تعرف سوءَ عملك فتحذره، وتبصرُ غرّة قولك فتتقيها؟ فقال دمنة: إنَّ الذي يركب المنكر لا يُحبُّ لأحد خيراً ولا يدفع عنه مكروهاً. قالت أمُّ الأسد: أيها الفاجر، إنك لتجترىء على مثل هذا القول عند الملك! عجباً له كيف تركك حياً! فقال دمنة: إنَّ صاحب ما وصفت الذي يُؤتى بالنصيحة، ويمكّن من عدوه، فإذا استمكن منه قتله، ثم لا يشكر ذلك ولا يعرفه لمن فعله، ويريد قتله بغير ذنب اجترمه. فقالت أمُّ الأسد: أيها الكاذب، أترجو أن تنجو من ذنبك العظيم؟ فقال دمنة: إنَّ أهل ما ذكرت الذي يقول ما لم يكن؛ وإني نطقت بالحق، وحيث عليه بالثبِّ والحُجّة. فقالت أمُّ الأسد: ما الذي كنت قلت، وما الذي صدقته به؟ فقال دمنة: الملك يعلم أني لو كنت كاذباً، لم أقل هذه المقالة

فأمر الأسد بدمنة فقذفت في عنقه
جامعة



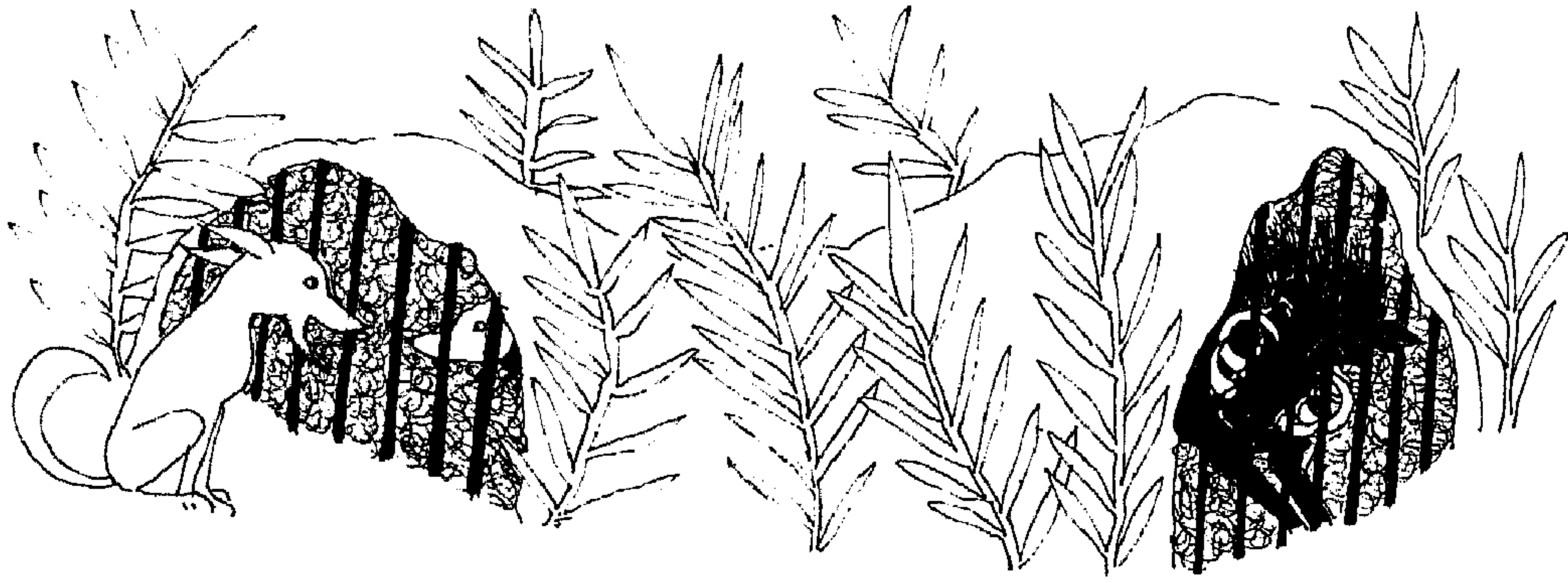
عنده؛ وإني أرجو أن يستبين له صدقي وبراءتي وصحة ما قلت. فلما رأت أمّ الأسد أنّ الأسد لا ينطق بشيء في أمر دمنة، شكّت في أمره وقالت: لعله مكذوب عليه فيما رُمي به؛ فإنّ المعتذر عند الملك بمحضر من الجند - لا يُردّ عليه شيء من منطقته - كشبهه بأن يكون مُحققاً فيما تكلم به .

فأمر الأسد عند ذلك بدمنة فقذفت في عنقه جامعةً ثم حبس، وأمر بالنظر في أمره. فقالت أمّ الأسد: لقد بلغني عن هذا الفاجر الكذاب شرٌّ ما يقال عن أحد، وتتابع الألسن عليه، وهو له مُحيل، وليس يخفى أمره عليّ. والذي ذكره لي الأمين الصدوق: فليسترح منه ولا يناظره. فقال الأسد: اسكتي عني واهدي، فإني ناظرٌ في أمره وفاحص عنه، وغير عاجلٍ عليه، ولا أشتري ضرّ نفسي باتّباع هوى غيري ممن لا أدري ما صدقُه من كذبه؛ من الذي وصفت؟ فسَمّيه لي. فقالت أمّ الأسد: هو خليلك ومؤدّبك وأمينك، النمر. فقال الأسد: بحسبك! سترين ما أصنعُ به وأمر فيه، فانصري. فلما ذهبت هداةً من الليل بلغ كليله أنّ دمنة قد حبس واستوثق منه، فانطلق إليه يهمس همساً. فلما رآه موثقاً، بكى بكاءً شديداً وقال:

* طوق *

قد بلغ الأمر يا أخي إلى ما لا أبالي ألا أغلظ لك معه في الكلام، ولا أستقبلك بما تكره منه. وإنه ليخطر ببالي ما كنت أشير به عليك، ولقد كنت رأيتُ ذلك وأبلغتُ في الموعظة، فلم تقبل مني ولم تأخذ به، لإعجابك برأيك. فويل لحلمك وفطنتك ! لقد ضلّا عنك ونزعا منك وذهبا مع حياتك ضياعاً. فقال دمنة. إنك لم تزل تتكلم بالحق وتأمّر به؛ ولكن لم أسمع منك - لما كان فيّ من الشره والشهوة، ولما كُتِبَ عليّ من البلاء - ولولا ذلك كان فيما وعظتني به ما مثله أنتهي إليه وأنتفع برأيك فيه. قالت العلماء: إن الذي لا يسمع من إخوانه ونصحائه يصير أمره إلى الندامة. وقد حلّ ذلك بي؛ ولكن ما عسيتُ أن أصنع؟ فإن الحرص وطموح العين يغلبان رأي الحليم ونظر العالم؛ كالمريض الذي قد عرف أن شهوته من الطعام مُضرةً به مُشدّدة للوجع عليه، فلا يدعُ تناولها والإصابة منها، فيزداد مرضاً، ولعله يموت منه. ولستُ أحزن اليوم على نفسي، ولكن عليك، لأنني أخافُ أن تؤخذ فيّ بسبب الذي بيني وبينك من القرابة، فتعذّب فلا تجد من إطلاعهم على أمري بدءاً، فأقتل بإظهارك سرّي وتصديقهم إياك عليّ. فقال كليله: قد فكرتُ في ذلك، وليس يُعدّلُ بالحياة شيء، وقد يُضطرّ الرجل إذا نزل به البلاء، إلى أن يقرب نفسه بما لم يفعل ولم يعلم، رجاء الحياة والتخفيف عنه؛ وقد قالت العلماء: إنه من أريدت مهجته لأمر يُسأل عنه، غير مقتصر على ما كان، ولكنه قائل ما لم يكن إشفاقاً عليها. فالذي وجلت منه نفسك عليّ هو ما حاذرت. وقد طال مقامي عندك، وأنا منطلق خيفة أن يدخل أحد فيراني عندك أو يسمع تحاورنا مستمع. وأنا أشير عليك أن تعترف بجرمك وتبوح بذنبك؛ فإنك ميت لا محالة، وإنك إن تُقتل في الدنيا بما كان منك، خيرٌ لك من العذاب الدائم في الآخرة، مع الأثمة الفجار. قال دمنة: قد صدقت فيما ذكرت، ولكن العمل به شاق؛ ولكني غير مُحيرٍ كلاماً حتى يُفرّق في أمري. ثم إن كليله انطلق إلى منزله فوقع في همّ وحزن، مخافة أن يؤخذ بذنب دمنة؛ فاستطلق بطنه فمات في ليلته.

وكان في السجن سبع، وكان نائماً قريباً من كليله ودمنة حيث اجتمعا في السجن،

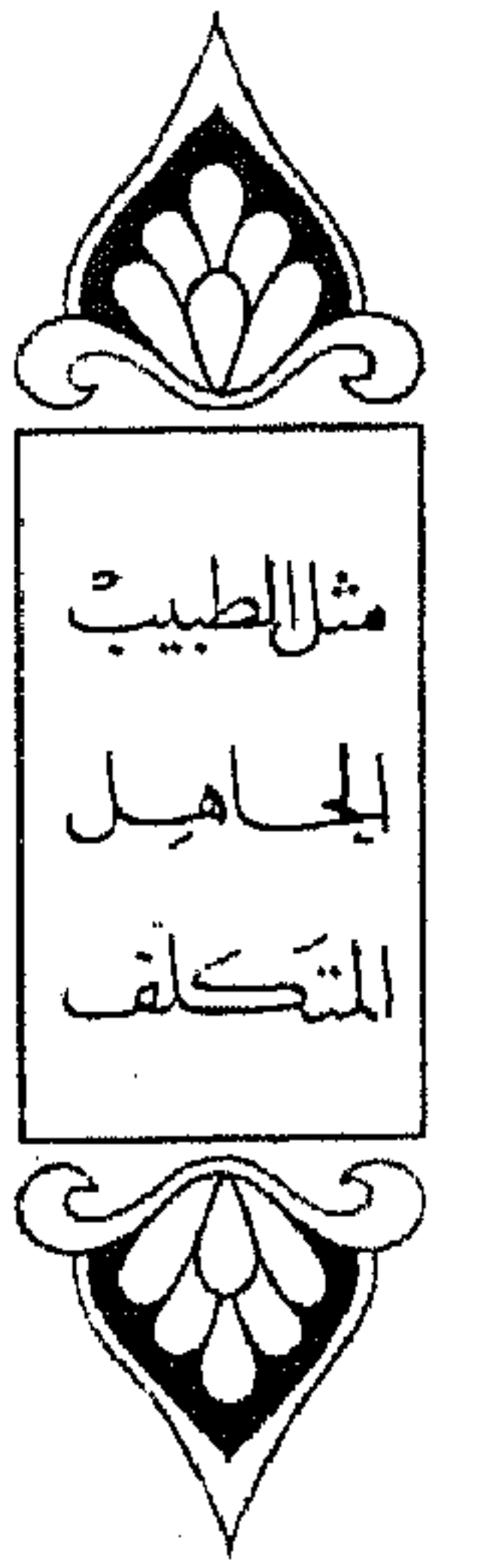


وكان في
السجن سبع
سمع جميع ما
تجاوزا فيه

فاستيقظ بكلامهما، فسمع جميع ما تجاوزا فيه وتراجعا بينهما، فحفظ ذلك وكتمه .
ثم إنَّ أمَّ الأسد دخلت عليه من الغد، فقالت: اذكر الذي وعدتني البارحة في أمر هذا
الفاجر، وقولك لجندك: إنه لينبغي للمرء أن يعمل بالتقوى ولا يتوانى في ذلك. وإني لا أعرف
أمراً أعظم أجراً من الاستراحة منه؛ فإنه قد قالت العلماء: إنَّ المعين لذي الآثام على خيانتته
شريكٌ له في أعماله. فأمرَ الأسدُ النمرَ والقاضيَ أن يجلسا ويدعوا بدمنة على رعوس الجند،
ثم يسألا عنه، ويرفعا إليه الذي يذكرون لهما منه⁹ وجوابه إياهم فيه، ولا يدعا من ذلك شيئاً
إلا أنهباه إليه. فخرجا لذلك وجمعا الجند، وبعثوا إلى دمنة. فلما أتى به توسط محفلهم، فانتصب
النمر قائماً وجهراً بصوته وقال: قد علمتم، معشرَ الجند، ما دخل على الملك من التألم بقتل
شنزبة والتوجع له، ولم يزل مهموماً حزيناً وجلاً أن يكون دمنةً شبه عليه في أمره، وأرهقه فيه
ميناً وباطلاً، وأحب أن يستيقن ذلك، وقد نصبنا للنظر في أمرهما؛ فأنتم أحقُّ ألا تكتموه سراً،
ولا تدخروا عنه نصحاً، ولا تخفوا عليه حرفاً. وليقل كل امرئ منكم ما يعلم، فإنه لا يحبُّ
أن يفرط بعقوبة أحد لهوى منه أو لغيره في ذلك، من غير استيجاب منه للعقوبة. فقال القاضي:
انظروا ما يتكلم به الأمين فاتبعوه. وقد سمعتم الذي قيل لكم فلا يكتمن أحدٌ منكم شيئاً علمه،
لثلاث خلال: أمّا واحدة فالصدق فيما استشهدتم به، وألا تجعلوا العظيم من الأمر في الحق
صغيراً، ولا ينبغي لكم أن تكرهوا وقوع القضاء على ما وافقكم أو خالفكم، ولا تُصغروا منه
شيئاً؛ وأيُّ عظيم أعظم من ستر عورة من أفرط الأخيار واستزلهم بوشيه وكيده؛ فالكاتم عليه

غير بريء من مضرّة حيلته ، ولا بعيدٍ من أن يكون شريكاً له في عمله ؛ فإنّ يسير الحق عظيم . وأفظعُ منه عند الله أن يُقتل بريء على غير ذنب ، لنميمة فاجر كذاب . والثانية أن عقوبة المذنب بذنبه مَقْمَعَةٌ لأهل الرّيبة ، ومصلحة للملك والرعيّة . والثالثة أن الأشرار إذا قُتلوا ونُفوا من الأرض كان في ذلك راحةٌ للملك والرعيّة وصلاح لهم ؛ فليقل كل امرئ منكم ما يعلم ، كما يكون القضاء في ذلك على الحق لا على الهوى والبغى . فرمق بعضهم بعضاً وأطرقوا مليّاً لا يُحِرون كلاماً لأنهم لم يعلموا من أمره علماً واضحاً يتكلمون به ، وكرهوا القول بالظنون تخوّفاً أن يفصل قولهم حكماً ، ويوجب قتلاً . فقال دمنة : ما يُسكتكم ؟ ليقل كل امرئ منكم ما يعلم . واعلموا أنّ لكل قرّبة ثواباً إما عاجلاً وإما آجلاً . ولا بد أن تقولوا في أمري بعلمكم ، وليعلم كل متكلم منكم أنّ منطقه في قولي حكمٌ في إحياء نفس أو موتها . واعلموا أنّ من قال ما لم ير ، وادّعى علم ما لم يعلم أصابه ما أصاب الطبيب الجاهل المتكلف . فقال له القاضي : وكيف كان ذلك ؟ قال دمنة :

زعموا أنه كان في مدينة من مدائن السند¹⁰ طبيب عالم رفيق ، فمات ، فنظروا في كتبه ، فكانوا ينتفعون بها ويتعلمون منها . فأتاهم رجل زعم أنه طبيب ، وأنّ له رفقا ، ولم يكن كذلك . وكانت لملكهم ابنة كريمة عليه ، وكانت حاملاً فأصابها بطن فجعلت تُحسّ الأعراض . فبعث الملك في طلب الأطباء فأتت رُسُلُه رجلاً منهم كان له علم ، على رأس فرسخ . فوجدوه قد عمي ، فوصفوا له وجع ابنة الملك ، فأمرهم أن يسقوها دواءً يقال له زامهران ، فرجعوا إلى الملك فأخبروه بذلك . فأمر أن يُطلب طبيب ليهيئ ذلك الدواء . فأتاه ذلك الرجل الجاهل فأخبره أنه عالم عارف بالأدوية وأخلاطها . فدعا الملك بالأسفاط التي فيها أدوية الطبيب ، فوضعت بين يديه ، فأخذ من أحدها صرةً فيها سمّ فجعل منها ومن غيرها زامهران . فلما رأى الملك سرعة فراغه من ذلك ظنّ أنه عالم ، فأمر له بحلّى وكسوة حسنة ، وسقى الجارية منه فلم تلبث أن تقطع أمعاؤها فماتت . وأمر أبوها فسقى الطبيب من الذي صنع لها من الأدوية فهلك .



وإنما ضربتُ هذا المثل في جماعتكم كيلا تتكلموا بما لم تعلموا - تلتمسون به رضا



ورمق بعضهم بعضاً، وأطرقوا ملياً. فقال دمنة: ما يسكتكم؟

غيركم - فيصيبكم ما أصاب ذلك الطبيب الجاهل؛ فإن العلماء قد قالوا: إنما جزاء كل أحد بقوله وفعله. وأنا بريء مما لُطِخت به، قائم بين أيديكم. فتكلم سيّد الخنازير¹¹ إِدلالاً بمنزلته من الأسد وأمه، فقال: اسمعوا معشر الجند، وتفكروا فيما أقول لكم؛ فإن العلماء لم يدعوا شيئاً من آيات الأسرار والأخبار إلا قد أثبتوه، وإنّ علامات الفجور في هذا الشقيّ ظاهرة، وقد



طار له مع ذلك نثاً* سوء. فقال عظيم الجند لرأس الخنازير : قد سمعنا ذلك، وقليلٌ من يعرفه، فأعلمنا ما الذي رأيتَ في هذا البائس. فقام رأس الخنازير وأخذ بيد دمنة وقال: إن في كتب العلماء أن من كانت عينه اليسرى صغيرة كثيرة الاختلاج، وأنفه مائلاً إلى شقه الأيمن، وما بين حاجبيه من الشعر متباعداً، ومنابتُ شعره ثلاث شعرات ثلاث شعرات، وإذا مشى نكس ولا يزال ملتفتاً إلى خلفه، فإنه صاحبُ نيمة وفجور وغدر؛ وهذه العلاماتُ كلها بينة في هذا الشقي. فقال دمنة: نحن كلنا تحت السماء ولسنا فوقها، وأنتم ذوو الأحلام وتقيسون بالعلم الكلام، وقد فهمتم ما قال فاستمعوا مني؛ فإنه يظن أنه لا أحد أعرفُ بالأمر منه، وأنه لا علم إلا علمه؛ وإن كان ما ذكر من العلامات حقاً، فلا أسمع أن أحداً يقدر على أن يعمل خيراً ولا شراً إلا بها، وإنما تجازون بذلك وتعاقبون عليه، وليس لامرئ من رأيه شيء؛ فليس مُجتهداً وإن حرص على الخير بنافعه حرصه، ولا مسيءٌ وإن أذنب بضائره ذنبه؛ وقد شقيتُ أنا بالعلامات التي في جسدي، وذلك أمرٌ ليس إليّ إن كانت، وأعوذ بالله أن تكون. ولو كان إلى الناس من ذلك شيء جعلوا فيهم أفضل ما يقدرون من الآيات والشامات، ولم يكن مني غير العادة، ولم

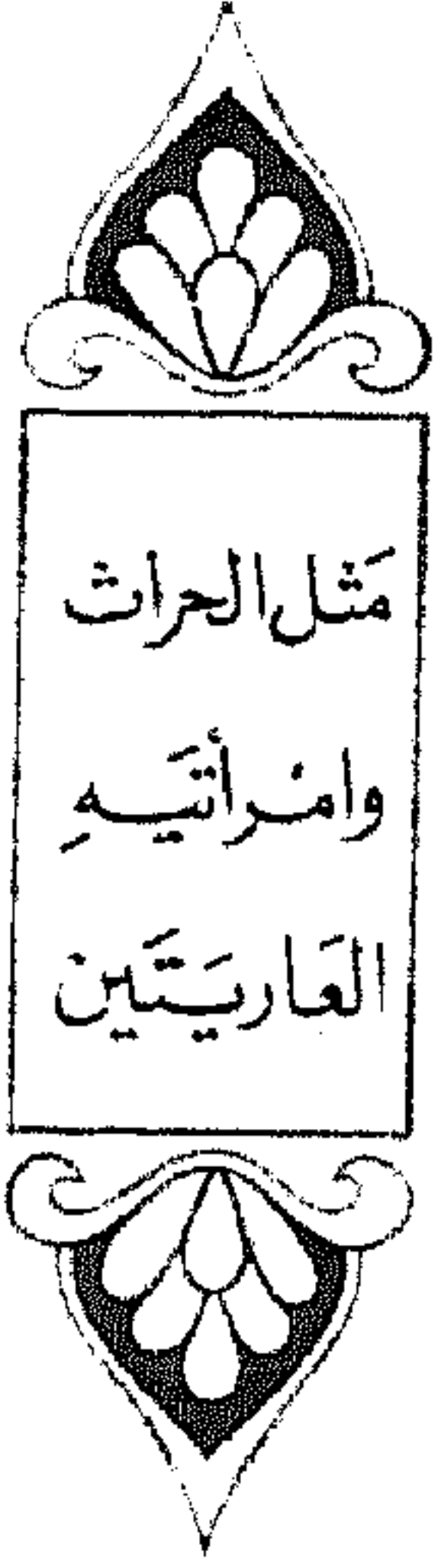
أركب غير الحق. وقد استبان لمن حضرك قلة عقلك وعلمك بالأمر وبصرك بها. وقد قال رجل مرة لامرأته: احفظي نفسك ثم اطعني على غيرك، ودعي الناس وأصلي عيوبك التي أنت بها أعرف، وذلك مثلك. فقال سيد الخنازير لدمنة: وكيف كان ذلك؟ قال دمنة:

زعموا أنه كانت مدينة تدعى برزجر¹² قد أغار عليها العدو، فقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية. فأصاب رجل من أولئك في الغنيمة رجلاً حراثاً وامرأتين له، فكان سيء إليهم في المطعم والمشرب ويضيعهم ويعريهم. فانطلق الرجل وامرأته ذات يوم يحتطبون، فوجدت إحداهما خارقة بالية في الصحراء فغطت بها عورتها. فقالت الأخرى لزوجها: ألا تنظر إلى هذه الزانية تمشي عريانة؟ فقال لها زوجها: ويحك، ألا تنظرين أنت إلى نفسك؟ فإن جسمك كله عار، وتعيبين التي قد غطت عورتها.

وأنت أيضاً أيها المتكلم، أمرك عجب حين تدنو من طعام سيدك وتقوم بين يديه، مع ما بجسمك من القدر والقبح والنتن واللؤم وما فيه من العيوب، ثم أنت تجترئ أن تقوم بين يدي



فانطلق الرجل
وامرأته يحتطبون



الملك وتلي طعامه. وقد علم عيوبك غيري من الجند، ولم يكن ينبغي لي التكلم بها، إلا أنه لم يكن يضرّ أحداً إكرامه إياك، وكنتُ لك أخواً وقد كنتُ أحفظك لذلك. فأما إذ باديتني بالعداوة ونظقتَ بالبهتان عليّ من غير علم، فإنه لا ينبغي أن يكون صاحب السلطان دباغاً ولا حجّاماً، دَع أن يكون بالمنزلة التي أنت بها منه. فقال رأس الخنازير: ألي تقول ما أسمع؟ فقال: نعم! حقاً لك أقول؛ فإنك قد جمعت أنك آدرّ مبسور¹³ تحكّ ذلك النهار كلّهُ، أفدع^{*} متسائل الخلق خبيثه. فلما سمع ذلك رأس الخنازير وما رماه به، خنقته العبرة فبكى لجرأته عليه وإغلاظه له. قال له دمنة: إنه لينبغي أن تبكي وتكثر دموعك؛ فإنّ الملك لو قد اطلع على أمرك وعلم الذي أنت عليه، أقصاك وأبعدك. فلما سمع ذلك أمينُ الأسد الذي أمره بحفظ ما يقولون - وكان اسمه شَهْرَخ¹³ - رفعه إليه، فعزل رأس الخنازير عن عمله، وأمر بإخراجه وإقصائه عنه.

وكتب النمر والقاضي ما قال دمنة وما قيل له، وختمًا عليه، وبعثا به إلى السجن.

ثم إن صديقاً لكليلاً يقال له فيروز¹⁴ انطلق إلى دمنة فأخبره بموت كليلة، فبكى بكاءً شديداً، وقال: ما أصنع اليوم بالحياة وقد هلك أخي وصفيّي؟ لقد صدق القائل: إن الإنسان إذا ابتلي أتاه الشرُّ من كل جانب، واكتنفه من الهمّ والحزن مثلُ الذي بي. وقد رزئت - مع ما دخل عليّ - بمؤدبي ومتعهدي بما فيه رشدي. وقد أبقى الله لي منك أخواً ليس بدونه؛ بل أرجو أن تكون أفضلَ منه عطفاً عليّ، ونظراً لي، وأن تهتم في أمري بما يعتني به أخو الحفاظ؛ فإن رأيتَ أن تنطلق إلى منزل كليلة فتأتيني بما كان لي وله فيه، فافعل. فلما جاء به أعطاه نصيبَ كليلة كلّهُ، وقال: أنت أحقُّ به من غيرك وطلب إليه أن يحضره عند الأسد بنحير، وأن يُعلمه ما تذكرُ أمُّ الأسد منه¹⁵ عنده. فوعده ذلك، وقبل ما أعطاه.

ثم إن فيروز غدا إلى الأسد فوافق النمرَ عنده والقاضي، قد أتياه بالكتب فوضعاها بين يديه.

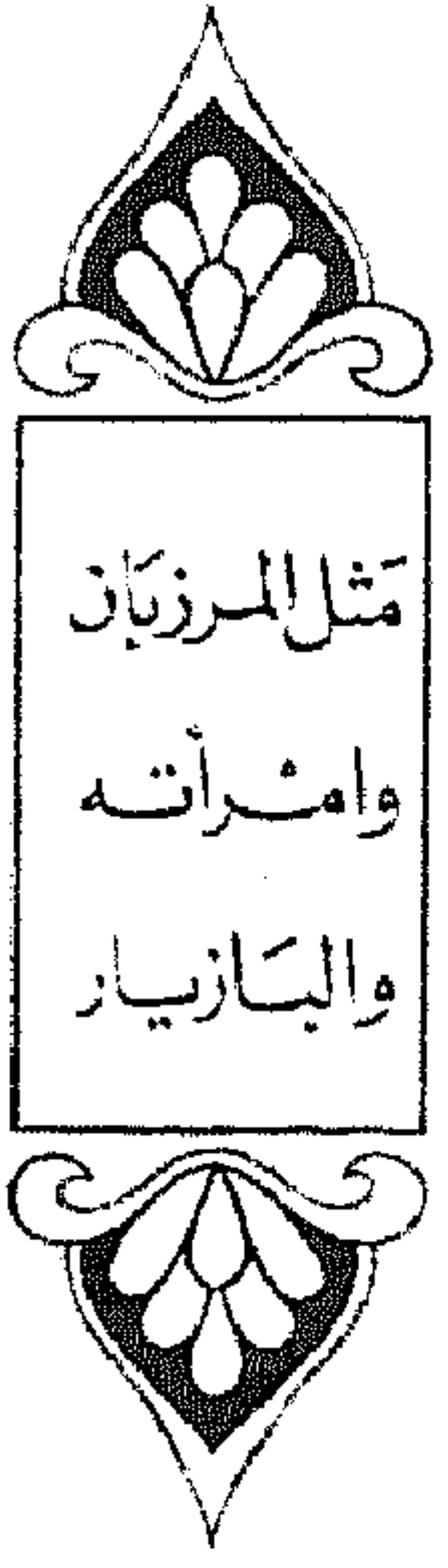


فلما سمع رأس الخنازير ما رماه به دمنة خنقته العبرة فبكى

فنظر فيها وأمر كاتبه بنسخها ودفعتها إلى النمر، وقال له وللقاضي: انطلقا بدمنة فقفاه للجند، ثم ارفعا إليّ ما يكون منه، وعُذره في ذلك. فلما خرجوا من عند الأسد أتته أمه فقراً عليها تلك الكتب. فقالت أم الأسد: لا تجدن عليّ إن أنا أغلظت لك في القول؛ فإني لا أراك تعرف ما يضرُّك مما ينفعك. أليس هذا ما كنتُ أنهاك عنه من استماع قول هذا الفاجر المحتال؟ فإنك إن استبقيته أفسد عليك جُندك وفرّق ملاءمهم. وانصرفت من عنده وهي غضبي عليه. ثم إن

فيروز أتى دمنة فأخبره بذلك. فبينما هو في حديثه إذ أتاه رسول القاضي فانطلق به إليه. فقال
 عظيم الجند: قد علمتُ أمرك وتيقنتُهُ، وأتاني به من هو عندي أمين، وليس ينبغي لي أن أسأل
 عن شأنك ولا أنظر فيه سوى ما قد فحصت؛ فإن العلماء قالت: إن الله جعل لكل شيء من
 أمر الآخرة علماً ومصداقاً في الدنيا دلت عليه أنبيأؤه ورسله؛ ولولا ما أمرنا به الملك - لرأفته
 ورحمته بالرعية - لكان القضاء بيناً عليك. فقال دمنة: إن منطلقك ليس بذى وجه ولا رافة
 ولا نظر في أمر مظلوم ولا طلب للحق والعدل؛ ولكني أراك راكباً لهواك، تريد قتلي ولم يستضىء
 لك شيء من أمري وما قُذِفْتُ به، ولم أبلغ ثلاثة أيام بعد. ولست بملوم بذلك عندي، لأن
 الفاجر لا يُحِبُّ الصلاح وأهله، ولا من يعمل أعمال التقى. فقال القاضي: إن حقاً على الوالي
 أن يُجازي المرء بصلاحه، ويعرفه له، لأنه أهلٌ لكل خير أتى إليه، وأن يُنكَل بالمجرم عن
 إساءته ويعذبه، ويعاقبه عليها، ليزداد أهل الخير في الصلاح رغبة، وأهل الجرائم عن الإساءة
 نزوعاً. ولعمري لأن تُعاقب في الدنيا، خيرٌ لك من أن تعذب في الآخرة غداً. فأقرّ بذنبك،
 وبؤ بساءتك، واعترف بصنيعك؛ فإنه أفضل لك في عواقب الأمور، إن أنت هُديت إلى
 ذلك ووفقت له. فقال دمنة: أيها القاضي الصالح، نطقت بالعدل، وقلت مقالة الحكماء.
 ولعمري إن من سعادة المرء ألا يبيع آخرته بدنياه فانية منقطعة، ولا يشتري روحاً يسيراً بعذاب
 طويل. ولكني مما قُرفتُ به بريء؛ فكيف أمر بقتل نفسي وأعين عليها وأنا مظلوم، بل أنطق
 بكذب لم أتفوه به ولم يعرف مني؟ فشديد عليّ أن أقرّ بما لم أعمل، وأن أبوء بما لم أجز،
 فأكون مُعيناً على نفسي، وشريكاً لمن أراد قتلي؛ فإنك تعرف عقاب من فعل ذلك في الآخرة.
 وأنا بريء العرض، بارز العذر؛ فإن أردتم قتلي مظلوماً فكفى بالله لي ناصراً. ولعل ذلك - إن
 فعلتموه - ألا يكون شرّ أموري لي عاجلاً وآجلاً. فأنا أقول اليوم مثل مقالتي أمس: اذكروا
 حساب الآخرة وعقابها، ولا تأسفوا غداً إذا دخلتم اليوم في أمر تندمون عليه حين لا تنفع الندامة؛
 فإن القضاة لا تقضي بظنونها، وأنا أعلم بنفسي منكم. وإياكم أن يُصيبكم ما أصاب القائل
 بما لا يعلم، وما لم يُحِط به خُبراً. فقال عظيم الجنود والقاضي: وكيف كان ذلك؟ فقال دمنة:

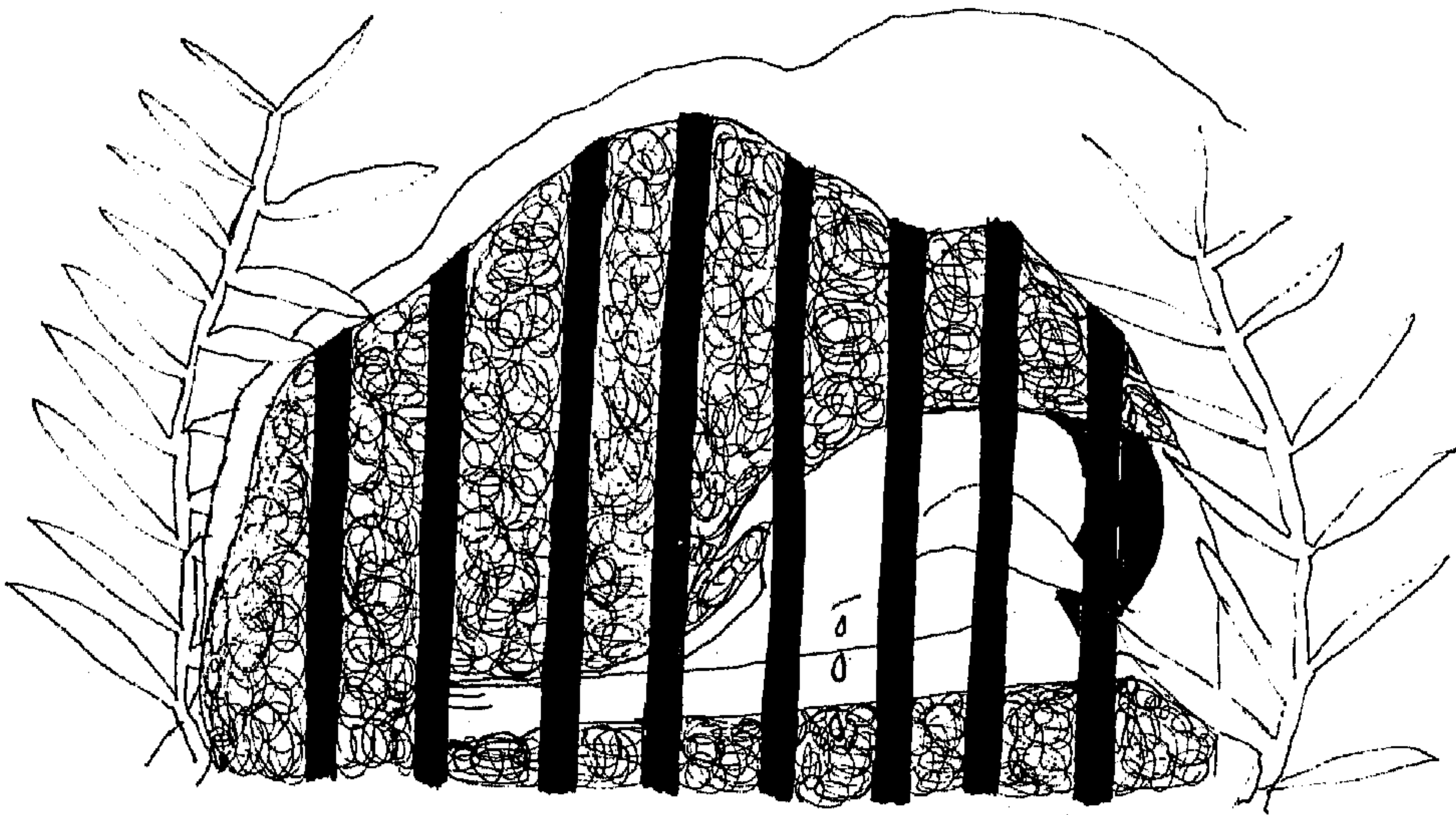
زعموا أنه كان مرزبان في مدينة فاروات¹⁶، وكانت له امرأة حسناء عاقلة. وكان للمرزبان



مثل المرزبان
وامراته
والبازيار

عبدُ بازيار¹⁷ ، وقد هويها وعرض لها مراراً؛ كل ذلك لا تلتفت إليه. فأضمر في نفسه فضيحتها؛ فخرج ذات يوم إلى الصيد فصاد فرخيَّ ببغاء فهاهما وكراً، وجعل يعلم أحدهما أن يقول: «رأيت البواب مضاجعاً مولاتي» وعلم الآخر أن يقول: «أما أنا فلست بقائل شيئاً». فحفظ الفرخان ذلك بلسان البلخية، ولم يكن أهل تلك البلاد يعرفونها. فلما كان ذات يوم ومولاه يشرب، إذ أتاه بهما، فصاحا بتينك الكلمتين بين يديه. فأعجب المرزبان ترجيعهما ما قالوا بأصواتهما - من غير أن يكون فقه شيئاً مما قالاه - وأمر امرأته بالاحتفاظ بهما والإحسان إليهما، وألطف الغلام وأحسن إليه؛ ومكثا عنده زماناً.

ثم إنه قدم عليه أناس من عظماء أهل بلخ، فصنع لهم طعاماً وشراباً. فلما أصابوا من ذلك دعا بالفرخين ليُعجبهم منهما، فصوتا. فلما سمعوا صياحهما نظر بعضهم إلى بعض ونكسوا رءوسهم حياءً منه، ثم قالوا له: هل تعلم ما يقولان؟ فقال: لا، غير أن ذلك لي مُعجب. فقال بعضهم له¹⁸: لا تجد علينا إن حدثناك به؛ فإن أحدهما يزعم - بلسان البلخية - أن البواب يفجر بامراتك، وأما الآخر فيقول: «أما أنا فلست بقائل شيئاً»؛ وإن من شأننا ألا نصيب في بيت امرئ - امرأته فاجرة - طعاماً. فنادى البازيار من خارج: أنا أشهد على مقاتلتهما أنها حق، وأني قد رأيت ذلك غير مرة. فأمر المرزبان بقتل امرأته. فأرسلت إليه أن أفحص عما ذكر لك، فسيبدو لك من الفاجر الكذاب؛ ومُر هؤلاء العظماء فليسألوهما ولينظروا هل يعلمان



فلما سمع دمنة
بموت كليله بكى
بكاء شديداً

أو يحسان من لسان البلخية غير هاتين الكلمتين، فتعلموا أنّ ذلك من تعليم البازيار، لأنه أرادني على نفسي فامتنعت منه. ففعل ذلك فكلموهما فإذا هما لا يُحسان غيرهما، فعرفوا أنّ ذلك من تعليم البازيار. فأرسل إليه فأتاه وعلى يده بازٍ. فقالت له المرأة: ويلك ! أنت رأيتني على ما قذفتني به ؟ قال: نعم ! فوثب البازي عليه فترع عينيه بمخالبه. فقالت له المرأة: لقد عجل الله لك النكال بكذبك عليّ؛ فإنك زعمت أنك عاينت ما لم تر، وشهدت عليّ بزور وباطلٍ .

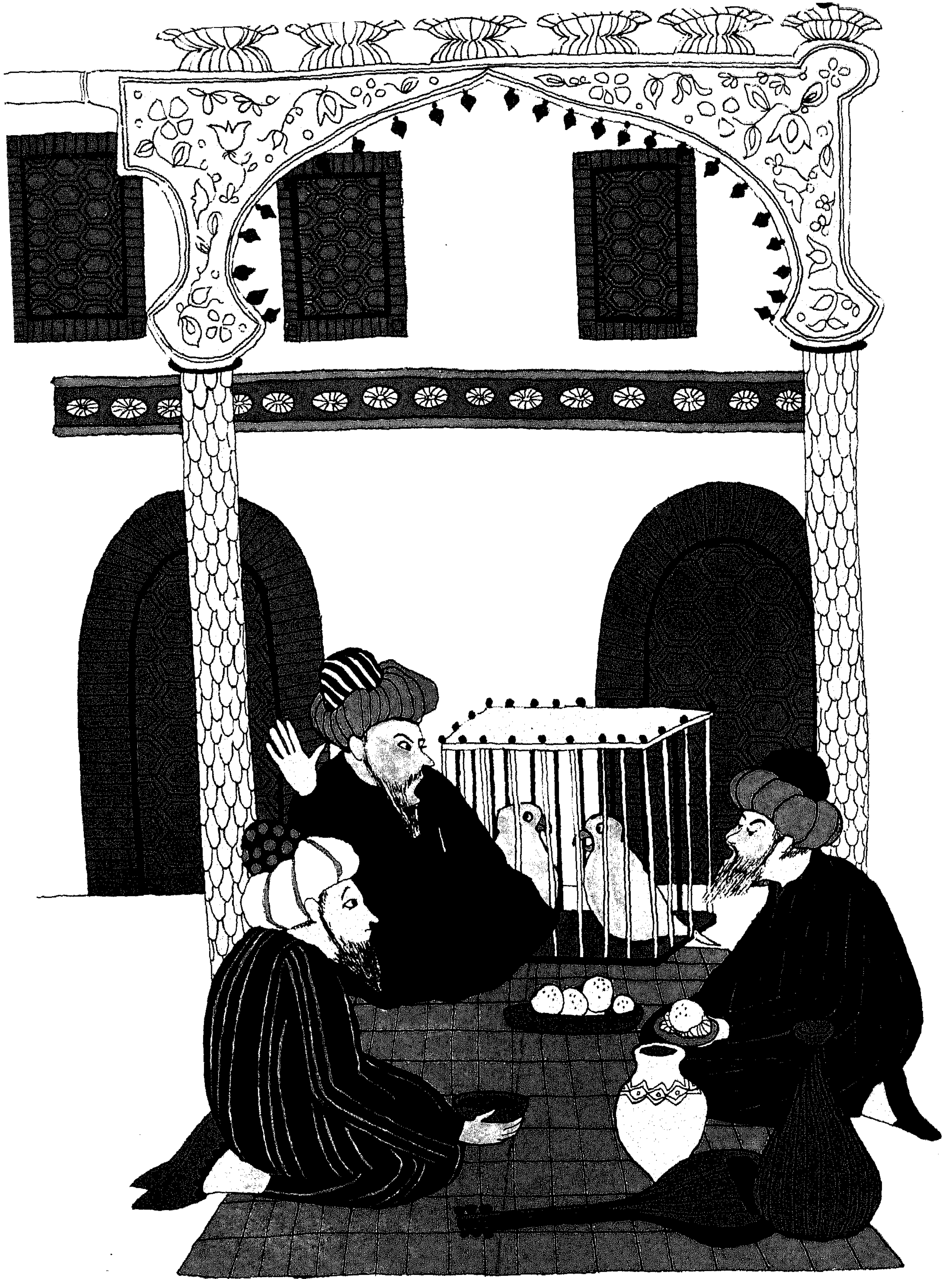
وإنما ضربت لكم هذا المثل لتعلموا أنّ من عمل بمثل ما عمل به البازيار من الافتراء والبهتان، كان جزاؤه العقوبة في العاجل والآجل .

ثم إن القاضي كتب ما قيل لدمنة، وما ردّ عليهم، وأرسل به إلى السجن. وانطلق عظيم الجند إلى الملك، وتفرّق سائرهم. وحُبِسَ دمنة بعد ذلك سبع ليالٍ يتكلم بعذره. فلم يقدرُوا أن يقرّروه بشيء من ذنبه، ولا يخصّموه فيه .

ثم إن أمّ الأسد قالت له: لئن أنت خلّيت سبيل دمنة - بعد الذي ارتكبت من الذنب العظيم - ليجترئنّ عليك جندك، ولا يتخوف منهم أحد - في فطيع يرتكبه - عقوبتك، ولينتشرنّ أمرك بما لا تطيقُ كمّ شعته، ولا شَعْبَ صدعه، ولا رتق فتقه. وأحضرت النمر فشهد على دمنة بما سمع منه، ومراجعة كليله إياه .

ولما شهد النمر بذلك، أرسل السبع المسجون - الذي سمع قول كليله لدمنة ليلة دخل عليه في السجن - أن عندي شهادة فأخرجوني لها. فبعث إليه الأسد، فشهد على دمنة بما سمع من قول كليله وتوبيخه إياه بدخوله بين الأسد والثور بالكذب والنميمة حتى قتله الأسد. وإقرار

فلما سمعا كلام الفرخين، قال أحدهما:
إنا لا نأكل في بيت امرئ امرأته فاجرة



دمنة بذلك¹⁹. فلما كررت أمُّ الأسد ذلك عليه وكلمته فيه ووقع في نفسه أن دمنة حملة على زَيْغٍ وأوطأه عَشْوَةً، أمر به ففُتِلَ شَرًّا قِتْلَةً .

ثم قال الفيلسوف للملك: فليُنظَرُ أهل التفكير في الأمور في هذا وأشباهه، وليعلموا أنه مَنْ يَلْتَمِسُ منفعةَ نفسه بهلاك غيره - ظالماً له بخديعة أو مكر أو خِلاَبة - فإنه غير ناجٍ من وِبال ذلك وعاقبته ومغيبته، وأنه مكافئٌ به ومَجْزِيٌّ بما عمل عاجلاً وآجلاً، وصائرٌ إلى البوار على كل حال .



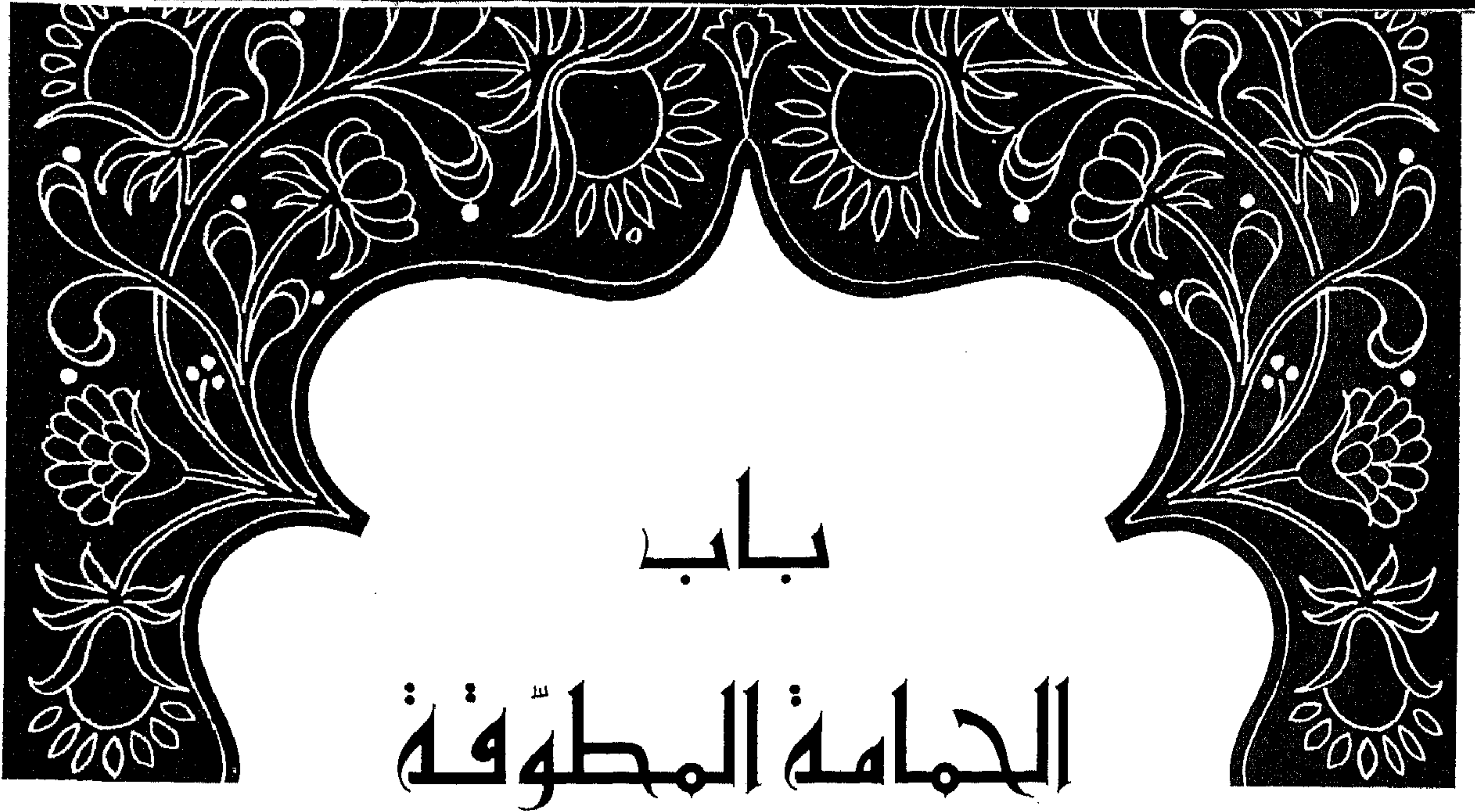
وقال السبع: إن عندي شهادة



باب

الجملة

المطوية



قال الملك للفيلسوف: قد فهمتُ مثلَ المتحايين يقطع بينهما الكذوب الخائن النمام، وما يصير إليه أمره؛ فأخبرني عن إخوان الصفاء كيف يبدأ تواصلهم، ويستمتع بعضهم ببعض.

قال الفيلسوف: إن العاقل لا يعدل بصالح الأعوان شيئاً من العُقد والمكاسب؛ لأن الإخوان هم الأعوان على الخير كله، والمواسون عند ما ينوب من مكروه. ومن أمثال ذلك مثلُ الحمامة المطوّقة والظبي والغراب والجُرذ والسُّلحفاة. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

زعموا أنه كان بأرض دستاد، عند مدينة يقال لها ماروات¹، مكان للصيد يتصيد فيه الصيادون. وكان في ذلك المكان شجرة عظيمة كثيرة الغصون ملتفة الورق، وكان فيها وكرُ غراب يقال له حائر². فبينما الغراب ذات يوم واقف على الشجرة إذ بصرُ برجل من الصيادين قبيح المنظر سيئ الحال، وعلى عنقه شبكة، وفي يده شرك وعصا، وهو مُقبل نحو الشجرة. فذعر الغراب منه وقال: لقد ساق هذا الصياد إلى ههنا أمرٌ، فما أدري ما هو! ألحيني أم لِحيني

غيري؟ ولكنني ثابتٌ على كل حال، وناظرٌ ما يصنع. فنصب الصياد شبكته ونثر فيها حَبَّه وكمَنَ قريباً؛ فلم يلبث إلا قليلاً حتى مرّت به حمامة يقال لها المطوّقة - وكانت سيّدة الحمام - ومعها حمام كثير. فرأت الحَبَّ ولم تر الشبكة، فانقضّت وانقضّ الحمام معها، فوقعن في الشبكة جميعاً. وجعلت كل حمامة منهنّ تضرب على ناحيتها وتعالج الخلاص لنفسها. فقالت المطوّقة: لا تخاذلن في المعالجة، ولا تكن نفس كل واحدة منكنّ أهمّ إليها من نفس صاحبته؛ ولكن تعاوننّ فلعلنا نَقلع الشبكة فينجي بعضنا بعضاً. ففعلن ذلك فانتزعن الشبكة حين تعاوننّ عليها، وطرن بها في علو السماء.

ورأى الصياد صنيعهنّ فاتبهنّ يطلبهنّ، ولم يقطع رجاءه منهنّ، وظنّ أنهنّ لا يطرن إلا قريباً حتى يقعن. وقال الغراب: لأتبعهنّ حتى أنظر إلى ما يصير إليه أمرهنّ وأمره. والتفتت المطوّقة فلما رأت الصياد يقفوهنّ* قالت للحمام: ها هو ذا جاء يطلبكنّ؛ فإن نحن أخذنا في الفضاء لم يخفَ عليه أمرنا، ولم يزل يتبعنا، وإن نحن أخذنا في الشجر والعُمران لم نلبث أن يغيب* عليه أمرنا، ولم يزل يتبعنا حتى يياس منا فينصرف؛ ومع ذلك إن قريباً من الطريق جحر جرد، وهو صديق لي، فلو انتهينا إليه لقطع عنا هذه الشبكة وخلّصنا منها. ففعل الحمام ما أمرتهنّ به المطوّقة، وخفين على الصياد فأيس منهنّ وانصرف.

وثبت الغراب على حاله لينظر هل للحمام من حيلة للخروج مما هنّ فيه فيتعلّمها وتكون عُدّة لنفسه إن وقع في مثلها. فلما انتهت المطوّقة إلى مكان الجرد أمرت الحمام بالنزول فوقعن، ووجدت الجرد قد أعدّ مائة جحر للمخاوف، فنادته المطوّقة باسمه - وكان اسمه زيرك³ - فأجابها من الجحر وقال: من أنت؟ فقالت له: خليلتك المطوّقة. فخرج إليها مُسرِعاً، فلما رآها في الشبكة قال لها: يا أختي، ما أوقعك في هذه الورطة وأنت من الأكياس؟ قالت له: أما تعلم أنه ليس من الخير والشرّ شيء إلا وهو محتوم على من يصيبه، بأيّامه وعِلّله ومُدّته وكُنّه ما يُبتلى به من قِلته وكثرتة؟ فالمقادير هي التي أوقعتنني في هذه الورطة، ودلّتنني على الحَب، وأخفت

* يتبعهن . ** يخفي ويستتر .

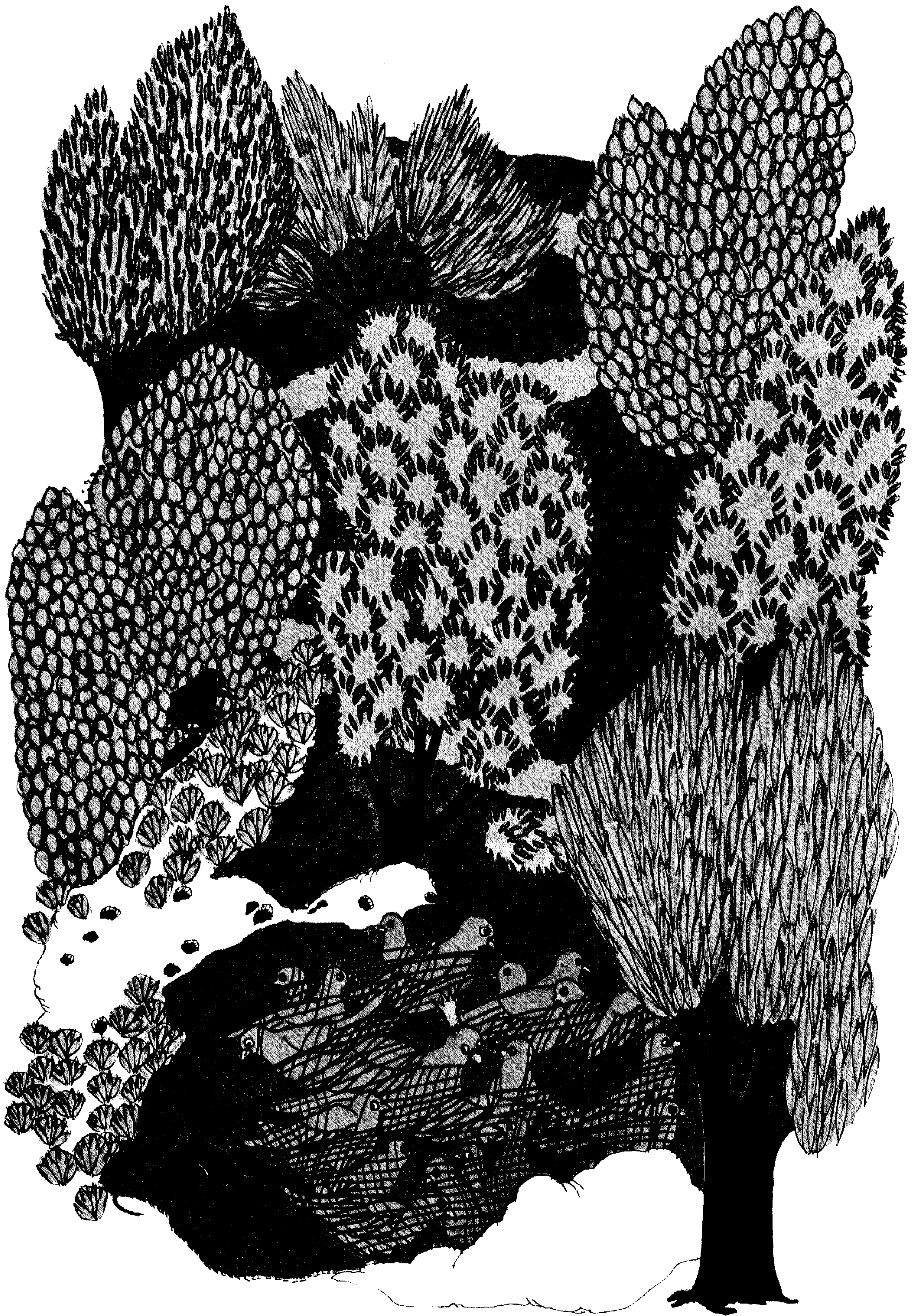
عليّ الشبكة حتى لَجَجْتُ فيها وصَوَّيحتاني. وليس أمري وقلة امتناعي من القدر بعجب؛ لأنّ المقادير لا يدفعها من هو أقوى مني. أما تعلم أنّ بالقدر تُكسف الشمس والقمر، وتصاد السمكة في البحر الذي لا يسبح فيه أحد، ويُستنزَلُ الطير من الهواء، إذا قضي ذلك عليهم. والسبب الذي يُدرك به العاجز حاجته هو الذي يحول بين الحازم وحاجته. ثم إنّ الجرذ أخذ في تقريظ العُقْد التي كانت فيها المطوّقة، فقالت له: ابدأ بتقريظ عُقد سائر الحمام قبلي وانصرف إليّ. فأعادت ذلك عليه مراراً - كلُّ ذلك لا يلتفت إلى قولها - فلما ألحّت عليه قال لها: قد كرّرت عليّ هذه المقالة كأنك ليس لك في نفسك حاجة، ولا ترين لها عليك حقاً. فقالت له المطوّقة: لا تُلمني على ما سألتك؛ فإني قد كُلفت لجماعتهنّ بالرياسة، فحقُّ ذلك عليّ عظيم. وقد أدّين إليّ حقي في الطاعة والنصيحة، بمعونتهنّ وطاعتهنّ، وبذلك نجّانا الله من الصياد. وإني تخوّفت - إن أنت بدأت بقطع عُقدتي - أن تملّ وتكلّ ويبقى بعض من معي. وعرفت أنك إن بدأت بهنّ وكنت أنا الأخيرة لم ترّض - وإن أدركك الكلال والفتور - حتى تخلّصني مما أنا فيه. فقال لها الجرذ: وهذا أيضاً مما يزيد أهل مودّتك فيك رغبة، وعليك حرصاً. وأخذ في قرص الشبكة حتى فرغ منها، وانطلقت المطوّقة والحمام راجعات إلى أماكنهنّ.



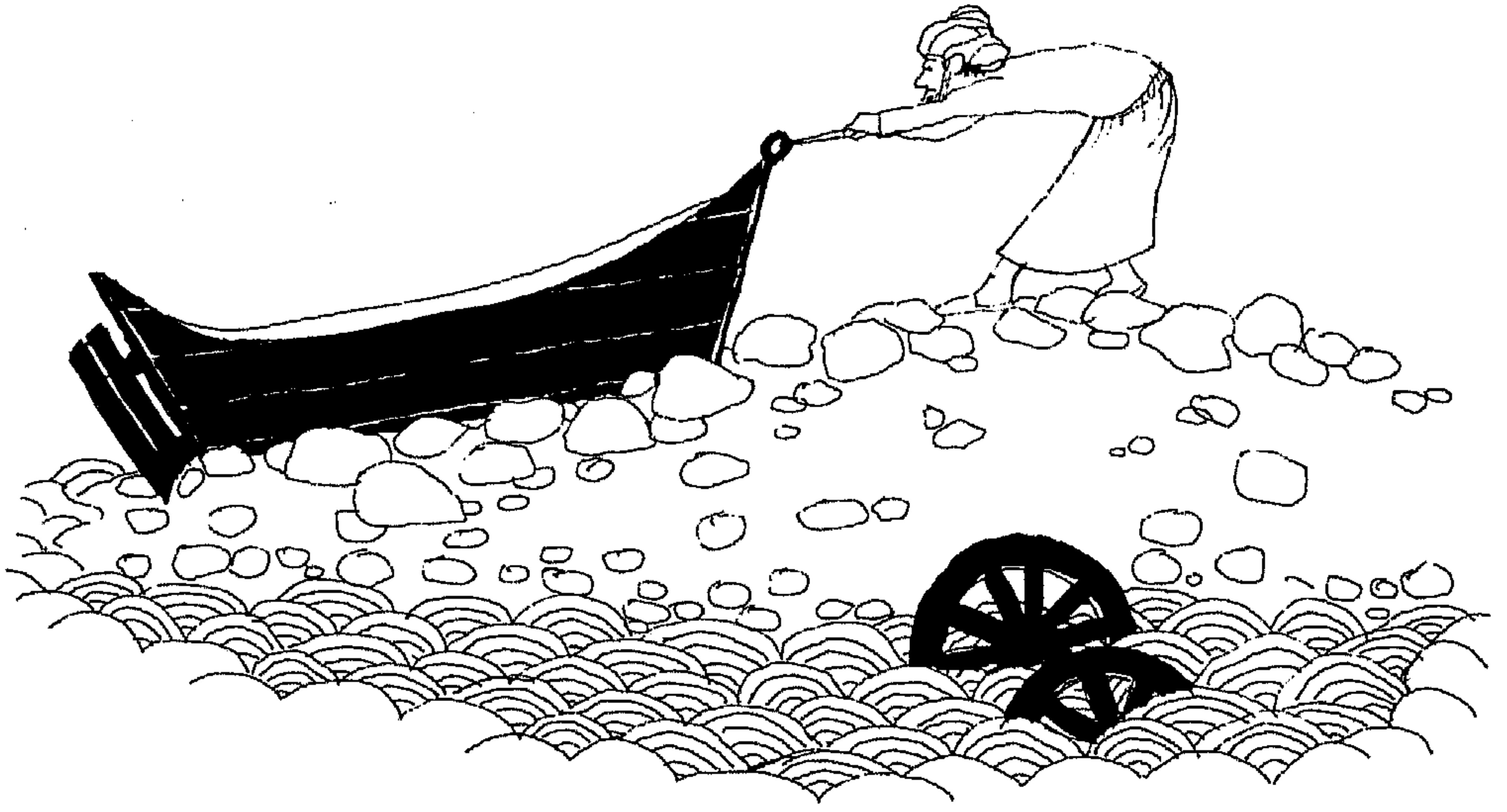
إذ بصياد قبيح المنظر يقبل وعلى عنقه شبكة وفي يده شرك وعصا

فلما رأى الغراب صنع الجرذ وتخليصه الحمام، رغب في مصادقته وقال: ما أنا بآمنٍ أن يُصيبني ما أصابهنّ، ولا أنا عن مودة الجرذ بغنيّ. فدنا من جُحره وناداه باسمه. فقال له: مَنْ أنت؟ فقال: أنا الغراب؛ كان من أمري كَيْتَ وكَيْتَ، فلما رأيتُ وفاءك لأصدقائك، رغبْتُ في إخائك وجئتُ أطلب ذلك منك. فقال الجرذ: ليس بيني وبينك سبيلٌ تَواصلُ. وإنما ينبغي للعاقل أن يلتمس من الأمور ما يرجو دَرَكَه، ويترك طلب ما لا يقدر عليه، لئلا يُعدَّ جاهلاً، كرجل أراد أن يُجري السفن في البرّ، ويَجْر العَجَل على الماء، وليس إلى ذلك سبيل. وكيف يكون بيننا سبيلٌ تَواصلُ! وإنما أنا لحم وأنت آكل لحم فأنا لك طُعم! قال الغراب: اعتبر بعقلك؛ إن أكلي إياك - وإن كنتَ طعاماً لي - لا يُغني عني شيئاً. وإن في بقائك ومودّتك أنساً لي. واعتبر بما جرّبت طول الدهر؛ هل تجد من يبيع منفعته بمضرّته، على علم منه بذلك؟ وإني لم أرغب فيك - إذ رغبْتُ - إلا لنفسِي والمنفعة لها؛ فإنّ بقاءك لي فيه منفعةٌ من نائبة أو نازلة تنزل بي. وأنت حقيقٌ - إذ رغبْتُ فيك - ألا تُبعدني من نفسك، ولا تنازعك النفس إلى سوء الظنّ مع ما أسوِّغك من نفسي، وأوثق لك من عهدي. وقد ظهر منك جميل الخلق، وذو الفضل لا يخفى فضله - وإن هو أخفاه وكتمه بجهد - كالمسك الذي يخفى ويكتم، ثم لا يمنع ذلك رائحته أن تفوح. فلا تُغيّر عليّ ودّك، ولا تمنعني خلّتك. فقال الجرذ: إن أشدّ العداوة عداوة الجواهر، وهي ضربان: منهما عداوة من يجتريان على ذلك كعداوة الأسد والفيل؛ فإنه ربما قتل الأسد الفيل، وربما قتل الفيل الأسد. والأخرى إنما ضرّها من أحد الجانبين على الآخر، كعداوة ما بيني وبين السنور، وبينك وبينك؛ وليست لضرّ مني عليكم، ولكن للشقاء الذي كتب الله عليّ منكم. وليس من عداوة الجواهر صلح إلا ريثما يعود إلى العداوة؛ وليس صلح العدو بموثوق به، ولا مَرَكُونٍ إليه؛ فإنّ الماء إن هو أُسخِن بالنار وأطيل إسخانه، لم يمنع ذلك من إطفاء النار إذا صبَّ عليها، ولا تمنعه سخونته من الرجوع إلى أصل جوهره. وليس ينبغي للعاقل أن يغرّر بصلح العدو ومصاحبته؛ فإنه يكون كصاحب الحية الذي

وأخذ الجرذ في قرص الشبكة



رجل أراد أن
يجري السفن
في البر ويجر
العجل على
الماء



وجدها وقد أصابها البرد فأخفاها في كُمِّه، فلما دَفِيَء النهار عليها ووجدت سخونة الثياب ،
تحركت فنهشته. فقال لها: أهذي مكافأتي على جميل فعلي بك وصنيعي إليك ؟ فقالت له :
هذا لي دَاب وعادة وخلق وطِباع. وأحمق الناس المریدُ لإزالة شيء عن أصله وطِباعه إلى غير
أسه وجوهره. ولا يستأنس العاقل إلى عدوّه الأريب، بل ما يستوحش منه أكثر. قال الغراب :
قد فهمت ما تقول. وأنت حقيق أن تأخذ بفضل خليقتك، وتعرفَ صدق مقالي، ولا تُصعّب
الأمور عليّ بقولك : ليس لنا إلى التوصل سبيل ؛ فإنّ العقلاء الكرماء يبتغون إلى كل معروف
ووصلة سبيلاً . والمودّة بين الصالحين سريعٌ اتصاها، بطيء انقطاعها؛ ومثل ذلك مثل كوز
الذهب الذي هو بطيء الانكسار، سريع الإعادة والصلاح إن أصابه ثلمٌ أو وهن. والمودّة
بين الأشرار سريعٌ انقطاعها، بطيء اتصاها؛ كالإناء من الفخار مكسره أدنى شيء ثم لا وصل
له أبداً. والكريم يودّ الكريمَ على لقيّةٍ واحدة ومعرفة يوم فقط؛ واللثيم لا يصل أحداً إلا عن
رغبة أو رهبة. وأنت كريم، وأنا إلى وُدِّك محتاج؛ وأنا لازمٌ بابك وغيرُ ذائق طعاماً ولا شراباً
حتى تؤاخيني. فقال له الجرذ: قد قبلتُ إخاءك، فإني لم أردَ أحداً عن حاجة قط. وإنما ابتدأتك

• الثلم: انكسار الحافة.

بما سمعت، إرادة الإعذار إلى نفسي؛ فإن أنت غدرت بي لم تقل: وجدت الجرذ ضعيف الرأي سريع الانخداع. ثم خرج إليه من جُحره فأقام عند بابه. فقال له الغراب: ما يحبسك ويمنعك من الخروج إليّ والأُنس بي؟ أو في نفسك ريبٌ مني بعد؟ فقال الجرذ: إن الإخوان أهل الدنيا يتعاطون بينهم أمرين ويتواصلون عليهما: ذاتُ النفس وذاتُ اليد. فأما المتعاطون ذاتَ النفس فهم المتعاونون المتصافون، يستمتع بعضهم ببعض. وأما المتعاطون ذاتَ اليد فهم المتعاونون المستمتعون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض. ومن كان إنما يصنع المعروف ابتغاءَ الأجر والاكتساب لبعض شئون الدنيا فإنما مثله - فيما يُعطي ويبدل - مثلُ الصياد وإلقائه الحبَّ للطير، لا يريد بذلك منفعتَه، بل يريد بذلك نفعَ نفسه. فتبادلُ ذاتِ النفس أفضلُ من تبادلِ ذاتِ اليد. وإني قد وثقتُ بذاتِ نفسك ومنحتك مثلَ ذلك من نفسي. وليس يمنعني من الخروج إليك سوءُ ظنِّ مني بك؛ ولكن قد عرفت أن لك أصحاباً جوهرهم كجوهرك، وليس رأيهم فيِّ كرايك؛ وأنا أخاف أن يراني بعضهم فيهلكني. قال الغراب: إن من علامة الصديق أن يكون لصديق

وأخفى الحية في كفه فلما دفىء النهار تحركت فنهشته

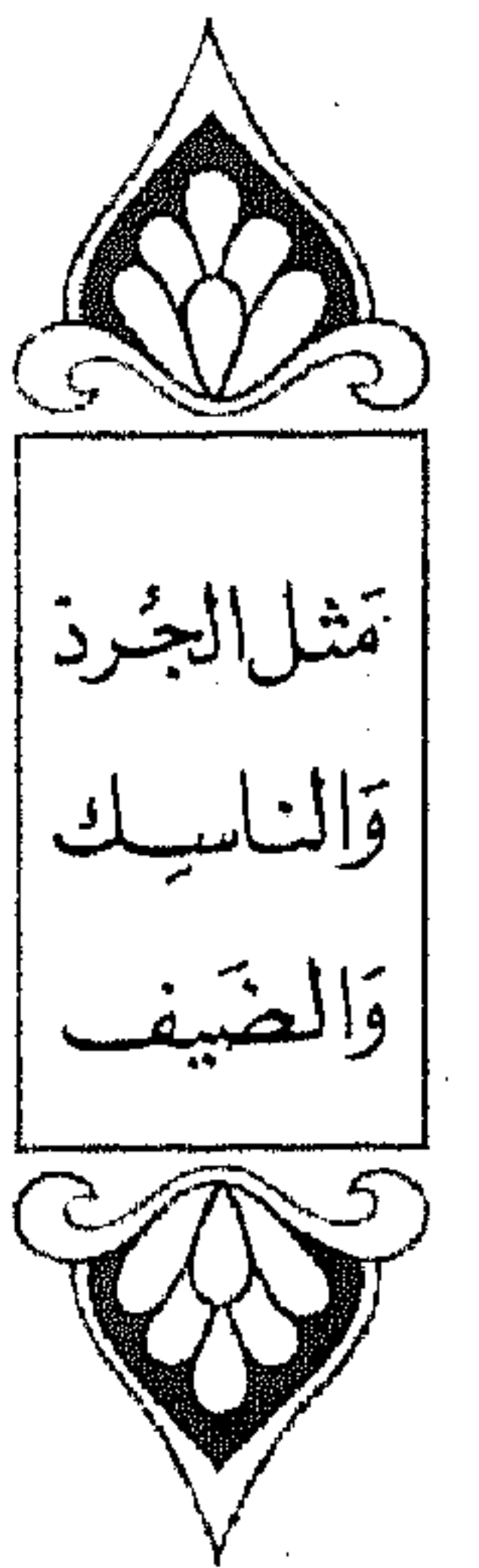


صديقه صديقاً، ولعدو صديقه عدواً، وليس لي بصاحب ولا أخ من لم يكن لك مُحباً ولا فيك راغباً. وقد تهون عليّ قطيعة من كان عدواً لك؛ فإن صاحب الجنان إذا نبت في جناحه ما يفسدها ويضرها اقتلعه وقذف به .

ثم إن الجرذ خرج إلى الغراب فتصافحا وتصافيا وتصادقا وأنس كل واحد منهما إلى صاحبه حتى أتت عليهما أيام. فقال له الغراب: إن جُحرِكَ قريب من طريق الناس، وأنا أخشى أن يرموني فأعطب، وقد عرفت مكاناً ذا عِزلة وخصبٍ من السمك والماء، ولي فيه صديق من السلاحف وأنا أريد أن أنطلق إليه وأعيش معه آمناً مطمئناً. فقال الجرذ: وأنا أذهب معك، فإني لمكاني هذا كاره. فقال الغراب: وما يُكرهه إليك؟ فقال الجرذ: إن لي أخباراً وقصصاً سأُسِرُّها إليك لو قد انتهينا إلى حيث تريد. فأخذ الغراب بذنب الجرذ فطار به حتى دنا من العين التي فيها السلحفاة. فلما رأت الغراب ومعه جرذٌ ذُعرت منه ولم تعلم أنه صاحبها، فغاصت في الماء. فوضع الغراب الجرذ على الأرض ووقع على شجرة قُربها ونادى السلحفاة باسمها. فعرفت صوته فخرجت إليه ورحبت به وسألته من أين أقبل. فأخبرها بسببه حين تبع الحمام، وحضوره أمرهن، وما كان من أمره وأمر الجرذ حتى انتهى إليها. فعجبت السلحفاة من عقل الجرذ ووفائه، ودنت منه ورحبت به، وقالت له: ما ساقك إلى هذه الأرض؟ فقال الجرذ: رغبتُ في صحبتكم والإقامة معكم .

ثم إن الغراب قال للجرذ: رأيت الأخبار والقصاص التي زعمت أنك مُسِرُّها إليّ؛ حدث بها الآن واقصصها عليّ، فإن السلحفاة منك بمنزلي. فقال الجرذ:

كان أول منزلي في مدينة يقال لها ماروت⁴، في بيت رجل من النّسك لم يكن له عيال. وكان يؤتى كل ليلة بسلة من طعام، فيتعشى منه ثم يضع فيها بقيته ويعلقها؛ فأرصده حتى يخرج، ثم آتي إليها فلا أدع فيها شيئاً إلا أكلته ورميتُ به إلى الجرذان. فجهد الناسك مراراً على أن يجعلها في مكان لا أناله، فلم يقدر على ذلك. ثم إن الناسك نزل به ضيف ذات ليلة فأكلا جميعاً، حتى إذا كانا عند الحديث قال الناسك للضيف: من أي أرض أنت؟ وأين وجهك الآن؟ وكان الضيف رجلاً قد جال الآفاق ورأى الأعاجيب، فأنشأ يحدثه عما وطىء





وخرج الجرذ من جحره

من البلدان ورأى من الأمور. فجعل الناسك يصفقُ يديه أحياناً لِيُنْفِرَنِي عن السَّلَّة. فغضب الضيف من ذلك وقال: أنا أحدثك وتهزأ بي وتصفقُ بيديك ! فما حَمَلَك على أن تسألني وأنت تفعل هذا ؟ فاعتذر إليه وقال: إني لم أرتب بحديثك - وقد لذّ لي - ولكن كنتُ أفعل الذي رأيتَ لأنفَرَّ جُرْذاً في البيت لستُ أضعُ فيه طعاماً إلا أكله؛ وقد شقَّ عليَّ ذلك. فقال له الضيف: أجرذ واحد هو أم جرذان كثيرة ؟ فقال الناسك: جرذان البيت كثيرة، وفيها واحد هو الذي قد آذاني وبرح بي، ولا أستطيع له حيلة. فقال له الضيف: ما هذا إلا لشيء، وإنه لِيُذَكِّرُنِي

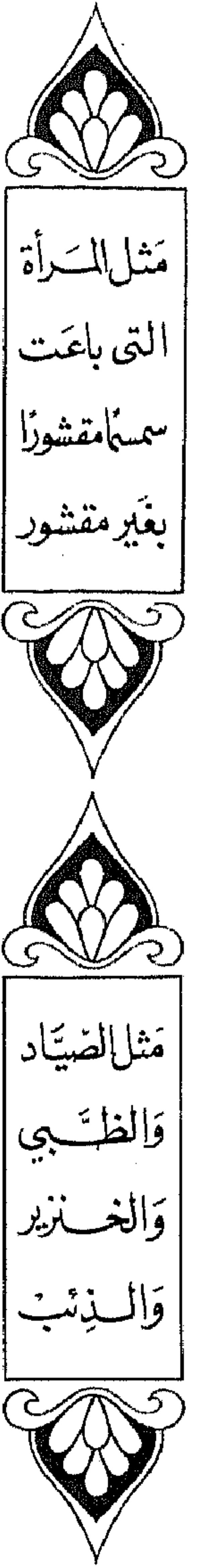
قول الرجل الذي قال: لأمرٍ ما باعت هذه المرأة السمسم المقشور بغير المقشور. قال الناسك:
وكيف كان ذلك؟ فقال الضيف:

نزلت مرةً برجل بمدينة كذا وكذا فتعشنا جميعاً، ثم فرش لي وانصرف إلى مضجعه مع
صاحبتة - وكان بيني وبينهما خصٌّ من قَصَبٍ - فسمعت الرجل يقول لامرأته: إني أريد
أن أدعوك غداً رهطاً يأكلون عندي. فقالت: وكيف تفعل ذلك وليس لك في بيتك فضلٌ عن
عِيالك، وأنت رجل لا تُبقي شيئاً ولا تدخره؟ فقال لها: لا تندمي على شيءٍ أطعمناه وأنفقناه؛
فإنَّ الجمع والادّخار ربما كان عاقبةً لصاحبهما كعاقبة الذئب. قالت المرأة: وكيف كان ذلك؟
قال الزوج:

خرج رجل من القنّاص غادياً بقوسه ونشابه يلتمس الصيد. فلم يُجاوِز بعيداً حتى رمى
ظبياً فأصابه، وحمله ورجع منصوراً يريد منزله. فعرض له في طريقه خنزير فحمل عليه، فوضع
الرجلُ الظبي وأخذ القوس ورماه بالسهم فأنفذه، وأدركه الخنزير فضربه بناه ضربةً أطارت القوس
والنشاب من يده، فوقعا جميعاً ميّتين. فأتى عليهما ذئب، فلما رآهما وثق بالخِصب في نفسه
وقال: ينبغي أن أدخر ما استطعت؛ فإنه من فرط في الجمع والادّخار فليس بحازم. وأنا جاعلٌ
ما وجدتُ كترًا، ومكتفٍ يومي هذا بوتر القوس. فدنا منه ليأكله؛ فلما قطع الوتر طارت القوس
فأصابته سيّتها* مقتلاً من جوفه فمات.

وإنما ضربتُ لك هذا المثل لتعلمي أنَّ الحرص على الجمع والادّخار وخيم العاقبة. فقالت
له المرأة: نعيمًا قلت؛ وعندني من الأرز والسمسم ما فيه طعام لستة رهط أو سبعة. وأنا غاديةٌ
على صنيعه، فادعُ من أحببت غداً. وأخذت - حين أصبحت - في قشر السمسم فبسطته في

وأخذ الغراب بذئب الجرذ وطار به



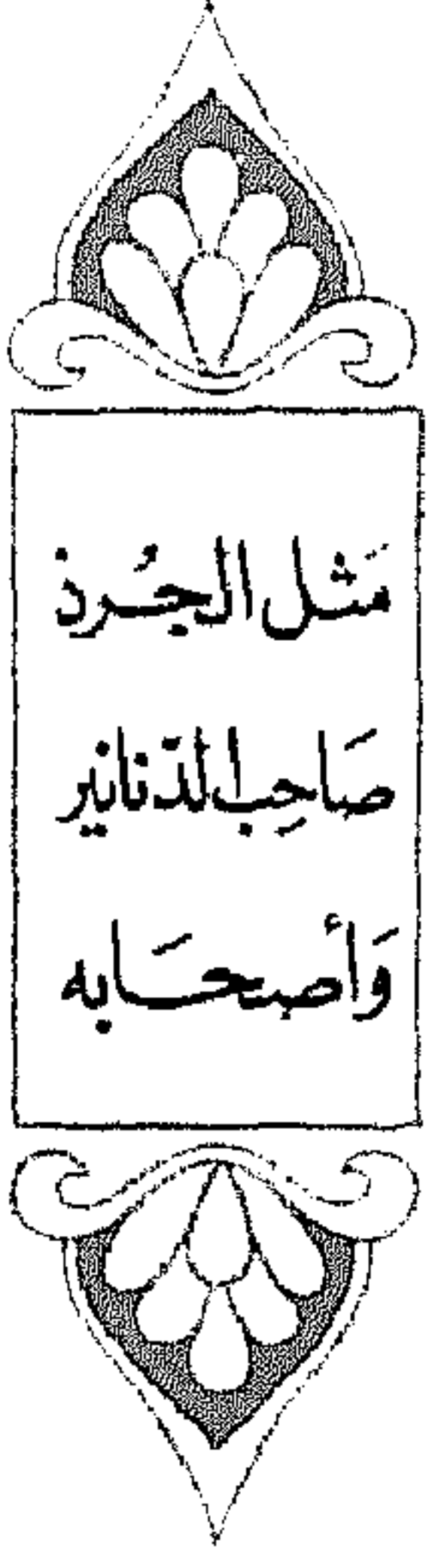
كوخ . * طرفها .





وجعل الناسك يصفق لينفر الجرذ عن السلة

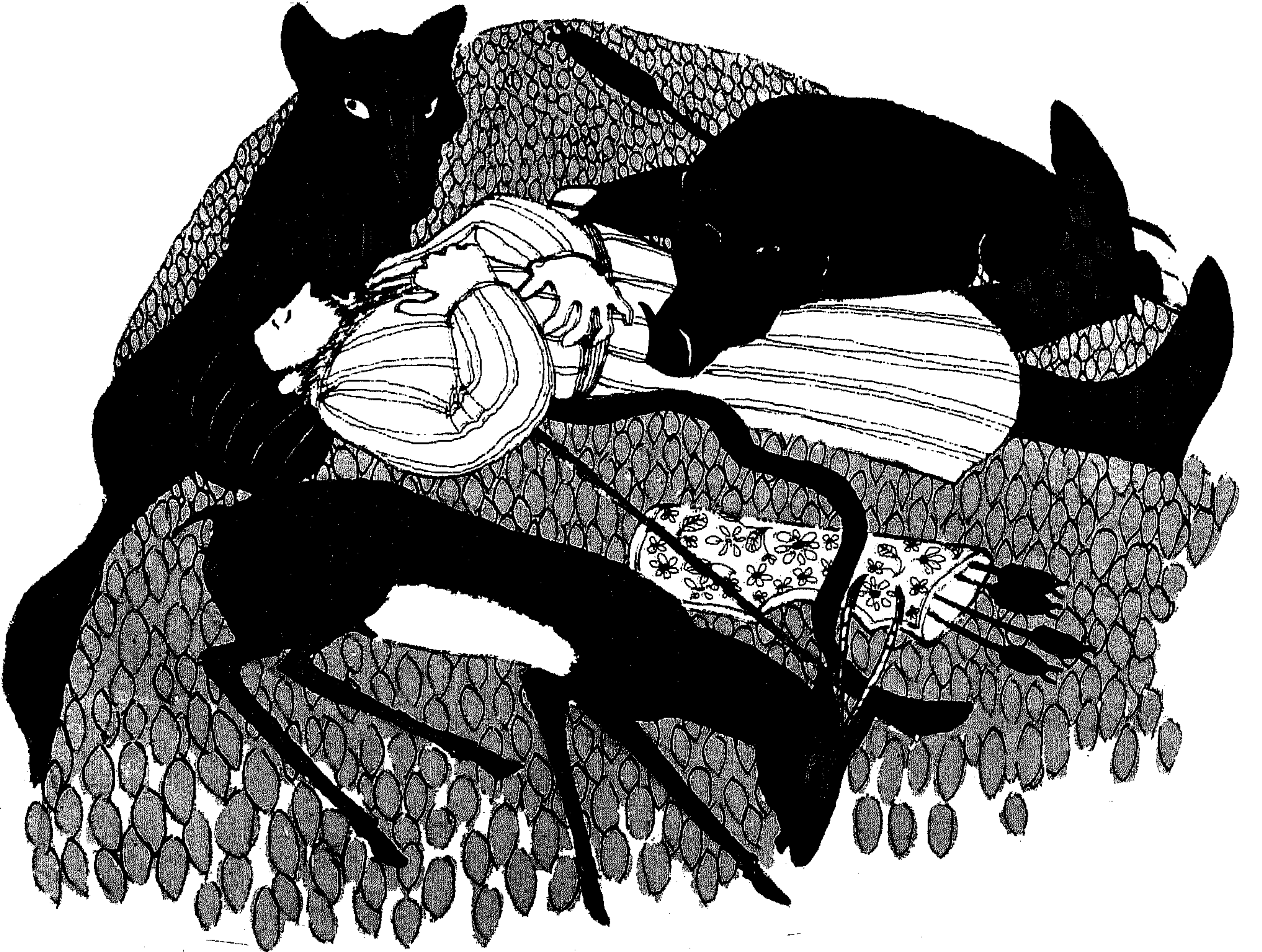
الشمس ليحفظ، وقالت لزوجها: اطرد عنه الطير والكلاب؛ وأسرعت لصنيعها. فغفل الرجل عنه وذهب لبعض شأنه. وذهب كلب لهم إليه فأكل منه. فبصرت به المرأة فقدرته وكرهت أن تصنع منه طعاماً. فانطلقت إلى السوق به وأخذت به سمماً غير مقشور مثلاً بمثل، وأنا أبصر ذلك؛ فسمعت رجلاً يقول: لأمر ما أعطت هذه المرأة سمماً مقشوراً بغير مقشور. وكذلك قولي في هذا الجرذ الذي ذكرت أنه يثب في السلة حيث تضعها، دون أصحابه، إنه من علة قوي على ما ذكرت منه. فالتمس لي فأساً لعلني أحفر جحره وأطلع على بعض شأنه. فأتاه الناسك بفأس - وأنا حينئذ في جحر غيري أسمع كلامهما - وكان في جحري ألف دينار

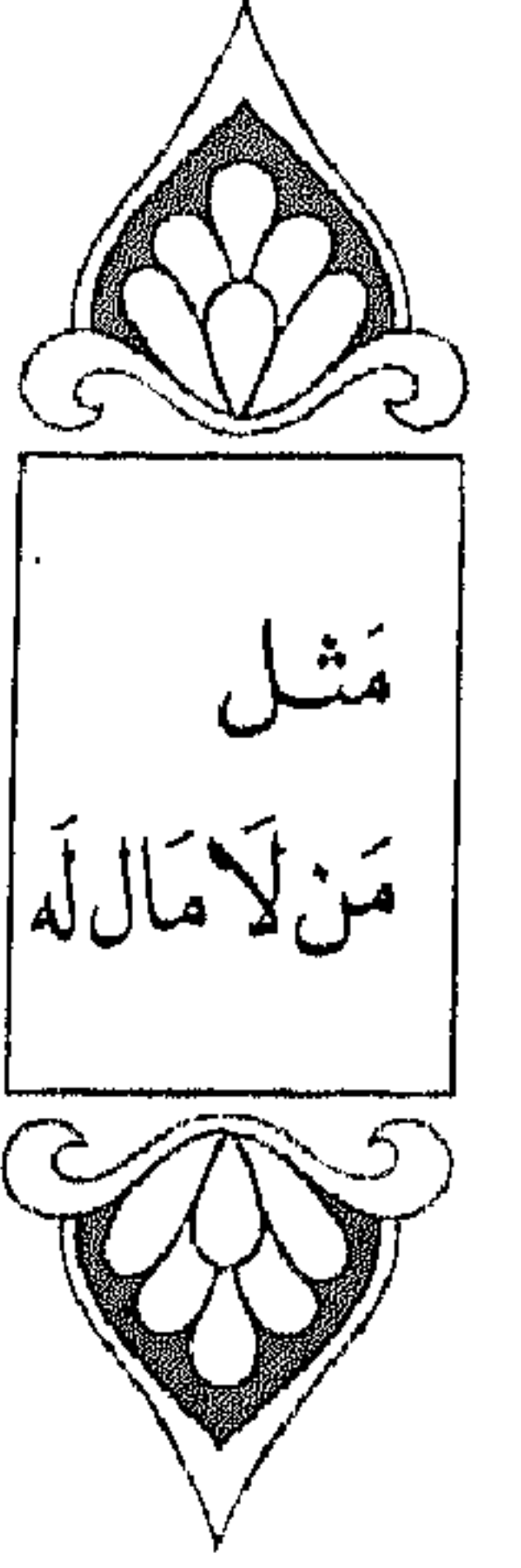


مثل الجرذ
صاحب الدنانير
وأصحابه

لم أدرِ مَنْ كان وضعها فيه، فكنت أفرشها وأفرح بها وأعزّ بمكانها وأتقلب عليها. وإنّ الضيفَ احتفر الجحر حتى انتهى إليها فاستخرجها وقال: ما كان يقوى هذا الجرذ على الوثوب حيث كان إلاّ بمكان هذه الدنانير؛ فإنّ المال جعل زيادة في القوّة والرأي. وسترى أنه بعد اليوم لا يقوى ولا يستطيع ما كان يصنع، ولا يكون له فضل على سائر الجرذان. فعرفت أنه قد صدق، وأحسست في نفسي ضعفاً ونقصاناً وانكساراً حين أُخرجت الدنانيرُ من جُحري، وانتقلتُ إلى جُحرٍ آخر. فلما كان من الغد اجتمع الجرذان اللاتي كنّ يُطفن بي، فقلن: قد أصابنا جوع، وفقدنا ما

فلما رأهم الذئب ميتين وثق بالخشب





كنت عودتنا - وأنت رجائنا - فانظرنَّ في أمرنا . فانطلقتُ إلى المكان الذي كنت أثب منه إلى السَّلَّة، فأردت الوثوب مراراً، كل ذلك لا أقدر عليه. فاستبان لي أن حالي قد تغيَّرت، وزهد فيَّ الجرذان، وسمعتُ بعضهنَّ يقولُ لبعض: قد هلك هذا آخر الدهر، فانصرفنَّ عنه، ولا تطمئن فيما عنده؛ فإننا لا نراه يقوى على ما كان يفعل، بل نحسبه سيحتاج إلى من يعوله. فتركني ولحقت بأعدائي ومن كان يحسدني، فأخذن في انتقاصي عندهم، وجعلن لا يُقرَّبني ولا يلتفتن إليَّ. فقلت في نفسي: ما أرى التَّبَع والإخوان والأهل إلا مع المال، ولا تظهر المُرُوَّة والرأي والمودَّة إلا به؛ فإني وجدت من لا مال له إذا أراد أن يتناول أمراً، قعد به عنه العُدْم، كالماء الذي يبقى في الأودية عن مطر الصيف، فلا هو إلى بحر ولا إلى نهر، فيبقى في مكانه لأنه لا مادة له. ووجدت من لا إخوان له فلا أهل له، ومن لا وُلْد له فلا ذِكر له، ومن لا عقل له فلا دُنْيا له ولا آخرة، ومن لا مال له فلا عقل له؛ لأنَّ الرجل إذا أصابه الضَّر والحاجة رفضه إخوانه، وقطع ذوو قرابته وُدّه، وهان عليهم، واضطرتته المعيشة وما يعالج منها لنفسه وعياله إلى التماس الرزق فيما يُغرر فيه بنفسه ودينه وهلاك آخرته؛ فإذا هو قد خسر الدنيا والآخرة. فلا شيء أشدُّ من الفقر؛ فإنَّ الشجرة النابتة في السباخ المأكولة من كل جانب أمثلُ حالاً من الفقير الذي يحتاج إلى ما في أيدي الناس. فالفقر رأس كل بلاء، وداعيةُ المَقْت إلى صاحبه، وهو مَسَلْبَةٌ للعقل والمُرُوَّة، ومذهبة للعلم والأدب، ومعدنٌ للتُّهْمَة، ومجمعة للبلايا. ومن نزل به الفقر لم يجد بداً من ترك الحياء وتضييعه، ومن ذهب الحياء منه ذهب سَرُوهُ * ومُرُوَّتُهُ، ومن ذهب مُرُوَّتُهُ مُقِتٌ، ومن مُقِتٌ أُوذِي، ومن أُوذِي حَزِنٌ، ومن حزن فَقَدَ عقله واستنكر فهمه وحفظه، ومن أُصِيب في ذلك كان أكثرُ قوله عليه لا له. ووجدت الرجل إذا افتقر اتَّهمه من كان له مؤتمناً، وأساء به الظنُّ من كان يظنُّ به حسناً؛ فإن أذنب غيره كان للتُّهْمَة مَوْضِعاً. وليس من خَلَّة هي للغني مَدْحٌ إلا وهي للفقير ذمٌّ؛ فإن كان جواداً سُمِّي مُفسداً، وإن كان حليماً سُمِّي ضعيفاً، وإن كان وقوراً سُمِّي بليداً. وإن كان لَسِيناً سُمِّي مهذاراً، وإن كان صَمَوْتاً سُمِّي عِيياً. فالموت أهون من الفاقة التي تضطر صاحبها إلى المسألة، وتضع المرء بمواضع الهوان، وتدنيه بعد ارتفاعه،



وتقصيه بعد تقرّبه، وتبعده
بعد توسّطه، وتزري به وتمقّته
بعد المحبة؛ ولا سيّما مسألة
الأشحاء الأدياء اللّؤماء؛ فإنّ
الكريم لو كُلف أن يدخل
يده في فم التّنين فيستخرج
منه سمّاً فيبتلعه كان أخفّ
عليه من الطلب إلى اللّثيم. وقد
قيل: من ابتلي بمرض في جسده
لا يفارقه، أو بفراق الأحبة
والإخوان، أو بالغرّبة حيث لا
يعرف مبيتاً ولا مقيلاً ولا يرجو
إياباً، أو بفاقة تضطره إلى
المسألة، فالحياة له موت،
والموت له راحة. وربما كره
الرجل المسألة وبه حاجة فحمله
ذلك على السرقة والغصب،
وهما شرٌّ من التي زاغ عنها؛ فإنه
قد كان يقال: الخرسُ خير من

لأمر ما أعطت هذه المرأة سمّاً
مقشوراً بغير مقشور



وان الضيف احتفر الجحر واستخرج الدنانير

اللِّسَنُ المَطْعَمُ بالكذب، والعَيْنُ خَيْرٌ مِنَ العَاهِرِ، والفَاقَةُ والفَقْرُ خَيْرٌ مِنَ النِّعْمَةِ والسَّعَةِ مِنَ أَمْوَالِ النَّاسِ، وَالاجْتِهَادُ فِي الكِفَافِ خَيْرٌ مِنَ الإِسْرَافِ والتَّبذِيرِ فِيمَا لَا يَحِلُّ.

وقد كنت رأيتُ الضيف حين أخرج الدنانير من الجحر قاسمها الناسك، ثم وضع نصيبه منها في خريطة* عند رأسه. فطمعت أن أصيب منها شيئاً أردّ به بعض قوتي ويراجعني به أصدقائي، فانطلقت وهو نائم حتى كُتبت* منه. فاستيقظ لحركتي، وإلى جانبه قضيب، فضربني به على رأسي ضربة فأوجعني فسعيت إلى جحري حتى دخلته. فلما سكن عني ما كان بي من الوجع نازعني الحرص والشَّرَه، وغلباني على عقلي فدببت بمثل طمعي الأول، حتى دنوت

* * * * * وقفت على مقربة .

* * * * * وعاء من جلد أو غيره يجعل كالصرة .

منه وهو يرصدني. فعاد لي بضربة أخرى على رأسي سالت منها الدماء، وانقلبت ظهراً لبطن، وانجرت حتى دخلت جُحري مَغشياً عليّ لا أعقل ولا أدري. وأصابني من الوجع والفرع ما بَعْضُ إليّ المال حتى إني لأسمع بذكره فيداخِلني منه رُعب ودُعر. ثم ذكرتُ فوجدتُ البلايا في الدنيا إنما يسوقها إلى صاحبها الحرص والشره فلا يزال صاحبها يتقلّب في تعب منها، ورأيت بين السخاء والشحّ تفاوتاً بعيداً، ووجدتُ ركوب الأهوال الشديدة وتَجشُّم الأسفار البعيدة في طلب الدنيا أهونَ على المرء من بسط يده بالمسألة، ووجدتُ الرضا والقنوع هما جميع الغنى؛ وسمعتُ العلماء يقولون: لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حَسَب كحُسن الخلق، ولا غِنَى كالقناعة. وأحقُّ ما صُبر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل. وكان يقال: أفضلُ البرِّ الرحمة، ورأسُ المودّة الاسترسال، وأنفعُ العقل المعرفة بما يكون وما لا يكون، وطيبُ النفس وحُسنُ الانصراف عما لا سبيل إليه. فصار أمري إلى أن قنعتُ ورضيت. وانتقلتُ من بيت الناسك إلى البرية.

وكان لي صديق من الحمام فسأقت إليّ بصداقتها صداقة هذا الغراب، فذكر لي الغرابُ ما بينك وبينه وأخبرني أنه يريد أن يأتيك، فأحبت أن أراك معه، وكرهت الوحدة؛ فإنه ليس من سرور الدنيا شيء يعدلُ صحبة الإخوان، ولا فيها غمّ يعدلُ فقدهم. وقد جرّبت وعرفت



فانطلقت وهو نائم
حتى دنوت منه ،
فاستيقظ لحركتي

أنه لا ينبغي لأحد أن يلتمس من الدنيا طلباً فوق الكفاف الذي يدفع به الحاجة والأذى عن نفسه، وذلك يسيراً إذا أُعِين بسعة يدٍ وسخاء نفس. فأما ما سوى ذلك ففي مواضعه ليس له منه إلا ما لغيره من حظّ العين. ولو أنّ رجلاً وهبت له الدنيا بما فيها لم ينتفع من ذلك إلا بالقليل الذي يكفّ به الأذى عن نفسه، فأما ما سواه ففي مواضعه لا يناله. فأقبلتُ مع الغراب على هذا الرأي، وأنا أخُ لكِ فلتكن كذلك منزلي عندك .

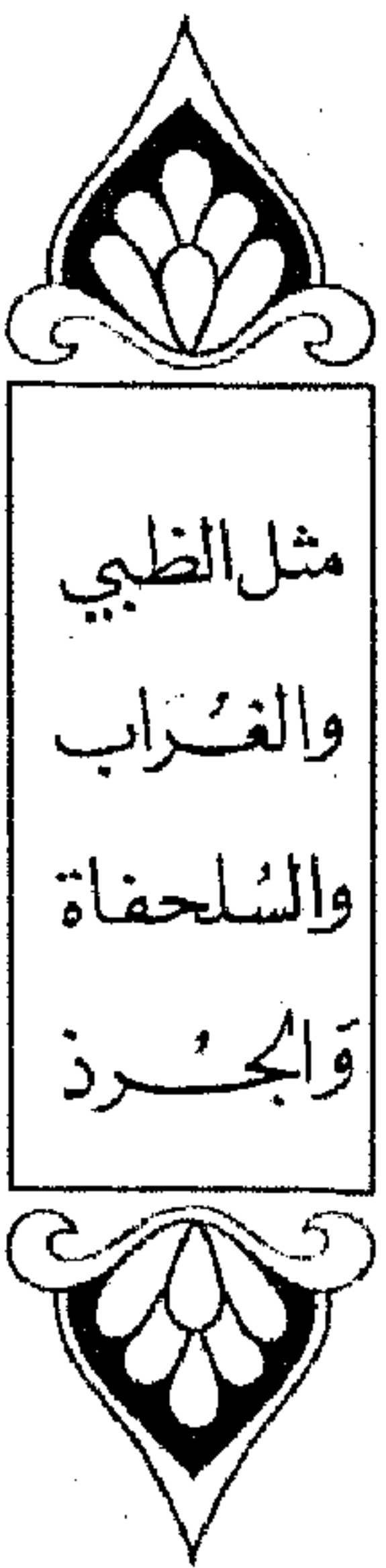
فلما فرغ الجرد من مقالته أجابته السلحفاة بكلام لطيف رقيق فقالت له: قد سمعت مقالتك فأحسِن بها مقالةً وأكرم بها؛ غير أنني رأيتك تذكر بقايا أمورٍ، في نفسك منها ومن اغترابك شيء، فتناسَ ذلك ولا يكوننّ من رأيك، واطرحنه عنك، واعلم أنّ حُسن القول لا يكون إلا بالعمل؛ فإنّ المريض الذي قد علم دواءه، إذا هو لم يتعالج به لم ينتفع بما سوى ذلك، ولم يجد له راحة ولا شفاءً. فاستعمل علمك، ولا تحزن لقلّة مالك؛ فإنّ الرجل ذا المروءة قد يُكرم على غير مال، كالأسد الذي يُهاب وإن كان رابضاً؛ والغنيُّ الذي لا مروءة له يُهان وإن كثر ماله، كالكلب الذي يُهان وإن طوّق وخلخل. ولا تُكبرنّ في نفسك اغترابك؛ فإنّ العاقل لا غرُبة عليه ولا وحشة، ولا يتغرّب إلا ومعه ما يكفي به من علمه ومروءته، كالأسد الذي لا يتقلّب إلا ومعه قُوته التي بها يعيش حيثما توجه. ولتحسِن تعهدك لنفسك فيما تكون به للخير أهلاً؛ فإنك إذا فعلت ذلك أتاك الخير يطلبك، كما يلتمس الماء المتطامن من الأرض، وكما يطلب طيرُ الماء الماء. وإنما جُعِل الفضل للبصير الحازم المتفقد، فأما الكسلان المتردد المدافع المتواكل فإنّ الفضل قلّمَا يصحبه، كما لا تطيب المرأة الشابة نفساً بصحبة الشيخ الهرم. ولا يحزننّك أن تقول: كنتُ ذا مال فأصبحتُ مُعديماً؛ فإنّ المال وسائر متاع الدنيا سريعٌ إقباله إذا أقبل، وشيكٌ إدباره إذا أدبر؛ كالكرة، فإنّ ارتفاعها وإقبالها وإدبارها ووقوعها سريع. وقد قالت العلماء في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء: ظلّ الغمام، وصحبة الأشرار، وعشق النساء، والثناء الكاذب، والمال الكثير. فإنه ليس يفرح عاقل بكثرة ماله، ولا يحزن لقلته؛ ولكن الذي ينبغي أن يفرح به، عقله وما قدّم من صالح عمله؛ لأنه واثقٌ أنه لا يُسلب ما عمله، ولا يؤاخذ بغيره. وهو حقيقٌ ألا يغفل عن أمر آخرته، والتزوّد لها؛ فإنّ الموت لا يأتي إلا بغتةً، وليس بينه وبين أحد وقت معلوم. وأنت غنيٌّ عن موعظتي، وبما ينفعك بصير؛ ولكن قد رأيتُ أن

كما لا تطيب المرأة الشابة
بصحبة الشيخ الهرم



أقضي من حقك الذي يجب، وأنت أخونا فما قبلنا لك مبدول .

فلما سمع الغراب ذلك من قول السلحفاة وردّها على الجرذ وإطافها إياه وحسن مقالتها، سرّه ذلك وأفرحه وقال: لقد سررتني وأنعمت عليّ، ولطالما فعلت. وأنت جديرة أن تفرح نفسك مما لهجت لك به؛ فإنّ أولى أهل الدنيا بطيب العيش وكثرة السرور وحسن الثناء، من لا يزال رحله موطوءاً من إخوانه وأصدقائه، وتعاهدهم؛ فإنّ الكريم إذا عثر لم يستقل إلا بالكرام؛ كالفيل إذا وحل لم يستخرجه إلا الفيلة. ولا يرى العاقل معروفاً يصطنعه كثيراً وإن كثر. وإن خاطر بنفسه وغرّر بها في بعض وجوه المعروف، لم ير ذلك عيباً؛ بل يعلم أنه إنما باع الفاني بالباقي، واشترى العظيم بالصغير. وأغبط الناس أكثرهم مستجيراً وسائلاً منجحاً. ولا يُعدّ غنياً من لا يشارك في ماله، ولا عاش من كان عيشه من فضله مؤثماً⁵. ولا يعد الغرم غرماً إذا ساق غنماً، ولا الغنم غنماً إذا ساق غرماً .



فبينما الغراب في كلامه إذ أقبل ظبيٌ نحوهم يسعى. ففرّعوا منه، ودخل الجرذ جُحراً، وطار الغراب فوق على الشجرة، وغاصت السلحفاة في الماء. وانتهى الظبي إلى الماء فشرب قليلاً ثم قام مذعوراً. فحلّق الغراب في جوّ السماء لينظر هل يرى للظبي طالباً. فلما لم ير شيئاً نادى

الجرذ والسلحفاة ليخرجا وقال لهما: لست أرى ههنا شيئاً تخافانه. فخرجا واجتمعوا فقالت السلحفاة للظبي، حين رآته ينظر إلى الماء ولا يقربه: اشرب إن كان بك عطش ولا تخف؛ فلا بأس عليك. فدنا الظبي منها وحيّاها. فقالت: من أين أقبلت؟ فقال: كنت أكون في هذه البرية، فلم يزل الأساورة* يطردوني من مكان إلى مكان. ورأيت اليوم شبّحاً فأشفقتُ أن يكون قانصاً فأقبلتُ ههنا مذعوراً. فقالت السلحفاة: لا تخف؛ فإننا لم نر القنّاص فيما ههنا قطّ. فكن معنا ونحن نبذل لك وُدّنا، والمرعى قريب منا. فرغب في صحبتهم وأقام معهم.

وكان لهنّ عريش من الشجر فكنّ يأتينه كل يوم يجتمعن فيه ويلهون ويتحدثن ويتذاكرن الأمور. ثم إن الغراب والسلحفاة والجرذ اجتمعن يوماً في العريش، وغاب الظبي عنهنّ فتوقّعه. فلما أبطأ عليهنّ أشفقن أن يكون أصابته آفة. فقالت السلحفاة والجرذ للغراب: انظر هل تراه في شيء مما يلينا. فحلّق الغراب في الهواء فإذا هو بالظبي في حبال القنّاص. فانقضّ مسرعاً حتى أخبرهنّ. فقال الغراب والسلحفاة للجرذ: هذا أمر لا نرجو فيه غيرك؛ فأغث أخانا وأخاك. فخرج يسعى فانتهى إليه فقال له: كيف وقعت في هذه الورطة وأنت من الأكياس؟ فقال: وهل يُغني الكيس** مع القدر المغيّب الذي لا يرى فيتوقّى؟ فبينما هما في تحاورهما إذ وافت السلحفاة. فقال لها الظبي: ما أصبتِ بمجيئك إلينا ههنا؛ فإن القانص إن هو انتهى إلينا، وقد فرغ الجرذ من قطع حباله، سبقته حُضراً، وللجرذ معاقل كثيرة في الجحرة***، والغراب يطير، وأنت ثقيلة لا سعي لك، وأنا أشفق عليك. فقالت السلحفاة: لا خير في العيش بعد فراق الأحبة، وإن من المعونة على تسلية الهمّ وسكون النفس - عند نزول البلاء - لقاء المرء أخاه، وإفضاء كلّ واحد منهما إلى صاحبه. وإذا فرّق بين الأليف وإلفه فقد سلب سروره، وغُشي على بصره. فلم تفرغ السلحفاة من كلامها حتى طلع القانص. ووافق ذلك قطع الجرذ الشبكة عن الظبي؛ فانبجح الجرذ، وطار الغراب، ونجا الظبي. فلما دنا من حباله ورآها مقطوعة، عجب وجعل ينظر فيما حوله، فلم ير غير السلحفاة فأخذها واستوثق منها. واجتمع الغراب والظبي والجرذ ينظرون إليه وهو يربطها، فاشتد حزنهنّ لذلك، فقال الجرذ: ما نرى أننا نجاوز من البلاء عقبة



فلما سمع الغراب قول السلحفاة سره ذلك

إلا وقعنا في أخرى؛ لقد صدق الذي يقول: لا يزال المرء مستقلاً ما لم يعثر فإذا هو عثر ليجَّ به العثار ولو مشى في جدّد* . وما كان شؤمي الذي فرّق بيني وبين قطيني* وأهلي ومالي وولدي، ليرضى حتى يفرّق بيني وبين ما كنت أعيش فيه من صحبة السلحفاة التي لم تكن مودّتها للمجاراة ولا لالتماس المكافأة، ولكنها خلة الكرم والوفاء والعقل، ومودّتها أفضل من مودّة الوالد ولده،

* * القطين: أهل الدار، ج قاطن .

* طرق عظيمة .

المودَّة التي لا يزيلها إلا الموت. يا وَيحَ هذا الجسدِ الموكَّل به البلاء ! الذي لا يزال في تصرُّفٍ وتقلُّبٍ لا يدوم له شيء ولا يلبث معه، كما لا يدوم لطالع النجوم طلوعُها، ولا لآفلها أفلها، ولكنها في تقلُّبٍ؛ فلا يزال الطالع آفلاً، والآفل طالعاً، والمُشرقُ مُغرباً، والمُغربُ مُشرقاً. وهذا الحُزن الذي أنا فيه وتذكُّري إخواني كالجرح المندمل تصيبه الضربة فيجتمع على صاحبها ألمان: ألم الضربة وألم انتقاض الجرح. وكذلك من خفت كلومه للقاء إخوانه، ثم فقدهم، انتكأت قروحه .

فقال الغراب والظبي: حُزُّنا وحُزُّنك وكلامنا وكلامك، وإن كان بليغاً، لا يُغني عن السلحفاة شيئاً، فدع هذا والتمس المخرج والحيلة؛ فإنه قد كان يقال: إنما يُختبر ذو البأس عند اللقاء، وذو الأمانة عند الأخذ والإعطاء، والأهلُ والولد عند الفاقة، والإخوانُ عند النوائب. فقال الجرذ: إنَّ من الحيلة أن تذهب أنت أيها الظبي، حتى تكون بصددٍ من طريق القانص، فتربضَ كأنك جريح مُثبَّت، ويقع الغراب عليك كأنه يأكل منك، وأتبعه فأكون قريباً منه؛ فإني أرجو، لو نظر إليك، أن يضع ما معه من قوسه ونشابهه ويضع السلحفاة ويسعى إليك؛ فإذا هو دنا منك ففرَّ عنه متظالماً* حتى لا ينقطع طمعه فيك، وأمكِنه مراراً حتى يدنو إليك، ثم امدد به على هذا النحو ما استطعت؛ فإني أرجو ألا ينصرف إلا وقد قطعتُ الحبل عن السلحفاة ونحَّصتها. ففعل الظبي ذلك هو والغراب، فأتبعه القانص طويلاً ثم انصرف وقد قطع الجرذ وثاق السلحفاة، ونجَّونَ جميعاً. فلما رأى ذلك القانصُ ورأى حباله مقطوعة، فكَّر في أمر الظبي المتظالع، والغرابِ الواقع عليه كأنه يأكل منه وليس يأكل، وتقرئضِ حباله قبل

ووافق ظهور القانص قطع الجرذ الشبكة على
الظبي، فانجحر الجرذ وطار الغراب ونجا الظبي

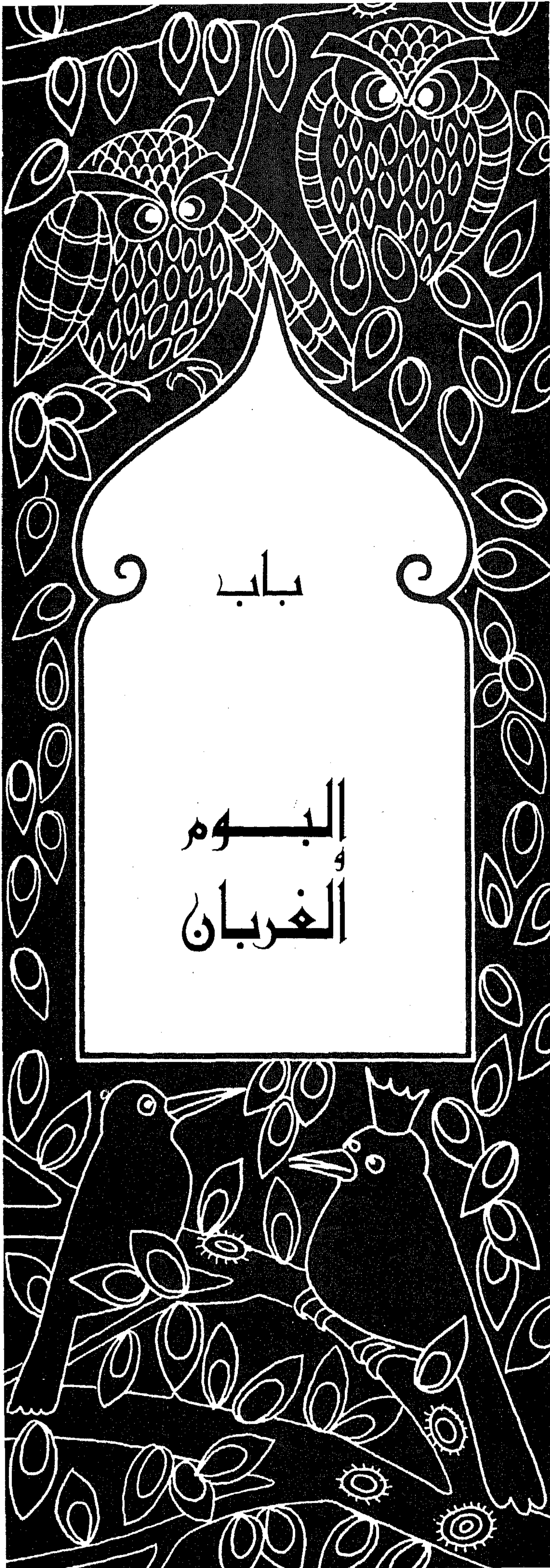
* تصطنع العرج .



ذلك عن الظبي، فاستوحش وقال: إن هذه إلا أرضٌ سحريةٌ أو جنٌّ. فانصرف مذعوراً مُولياً لا يلمس شيئاً ولا يلتفت إليه. واجتمع الغراب والظبي والجرذ والسلحفاة إلى عرائشهنَّ آمناً. ثم قال الفيلسوف للملك: فإذا بلغت حيلةُ أضعفِ الدوابَّ والطير وأهونها، في معاونة بعضهنَّ بعضاً، ومواتاتهنَّ، وجمعتهنَّ فيما بينهنَّ، وصبرهنَّ على ما خلَّص به بعضهنَّ بعضاً من أعظم البلاء وأهوله وأفظعه؛ فكيف بالناس لو فعلوا مثل ذلك وترافدوا فيه؟ إذاً كان يصل إليهم من منفعة ذلك ومرفقه في جرِّ الخير وإجرائه ودفعِ السوء، ما لا خطرَ له ولا عدل.

فاذهب أيها الظبي أمام القانص كأنك جريح، ويقع الغراب
كأنه يأكل منك





باب

البله
والخربان



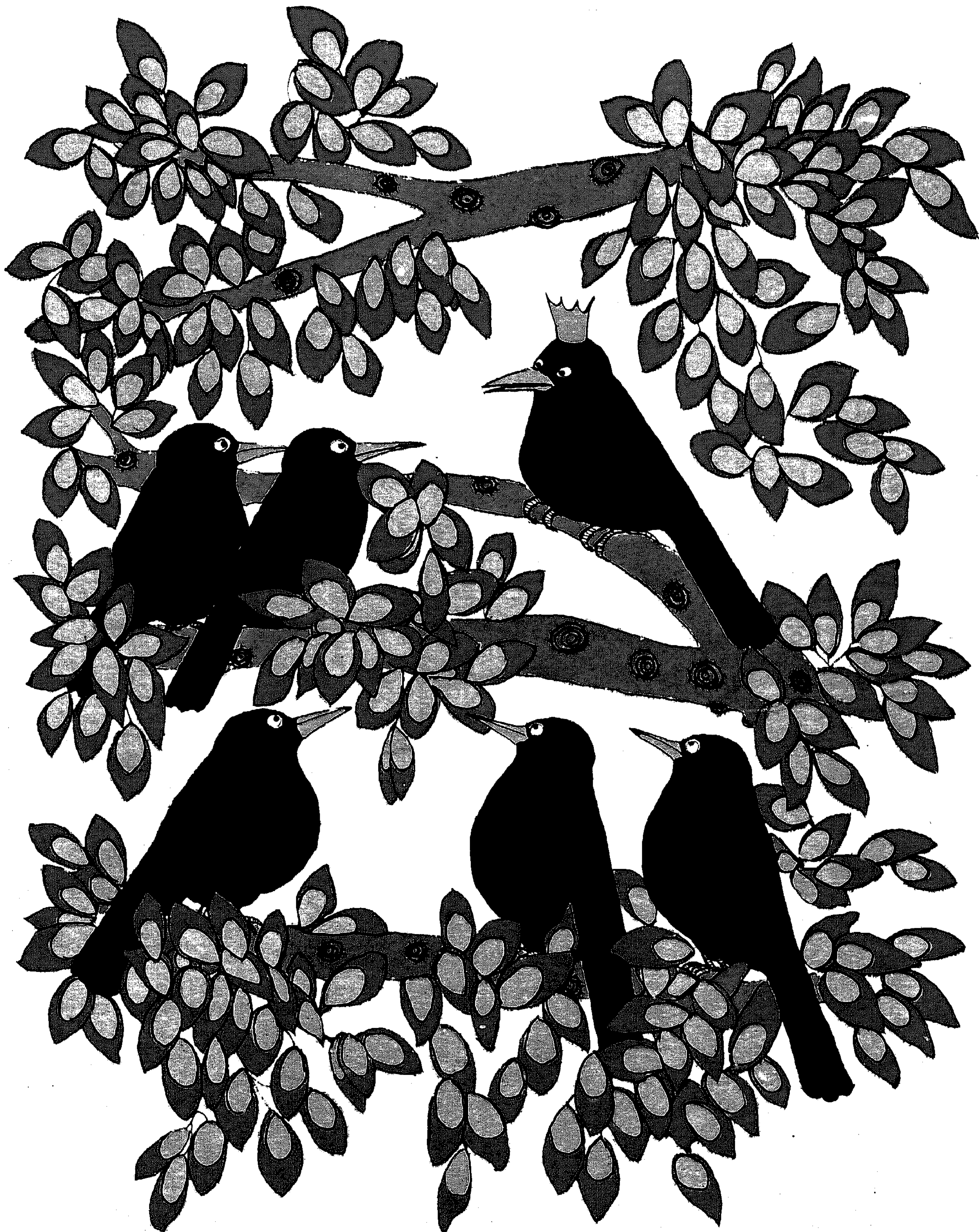
قال الملك للفيلسوف: قد فهمتُ ما ذكرتَ من أمر الإخاء ومنفعته وعظيم الفائدة فيه. فاضرب لي مثل المغترّ بالعدوّ المُبديّ التضرّع، وأخبرني عن العدو هل يصير صديقاً؟ وهل يوثق بشيء منه؟ وكيف العداوة؟ وما ضرّها؟ وكيف ينبغي للملك أن يصنع إذا أتاه أمر من عدوّه ومن أهل المنابذة يلتمس به الصلح، وهو في نفسه غير أمين ولا حقيق بالطمأنينة.

قال الفيلسوف: ليس أحد بحقيق، إذا أتاه أمر من عدوّه الذي يتخوفه على نفسه وجنوده وإن كان يلتمس الأمان والصلح ويظهر المودة لجنده والسلامة لأصحابه، أن يثق به ولا يطمئن إليه ولا يغترّ بقوله؛ فإنه قد يكون بأشبه ذلك يطلب النُّهزة* والفرصة. ومثل العدو الذي لا ينبغي أن يُغترّ به، وإن هو أظهر المودة والصفاء، ومن يَستَرسِل إلى عدوّه ويطمئن إليه فيصيبه الشرّ ما أصاب البوم من الغربان. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

زعموا أن أرضاً تُسمّى كذا وكذا، كان حولها جبل عظيم محيطٌ بها، وكان فيه شجرة عظيمة كثيرة الغصون شديدة الالتفاف يقال لها يُمروود¹، وكان فيها وكرُ ألفِ غراب، وهنَّ ملكٍ منهنَّ؛ وكان في ذلك الجبل وكر ألفٍ من البوم. فخرج ملك البوم ذات ليلة، لعداوة بين البوم والغربان، فوقعت البوم على الغربان فأكثرن فيهنَّ القتل والجراح، ولم يعلم ملك الغربان بذلك حتى أصبح. فلما كان الغد، ورأى ما لقي جندُه، اهتمَّ وحزن وقال: يا معشر الغربان! قد ترون ما لقينا من البوم، وما أصابنا منهنَّ، وأشدَّ مما أصابكنَّ جرأتُهنَّ عليكنَّ، ومعرفتُهنَّ مكانكنَّ؛ وأنا متخوِّف من كرَّتِهِنَّ بمثلها أو أشدَّ منها عليكنَّ.

وكان في الغربان خمسة ذوو رفقي وعلم، ونظري في الأمور، ومعرفة بحسن الرأي والحيل، وكان الملك يشاورهم وينتهي إلى رأيهم. فقال الملك للأول من الخمسة: قد كان ما رأيت، ولسنا نأمن رجعتهم، فما الحيلة؟ فقال: الحيلة في الذي كانت العلماء تقول؛ فإنهم كانوا يقولون: ليس للعدو الحنق الذي لا يطاق إلا الهربُ منه والتباعدُ عنه. ثم سأل الملك الثاني، فقال: ما رأيك أنت؟ قال: أما ما أشار به هذا عليك فلا أراه حزمًا: ولا ينبغي لنا أن نفرَّ من بلادنا ونذلَّ لعدونا عند أول نكبة؛ ولكن نُجمع أمرنا، ونستعدَّ لعدونا، ونذكي العيون ما بيننا وبينهم، ونحترسُ من الغرَّة* والعودة؛ فإذا أقبل علينا عدونا لقينا مستعدين لقتاله، فقاتلناه مزاحفة تلقى أطرافنا أطرافه، ونتحرز منه تحرزاً حصيناً، وندافع الأيام² حتى نصيب منه غرَّةً ولعلنا نظفر به. ثم قال الملك للثالث: ما ترى فيما قال صاحبك؟ قال: لم يقلوا شيئاً. ولعمري ما مدافعة الأيام والليالي بمستقرِّ لنا فيما بيننا وبين البوم، وما الرأي إلا أن نذكي العيون* والطلائع بيننا وبين العدو، وننظر هل يقبلن صلحاً أو فدية أو خراجاً نوذيه اليهنَّ، وندفعُ عن أنفسنا خوفهنَّ، ونأمنُ في أوطاننا وأوكارنا؛ فإنَّ من الرأي للملوك، إذا اشتدت شوكة عدوهم وخافوا على أنفسهم

وكان ملك الغربان يشاور ذوي الرأي من أتباعه

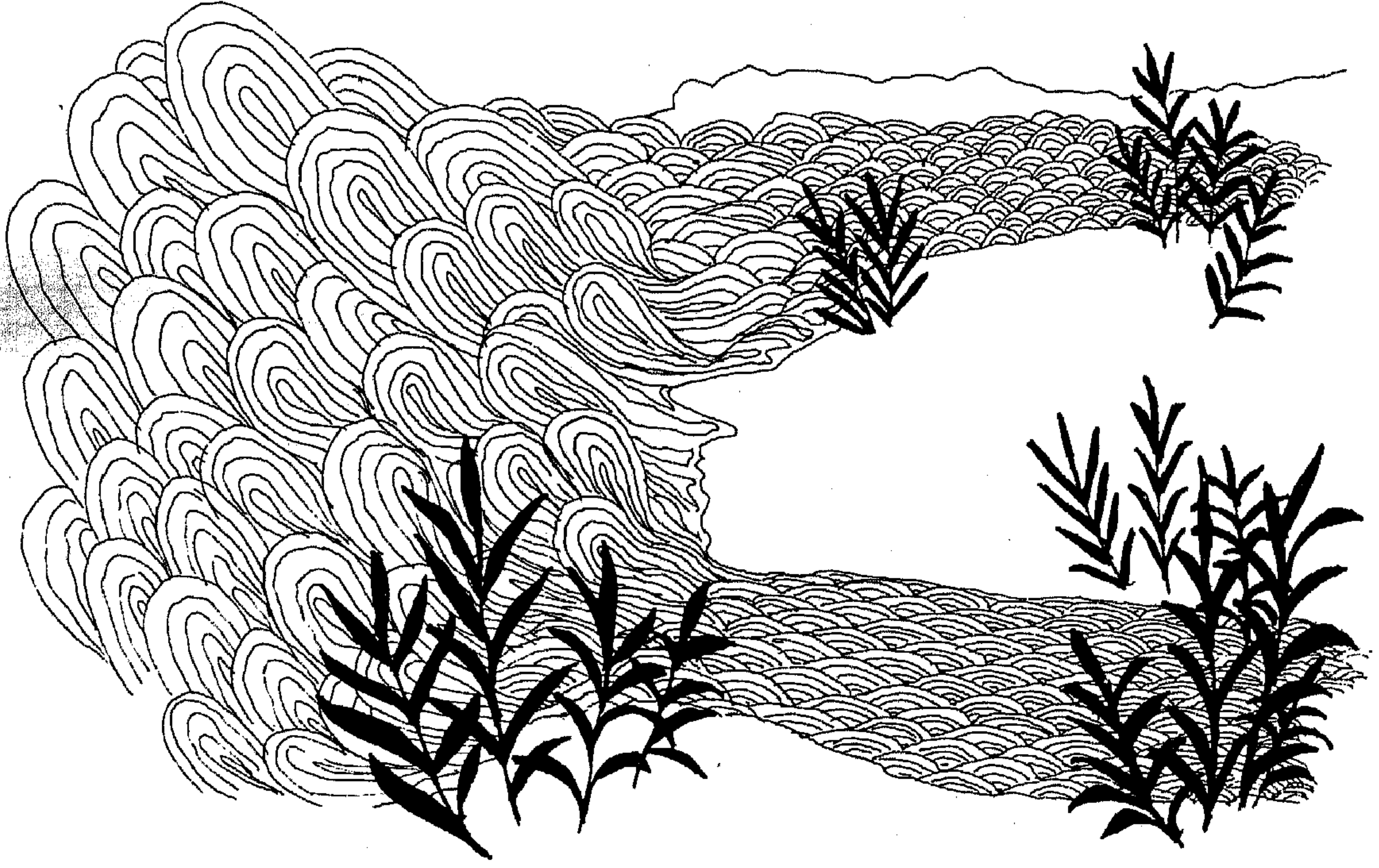


ورعيتهم الهلكة والفساد، أن يجعلوا الأموال جنةً للرعية والبلاد. فقال الملك للرابع: ما رأيك أنت فيما قال صاحبك، والصلح الذي ذكر هذا؟ قال: لا أرى ذلك. بل ترك أوطاننا والاصطبار على الغربة وشدّة المعيشة، أحبُّ إلينا من وضع أحسابنا، والخضوع لعدونا الذي نحن خير منه وأشرف؛ مع أنني قد عرفتُ أنا لو عرضنا ذلك عليهنّ لم يقبلن إلا بالاشتطاط. وقد يقال: قارب عدوك بعض المقاربة تنل منه حاجتك، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترى عليك بها، ويضعف ويدل لها جندك. ومثل ذلك مثل الخشبة القائمة في الشمس؛ فإن أملكها قليلاً زاد ظلها، وإن جاوزت الحد في إِمالتها ذهب الظل. وليس عدونا براص منا بالدون في المقاربة؛ فالرأي لنا المحاربة والصبر. فقال الملك للخامس: ما رأيك أنت؟ الصلح أم القتال أم الجلاء؟ قال: أما القتال فلا سبيل إلى قتال من لا نُقاربه في القوّة والبطش؛ فإنه من أقدم على عدوه استضعافاً له اغترّ، ومن اغترّ أمكن من نفسه ولم يسلم. وأنا لليوم شديد الهيبة ولو أنها أضربت عن قتالنا. وقد كنا نهاها قبل إيقاعها بنا؛ فإن العاقل لا يأمن عدوه على كل حال: إن كان بعيداً لم يأمن من معاودته، وإن كان متكشفاً لم يأمن استطراده، وإن كان قريباً لم يأمن موابته، وإن كان وحيداً لم يأمن مكره. وأكيس الأقسام من لم يكن يلتمس³ الأمر بالقتال ما وجد إلى غير القتال سبيلاً؛ فإن النفقة في القتال من الأنفس، وغير ذلك إنما النفقة فيه من الأموال. فلا يكون قتال اليوم من شأنكم؛ فإن من يواكل الفيل يواكل الحيف⁴. قال الملك: فما ترى إذ كرهت ذلك؟ قال: نأتمر ونتشاور؛ فإن الملك المشاور المؤامر، يصيب في مؤامره ذوي العقول من نصحائه، من الظفر، ما لا يصيبه بالجنود والزحف وكثرة العدد. فالملك الحازم يزداد بالمؤامرة والمشاورة ورأي الوزراء الحزمة، كما يزداد البحر بمواده من الأنهار. ولا يخفى على الحازم قدر أمره وأمر عدوه، وفرصة قتاله، ومواضع رأيه ومكائده. ولا ينفك يعرض الأمور على نفسه أمراً أمراً، يتروى في الإقدام على ما يريد منها، والأعوان الذين يستعين بهم عليها، والعدد التي يُعدّها؛ فمن لا يكون له رأي في ذلك ولا نصيحة من الوزراء الذين يُقبل منهم، لم يلبث، وإن ساق القدر إليه حظاً، أن يُضيع أمره؛ فإن الفضل المقسوم لم يقيض للجمال ولا للحسب⁵ ولكنه وكّل بالعاقل المستمع من ذوي العقول. وأنت أيها الملك كذلك، وقد استشرتني في أمر أريد أن أجيبك في بعضه علانية، وفي بعضه سراً. أما ما لا أكره أن أعلنه، فإني، كما لا أرى القتال،

لا أرى الخضوع بالخراج، والرضا بدل الدهر؛ فإن العاقل الكريم يختار الموت كريماً محافظاً، على الحياة خزيان ذليلاً. وأرى أن تؤخر النظر في أمرنا، ولا يكون من شأنك التثبط والتهاون، فإن التهاون رأس العجز. وأما ما أريد إسراره فليكن سرّاً؛ فإنه قد كان يقال: إنما يُصيب الملوك الظفر بالحزم، والحزم بأصالة الرأي، والرأي بتحسين الأسرار. وإنما يُطلع على السر من قبل خمسة: من قبل صاحب الرأي، ومن قبل مُشاوره، ومن قبل الرسل والبُرُد، ومن قبل المستمعين الكلام، ومن قبل الناظرين في أثر الرأي ومواقع العمل بالتشبيه والتظني. ومن حصن سرّه فإنه، من تحصينه إياه، في أحد أمرين: إما ظفر بما يريد، وإما سلامة من عيبه وضّره إن أخطأه ذلك. ولا بد لمن نزلت به نائبة من استشارة الناصح، وطلب من يعاونه على الرأي، ويُفضي إليه؛ فإن المستشار وإن كان أفضل من المستشار رأياً، فإنه يزداد بالمشورة رأياً وعقلاً، كما تزداد النار بالودك* ضوءاً. وعلى المستشار موافقة المستشار على صواب ما يرى، والرفق به في تبصيره، وردّه عن خطأ رأيٍ - إن كان منه - وتقليب الرأي فيما يشكل عليه حتى يستقيم لهما سرهما. فإن لم يكن المستشار كذلك، فهو على المستشار مع عدوّه؛ كالرجل الذي يرقى الشيطان ليرسله على الإنسان، فإذا لم يُحكّم الرقية كان به يتلبس، وإياه يأخذ. وإذا كان الملك مُحصناً لأسراره، متخيراً للوزراء، مهيباً في أنفس العامة، بعيداً من أن يُعلم ما في نفسه، لا يضع عنده حُسنُ بلاء، ولا يسلم منه ذو جرم، مقدراً لما يُفيد ولما ينفق، كان خليقاً ألا يُسلب صالح ما أُعطي. والأسرار منازل؛ فمن السر ما يدخل فيه الرهط، ومنه ما يدخل فيه الرجلان، ومنه ما يستعان فيه بالقوم. ولا أرى لهذا السر - في قدر منزلته - أن يشترك فيه إلا أربع آذان ولسانان.

فنهض الملك فخلاً معه واستشاره؛ فكان مما سأله عنه أن قال: هل تعلم ما كان سبب عداوة ما بيننا وبين البوم؟ قال نعم! كلمة تكلم بها غرابٌ مرّة. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الغراب:

زعموا أن جماعة من الطير لم يكن لها ملك، وأنها اجتمعت آراؤها على بوم لتملكه عليها.



يزداد البحر بمواده من الأنهار

فبينما هم في ذلك إذ وقع لهم غراب فقال بعضهم: انتظرن حتى يأتينا هذا الغراب لنستشيره في أمرنا. فأتاهن الغراب فاستشرنه فيما قد أجمعن عليه من تملك البوم، فقال الغراب: لو أن الطير كلها فُقدت وبادت وفُقد الطاوس والبط والحمام والكركي، لما اضطرتن إلى تملك البوم أقبح الطير منظراً، وأسوئها مخبراً، وأقلها عقولاً، وأشدّها غضباً، وأبعدها رحمة؛ مع الذي بها من الزمانة والعشى بالنهار. ومن شرّ أمورها سوء تديرها. ولا يطيق طائر يقرب منه، لصلفه ونخبث نته وسوء خلقه؛ إلا أن ترين تملكه وتدير الأمور دونه؛ فإن الملك وإن كان جاهلاً، إذا كان يُقدّر على الدنو منه وكانت قرابته ووزراؤه ورسله صالحين، نفذ أمره ورأيه واستقام

له ملكه؛ كما فعلت الأرنب التي زعمت أن القمر ملكها، وعملت برأيها. قال الطير: وكيف كان ذلك؟ قال الغراب:

زعموا أن أرضاً من أرض الفيلة، تتابعت عليها السنون وأجدبت، فقل الماء في تلك البلاد وغارت العيون، وأصاب الفيلة عطش شديد. فشكت ذلك إلى ملكها. فأرسل الملك رسلاً ورؤاده في التماس الماء في كل ناحية. فرجع إليه بعض رسله فأخبره بأنه وجد في بعض الأماكن عيناً تدعى القمرية، كثيرة الماء. فتوجه ملك الفيلة بفيلته إلى تلك العين ليشربن منها. وكانت تلك الأرض أرض أرنب. فوطئت الفيلة الأرنب بأرجلها في جحرتها فأهلكن أكثرها. فاجتمع

مثل الأرنب

وملك الفيلة

فقال لهم الغراب: لا تملكوا اليوم عليكم فإنه أقبح الطير...



البقية منها إلى ملكها فقلن له: قد علمت ما أصابنا من الفيلة، فاحتل لنا قبل رجوعهن علينا؛ فإنهن راجعات لوردهن ومُفنياتنا عن آخرنا. فقال ملكهن: ليحضرني كل ذي رأي برأيه. فتقدم خُزُر* منها يقال له فيروز، وقد كان الملك عرفه بالأدب والرأي، فقال: إن رأى الملك أن يبعثني إلى الفيلة ويبعث معي أميناً يرى ويسمع ما أقول وما أصنع ويخبره به، فليفعل. فقال له ملك الأراب: أنت أميني، وأنا أرضى رأيك، وأصدق قولك؛ فانطلق إلى الفيلة وبلغ عني ما أحببت، واعمَل برأيك، واعلم أن الرسول، به وبرأيه وأدبه يُعتبر عقل المرسل وكثير من شأنه، وعليك باللين والمواتاة؛ فإن الرسول هو يُلَيِّن القلب إذا رَفَق، ويخشَن الصدر إذا خَرِق. فانطلق الأراب في ليلة، القمر فيها طالع، حتى انتهى إلى موضع الفيلة. فكره أن يدنو منهم فيطأه بأرجلهم، وإن لم يردن ذلك، فأشرف على تلّ فنادى ملك الفيلة باسمه وقال له: إن القمر أرسلني إليك، والرسول مبلغ غير ملوم، وإن أغلظ في القول. فقال له ملك الفيلة: وما الرسالة؟ قال: يقول لك القمر إنه من عرف فضل قوته على الضعفاء فاغتر بذلك من الأقوياء، كانت قوته حيناً ووبالاً عليه؛ وإنك قد عرفت فضل قوتك على الدواب فغرك ذلك مني فعمدت إلى عيني التي تُسمى باسمي فشربت ماءها وكدرته أنت وأصحابك؛ وإني أتقدم إليك وأنذرك ألا تأتيها فأعشي بصرك وأتلف نفسك. وإن كنت في شك من رسالتي، فهلم إلى العين من ساعتك، فإني موافيك بها. فعجب ملك الفيلة من قول فيروز، وانطلق معه إلى العين. فلما نظر إليها رأى ضوء القمر في الماء. فقال له فيروز: خذ بحرطومك من الماء واغسل وجهك واسجد للقمر. ففعل. ولما أدخل خرطومه إلى الماء فحرّكه، خيل إليه أن الماء يرتعد، فقال ملك الفيلة: وما

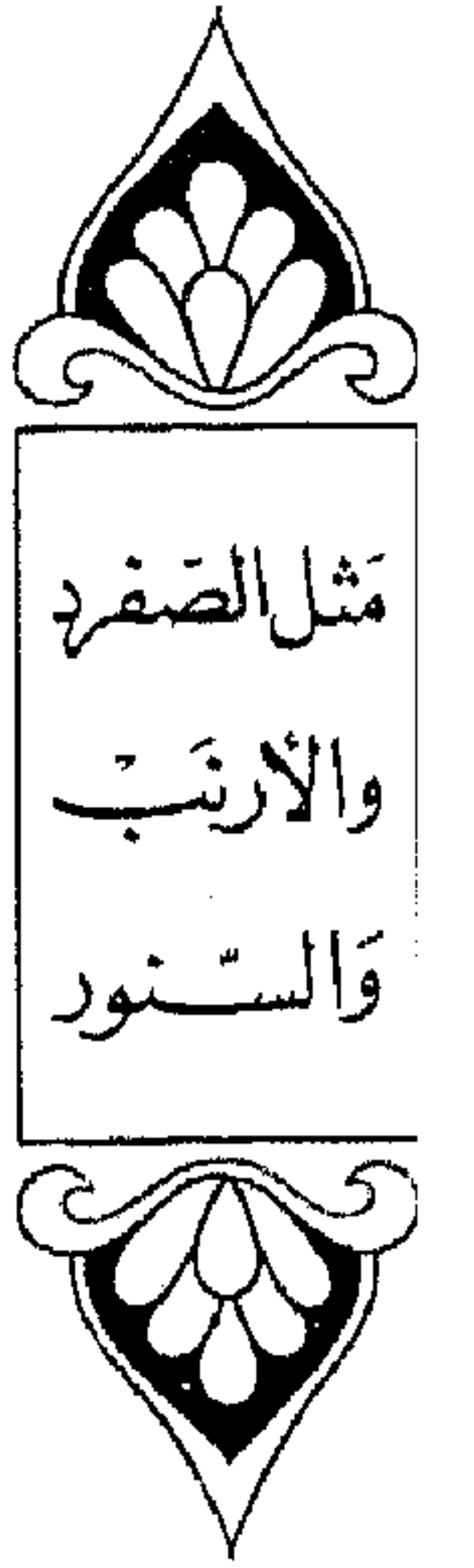
ولما أدخل خرطومه إلى الماء
فحرّكه خيل إليه أن الماء يرتعد



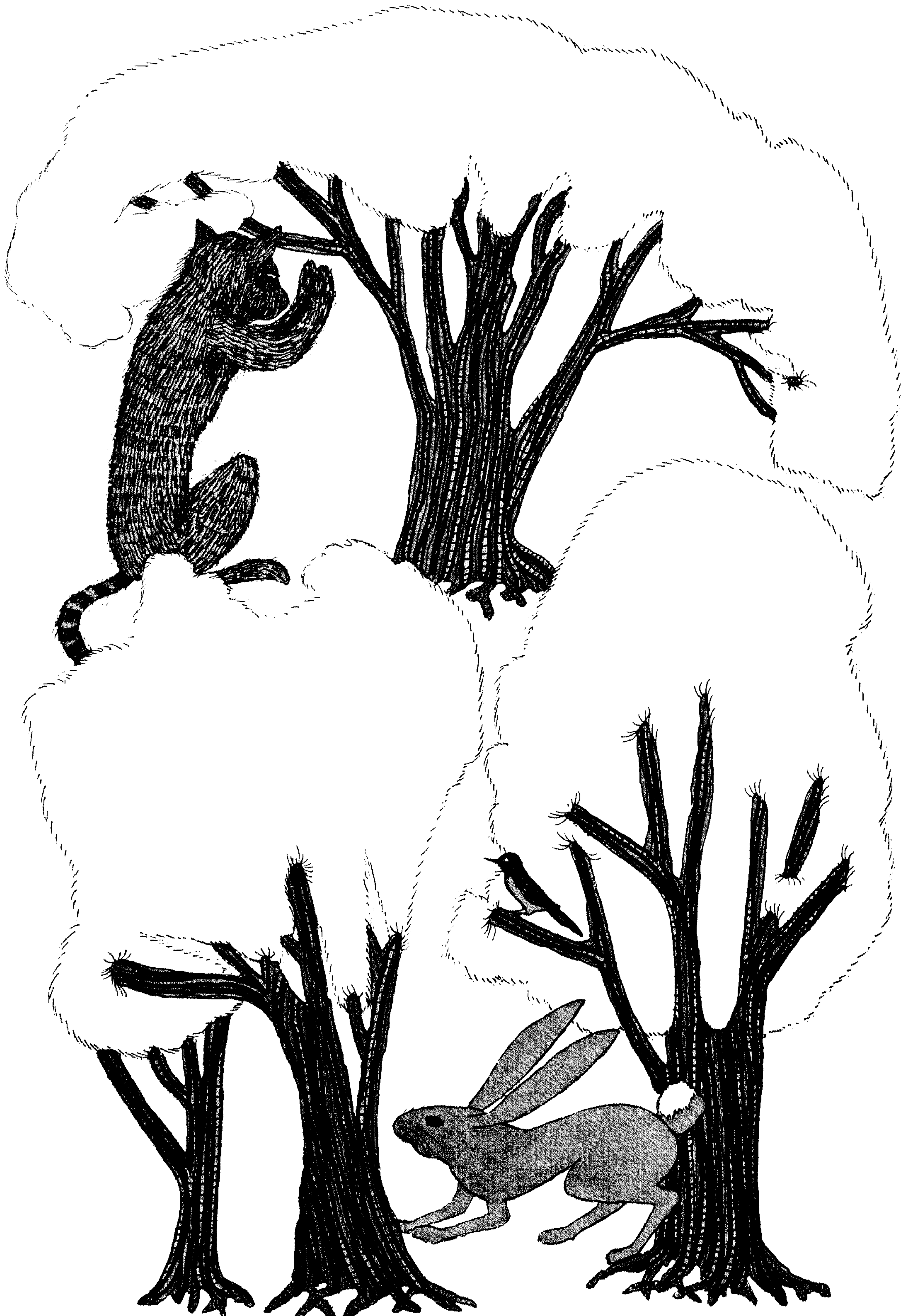
شأن القمر يرتعد؟ أترأه غضب من إدخال جَحْفَلَتِي* في الماء؟ قال: نعم، فاسجد له. فسجد الفيل للقمر وتاب إليه مما صنع، وشرط له ألا يعود هو ولا أحدٌ من فيلته إلى العين.

قال الغراب: ومع ما ذكرت لكم من أمر البوم فإن من شأنها الخبّ والخديعة. وشرّ الملوك المخادع. ومن ابتلي بسلطان المخادعين أصابه ما أصاب الصّفرِد والأرنب اللذين حكّما السنور الصوّام. قالت الطير: وكيف كان ذلك؟ قال الغراب:

كان لي جار من الصفارِد، وجحره قريب من الشجرة التي فيها وكري. وكان يُكثِر مواصلتنا، وطال جوار بعضنا لبعض. ثم إني فقدته فلم أدر أين غاب. وطالت غيبته عني حتى ظننت أنه قد هلك. فجاءت أرنب إلى مكانه لتسكنه فكرهت أن أخاصمها في مكان الصّفرِد ولا أدري ما فعل به الدهر. فلبثت الأرنب في ذلك المكان زماناً. ثم إن الصّفرِد رجع إلى مكانه، فلما وجد فيه الأرنب قال لها: هذا المكان مكاني، فانتقلي عنه. قالت الأرنب: المسكن في يدي، وأنت المدّعي؛ فإن كان لك حق فاستعدّ عليّ. قال الصّفرِد: المكان مكاني، ولي على ذلك البيّنة. قالت الأرنب: نحتاج إلى القاضي قبل البيّنة. قال الصّفرِد: ههنا قريب منّا القاضي، فانطلق بنا إليه. فقالت الأرنب: ومن القاضي؟ قال الصّفرِد: سنورٌ متعبّد يصوم النهار ويقوم الليل ولا يؤذي دابة ولا يأكل إلا الحشيش، فاذهبي بنا إليه. فانطلقا، وتبعتهما لأنظر إلى الصوّام وقضائه بينهما. فأتيا إليه هائبين له. فلما رآهما قد أقبلا من بعيد انتصب قائماً يصلي، فتعجبت الأرنب مما رأت منه. ولما صارا إليه دنوا منه هائبين له، فطلبا إليه أن يقضي بينهما. فأمرهما أن يقصّا قصتهما عليه، وقال لهما: لقد أدركني الكبر وثقل سمعي فما أكاد أسمع، فادنوا مني



فلما رآهما قادمين انتصب قائماً يصلي



لأسمع منكما. فدنوا وأعادا عليه قصتهما. فقال: قد فهمت ما قصصتما. وإني بادئكما بالنصيحة قبل القضاء: أمركما ألا تطلبا إلا الحق؛ فإن طالب الحق هو الذي يُفلح وإن قُضي عليه، وطالب الباطل مخصوم وإن قُضي له. وليس لصاحب الدنيا في دنياه شيء، لا مال ولا صديق، إلا عملٌ صالح قدّمه فقط؛ والعاقل حقيق أن يكون سعيه فيما يبقى ويعودُ عليه نفعه، ويمتد ما سوى ذلك. ومنزلة المال عند العاقل منزلة القذى، ومنزلة النساء منزلة الأفاعي، ومنزلة الناس عنده - فيما يحبّ لهم من الخير ويكره لهم من الشر - منزلة نفسه. فلم يزل يقصّ عليهما ويدنوان منه ويستأنسان به حتى وثب عليهما جميعاً فقتلهما.

ثم قال الغراب: والبوم تجمع مع سائر العيوب التي وصفت، المكر والخديعة، فلا يكونن تمليك البوم من رأيكن. فصدرت الطير عن خُطة الغراب، ولم تُملك البوم. فقال البوم الذي كان اختير للملك: لقد وترتني* أعظم الترة، فما أدري هل سلف إليك مني سوء استحققت به هذا منك؟ وإلا فاعلم أن الفأس يُقطع بها الشجر فتنبت وتعود، والسيف يُقطع به اللحم والعظم فيندمل ويلتئم، واللسان لا يندمل جرحه ولا يلتئم ما قطع، والنصل من النشابة يغيب في الجوف ثم يُنزع، وأشباه النصال من القول إذا وصلت إلى القلب لم تُنزع ولم تُخرج، ولكل حريق مطفىء: للنار الماء، وللسم الدواء، وللعشق الوصال، وللحزن الصبر؛ ونار الحقد لا تجب. وإنكم - معشر الغربان - قد غرستم بيننا وبينكم شجرة عداوة وحقد، هي باقية ما بقي الدهر.

ثم انصرف غضباناً موتوراً. وندم الغراب على ما فرط منه، وقال في نفسه: لقد خرقتُ فيما كان من قولي الذي جلبت به العداوة على نفسي وقومي؛ ولم أكن أحقّ الطير بهذه المقالة، ولا أعناها بأمر مُلكها؛ ولعلّ كثيراً منها قد رأى الذي رأيت، وعلم الذي علمت، فمنعها من ذلك، الاتقاء لما لم أتوقّه، والنظر فيما لم أنظر فيه. ثم لا سيّما إذا كان الكلام مواجهةً؛ فإنّ الكلام الذي يستقبل به قائله السامع عما يكره، ممّا يورث الحقد والضغينة، ولا ينبغي له أن يسمّى كلاماً ولكن يسمّى سماً. فإن العاقل، وإن كان واثقاً بقوته وقوله وفضله وشدة بطشه، لا يحمله ذلك على



وقال البوم: إنكم معشر الغربان قد غرستم
بيننا وبينكم شجرة عداوة وحقد

أن يجني على نفسه عداوةً اتكالاً على ما عنده من ذلك؛ كما أن الرجل، وإن كان عنده الترياق
والأدوية، لا ينبغي له أن يشرب السمّ اتكالاً على ما عنده من ذلك. وإنما الفضل لأهل حُسن
العمل لا لأهل حسن القول؛ فإنّ صاحب حسن العمل، وإن قصّر به القول في بديهته، بين
فضله عند الخبرة وعاقبة الأمر. وصاحب القول، وإن هو أحسن وأعجب ببديهته وحسن صفتة،
لم يُحمد ذلك منه إلاّ بتحقيقه بالعمل في غبّ أمره. فأنا صاحب القول الذي لا عاقبة له.
أو ليس من سفهي اجترائي على التكلم في الأمر الجسم لا أستشير فيه أحداً، ولا أروي فيه

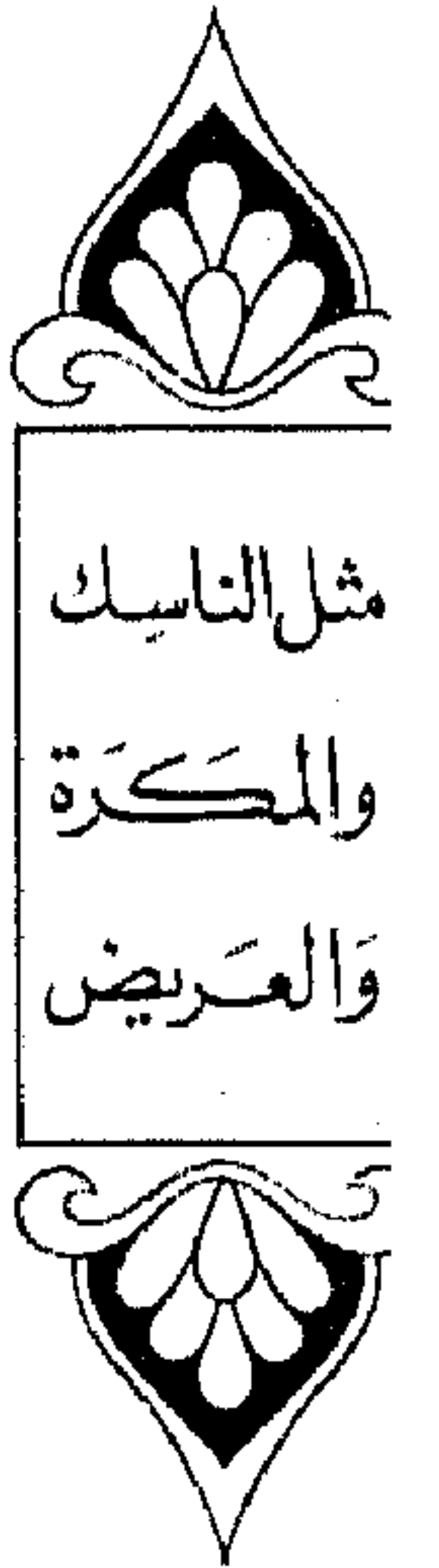
مراراً؟ وأنا أعلم أن من لم يُعْمِلْ رأيه بتكرار النظر، ولم يستشر النصحاء الألباء في أمره، لم يسر بمواقع رأيه، ولم يحمد غبّ أمره؛ فما كان أغناني عما اكتسبت في يومي هذا وما وقعت فيه من الغمّ .

فعاتب الغراب نفسه بهذا ثم انطلق .

فهذا ما سألت عنه من العلة التي بدأت بها العداوة بين البوم والغرابان. قال الملك: قد فهمتُ هذا فخذ بنا فيما نحن أحوج إليه اليوم، وأشر علينا برأيك الذي ترى أن نعمل به فيما بيننا وبين البوم. قال الغراب: أما القتال فقد كنتَ عرفتَ رأيي فيه وكراهيتي له، وأنا أرجو أن أقدر من الحيل على بعض ما فيه الفرج؛ فإنه رُبَّ قومٍ احتالوا برأيهم في الأمر الجسم حتى ظفروا منه بحاجتهم التي لم يكونوا قدروا عليها بالمكابرة؛ كالمكرّة الذين مكروا بالناسك حتى ذهبوا بعريضه. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الغراب:

زعموا أن ناسكاً اشترى عريضاً ضخمًا ليجعله قُرباناً، فانطلق به يقوده، فبصر به قوم مكرّة فأتَمروا ليخدعوه عنه، فعرض له أحدهم فقال له: أيها الناسك، ما هذا الكلب معك؟ ثم عرض له آخر فقال: إني لأظن أن هذا الرجل الذي عليه لباس النساك، ليس بناسك؛ فإنّ الناسك لا يقود الكلاب. ثم عرض له آخر فقال له: أنت تريد الصيد بهذا الكلب؟ فلما قالوا له ذلك لم يشكّ أن الذي معه كلب، فقال في نفسه: لعلّ الذي باعني، سحرني وخدعني. فخلّى عنه، فأخذه النفر فذبحوه واقتسموه .

وإنما ضربت لك هذا المثل لما أرجو أن نصيب من حاجتنا بالمكر والرفق؛ فأنا أرى أن يغضب عليّ الملكُ فيأمر بي على رعوس جنده فأضرب وأنقر حتى أتخضب بالدم، ويُنْتَفَ ريشي وذنبي، ثم أُطرح في أصل الشجرة، ثم يرتحل الملك وجنّده إلى مكان كذا وكذا حتى أمكر مكري، ثم آتي الملك فأعلمه الأمر. ففعل به الملك ذلك، وذهب بغربانه إلى المكان الذي وصف له .



* العريض من المعز: ما حال عليه الحول.

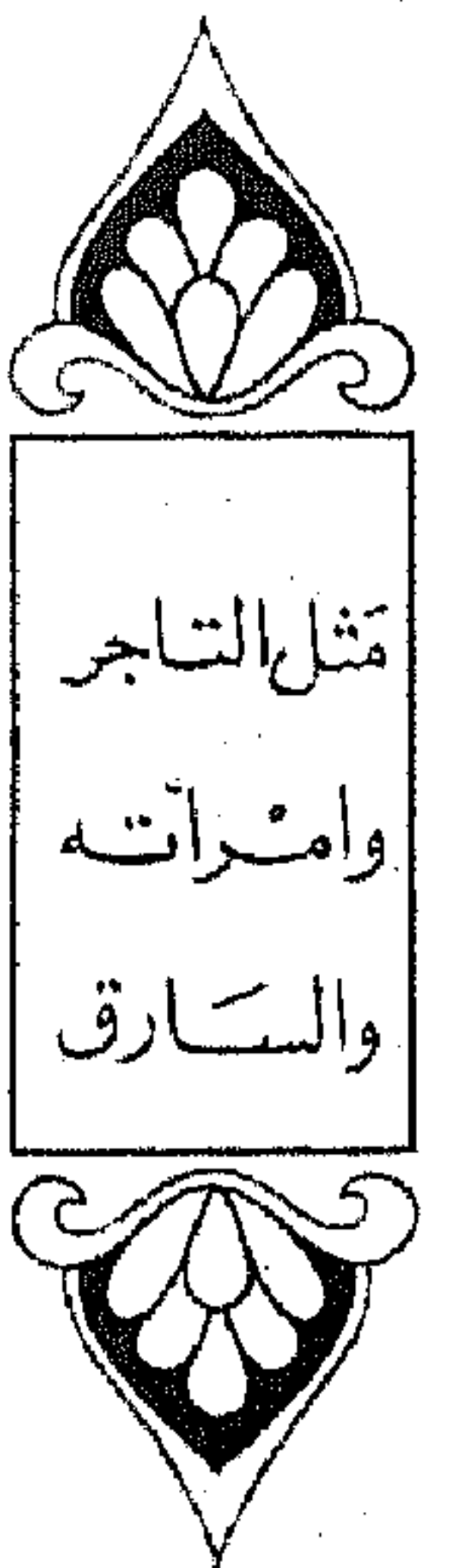
ثم إن البوم جاءت من ليلتها فلم تجد الغربان، ولم تفتن بالغراب في أصل الشجرة. فأشفق الغراب أن ينصرفن ولا يرينه فيكون تعذيبه نفسه باطلاً، فجعل يئن ويهمس حتى سمعه بعض البوم. فلما رأينه أخبرن به ملكهن، فعمد نحوه في بومات يسأله عن الغربان. قال الغراب: أنا فلان بن فلان، وأما ما سألتني عنه من أمر الغربان فأنت ترى حالي وما صنعوا بي. قال ملك البوم: هذا وزير ملك الغربان وصاحب رأيه، فسأله بأي ذنب صنع به هذا؟ قال الغراب:

ما هذا الكلب الذي معك



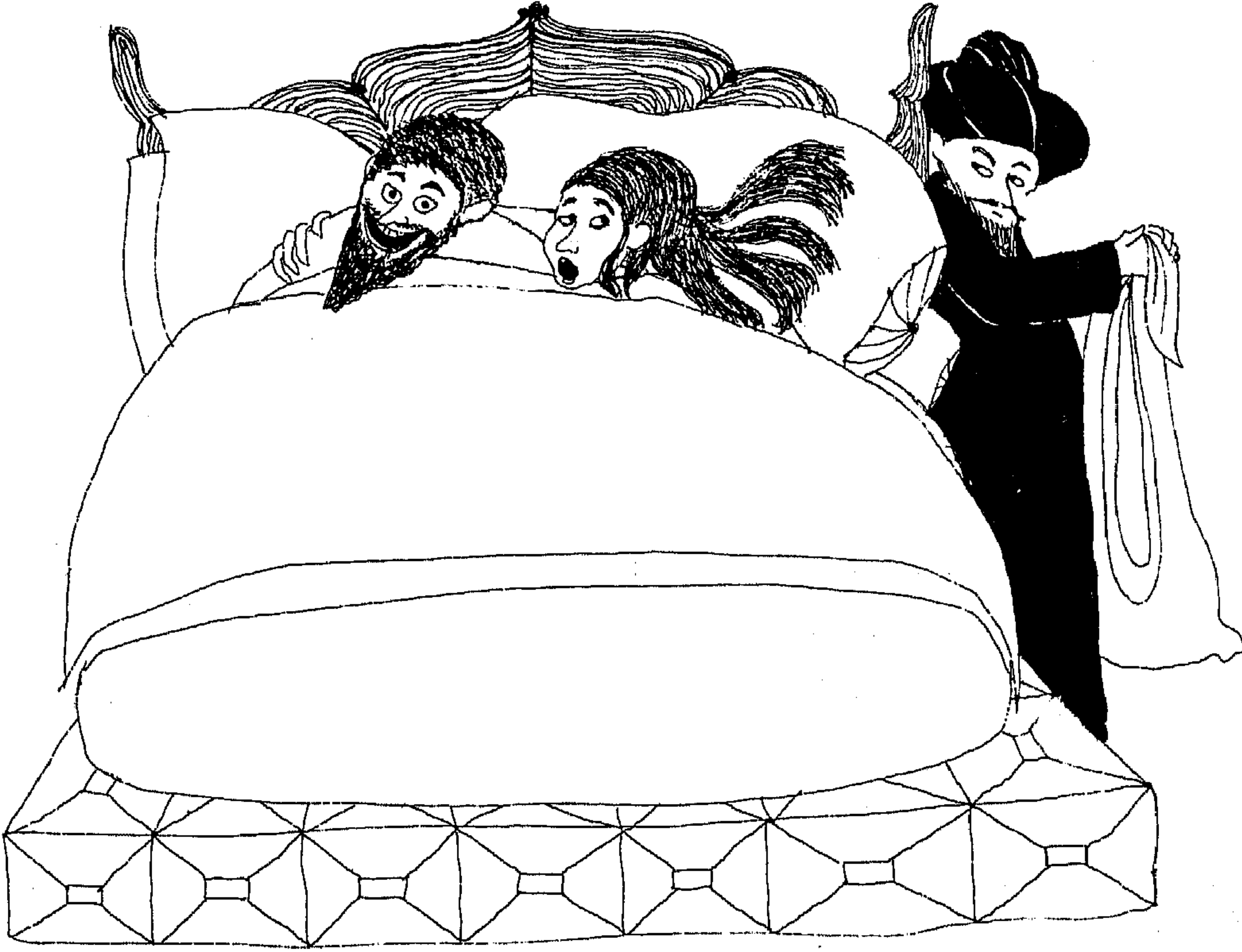
سَفَهُ رَأْيِي فَعَلْ بِي مَا تَرَى. قَالَ الْمَلِكُ: وَمَا ذَلِكَ السَّفَهُ؟ قَالَ الْغُرَابُ: إِنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ إِيقَاعِكُنَّ بِنَا مَا كَانَ، اسْتَشَارْنَا مَلِكُنَا فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الْغُرَبَانُ! أَمَا تَرَوْنَ مَا نَزَلَ بِنَا مِنَ الْبُومِ؟ وَكُنْتُمْ مِنَ الْمَلِكِ بِمَنْزِلَةٍ وَبِمَكَانٍ، فَقُلْتُمْ: أَرَى أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِقِتَالِ الْبُومِ، فَإِنَّهُنَّ أَشَدُّ بَطْشًا وَأَجْرًا قَلْبًا؛ وَلَكِنَّ الرَّأْيَ لَكُمْ أَنْ تَلْتَمِسُوا الصَّلْحَ وَتَعْرِضُوا الْفِدْيَةَ. فَإِنْ قُبِلَ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَإِلَّا فَاهْرُبُوا فِي الْبِلَادِ. وَأَخْبَرْتُ الْغُرَبَانَ أَنَّ قِتَالَكَنَّ خَيْرٌ لَكُنَّ، وَشَرٌّ لِهِنَّ، وَأَنَّ الصَّلْحَ أَفْضَلُ مَا هُنَّ مُصِيبَاتٌ مِنْكُمْ؛ وَأَمْرُهُنَّ بِالْخُضُوعِ؛ وَضَرَبْتُ لِهِنَّ فِي ذَلِكَ مِثْلًا فَقُلْتُ: إِنَّ الْعَدُوَّ الشَّدِيدَ لَا يَرُدُّ بِأَسْهُ وَغَضَبِهِ شَيْءٌ هُوَ أَمْثَلُ مِنَ الْخُضُوعِ لَهُ؛ أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَشِيشَ إِذَا يَسَلَّمَ مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ بَلِينَهُ وَإِنْشَاءَهُ مَعَهَا حَيْثُمَا مَالَتْ، وَالشَّجَرَةَ الْعَظِيمَةَ تَحْطُمُهَا لِانْتِصَابِهَا لَهَا، وَالْبَعُوضَةَ تَرِيدُ اخْتِلَاسَ النَّارِ وَلَا تَتَّقِيهَا فَتَحْتَرِقُ مِنْهَا؟ فَغَضِبْنَا مِنْ قَوْلِي وَزَعَمْنَا أَنَّهُنَّ يُرِيدْنَ الْقِتَالَ، وَاتَّهَمْنِي وَقُلْنَ: بَلْ مَالَتْ مَلِكُ الْبُومِ عَلَيْنَا وَغَشَشْتَنَا. وَرَدَدْنَا رَأْيِي وَنَصِيحَتِي، وَعَذَّبْنِي بِهَذَا الْعَذَابِ. فَلَمَّا سَمِعَ مَلِكُ الْبُومِ مَا قَالَ الْغُرَابُ اسْتَشَارَ وَزَرَاءَهُ فَقَالَ لِأَحَدِهِمْ: مَا تَرَى فِي هَذَا الْغُرَابِ؟ فَقَالَ: لَسْتُ أَرَى أَنَّ نَظَرَ هَذَا، وَلَيْسَ لَكَ فِي أَمْرِهِ نَظَرٌ إِلَّا الْمَعَاجِلَةَ بِالْقِتْلِ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَفْضَلِ عُدَدِ الْغُرَبَانَ، وَفِي قِتْلِهِ لَنَا فَتْحٌ عَظِيمٌ وَرَاحَةٌ مِنْ مَكِيدَتِهِ، وَفَقَدُهُ عَلَى الْغُرَبَانَ شَدِيدٌ. وَقَدْ كَانَ يُقَالُ: مَنْ اسْتَمَكَّنَ مِنَ الْأَمْرِ الْجَسِيمِ فَأَضَاعَهُ، لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ثَانِيَةً؛ وَمَنْ التَّمَسَّ فُرْصَةَ الْعَمَلِ وَأَمَكَّنَتْهُ ثُمَّ غَفَلَ عَنْهَا، فَاتَهُ الْأَمْرُ وَلَمْ تَعُدْ إِلَيْهِ الْفُرْصَةُ؛ وَمَنْ وَجَدَ عَدُوَّهُ ضَعِيفًا فَلَمْ يَسْتَرْحِ مِنْهُ، أَصَابَتْهُ النَّدَامَةُ حِينَ يَقْوَى الْعَدُوُّ وَيَسْتَعِدُّ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ. فَقَالَ الْمَلِكُ لِأَخْرٍ مِنْ وَزَرَاءَتِهِ: مَا تَرَى فِي هَذَا الْغُرَابِ؟ قَالَ: أَرَى أَلَّا تَقْتُلَهُ؛ فَإِنَّ الْعَدُوَّ الذَّلِيلَ الَّذِي لَا شَوْكَةَ لَهُ أَهْلٌ أَنْ يُصْفَحَ عَنْهُ وَيَسْتَبْقَى، وَالْمُسْتَجِيرَ الْخَائِفَ أَهْلٌ أَنْ يُؤْمَنَ وَيُجَارَ. مَعَ أَنَّ الرَّجُلَ رُبَّمَا عَطَفَهُ عَلَى عَدُوِّهِ الْأَمْرِ الْيَسِيرِ؛ كَالتَّاجِرِ الَّذِي عَطَفَ عَلَيْهِ السَّارِقُ امْرَأَتَهُ بِأَمْرٍ لَمْ يَتَعَمَّده. قَالَ الْمَلِكُ: وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ الْوَزِيرُ:

زَعَمُوا أَنَّ تَاجِرًا مُكْتَرًا كَانَ كَبِيرَ السِّنِّ، وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ شَابَّةً ذَاتَ جَمَالٍ، وَكَانَ لَهَا عَاشِقًا، وَكَانَتْ لَهُ قَالِيَةٌ مَبْغُضَةً لَا تَمَكَّنُهُ مِنْ نَفْسِهَا، وَلَا يَزِيدُهُ ذَلِكَ إِلَّا حُبًّا لَهَا. ثُمَّ إِنَّ سَارِقًا أَتَى بَيْتَ التَّاجِرِ لَيْلَةً، فَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ وَافَقَ التَّاجِرَ نَائِمًا وَامْرَأَتَهُ مُسْتَيْقِظَةً، فَذُعِرَتْ مِنَ السَّارِقِ وَوَثِبَتْ إِلَى التَّاجِرِ فَالْتَزَمَتْهُ. فَاسْتَيْقِظَ التَّاجِرُ، وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ هَذِهِ النِّعْمَةُ؟ فَلَمَّا بَصُرَ بِالسَّارِقِ قَالَ:





ولم تظن البوم بالغراب في
أصل الشجرة فأشفق الغراب
أن ينصرفن ولا يرينه
فيكون تعذيبه نفسه باطلا،
فجعل يئن ويهمس حتى
سمعه بعض البوم



فدعرت من
السارق ووثبت
إلى التاجر
فالتزمته فاستيقظ
التاجر ، وقال :
من أين هذه
النعمة ؟

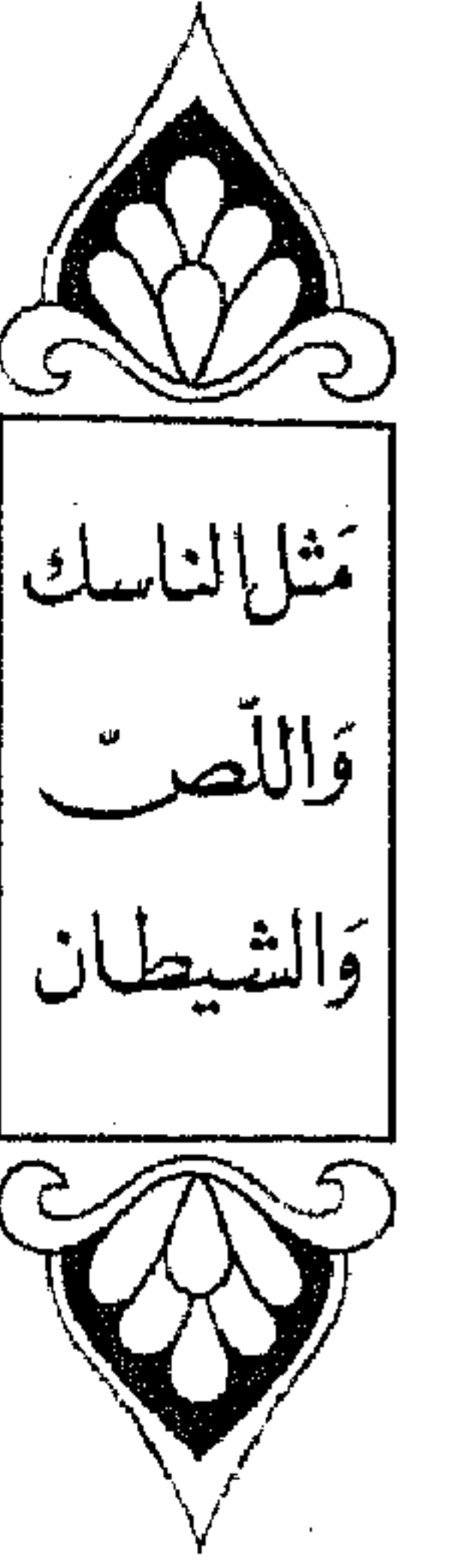
أيها السارق أنت في حلٍّ مما أردتَ أخذه من مالي ومتاعي ، ولك عليّ الفضلُ بما عَطَفْتَ عليّ
هذه المرأة من معانقتي .

ثم إنَّ الملكَ سألَ الثالثَ من وزرائه عن رأيه في الغراب ، فقال الثالثُ : أرى أن تستبقيه
وتُحسِنَ إليه ، فإنه خَلِيقٌ بمناصحتك ، وإنَّ من إحكامِ تمكُّنِ الرجلِ من أعدائه أن يستدخل
منهم أعواناً على الباقين . وإنَّ ذا العقلِ يرى ظَفَرًا حَسَنًا معاداةَ بعضِ عدوِّه بعضاً . وإنَّ اشتغالَ
بعضِ العدوِّ ببعضٍ واختلافَهم نِجاةً له كنجاةِ الناسكِ عند اختلافِ اللصِّ والشيطانِ . قال الملكُ :
وكيف كان ذلك ؟ قال الوزيرُ :

زعموا أنَّ ناسكاً أصابَ مرَّةً بقرةً حلوباً فانطلقَ بها يقودها ، وتبعه لِصٌّ فحدَّثَ نفسه بأخذها .

أما اللصُّ والشيطانُ فلم يَزالا في اختلافِ
حتى انتبه الناسكُ وجيرانه لصوتهما



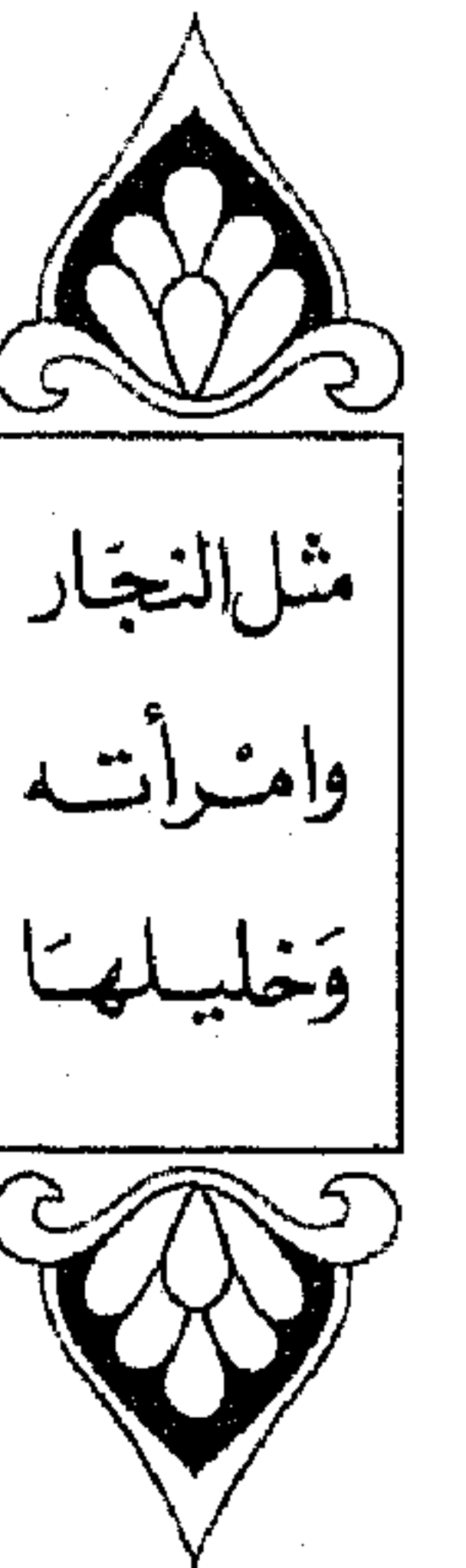


مثل الناسك
واللص
والشيطان

وتبع اللصّ شيطان في صورة إنسان. فقال اللصّ للشيطان: مَنْ أنت؟ قال: أنا شيطان أريد أن أتبع هذا الناسك، فإذا نام خنقته؛ فأنت ماذا؟ قال: وأنا أريد أن أتبعه إلى منزله لعلّي أسرق البقرة. فانطلقا مصطحبين حتى انتهيا إلى منزل الناسك مُمسيين، فدخل الناسك وأدخل بقرته ثم تعشى ونام. فأشفق اللصّ أن يبدأ الشيطان بالناسك قبل أن يسرق البقرة فيصيح فتجتمع الناس بصوته فلا يقدر على سرقة البقرة. فقال له: انتظر حتى أُخرج البقرة، ثم عليك بالرجل. فأشفق الشيطان أن يبدأ اللصّ بالبقرة فيتنبه الناسك فلا يقدر على أخذه. فقال له: بل أنظرنى حتى أخنقه ثم عليك بالبقرة. فأبى كل واحد منهما على صاحبه، فلم يزالا في اختلاف حتى نادى اللصّ الناسك أن انتبه فهذا الشيطان يريد أن يخنقك، وناداه الشيطان: أيها الناسك إن هذا اللصّ يريد أن يسرق بقرتك. فانتبه الناسك وجيرانه لصوتهما وهرب الخبيثان.

فلما فرغ الثالث من كلامه قال الأول الذي أشار بقتل الغراب: أراكنّ قد غرّكنّ هذا الغراب وخذعكنّ كلامه وتضرّعهُ، فأنتنّ تُردنّ تضييع الرأي والتغريب بجسيم الأمور؛ فمهلاً مهلاً عن هذا الرأي، وانظرنّ نظر ذوي اللبّ الذين يعرفون أمورهم وأمور عدوّهم، ولا يشكنّ عن رأيكنّ فتكونوا كالعجزة الذين يغترون بما يسمعون، وتلينّ قلوبهم لعدوّهم عند أدنى ملقٍ وتضرّع، وتكونوا بما تسمعون أشدّ تصديقاً منكم بما تعلمون؛ كالنجار الذي كذب ما رأى وصدّق بما سمع، فاغترّ وانخدع. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الوزير:

زعموا أنّ نجّاراً كانت له امرأة يحبّها، وكانت قد علقت رجلاً. فاطّلع على ذلك بعض أهل النجار فأخبره. فأحبّ أن يتيقن ذلك فقال لامرأته: إني أريد الذهاب إلى قرية هي منّا على فراسخ لأعمل هنالك عملاً لبعض الأشراف، وإني غائب عنك أياماً فأعدّي لي زاداً. ففرحت المرأة بذلك وأعدت له زاداً. فلما أمسى قال لها: استوثقي من باب الدار واحفظي بيتك حتى أرجع إليك. فخرج وهي تنظر إليه حتى جاوز الباب، ثم دخل من مكان خفيّ من منزل جارٍ له، واحتال حتى دخل تحت سريره. وأرسلت المرأة إلى خليلها أن ائتينا فإنّ الرجل



مثل النجار
وامرأته
وخليلها

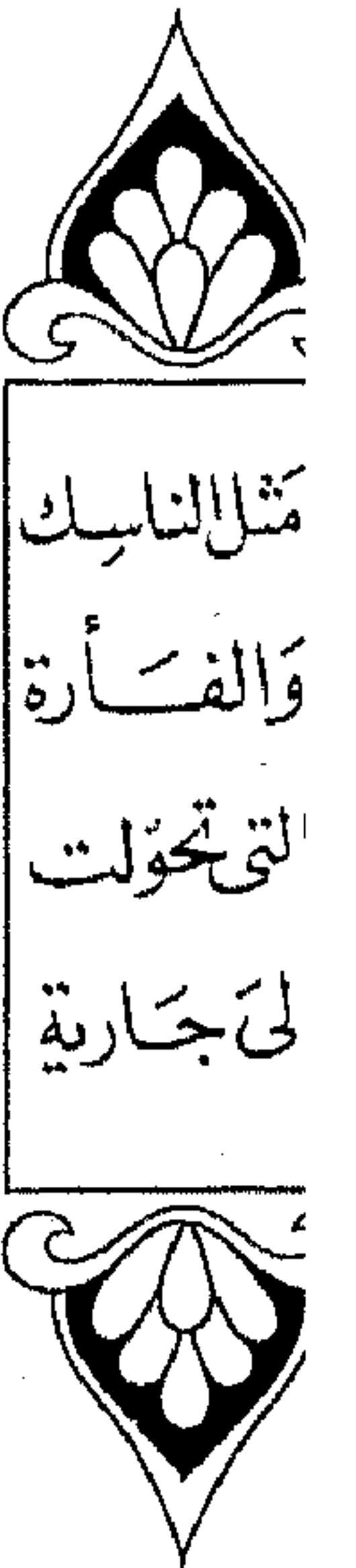
* تودد وتذلل .

النجار قد خرج في حاجة له يغيب فيها أياماً. فأثاها الرجل فهيات له طعاماً فأكلا وسقته. ثم تضاجعا على السرير ولبثا في شأنهما ليلاً طويلاً. ثم إن النجار غلبه النعاس فنام، فخرجت رجله من تحت السرير فرأتها امرأته فأيقنت بالشر فسارت خليلها أن أرفع صوتك فسلمي: أيما أحب إليك، أنا أو زوجك؟ وإذا امتنعت فألح علي. فسألها عما قالت فردت عليه: يا خليلي! ما يضطرك إلى هذه المسألة، وما حاجتك إليها؟ فألح عليها كما أوصته، فقالت له: ألسنت تعلم أنا، معشر النساء، إنما نريد الأخلاء لقضاء الشهوة، ولسنا نلتفت إلى أحسابهم ولا إلى شيء من أمورهم؛ فإذا قضينا من أحدهم أرباباً كان كغيره من الناس؛ فأما الزوج فإنه بمنزلة الأب والأخ والولد، وأفضل من منزلتهم! فلحا الله امرأة لا يكون زوجها عندها كعدل نفسها أو أحب إليها منها! فلما سمع النجار هذه المقالة، وثق من زوجته بالموذبة وبقي موضعها إلى الغد. فلما علم أن الخليل قد خرج، قام فوجد امرأته متناومة، ففعد عند رأسها وجعل يذب عنها. فلما تحركت قال لها زوجها: يا حبيبة نفسي نامي فإنك بت الليلة ساهرة. ولولا كراهة ما ساءك لقد كان بيني وبين ذلك الرجل صخب شديد.

وإنما ضربت لكم هذا المثل لئلا تكونوا كذلك النجار الذي كذب بما علم وتغافل. فلا تصدقوا هذا الغراب في مقالته، واعلموا أن كثيراً من العدو لا يستطيع ضرر عدوه بالمباعدة حتى يلتمسه بالمقاربة والمسامحة. وإني لم أخف الغربان حتى رأيت هذا الغراب، وسمعت مقالته فيكم فيه. فلم يلتفت ملك البوم وسائر وزرائه إلى كلامه.

ثم إن ملك البوم أمر أن يحمل الغراب إلى مكانه فيوصى به خيراً ويكرم ويحسن إليه. فقال الوزير المشير بقتله: إذا لم يقتل الملك هذا الغراب فلتكن منزلته منكم منزلة العدو المخوف المحترس منه؛ فإن الغراب ذو إرب ومكر ومكيده، وما أراه يرضى بالمقام معنا، ولا جاء إلينا إلا لما يصلحه ويفسدنا. فلم يرفع الملك بقوله رأساً، ولم يزد إلا كرامة للغراب وإحساناً إليه. وكان الغراب يكلمه إذا دخل عليه، ويكلم من يخلو به من البوم كلاماً يزدادون به ثقة كل يوم، وإليه استرسالا، وله تصديقاً. ثم إنه قال ذات يوم لجماعة من البوم وفيهن البوم الذي أشار بقتله: ليبلغن بعضكن الملك عني أن الغربان قد وترتني ترة عظيمة بما فضحتني وعذبتي، وأني لا يستريح

قلبي منهنّ أبداً حتى أدرك منهنّ ثأري، وأني قد نظرت في ذلك فلم أجدني أستطيعه وأنا غراب. وقد بلغني عن بعض أهل العلم أنهم قالوا: مَنْ طابت نفسه عن نفسه فأحرقها بالنار فقد قرب قرباناً إلى الله عظيماً، وإنه لا يدعو عند ذلك بدعاء إلا استجيب له. فإن رأى الملك أن يأمر بي فأحرق، ثم أدعو ربّي فيحوّلني يوماً لعلّي أنتقم من عدوّي وأشفي غليلي إذا تحولت في صورة البوم. قال له البوم الذي كان يشير بقتله: ما أشبهك، في حُسن ما تُبدّي وسوء ما تخفي، إلا بالخمير الطيبة الريح الحسنة اللون المنقع فيها السمّ المميت. أرايتك لو أحرقتك بالنار كان جوهرك وطباعك تحترق معك؟ فإنّ الشرّ يدور حيثما دارت، ثم تعود إلى أصلك وطباعك؛ كالقارة التي وجدت من الأزواج الشمس والسحاب والريح والجبل، فتركت ذلك كله، وتزوجت جرّداً. قال الغراب: وكيف كان ذلك؟ قال البوم:



مثل الناسك
والفارة
التي تحولت
لى جارية

زعموا أنّ ناسكاً كان مستجاب الدعوة؛ فبينما هو ذات يوم قاعد على شاطئ نهر إذ مرّت به جدأة في رجلها درصة فوقعت منها عند الناسك. فأدركه لها رحمة، فأخذها ولفّها في رُده، وأراد أن يذهب بها إلى منزله. ثم خاف أن يشقّ على امرأته تربيتها، فدعا ربّه أن يحوّلها جارية. فتحوّلت جارية وأعطيت حُسنًا وجمالاً. فانطلق بها الناسك إلى منزله، وقال لامرأته: هذه ابنتي فاصنعي بها صنيعك بولّدك. وربّاهما أحسن التربية، ولم يُعلمها قصّتها وما كان منها. فلما بلغت اثني عشرة سنة قال لها: يا بنية! إنك قد أدركت، ولا بدّ لك من زوج يقوم بأمرك ويكفّلك، ولنفرغ من الشغل بك. فاختراري من أحببت من الناس كلّهم أزوجك منه. قالت الجارية: أريد زوجاً قوياً شديداً منيعاً. فقال الناسك: ما أعرف أحداً كذلك إلا الشمس. فانطلق الناسك إلى الشمس فقال لها: إنّ عندي جارية جميلة، وهي بمنزلة الولد لي، وأنا أسألك أن تتزوجها. فقالت الشمس: أنا أدلك على من هو أقوى مني وأشدّ. قال الناسك: ومن هو؟ قالت: السحاب الذي يسترني ويذهب بضوئي. فأتى الناسك السحاب فسأله تزوّج الجارية.

ثم إن النجار غلبه النعاس فنام، فخرجت رجله من تحت السرير، فرأتها امرأته، فأيقنت بالشر



فقال: أنا أدلك على من هو أقوى مني وأشد: الريح التي تقبل بي وتدبر. فانصرف الناسك إلى الريح فسألها تزوج الجارية، فقالت له: أنا أدلك على من هو أقوى مني: الجبل الذي لا يستطيع أن أحركه. فانطلق الناسك إلى الجبل فقال له مثل مقالته للريح. فقال له الجبل: أنا أدلك على من هو أقوى مني: الجرذ الذي ينقني فلا أستطيع له حيلة ولا أمتنع منه. فقال الناسك للجرذ: هل أنت متزوج هذه الجارية؟ فقال الجرذ: كيف أتزوجها وجحري ضيق؟ فقال الناسك للجارية: هل لك أن أدعو ربّي أن يصيرك فأرة وأزوجك بالجرذ؟ فرضيت بذلك. فدعا ربّه أن يحولها فأرة، فتحوّلت فأرة وتزوجها الجرذ. فهذا مثلك أيها المخادع، في العود إلى أصلك.

فلم يلتفت ملك البوم ولا غيره منهنّ إلى هذا المثل؛ ورفقن بالغراب، ولم يزدن له إلا كرامة حتى استقلّ ونبت ريشه ونمى وصلح وعلم ما أراد أن يعلم واطّلع على ما أراد الاطلاع عليه. ثم إنه راغ روعة إلى الغربان فقال لملكهم: أبشرك بفراغي مما أردت الفراغ منه من أمر البوم. وإنما بقي ما قبلك وقبل أصحابك؛ فإن أتم صرتم وبالغتم في أمركم فهو هلاك البوم. فقال الغربان وملكهم: نحن عند أمرك. فقال: إن البوم بمكان كذا وكذا، وهنّ بالنهار يجتمعن في مغار في الجبل. وقد علمت مكاناً كثير الحطب، فتعالوا نعمل إليه، وليحمل كل غراب منّا ما استطاع إلى ذلك النقب. وقرب ذلك الجبل راعي غنم، وأنا مصيب منه ناراً فألقيها في الحطب، وتعاونوا أتم ضرباً بأجنحتكم أي نفخاً وترويحاً للنار حتى تضطرم وتتأجج، فما خرج من البوم احترق بالنار، وما بقي مات خنقاً بالدخان. ففعلوا ذلك فهلك جميع البوم، ورجع الغربان إلى أوطانهم آمناً.

ثم إن ملك الغربان قال لذلك الغراب: كيف صبرت على صحبة البوم ولا صبر للأخيار على صحبة الأشرار؟ قال الغراب: إن ذلك لكذلك؛ ولكن الرجل العاقل، إذا نابه الأمر الفظيع الذي يخاف فيه الهلكة الجائحة على نفسه وقومه، لم يجد بداً من احتمال الضيق، ولم يجزع من شدة الصبر لما يرجو لذلك من روح العاقبة، ولم يجد لذلك مساءة، ولم يكرم نفسه عن الخضوع لمن هو دونه حتى يبلغ حاجته وهو حامد لغيب أمره، ومغتبط بما كان من رأيه واصطباره على ما كان فيه. قال الملك: فأخبرني عن عقول البوم. قال الغراب: لم أجد فيهنّ عاقلاً إلا الذي



فبينما هو قاعد على شاطئ نهر إذ مرت به حداة تحمل درصة

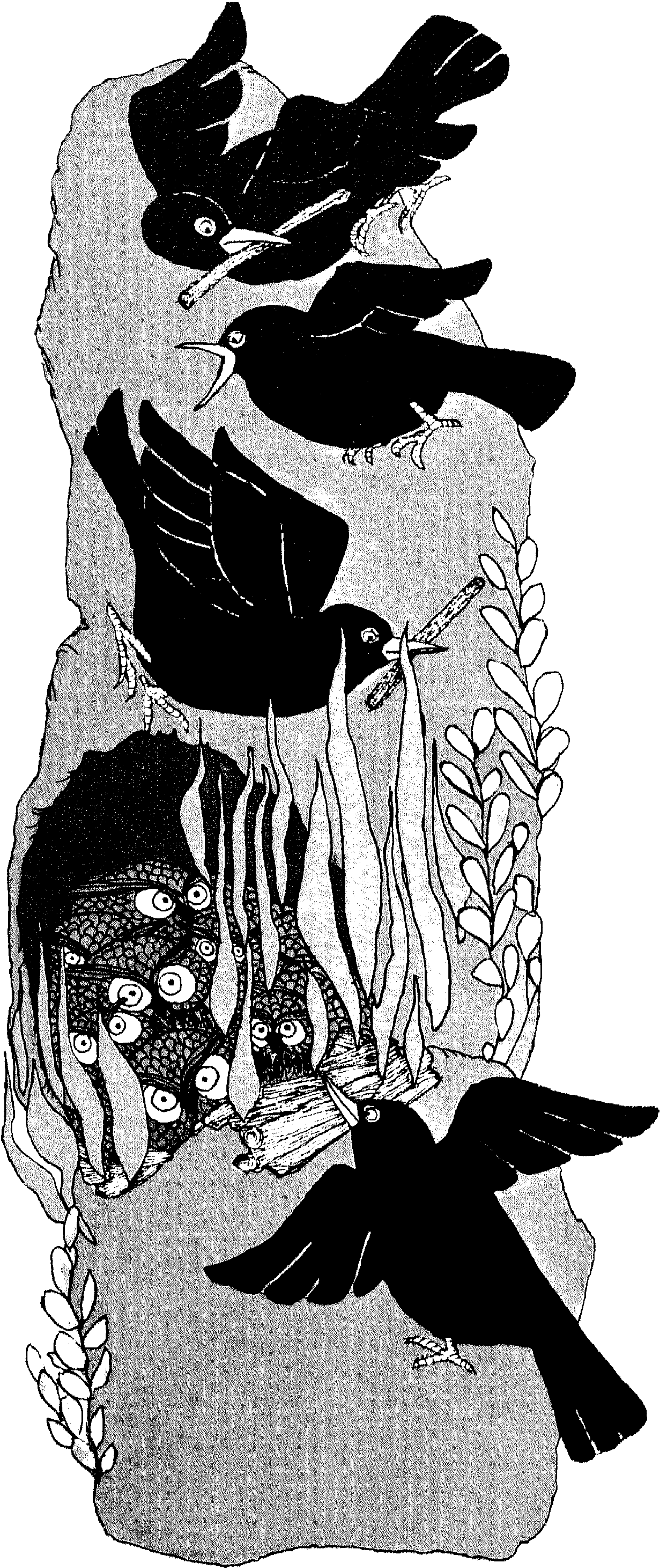
كان يشير بقتلي، وكنّ أضعفَ شيءٍ رأياً؛ لم ينظُرُن في أمري، ولم يذكُرُن أني كنت ذا منزلة من الملك، وأنّي أُعدّ من ذوي الرأي، فلم يتخوفن من مكري وحيلتي. وأخبرهنّ الحازم الرأي الناصحُ فرددن نصحه؛ فلا هنّ عقَلن، ولا من ذوي الرأي قبلن، ولا حذرني ولا حصنّ سرهنّ دوني. وكان يقال: ينبغي للملك أن يحصنّ دون المتهم سرّه وأمره، فلا يدنو من موضع أسراره



فقال الجرذ: كيف أتزوجها وجحري
ضيق؟

وأمره وكتبه، ولا من سلاحه
ولا من طعامه وشرابه، حتى
من الماء والفرش التي يجلس
عليها، والحلّة التي يلبسها،
والدابة التي يركبها، والأدوية
التي يشربها، وإكليل الرياحان
الذي يضعه على رأسه، والطيب
الذي يستعمله، والشعار الذي
يتخذه، وكلّ شيء يدينه منه؛
ولا يأمن على نفسه إلا الثقة
عنده .

وأنا مصيب ناراً فألقيها في الحطب،
وتعاونوا أنتم ضرباً بأجنحتكم حتى
تضطرم وتتأجج، فما خرج من اليوم
احترق بالنار، وما بقي مات خنقاً
بالدخان



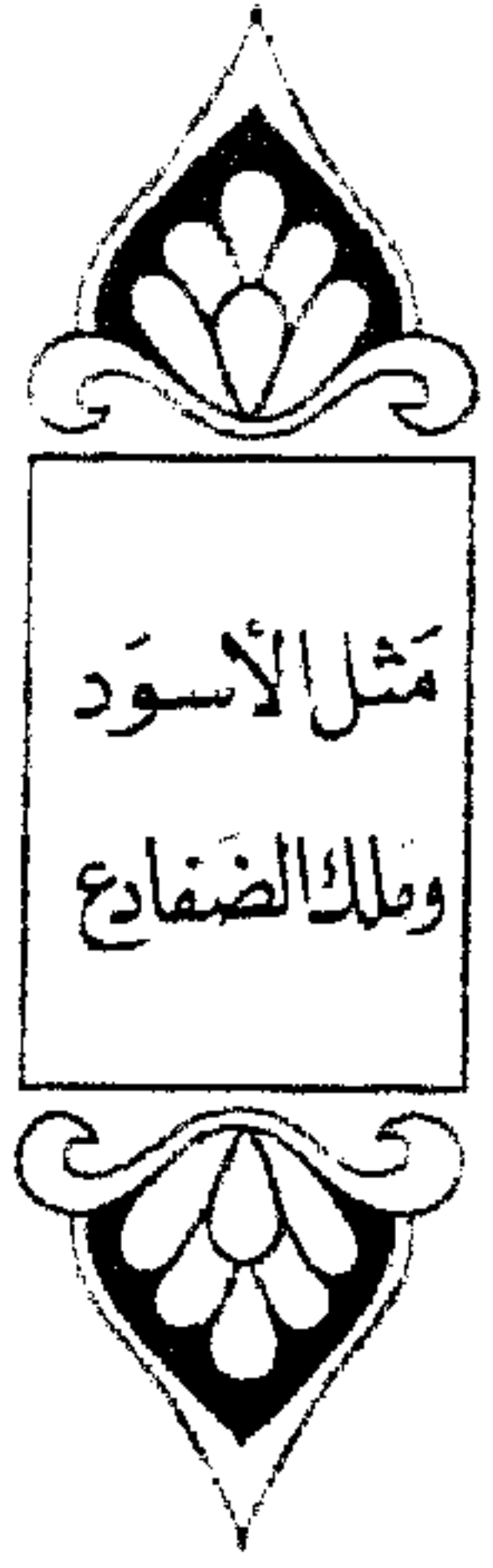
وقل من أكثر من
الطعام فلم يسقم



قال ملك الغربان: لم يهلك ملك البوم إلا بغيه وضعف رأيه ورأي وزرائه. قال الغراب:
صدقت؛ قلما ظفر أحد يبغي، وقل من حرص على النساء فلم يفتضح، وقل من أكثر من الطعام
فلم يسقم، وقل من ابتلي بوزراء السوء إلا وقع في المهالك؛ وكان يقال: لا يطمعن ذو الكبر
والصلف في الثناء الحسن، ولا يطمعن الخب في كثرة الصديق، ولا السبي الأدب في الشرف،
ولا الشحيح في البر، ولا الحريص في قلة الذنوب، ولا الملك المتهاون الضعيف الوزراء في
بقاء ملكه.

قال الملك: لقد احتملت مشقة شديدة بتصنعك للبوم وتضرعك لهن. قال الغراب: إنه
من احتمل مشقة يرجو فيها منفعة، صبر على ذلك؛ كما صبر الأسود على حمل الضفدع.
قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الغراب:

زعموا أن أسود كبر وهرم ولم يستطع الصيد، فذب متحاملاً حتى انتهى إلى غدیر كثير



الضفادع، كان يأتيه فيتصيد من ضفادعه، فوقع قريباً من العين شبيهاً بالكئيب الحزين. فقال له أحد الضفادع: ما شأنك حزينا؟ قال: ومالي لا أكون حزينا وإنما كان خير عيشي مما كنت أصيد من هذه الضفادع، فابتليت ببلاء حرمت عليّ الضفادع، حتى إني لو أصبت بعضها لم أجتريء على أكله. فانطلق الضفدع إلى ملكها فأخبره بما سمع من الأسود. فأتى الملك إلى الأسود وسأله عن ذلك فأخبره به، فسره ما سمعه منه. فقال له ملك الضفادع: ولم ذلك؟ وكيف كان أمرك هذا؟ قال: إني لا أستطيع أن آخذ من الضفادع شيئا إلا ما يتصدق به الملك عليّ. قال: ولم ذلك؟ قال: لأني سعت في إثر ضفدع من أيام لاأخذه، فاضطرته إلى بيت ناسك، فدخل البيت ودخلت في أثره، وفي البيت ابن الناسك، فأصبت إصبع الغلام وظننته الضفدع فلدغته فمات. فخرجت هاربا فتبعني الناسك ودعا عليّ ولعني وقال: كما قتلت هذا الغلام ظلماً له، أدعو عليك أن تذلّ وتخزي وتكون مركباً لملك الضفادع وتُحرم أكلها إلا ما يتصدق به عليك ملكها. فأتيت إليك لتركبني مقراً بذلك راضياً به. فرغب ملك الضفادع في ركوب الأسود، وظن أن ذلك شرف له ورفعته. فركب الأسود أياماً ثم قال الأسود: قد علمت أني محروم ملعون ولا أقدر على الصيد إلا ما تصدقت به عليّ من الضفادع؛ فاجعل لي رزقاً أعيش به. فقال ملك الضفادع: لعمري ما لك بدّ من رزق تعيش به ويُقيمك. فأمر له بضفدعين كل يوم يؤخذان فيُدفعان إليه. فعاش بذلك ولم يضره خضوعه للعدوّ الذليل، وصار ذلك له معيشة ورزقاً.

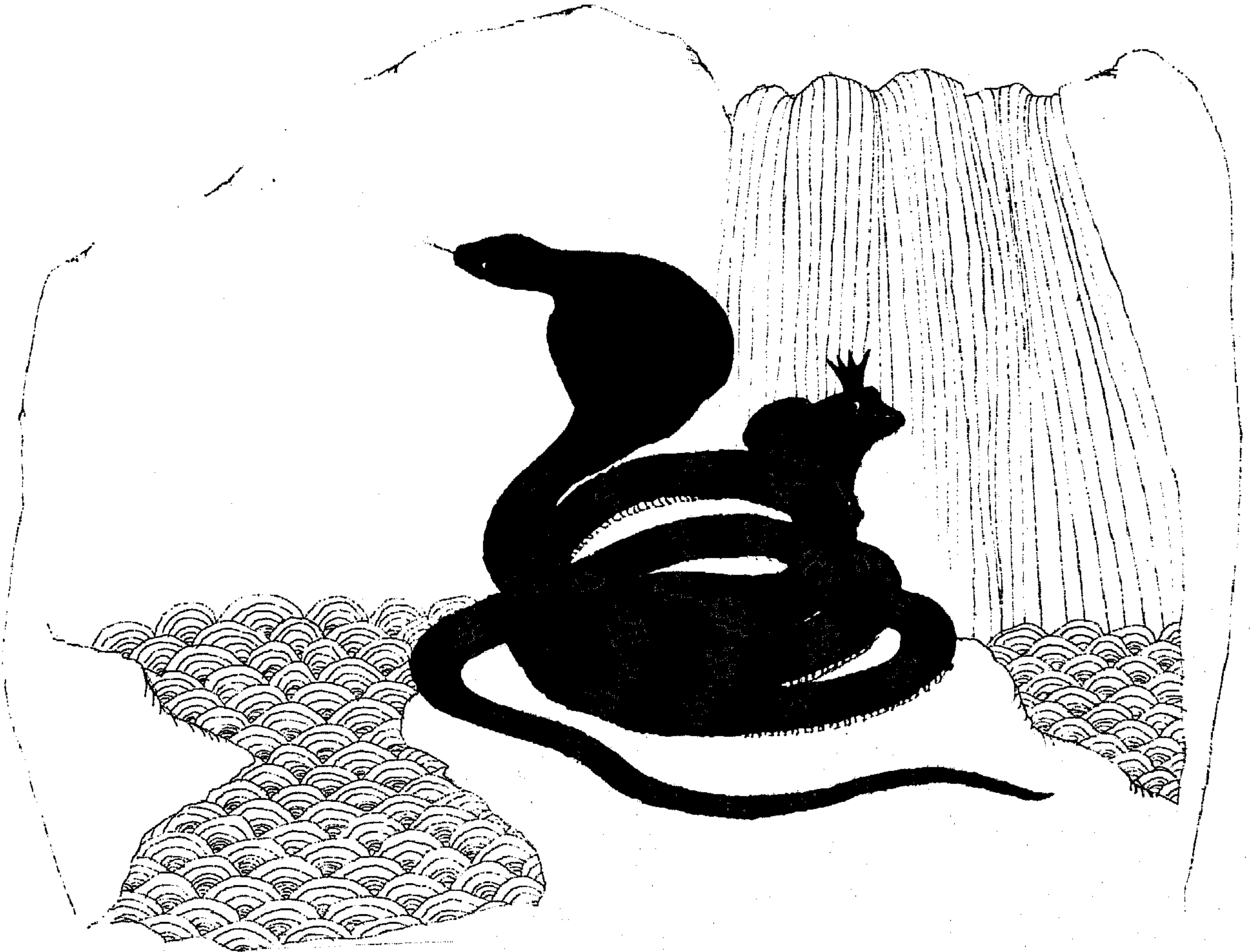
وكذلك كان صبري على ما صبرتُ عليه التماسَ هذا النفع العظيم الذي حصل لنا به بوار عدونا والراحة منه. قال الملك: وجدت صرعة المكر أشدّ استئصالاً للعدو من صرعة المكابرة؛ فإن النار لا تزيد بحرّها وحِدَّتْها إذا أصابت الشجرة، على أن تُحرق ما فوق الأرض منها؛ والماء بليته وبرده يستأصل ما تحت الأرض. وكان يقال في أربعة أشياء لا يُستقلُّ منها القليل: النار والمرض والعداوة والدّين.

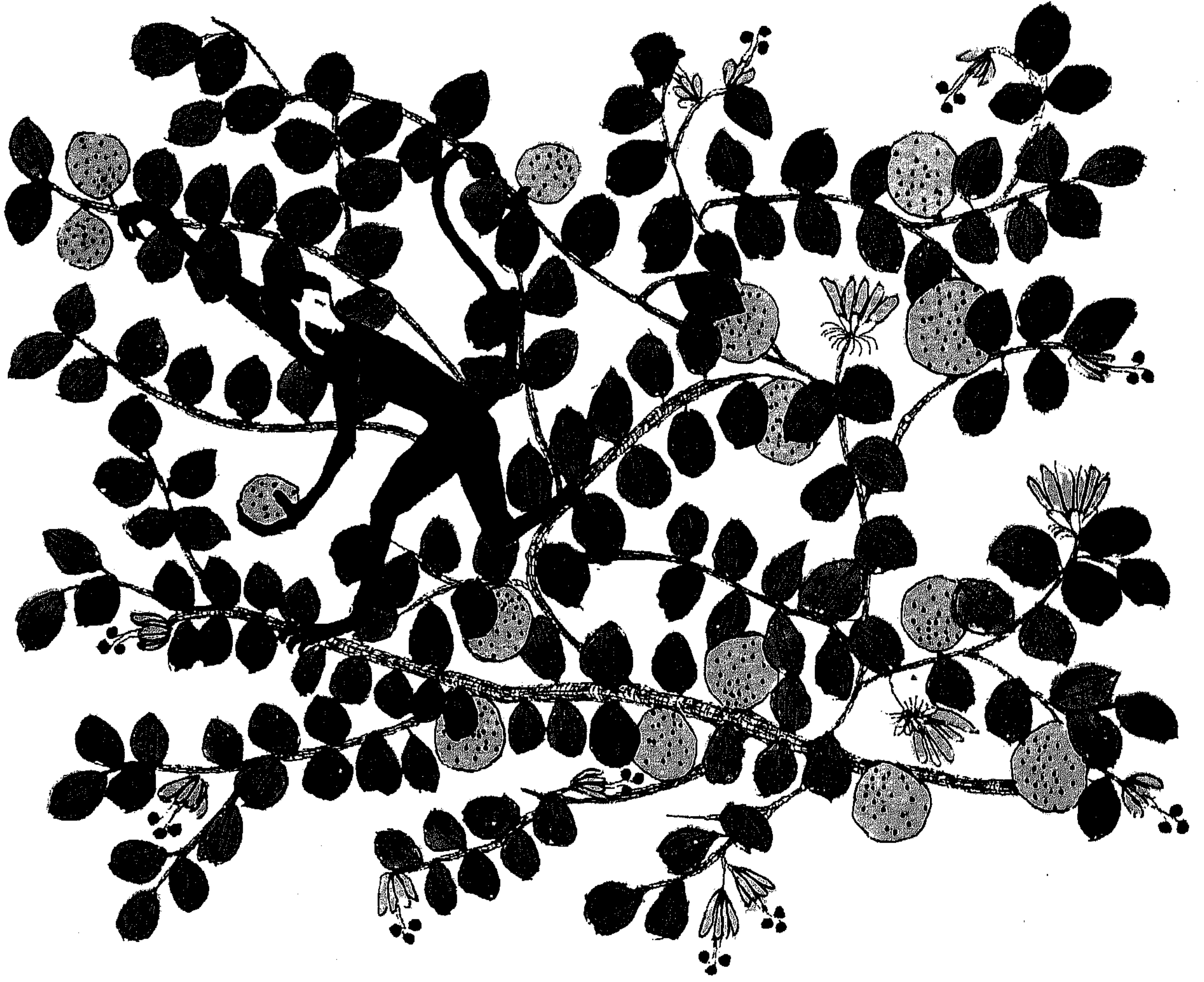
قال الغراب: كلّ ما كان من ذلك فبرأي الملك وسعادة جدّه؛ فإنه قد كان يقال: إذا طلب اثنان أمراً ظفر به أفضلهما مروءة، فإن استويا في المروءة فأفضلهما أعواناً، فإن استويا

في ذلك فأسعدهما جداً. وقد كان يقال: من غالب الملك الحازم الأريب المصنوع له الذي لا تُبطره السراء ولا يُدهشه الخوف، فإنَّ حينه يجدرُّ به؛ ثم لا سيِّما إذا كان مثلك أيها الملك العالم بالأمور وفُرص الأعمال ومَواضع الشدَّة واللين والغضب والرضا والعَجلة والأناة، والناظرُ في يومه وغده وعواقب أعماله .

قال الملك: بل برأيك وعقلك كان هذا؛ فإنَّ الرجل الواحد أبلغُ في إهلاك العدو من كثير العدد من ذوي البأس. وإنَّ من أعجب أمرك عندي طولُ لُبثك عند البوم وأنت تسمع الغيظ وتراه، ثم لا تسقطُ عندهم بكلمة. قال الغراب: لم أزل متمسكاً بأدبك أيها الملك؛

فرغب ملك الضفادع في ركوب الأسود





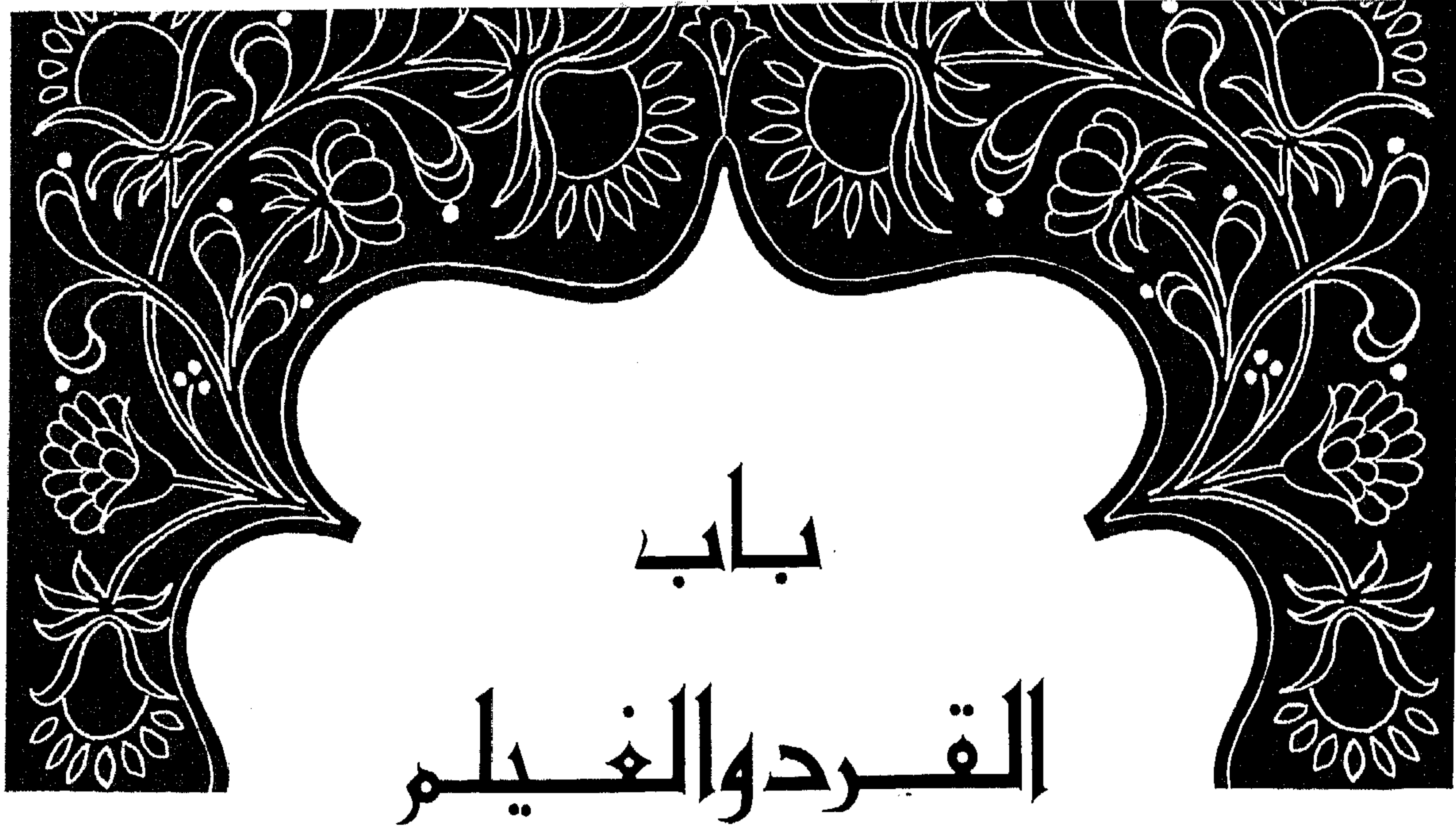
كالقرد لا يستقر ساعة واحدة

أصْحَبَ القريب والبعيد بالرَّفْق واللين والمتابعة والمواتاة. قال الملك: وجدتكَ صاحبَ عَمَلٍ، ووجدت غيركَ من الوزراء أصحابَ أقاويل ليست لها عاقبة. ولقد منَّ الله بك علينا مِنَّةً عظيمة لم نكن نجد قبلها لذة الطعام والنوم؛ فإنه كان يقال: لا يجد السقيمُ لذة النوم حتى يبرأ، ولا الرجلُ الشَّره الذي أطمعه السلطان في مال أو ولاية حتى يُنجَزَ له ذلك، ولا الرجلُ الذي قد أَلحَّ عليه عدوُّه - وهو يخافه صباحاً ومساءً - حتى يستريح منه. وكان يقال: مَنْ أفلت عنه الحمى استراح بدنه وقلبه، وَمَنْ وُضع عنه الحِمل الثقيل استراح منكبِهِ، وَمَنْ أَمِنَ عدوُّه ثلجَ

صدره. قال الغراب: أسأل الله الذي أهلك عدوك أن يمتّعك بسلطانك، وأن يجعل في ذلك صلاح رعيتك، ويُشركهم في قرة العين بملكك؛ فإنّ الملك إذا لم يكن في مملكته قرة عيون رعيتّه، فنُتله مثل ذاتِ الضرع⁶ الضخم إذا وضعت ولدها لم يكن فيه ما يكفيه. قال الملك: كيف كانت سيرة ملك اليوم في جنده؟ قال: سيرة بطر وأشر وفخر وخيلاء وعجب وضعف رأي. وكلُّ أصحابه ووزرائه كان شبيهاً به إلا الذي كان يُشيرُ بقتلي. قال الملك: وما رأيتَ منه مما استدلت به على عقله؟ قال: لخلّتين: إحداهما رأيه - كان - في قتلي، والأخرى أنه لم يكن يكتُم صاحبه نصيحة وإن استقلها، ولم يكن كلامه مع هاتين كلام خرق ومكابرة، ولكن كان كلام رفق ولين، حتى ربما أخبره بعيبه وهو لا يغضبه؛ إنما يضرب له الأمثال ويحدّثه عن عيب غيره فيعرفُ به عيبه، ولا يجد للغضب عليه سبيلاً. وكان مما سمعته يقول للملك، أن قال: لا ينبغي للملك أن يغفل عن أمره؛ فإنه أمر جسيم لا يظفرُ بمثله إلا قليل، ولا يُنال إلا بالحزم، وهو خفيف الاستقرار كالقرد الذي لا يستقرّ ساعة واحدة، وهو في الإقبال والإدبار كالريح، وفي الثقل كصحبة البغيض، وفيما يُخاف من معالجة عطبه كلسعة الحيّة، وفي سرعة الذهاب كجباب الماء من وقع المطر.

⁶ مدرّ اللبن للشاء والبقر ونحوها، وهو كالثدي للمرأة.





باب

القرد والغيلم

قال الملك للفيلسوف: قد سمعتُ هذا المثل؛ فاضرب لي مثل الرجل الذي يطلب حاجته حتى إذا ظفر بها أضعها .

قال الفيلسوف: إنَّ إصابة الحاجة أهونُ من الاحتفاظ بها. ومن ظفِر بأمر ولم يحسن الاحتفاظ به، أصابه ما أصاب الغيلم الذي ضيَّع القردَ بعد أن استمكن منه. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

زعموا أن جماعة من القردة كان لها ملك يقال له فاردين¹. فطال عُمره حتى بلغ الهرم. فوثب عليه قرد شاب من أهل بيته، فقال للقردة: قد هَرِمَ هذا، وليس يقوى على الملك ولا يصلح له. ومالاه على ذلك جندُه، فنَفَّوا القردَ الهرم، ومَلَّكوا الشابَّ. فانطلق هارباً فَلَحق بساحل البحر، فانتهى إلى شجرة من شجر التين نابتة على شاطئ البحر، فجعل يأكل من تينها، فسقطت منه تينة في الماء، وفيه غيلم - وهو السلحفاة الذكر - فلما سقطت التينة، أخذها الغيلم فأكلها.

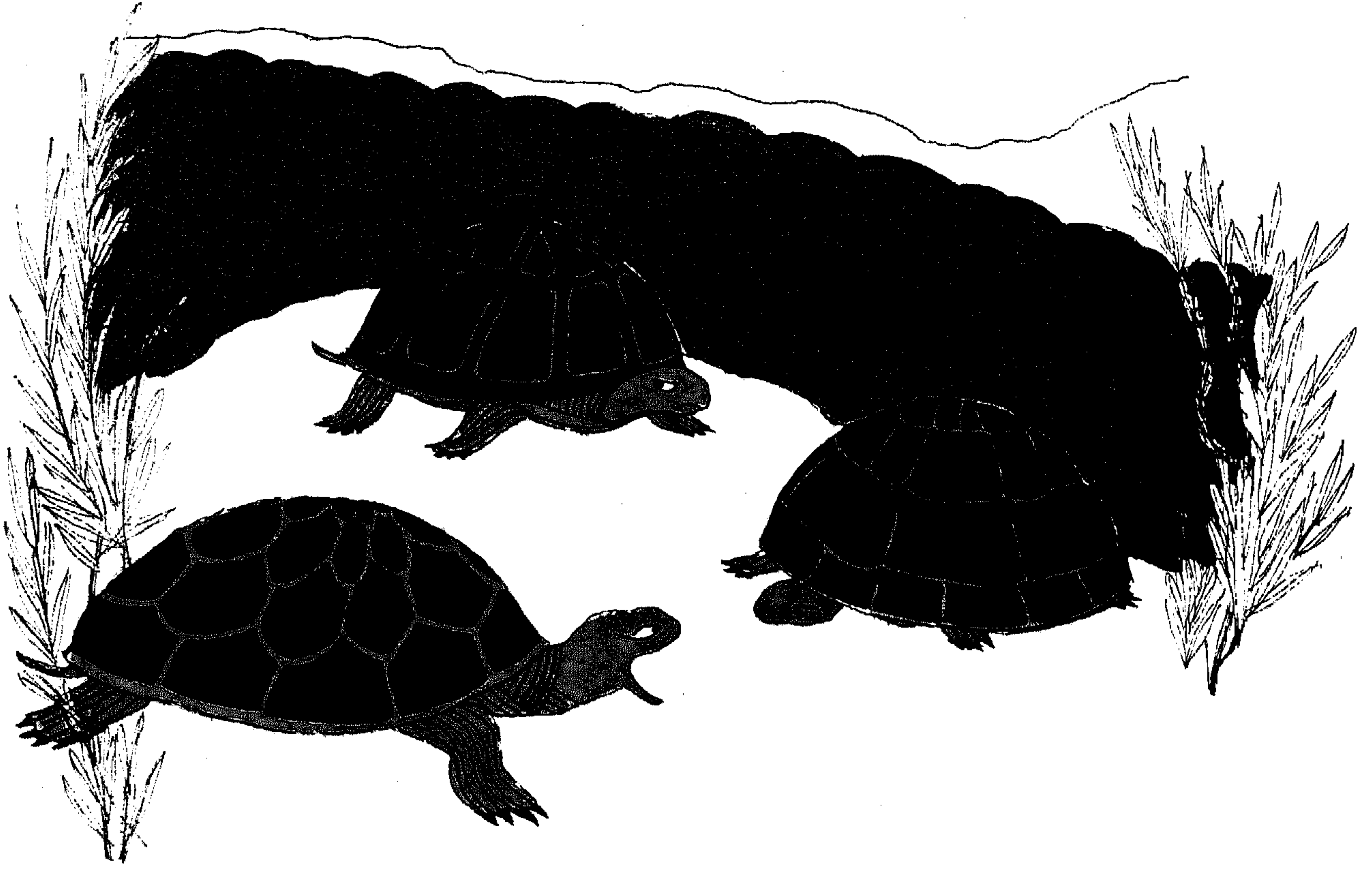
فلما سمع القرد وَقَعَ التين في الماء ، أعجبه وَوَلِعَ بِإِلْقائه في الماء. وجعل الغيلم يأخذه فيأكله ، ولا يشكّ أنّ القرد إنّما يطرح التين من أجله. فخرج الغيلم إلى القرد فتصافحا وتصادقا ، وألِف كل واحد منهما صاحبه ، ولبثا زماناً لا ينصرف الغيلم إلى أهله. وإن زوجة الغيلم حزنت لغيبة زوجها فشكت ذلك إلى صديقة لها وقالت : لعله أن يكون قد عَرَّض له عارض من شرّ ! فقالت لها صديقتها : لا تحزني فإنه قد بَلَّغني أنّ زوجك بالساحل مع قرد قد ألفه ، فهما يأكلان ويشربان ويلهُوان ؛ وقد طال غيبته عنك ، فانسيه إذ نسيك ، وليهنّ عليك إذ هنت عليه. وإن استطعت أن تحتالي للقرد فتُهلكيه فافعلي ؛ فإنّ القرد لو هلك قدِم عليك زوجك وأقام عندك. فأشجبت زوجة الغيلم لونها وضيّعت نفسها حتى أصابتها نهكة شديدة وهُزال .

ثم إنَّ الغيلم قال في نفسه : لآتين أهلي فقد طال غيبي. فأتى منزله فوجد زوجته عليلة منهوكة سيئة الحال² ، فقال لها : يا أختٍ كيف أنت ؟ فلم تجبه. فقال : إني أراك منهوكة . فلم تجبه. فأعاد المسألة فأجابت عنها جارة لها وقالت له : ما أشدّ حال زوجتك ؛ أما مرّضها فشيدي ، وأما الدواء فأشدُّ. فهل لشدة الداء وعدم الدواء إلا الموت ؟ فقال الزوج : فأخبريني بالدواء لعلّي أقدر عليه وألتمسه حيث كان. قالت : هذا المرض نحن - معاشر النساء - أعلم به ، وليس له دواء إلا قلب قرد. قال الغيلم في نفسه : هذا أمر عسير ؛ من أين أقدر على قلب قرد إلا قلب صديقي ؟ أفغادر بصديقي أم مَهلك زوجتي ؟ وكل ذلك لا عذر لي فيه. ثم قال : إذا لم يستطع الرجل عظيماً إلا باحتمال صغير ، كان حقيقاً ألا يلتفت إلى الصغير. وحقّ الزوجة بعد عظم ، والمنافع فيها كثيرة ، والمعونة منها على أمر الدنيا والآخرة غير واحدة ؛ وأنا حقيق أن أوثرها ولا أضيع حقها. ثم غدا متوجّهاً نحو القرد وفي نفسه مما يريد حيرة ، وهو

فلما سقطت التينة أخذها الغيلم فأكلها ، وسمع القرد وقع التين في الماء فأعجبه وولِعَ بإلقائه



يقول: إن إهلاكي أخاً وفيّاً وصولاً في سبب امرأة، لمن الأمور التي تُخاف عواقبها، وليست لله رضا. فمضى على ذلك حتى أتى القرد. فحيّاه وقال: ما حبسك عني يا أخي كل هذا الحبس؟ قال الغيلم: إن مما بطّاني عنك، مع شوقي إليك، الحياء منك والاحتشام، لقلّة مكافأتي إياك بحسن بلائك ومعرفك إليّ؛ فإني وإن كنت قد عرفت أنك لا تلتمس مني جزاءً بمعرفك، فإني أرى حقاً عليّ التماس مكافأتك. وأما أنت فخليقتك خليقة الكرام الأحرار الذين يُنيلون الخير من لم يُنلهم إياه فيما مضى ولا يرجونه منه فيما بقي، والذين لا ينسون جزاءه. فقال له القرد: لا تقولنّ هذا ولا تحتشمني، فأنت الجامعُ فيما بيني وبينك للأمرين جميعاً: الابتداء بما تجب لك فيه مني المكافأة، والمكافأة منك بأحسن ما رأيت. وقد سقطت إليك من وطني شريداً طريداً، وكنت لي سكناً وإلفاً أذهب الله عني بك الهم والحزن. قال الغيلم: إن أموراً ثلاثة تزداد بها لطافة ما بين الإخوان، واسترسال بعضهم إلى بعض؛ منها المؤاكلة، ومنها الزيارة في الرحل، ومنها معرفة الأهل والحشم. ولم يجر بيننا من ذلك شيء. وقد أحببت أن يكون ذلك. فقال القرد: إنما ينبغي للصديق أن يلمس من صديقه ذات نفسه. فأما النظرُ إلى الأهل والحشم، فإن اللعاب الذي يلعب على الخشبة، ينظر إلى كثير مما لا تراه العيون من أهل الناس وحشمهم. وأما المؤاكلة فإن كثيراً من الخيل والبغال والحمير يجتمعن على الأكل. وأما دخول الرجل بيت صاحبه فقد يدخل السارق إلى رحال معارفه لغير حبههم وإطافهم، إلا إرادة ما لهم. فلا يصل اللعابُ الناسَ بنظره إليهم وإلى حشمهم، ولا الدواب بعضها بعضاً باجتماعها في الأكل، ولا اللصوصُ معارفهم بدخولهم رحالهم، ولا لهؤلاء إذا حرمةٌ وحقٌ لبعضهم على بعض. قال الغيلم: قد صدقت؛ لعمرى ما يلمس الصديق من صديقه إلا المودة. فأما من كان يلمس منافع الدنيا فهو خليقٌ أن ينقطع ما بينه وبين إخوانه. وقد كان يقال: لا يُكثِرَنَّ الرجلُ على إخوانه حملَ المؤنات * حتى يؤذيهم وييرمهم؛ فإن عجل البقرة إذا أكثر مصّه إياها وإفراطه، أوشكت أن تضربه وتنفيه. ولم أذكر ما ذكرتُ إلا أكون أعرفُ منك الكرم والسعة في الخلق؛ ولكن أحببت أن تزورني في منزلي، فإنه في جزيرة كثيرة الشجر



فأتى الغيلم منزله فقال لزوجته : كيف أنت ؟ فلم تجبه

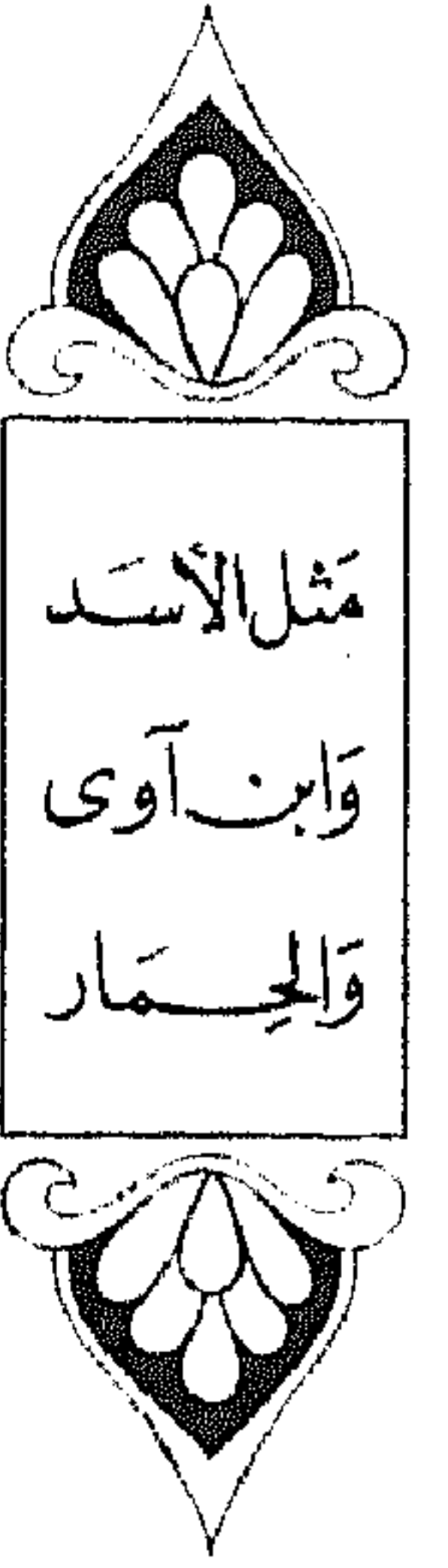
طيبة الفواكه. فأسعفني بطلبتي واركب ظهري لننطلق إلى منزلي. فرغب القرد في الفواكه، وتابع الغيلم وركب ظهره. فسبح به الغيلم حتى إذا لَجَّجَ به في البحر، عرض في نفسه قبح ما يريدُه وفجوره وغدره. فاحتبس مفكراً يقول في نفسه: إنَّ الأمر الذي هممتُ به، أمرٌ كفر وغدر، وما الإناث بأهلٍ أن يُركبَ بأسبابهنَّ الغدرُ واللؤم؛ فإنهنَّ لا يُوثقُ بهنَّ، ولا يُسترسَلُ إليهنَّ. وقد قيل: إنَّ الذهب يُعرف بالنار، وأمانة الرجل بالأخذ والعطاء، وقوة الدوابِّ تعرف بالحمل الثقيل، والنساء ليس هنَّ شيء يُعرفن به. فلما رأى القرد احتباس الغيلم وأنه ليس يسبح، ارتاب وقال في نفسه: ما احتباس الغيلم وإبطاؤه إلا لأمر. فما يؤمنني أن يكون³ قد رجع عما كان عليه من مودتي وإخائي، وانصرف إلى غير ذلك، فأراد بي سوءاً؟ فقد علمتُ أنه لا شيء أخفُّ وزناً

ولا أشدَّ تغيُّراً، ولا أسرع انقلاباً، من القلب. وقد كان يقال: لا يَغْفُلُ العاقل عن التماسِ عِلْمِ ما في نفس أهله وولده وإخوانه وصديقه عند كل أمر، وفي كل لحظة وكلمة، وعند القيام والقعود، وعلى كل حال؛ فإنَّ ذلك شاهد على ما في القلوب. ثم قال للغليم: ما يحبسك؟ وما لي أراك كأنك مهموم؟ قال يُهَمِّني أنك تأتي منزلي فلا توافق فيه كلَّ الذي أُحِبُّه لك، فإنَّ زوجتي عليلة. قال القرد: لا تهتمَّ، فإنَّ الهمَّ لا يُغني شيئاً، والتمس لزوجتك الأدوية والأطباء؛ فإنه كان يقال: ليبذل الرجل ماله في ثلاثة مواضع: في الصدقة إن أراد الآخرة، وفي مصنعة السلطان إن أراد المنزلة في الدنيا، وفي النساء إن أراد خفضَ العيش. قال الغليم: زعمت الأطباء أنه لا دواء لها إلا قلبُ قرد. فقال القرد في نفسه: واسوءتاه! لقد أورطني الحرص والشره، على كبر السنِّ، شرَّ مُورَط. لقد صدق الذي قال: يعيش القانع الراضي آمناً مطمئناً مستريحاً مريحاً، وذو الحرص والشره لا يعيش ما عاش إلا في تعب ونصب وخوف. وأراني قد احتجتُ إلى عقلي في التماس المخرج مما وقعت فيه. ثم قال للغليم: يا خليلي! إنه ليس ينبغي للخليل أن يدخر عن صاحبه نصيحة ولا منفعة، وإن أضرَّ ذلك به في نفسه. ولو كنتُ علمت بهذا كنت قد جئت بقلبي معي. قال الغليم: وأين قلبك؟ قال: خلَّفته في مكاني الذي كنت فيه. قال: وما حمَّلك على ذلك؟ قال: سنَّة فينا معشر القروء؛ إذا خرجنا إلى زيارة أخ أو صديق نخلِّفُ قلوبنا لتزول الظنَّةُ عنَّا. فإن شئت أتيْتُك به سريعاً. ففرح الغليم بطيب نفس القرد، وانقلب به راجعاً، حتى إذا بلغ الساحل وثب القرد إلى الشجرة فصعدَها. وأقام الغليم ساعةً ينتظره. فلما أبطأ عليه ناداه الغليم: يا خليلي عجلَّ؛ خذ قلبك وانزل، فقد حبستني. فقال القرد: أظنُّك تراني كالجمار الذي زعم الثعلب أنه ليس له قلب ولا أذنان. قال الغليم: وكيف كان ذلك؟ قال القرد:

زعموا أنَّ أسداً كان في أجمة ومعه ابن آوى يأكل من فضول صيده. فأصاب الأسد جرب

فسبح الغليم بالقرد حتى لجج في البحر





شديد حتى ضعف فلم يستطع الصيد. فقال له ابن آوى: ما شأنك يا سيد السباع؟ قد تغير حالك وقلّ صيدك، فأنتي ذلك؟ فقال الأسد: ذاك لهذا الجرب الذي ترى، وليس دوائي إلا أن أُصيبَ أُذنيّ حمار وقلبه. فقال ابن آوى: قد عرفتُ ههنا مكانَ حمار يجيء به قصّارٌ إلى مرج قريب منّا، يحمل عليه ثيابه التي يغسلها، فإذا وضع عنه الثياب خلاه في المرج. فأنا أرجو أن آتيك به: ثم أنت أعلم بأذنيه وقلبه. قال الأسد: إن قدرت على ذلك فافعل ولا تؤخّرني، فإنّ الشفاء لي فيه. فذهب ابن آوى إلى الحمار، فقال له: ما هذا الهزال الذي أرى بك؟ والدبرُ الذي يظهره؟ قال الحمار: أنا لهذا القصّار الخبيث؛ فهو يسيء علفي ويؤدبني ويتقلّب ظهري. قال ابن آوى: وكيف ترضى بهذا؟ قال فما أصنع، وأين أذهب، وكيف أفلت من أيدي الناس؟ قال له ابن آوى: أنا أدلك على مكان منغلز خصيب المرعى، لم يطأه إنسان قطّ، فيه أتان لم ينظر الناس إلى مثلها قطّ حسناً وتاماً، وهي ذات حاجة إلى الفحل، فطرب الحمار عند ذكر الأتان وقال: ما يحبسنا؟ ألا انطلق بنا؛ فإني لو لم أرغب في إخوانك كان ذلك حاملي على الذهاب معك. فتوجّه جميعاً قبيل الأسد، وتقدّم ابن آوى إلى الأسد فأعلمه، فوثب الأسد على الحمار من خلفه فلم يضبطه، وانفلت الحمار. فقال ابن آوى للأسد: ما هذا الذي صنعت؟ إن كنت عمداً تركت الحمار فلم عنيّني في طلبه؟ وإن كنت لم تضبطه فذاك أعظم، وقد هلكنا إذا كان سيّدنا لا يضبط حماراً! فعرف الأسد أنه إن قال: «تركت عمداً» سفّهه، وإن قال: «لم أضبطه لضعف» هان عليه، فقال: إن أنت استطعت ردّ الحمار إليّ أخبرتك بما سألت عنه. فقال ابن آوى: لقد جرّب الحمار مني ما جرّب، وإني بعد ذلك لعائدٌ إليه فمحتال له بما استطعت. فعاد إلى الحمار. فقال له: ما الذي أردت بي؟ قال ابن آوى: أردتُ بك الخير، ولكن الذنب لإفراط الغلّة والشهوة؛ فإنّ التي وثبت عليك هي الأتان التي أخبرتك عنها، وإنما وثبت عليك من شدة الودق*، فلو كنت صبرت ساعة صارت تحتك. فلما سمع الحمار بالأتان ثانية، هاجت به الغلّة فانطلق مع ابن آوى يسعى، فوثب عليه الأسد فافترسه، حتى إذا فرغ منه قال لابن آوى: إنه وُصِف لي هذا الدواء على أن أغتسل ثم آكل

* الودق: طلب الفحل.

* قرحة تحدث من الرجل ونحوه.



فوثب الأسد على الحمار من خلفه

الأذنين والقلب، وأجعل ما سوى ذلك قُرْبَاناً، فاحتفِظ بالحمار حتى أغتسل وأرجع إليك. فلما ذهب الأسد، عمّد ابن آوى إلى أُذُنِي الحمار وقلبه فأكلها رجاء أن يتطيّر الأسد من ذلك فلا يأكل من بقيّة الحمار شيئاً. فلما رجع الأسد قال لابن آوى: أين قلب الحمار وأذناه؟ قال ابن آوى: أو ما شعرت أنّ هذا الحمار لم يكن له قلب ولا أذنان؟ قال الأسد: ما سمعت بأعجب من مقالتك! قال ابن آوى: لو كان له قلب وأذنان لم يرجع إليك الثانية بعد أن صنعتَ به ما صنعت!

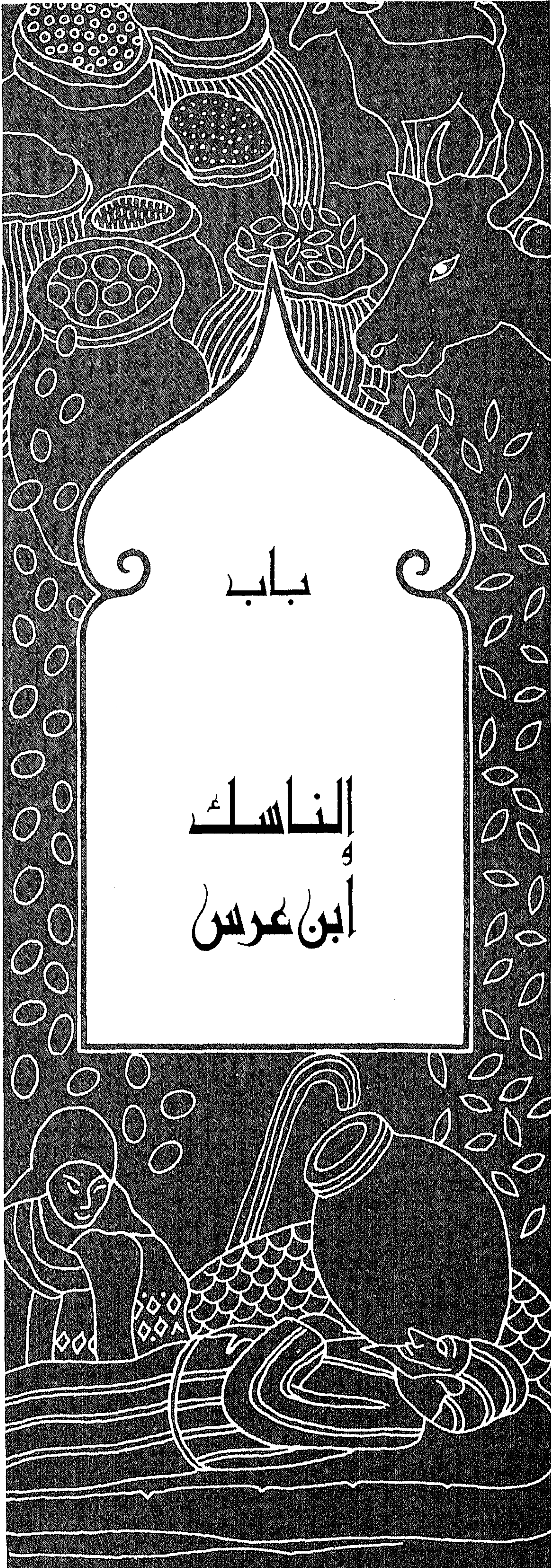
وإنما ضربت لك هذا لتعلم أنّي لست كذلك؛ ولكنك احتلت لي وخذعتني بقولك



كالرجل الذي يعثر على الأرض، وعليها ينهض

فكافأتك بمثل ذلك، واستدركتُ تفريطي وما كنت ضيِّعت من نفسي. قال الغيلم: أنت الصادق البار؛ وذو العقل يُقِلُّ الكلام، ويبالغ في العمل، ويعترف بالزلَّة، ويتثبت في الأمور قبل الإقدام عليها، ويستقيل عثرة عمله بعقله، كالرجل الذي يعثر على الأرض، وعليها ينهض ويستقيم.

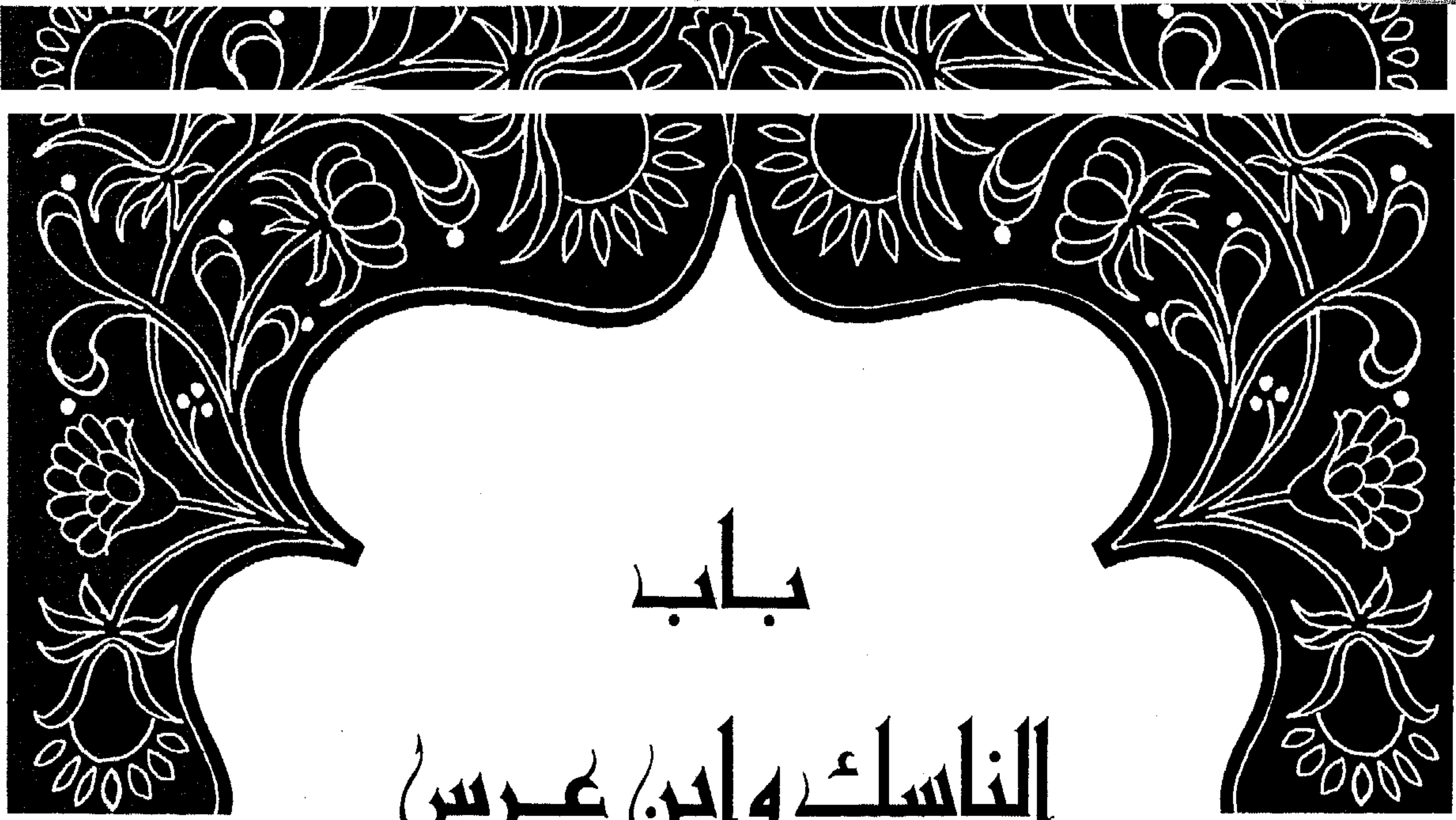
فهذا مثل الذي يطلب أمراً حتى إذا استمكن منه أضاعه.



باب

النساء

ابن عرس



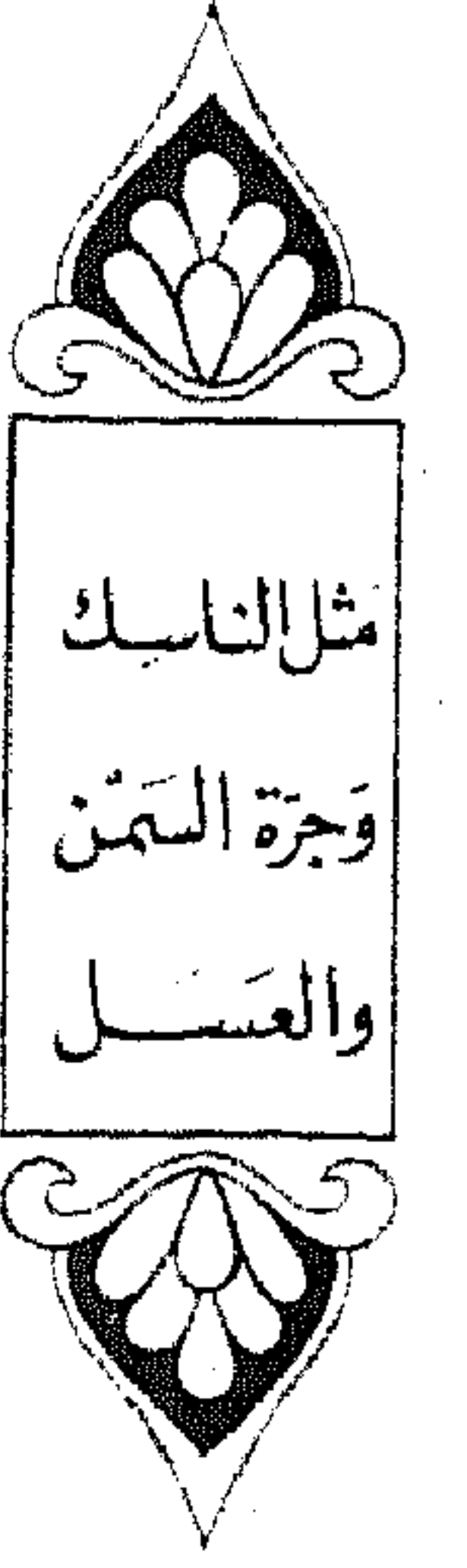
باب

الناسك وابن عرس

قال الملك للفيلسوف: قد سمعتُ هذا المثل فاضرب لي مثل الرجل الذي يعمل العمل بغير روية ولا تثبت .

قال الفيلسوف: من لم يكن في عمله متأنياً وفي أمره متثبِتاً لم يبرح نادماً. ومن أمثال ذلك مثلُ الناسك وابنِ عرس. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

زعموا أنه كان بأرض جرجان ناسك، وكانت له امرأة لبثت عنده زماناً لم تلد، ثم حملت من بعد. فاستبشر بذلك الناسك، وقال لها: أبشري فإني أرجو أن تلدي غلاماً يكون لنا فيه متاع وقرّة عين. وأنا متقدم في التماس ظئر، ومتخيراً له من الأسماء أحسنها. قالت المرأة: أيها الرجل! ما يحملك على أن تتكلم فيما لا تدري هل هو كائن أو غير كائن؟ فاسكت عن هذا الكلام، وارض ما قسم الله لنا؛ فإنّ العاقل لا يتكلم فيما لا يدري ولا يحكم على المقادير في



مثل الناسك
وجرة السمن
والعسل

نفسه ولا يقدر في نفسه شيئاً. ومن تكلم فيما لا يدري - وقل أن يكون - أصابه ما أصاب الناسك
المهريق السمن والعسل على رأسه. قال الناسك: وكيف كان ذلك؟ قالت المرأة:

زعموا أن ناسكاً كان يجري* عليه من بيت رجل من التجار، رزق من السويق** والسمن
والعسل. فكان يُبقي من ذلك السمن والعسل فيجعل الباقي منها في جرة ثم يعلقها في بيته. فبينما
الناسك ذات يوم مستلق على ظهره، والجرة فوق رأسه، إذ نظر إليها فذكر غلاء السمن والعسل،
فقال: أنا بائع ما في هذه الجرة بدينار، فأشترى بالدينار عشرة أعنز، فيحملن ويلدن لسته
أشهر - ثم حزر على هذا الحساب لخمس سنين، فوجد ذلك أكثر من أربعمئة عنز - ثم
أبيعها فأشترى بأثمانها مائة من البقر، بكل أربعة أعنز ثوراً، وأصيب بذراً فأزرع على الثيران؛
فلا يأتي علي خمس سنين إلا وقد أصبت منها ومن الزرع مالا كثيراً، فأبني بيتاً فاخراً، وأشترى
عبيداً وإماءً ورياشاً ومتاعاً، فإذا فرغت من ذلك تزوجت امرأة جميلة ذات حسب، فإذا
دخلت بها أحببتها، ثم تلد ابناً سوياً مباركاً فأسميه مامه وأؤدبه أدباً حسناً وأشدت عليه في الأدب؛
فإن لم يقبل الأدب مني ضربته بهذه العصا هكذا. ورفع العصا يشير بها فأصابت الجرة فانكسرت،
وانصب السمن والعسل على رأسه ولحيته.

وإنما ضربت لك هذا المثل لتنتهي عن الكلام فيما لا تدري. فاتعظ الناسك بقولها. ثم
إن المرأة ولدت غلاماً سوياً فسر به أبوه؛ حتى إذا كان بعد أيام قالت المرأة لزوجها: اقعد عند
الصبي حتى أغتسل وأرجع إليك. فانطلقت المرأة. ولم يقعد الرجل إلا قليلاً حتى جاءه رسول الملك
فذهب به، ولم يُخلف مع ابنه أحداً، إلا أنه قد كان له ابن عرس قد رباه فتركه الرجل عند
ابنه، وكان مؤدباً معلماً، وذهب إلى الملك.

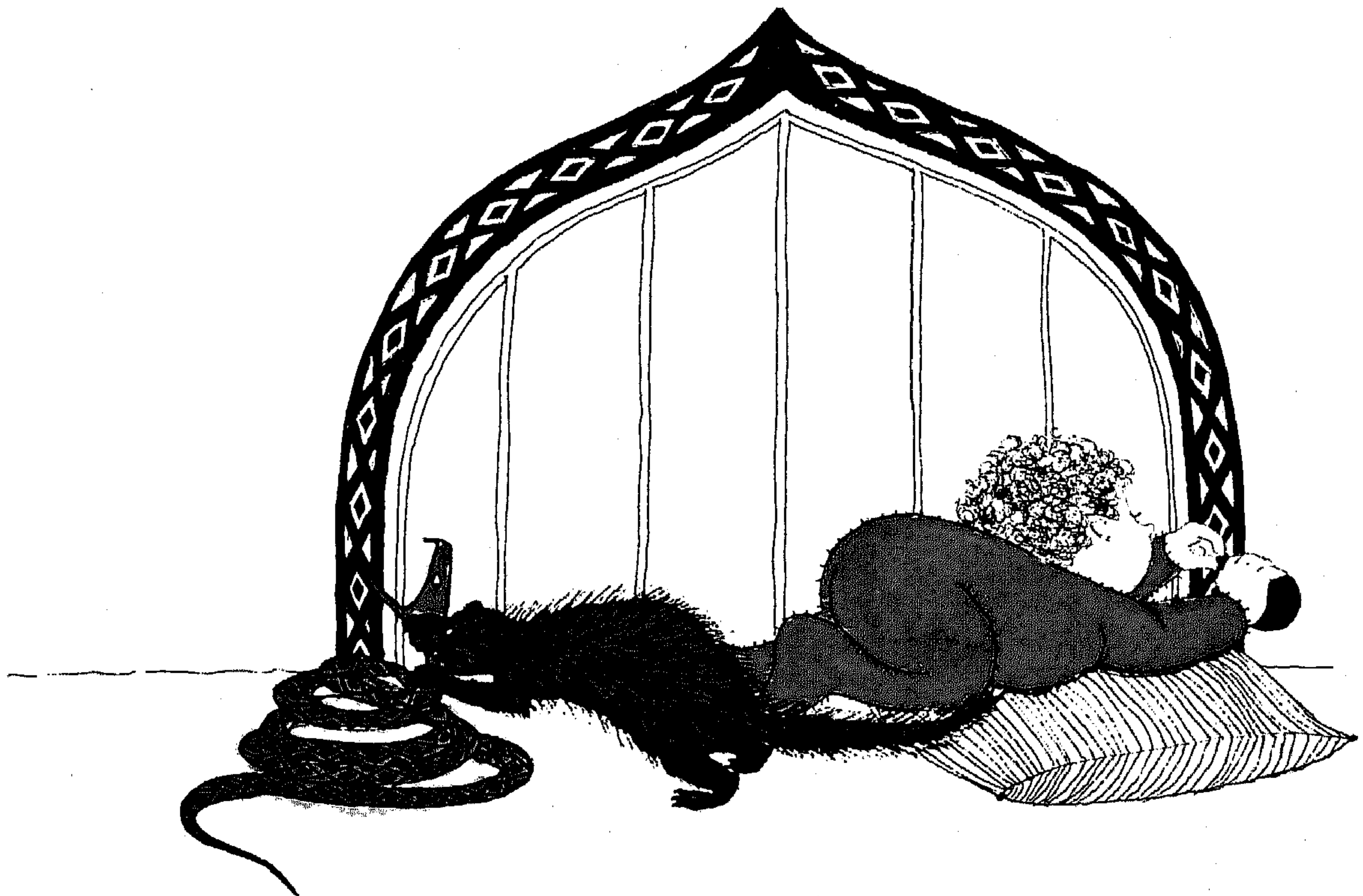
واستلقى الناسك على ظهره، والجرة
فوق رأسه، فحلم بثروة وإماء وعبيد

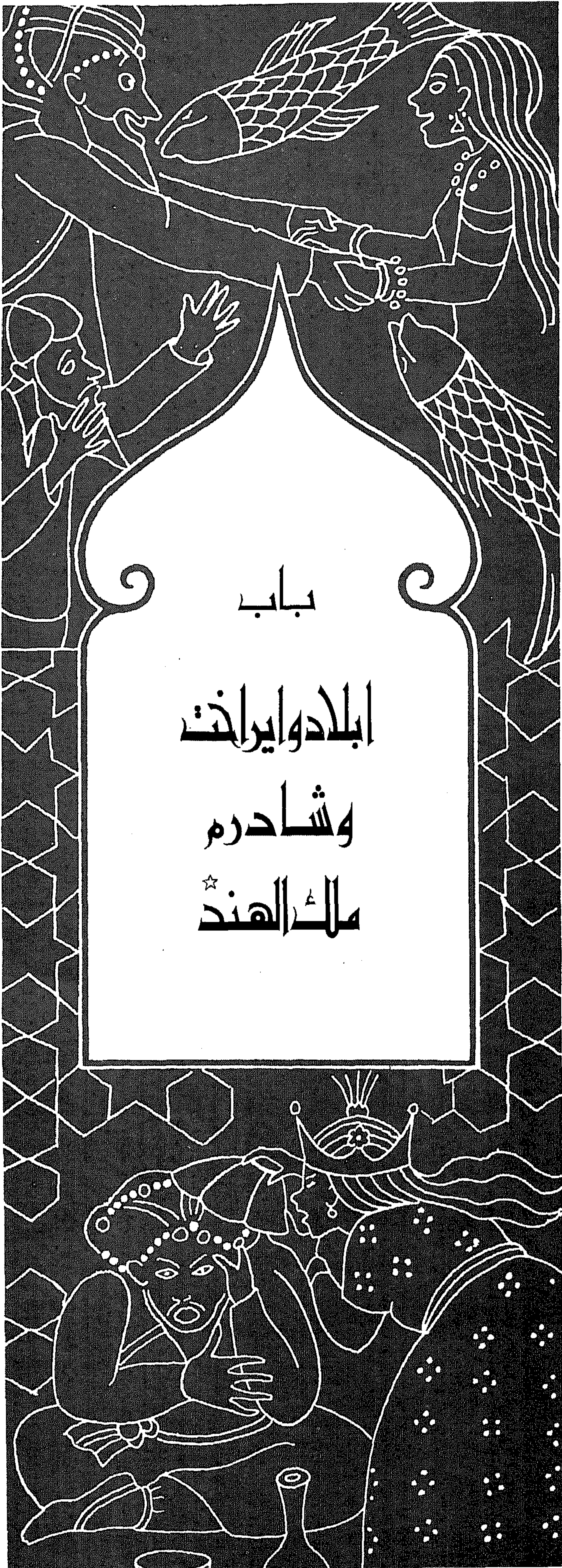
* أجرى عليه الرزق: أفاضه وعينه. ** الناعم من دقيق الحنطة والشعير.



وكان في بيته جُحر أسود، فخرج يريد الغلام، فوثب عليه ابن عرس فقطعه قطعاً. وأقبل الناسك عند انصرافه، إلى منزله فدخله، فلقى ابن عرس يسعى إليه كالمبشر له بما صنع. فلما نظر إليه الناسك متلطحاً بالدم سلب عقله، ولم يظن إلا أنه قد قتل ولده. فلم يتأن ولم يتثبت في أمره، فضرب ابن عرس بعصا كانت معه فقتله. ودخل منزله فرأى الغلام حياً والأسود مقتولاً، فأقبل يدق صدره ويلطم وجهه وينتف لحيته، وجعل يقول: ليت هذا الغلام لم يولد، ولم أصر إلى هذا الإثم والغدر. فدخلت عليه المرأة وهو يبكي فقالت له: ما يبكيك؟ وما شأن هذا الأسود وابن عرس مقتولين؟ فأخبرها بالأمر وقال: هذا جزاء من يعمل بالعجلة ولا يتثبت.

وخرج الأسود يريد الغلام فوثب عليه ابن عرس



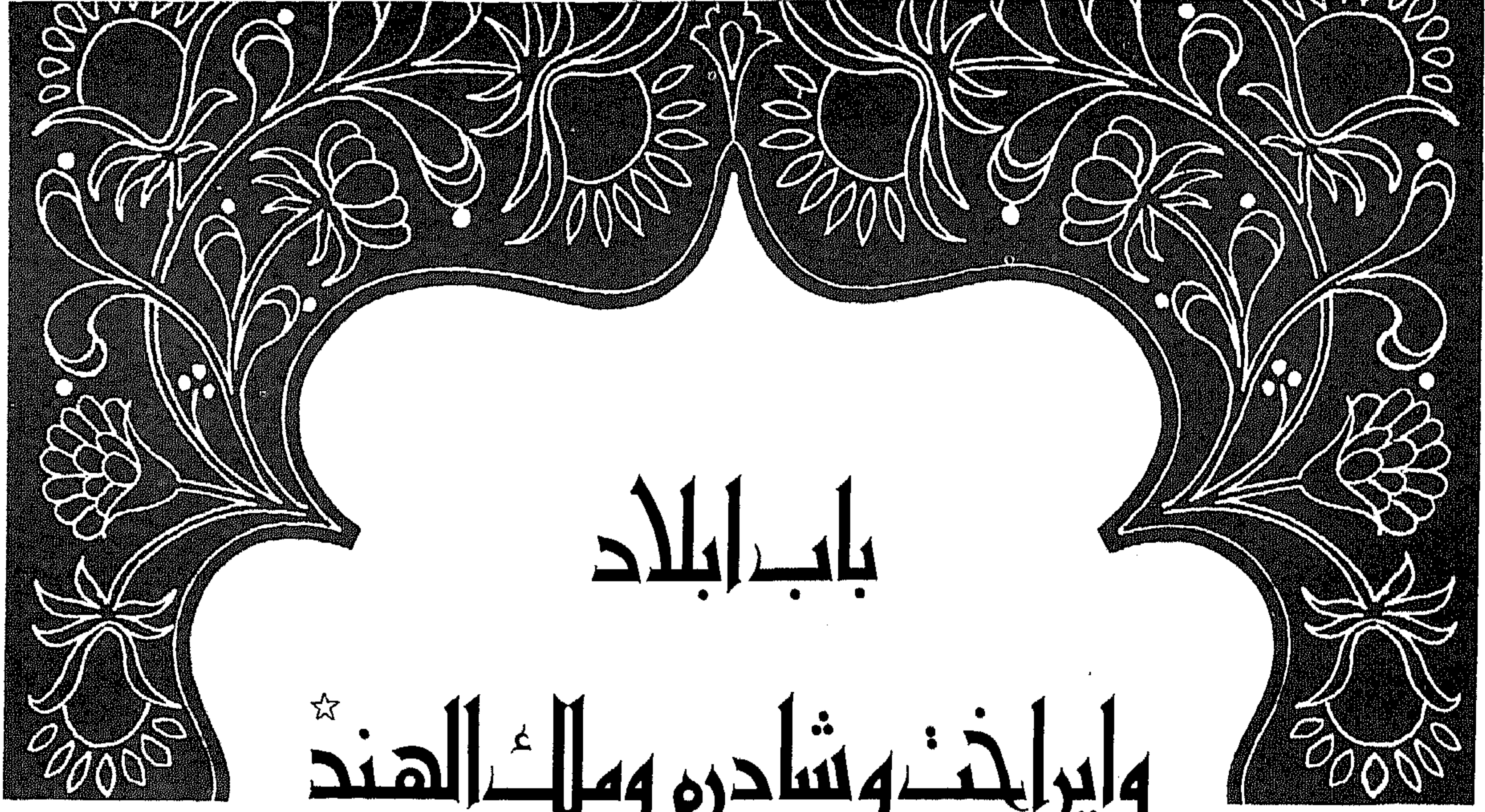


باب

ابلا دوايرانت

وشادرم

ملك الهند



باب البلاد

وايراني وشادرم وملك الهند[☆]

قال الملك للفيلسوف: قد فهمت ما ذكرت في أمر العَجَلِ غير المتَّئِدِ ولا الناظر في العواقب. فأخبرني ما الذي إذا عمل به الملك كَرُمَ على رعيَّته، وثَبَّتَ ملكه، وحَفِظَ أرضه؟ آلحلمُ أم المروعة أم الجود أم الجرأة؟

قال الفيلسوف: إنَّ أفضل ما حَفِظَ به الملكُ مُلكه، وثَبَّتَ به سلطانه، وكَرَّمَ به نفسه، هو الحلم والعقل، لأنهما رأس الأمور وملاكها، مع مشاورة اللبيب الرفيق العالم. وأفضل ما يستمتع به الناس، الحلم، ثم للملك خاصة، فإنه لا شيء أفضل ولا أعون منه. ومن صلاح المرء في نفسه ومعيشتة، المرأة الصالحة الفاضلة الرأي المواتية؛ فإنَّ الرجل إن كان شجاعاً ولم يكن حليماً عاقلاً، أو كان حليماً عاقلاً وشاور غير لبيب، فإنه يبهظه الأمرُ اليسير حتى يُرى فيه القبح والضعف، بجهالته وخطأ رأْي أصحابه ونصحائه. وإن أصابوا ظَفَرًا أو لقوا رشداً ساقه القدر إليهم، صارت عاقبة أمرهم إلى الندامة. وإذا كان على خلاف ذلك من الفضل ومن نُبل

الوزير، ثم أعانه القضاء، أصاب الفلج* على من خاصمه، والغلبة على من ناواه، والسرور له. كما زعم لنا مما كان بين شاذرم ملك الهند، وإيراخت امرأته، وإبلاد صاحب سره ورأيه. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

ذكر لنا أن إبلاد كان ناسكاً مجتهداً حسن الخلق لبيباً حليماً حكيماً كاملاً. فبينما شاذرمُ الملكُ نائماً في بعض الليالي إذ رأى ثمانية أحلام، يستيقظ عند كل منها. فلما أصبح دعا بالبرهمنين - وهم النساك - فقص عليهم ما رأى، وأمرهم أن يعبروها. فقالوا له: قد رأيت أيها الملك أمراً منكرًا عجيباً لم نسمع بمثله فيما مضى، فإن أحببت أن نفكر فيها ستة أيام ثم نأتيك في اليوم السابع فنخبرك به فلعلنا - إن استطعنا - أن ندفع ما نتخوف منه. فقال الملك: نعم؛ اعملوا برأيكم وما تعلمون أنه موافق. فخرجوا من عنده ثم اجتمعوا فقالوا: ما طال العهدُ منه مد قتل منا اثني عشر ألفاً، وقد استمكننا منه، فإذا أفضى إلينا بسرّه وعرفنا فرقه من رؤياه، فلعلنا ننتقم منه إن نحن أغلظنا له في القول، فيحمله الخوفُ على أن يتابعنا على ما نريد، فنأمره أن يدفع إلينا من يكرّم عليه من أهله ووزرائه، ونقول له: إنا قد نظرنا في كتبنا فلم نجد شيئاً يصرف عنك سوء ما رأيتَ إلا قتلَ من نُسِمِي لك. فإن قال: مَنْ تريدون؟ قلنا له: إيراخت امرأتك وابنها جوبّر وابن أختك، وإبلاد¹ صاحب أمرك - فإنه ذو حيلة وعلم - وكاك² كاتبك ولسانك، والفيل الأبيض الذي تقاتل عليه، والفيلين العظيمين، والفرس الذي تركبه، والبختي³ الذي تسير عليه، وكتايايرون³ الفقيه؛ لنجعل دماءهم في أبزن⁴ ثم نُعيدك فيه. فإذا أردنا أن نُخرجك منه، اجتمعنا، معشر البراهمة، من الآفاق الأربعة فرقيناك ومسحناك بالماء والأدهان الطيبة، ثم صيرناك إلى مجلسك وقد أذهب الله عنك ما تجد من الحزن من سوء رؤياك التي رأيت. فإن أنت صبرت على هذا وطابت به نفسك، نجوت من البلاء العظيم الذي قد رهقك وأشرف عليك، واستخلفت مكانهم مثلهم؛ وإن لم تفعل فإننا نتخوف أن يُنزَع مُلكك وتهلك، ويُستأصل عقبك.

فقال الملك :
الموت دون ما
قلموه



فلما أبرم البرهميون أمرهم واتفقوا عليه، أتوا الملك وقالوا: إننا قد نظرنا في كتبنا وتبحرنا فيها، وتفكرنا في رؤياك وأعملنا العقول فيها؛ فلسنا نقدر أن نعلمك بما قد رأينا لك حتى تخلي لنا مجلسك. ففعل ذلك. فقصوا عليه الأمر على ما اجتمعوا عليه. فقال الملك: الموت دون ما قلموه، وما أسمع منه. أفأقتل هذه الأنفس التي هي عندي عدل نفسي، وأحتمل الإثم والوزر؟ ولا بد من الموت على كل حال، ولست ملكاً طول الدهر، وسواء علي الهلاك وفراق الأحبة. فقال البرهميون: إن أنت لم تغضب، أخبرناك أن رأيك هذا مخطيء، وأنت لم تصب إذ أهنت نفسك وآثرت عليها غيرها، ولست لشيء غيرها مكرماً إذا أنت أهنتها. وأنت واجد من هؤلاء عوضاً، ولا تجد من نفسك عوضاً. ولعمري لأن تفديها بما سمينا لك، أمثل وأخير؛ فيبقى ملكك وسلطانك، ويصلح أمرك. فانظر لنفسك ودع من سواها، فإنه لا شيء يعدلها.

فلما رأى الملك أن البرهميين قد أغلظوا له في القول واجتروا عليه، قام فدخل منزله، ووقع لوجهه، وجعل يتقلب يميناً وشمالاً محزوناً مهموماً، ويفكر في رأيه: أي الأمرين يركب؟ الموت عياناً وهو ينظر إليه أو إعطائهم ما سألوا؟ فكث كذلك أياماً. وفشا الحديث في أرضه، وقيل: لقد نزل بالملك أمر هو منه في كرب. فلما رأى إبلاء الأمر الذي وقع فيه الملك من ذلك، فكر ونظر، وكان فطناً مجرباً، فقال: ما ينبغي لي أن أستقبل الملك بشيء دون أن يدعوني، ولكنني أنطلق إلى إيراخت امرأة الملك فأسأله عن ذلك. فأتاها فقال: إني لا أعلم الملك ركب

من أمره صغيرة ولا كبيرة، منذ كنتُ معه، إلا بمشورتي. وإني كنت صاحب سرّه ولم يكن يكتمني شيئاً طراً عليه. وكان إذا حزبه أمر مُفْطَع، عزّى نفسه فيه واصطبر على ما نزل عليه منه، وذكر لي ذلك، فأسأله عن أمره بأرفق ما أقدر عليه. وإني أراه مستخلياً بالبرهميّين منذ سبعة أيّام، وقد احتجب فيها عن الناس. وإني أخاف أن يكون قد أطلعهم على دخيلة أمره، ولست آمنهم عليه؛ فاذهبي إليه وسأله عن حاله وما بلغه وما الذي ذكروا له. ثم أعلميني، فإني لا أستطيع أن أدخل عليه. وإني لأحسبهم قد زينوا له أمراً قبيحاً وحملوه على عزيمة أو أغضبوه بشيء شبّهوا له فيه. فإن من أخلاق الملك، إذا هو اغتاض، ألا يلتفت إلى أحد ولا يسأل عن شيء ولا ينظر فيه، وسواءً عليه جسيم الأمور وحقيقتها. ولست أشك أنهم لم ينصحوه، لما في قلوبهم من الحقد عليه والبغض له، وأنهم إن قدروا على هلكته التمسوا له الحيلة في ذلك. قالت إيراخت: إنه كان بيني وبين الملك كلام، ولست آتية ما دام حزيناً. قال إبلاد: لا تحمِلين الحقد في مثل يومك هذا، فلن يقدر أحد أن يدخل عليه غيرك. وقد كنت سمعته يقول غير مرة: إني إذا حزنت واهتممت فأتني إيراخت سُري ذلك عني. فانطلقني إليه وكلميه بما تظنين أنه تطيب به نفسه ويُجَلّي عنه ما به.

فلما سمعت ذلك إيراخت نهضت إلى الملك فدخلت عليه وجلست عند رأسه وقالت له: ما أمرك أيها الملك السعيد المحمود؟ وما الذي قال لك البرهميّون؟ فإني أراك مهموماً حزيناً؛ فإن كان الذي ينبغي لك أن تحزن له أمراً فيه أجلنا، وهو جلاء همك وسرورك، واسيناك بأنفسنا، فافعل ذلك؛ وإن يك غضباً علينا، نُرضيك ونأت ما يسرك. قال الملك: لا تسأليني أيتها المرأة عن شيء فتزيديني خبالاً على ما بي؛ فإنه لا ينبغي أن يُعلم ذلك، لعظم خطره وشدة هوله. قالت إيراخت: وقد صار أمري عندك إلى أن تجيبني بمثل ما قد سمعت! أو ما تعلم أن أفضل الرأي للملك، إذا وقع به الأمر الذي يبّهظّه، أن يشاور أهل نصيحته ومودّته ومن يُهمّه أمره وهمّه وما أحزنه؛ فإن المذنب لا يقنط من الرحمة، ولكنه يتوب مما يخاف مغبته. فلا يدخلنك من الهم والحزن ما أرى بك، فإنهما لا يرّدان شيئاً بل يُشمتان العدو ويسوءان الصديق. وأهل العلم والتجارب ينظرون في ذلك، ويصبرون أنفسهم على ما فاتهم من عرض الأطماع، وما نزل بهم من جوادث الزمان. فقال الملك: أيتها المرأة لا تسأليني عن شيء، فإن في الذي تفحصين

عنه دماري وهلاكك وولدك وكثير من أهل وُدِّي ؛ فإن البرهَميين زعموا أن لا بد من قتلِك وقتلِ أهلي ونصحائي، ولا خير لي في العيش بعدكم، ولا لذة لي بعد فراقكم، وذلك أفضع الأمور وأجلها خطراً في نفسي. قالت إيراخت: لا يُحزُنك الله أيها الملك ولا يسُوك؛ أنفسنا لك الفداء، فإن ذلك يسيرٌ في صلاحك وبقائك. وقد جعل الله لك من الأزواج ما فيه الخلف والعوض؛ ولكن أطلبُ إليك بعد موتي ألا تتق بالبرهَميين ولا تستشيرهم ولا تقبل رأي أحد منهم، حتى تؤامر فيه أهل نصيحتك والثقة لك، وتعرف ما تُقدم عليه فيه من القتل. فإن القتل عظيم الخطب شديد الوزر، ولست تقدر أن تُحييَ مَنْ أهلك. وقد قيل: إن وجدت جوهراً لا تظن به خيراً فأردت أن تلقيه فلا تفعل حتى تُريه مَنْ يُبصره. ولا تُقر عين عدوك من البرهَميين وغيرهم. واعلم أنهم لن ينصحوك أبداً، وقد قتلت منهم منذ قريب اثني عشر ألفاً، أفتظن أنهم نسوا ذلك؟ ولعمري ما كنتَ جديراً أن تحدثهم برؤياك، ولا تُطلعهم على سرِّك، فإنهم إنما يريدون بما عبروا به رؤياك، زوال ملكك، وبوار أحبائك، واستئصال وزرائك أهل العلم والحلم والحكمة، ومراكبِك التي تقاتل عليها الملوك؛ ولكن انطلق إلى كَتاييرون فاذا ذكر له ذلك وسله عما أحببت؛ فإنه لبيب أمين - وليس عند هؤلاء شيء إلا وعنده أفضل منه - وإن كان أصله من البرهَميين، فإنه ناسك مجتهد فقيه؛ فإن أشار عليك بمثل رأيهم فانتبه إليه، وإن خالفهم فاعلم أن أولئك الكذبة أعداؤك، أرادوا إدخال النقص عليك في مُلكك .

فلما سمع الملك ذلك منها تسلى همّه وأمر بإسراج فرسه، وركبه وانطلق إلى كَتاييرون. فلما انتهى إليه نزل عن فرسه ثم سجد له وحيّاه وطأطأ رأسه. فقال له كَتاييرون: ما جاء بك أيها الملك؟ وما لي أراك متغيّر اللون ممتكاً همّاً وحزناً، ولا أرى على رأسك التاج ولا الإكليل؟ فقال له الملك: كنت نائماً ذات ليلة على ظهر إيواني فسمعت من الأرض ثمانية أصوات، أستيقظ مع كل صوت ثم أرقد؛ فرأيت ثمانية أحلام، فقصصتها على البرهَميين، فأجابوني بما أخاف أن يصيبني منه أمر عظيم: إمّا أن أُقتل في حرب وإمّا أن أغصب مُلكي وأُغلب عليه. فقال كَتاييرون: لا يحزُنك أيها الملك هذا الأمر ولا يُوجِلنك؛ فإنك لن تموت الآن، ولن تُسلب ملكك، ولن يصيبك شيء من الشر ولا يصل إليك محذور. فأما الأحلام الثمانية التي رأيت فاقصصها فإني مُنبئك بتأويلها. فقصر عليه الملك الرؤيا. فقال كَتاييرون: أما السمكتان

الحمراوان اللتان رأيتهما قائمتين على أذناهما تستقبلانك، فإنه يأتيك من قبل هميون⁴ رسول⁴ بدرج^{*} فيه من الجواهر ما قيمته أربعة آلاف رطل من الذهب. وأما البطنان اللتان رأيتهما طارتا من وراء ظهرك فوقعتا بين يديك، فإنه يأتيك من قبل ملك بلخ من يقوم بين يديك بفرسين ليس في الأرض مثلهما. وأما الحية التي رأيتها تدب على رجلك اليسرى، فإنه يأتيك من عمل صنجن⁵ من يقوم بين يديك بسيف خالص الحديد لا يوجد مثله. وأما ما رأيت أنه يُخضب جسدك كله بالدم، فإنه يأتيك من قبل ملك كاسرون⁶ من يقوم بين يديك بلباس معجب يسمى حلة أرجوان يضيء في الظلمة. وأما ما رأيت من غسل جسدك بالماء، فإنه يأتيك من قبل ملك زرفي⁷ من يقوم بين يديك بثياب من لباس الملوك ليس يُعرف قيمتها، وفيل أبيض لا تلحقه الخيل. وأما ما رأيت على رأسك شبيه النار، فإنه يأتيك من عند الملك جيار⁸ من يقوم بين يديك بإكليل من ذهب. وأما قيامك على الجبل الأبيض فإنه يأتيك من قبل كيدرون⁹ من يقوم بين يديك بفيل أبيض لا تلحقه الخيل. وأما الطير الأبيض الذي نقر رأسك بمنقاره فلست أفسره لك اليوم، وليس بضارك، فلا توجلن منه؛ ولكن فيه بعض السخط والإعراض عمّن تحب. فأما البرد^{*} والرسل فإلى سبعة أيام يأتونك حتى يقوموا بين يديك.

فلما سمع الملك ذلك سجد بين يديه وانصرف وقال: إني ناظر فيما قال كتايبيرون. فلما كان اليوم السابع لبس ثيابه وأخذ زينته وجلس في مجلسه وأذن للعظماء والأشراف، فجاءته تلك الهدايا التي قال¹⁰ كتايبيرون حتى وقفوا بين يديه. فلما رأى الملك الرسل والهدايا فرح بها وقال في نفسه: لم أوفق حين قصصت رؤيائي على البرهمنين وأمروني بما أمروني به. ولولا أن الله - جل اسمه - رحمني وتداركني برأيي إيراخت، كنت قد هلكت وزالت دنيائي. فلذلك ينبغي لكل أحد أن يسمع من الأخيار والأخلاء وذوي القربات رأيهم ويقبل مشورتهم؛ فإن إيراخت أشارت عليّ بالرأي الذي انتفعت به في بقاء ملكي، والذي ترون من الفرح والسرور. فقال إبلاد له: لا يعمل المرء شيئاً من الأشياء - صغيراً أو كبيراً - إلا برأي أهل المودة والخير. ثم دعا الملك بإيراخت وولدها جوبر وكاك الكاتب وإبلاد وقال لهم: لا ينبغي لنا أن ندخل هذه الهدايا خزائننا؛



أما السمكتان الحمران اللتان رأيتهما قائمتين على أذناهما ...

ولكني قاسمها بينكم - أتم الدين وطنم أنفسكم على الموت في سبي - وبين إيراخت التي أشارت عليّ بالرأي الذي انتفعت به في بقاء ملكي. فقال إبلاد: إنه لا ينبغي لنا، معشر العبيد، أن ندنو من هذه الهدايا؛ فأما جوبّر ابنك فهو لها أهل، فليأخذ ما أعطتموه. فقال الملك: إنه قد شاع لنا في البلاد من هذا ثناء حسن وخير كثير؛ فلا تحتشم يا إبلاد وخذ نصيبك وقرّ به عيناً. فقال إبلاد: ليكن من ذلك ما أحبّ الملك، وليبدأ بأخذ ما يريد. فأخذ الملك الفيل

الأبيض، وأعطى جُوبِرَ أحدَ الفرسين، وأعطى إبلاَدَ السيفَ الخالصَ الحديدِ، وأعطى الكاتبَ الفرسَ الآخرَ، وبعثَ إلى كَتايَرونَ الثيابَ الكَتَّانَ التي يلبسُ الملوكَ. وأما الإِكليلُ وسائرُ اللباسِ مما كان يصلحُ للنساءِ، فقال: يا إبلاَدَ خذِ الإِكليلَ وسائرَ اللباسِ فاحملها معي واتبعني إلى مجلسِ النساءِ.

فلما انطلقَ إليه دعا بإِراختَ ومُساميتَها فجلستا بين يديه وقال: يا إبلاَدَ ضع الكسوةَ بين يدي إِراختَ فلتأخذَ أيُّها شاءت. فلما نظرتَ إِراختَ إلى الإِكليلِ والثيابِ وأعجبها منظرُها ولم تدرِ أيُّهما تأخذُ، نظرتُ إلى إبلاَدَ بمُؤخِرِ عَينِها، لُيرِيها أيُّهما أفضلُ. فأراها إبلاَدَ الثيابَ وأشارَ عليها بأخذها، فأخذتها؛ وكانت شارتهُ إليها أن غمزها بعينه. وجانت من الملكِ التفاتةَ فرأى إبلاَدَ وقد غمزَ إِراختَ. فلما رأتَ إِراختَ أن الملكَ قد أبصرَ إبلاَدَ وإيماءه إليها تركتَ الثيابَ وأخذتَ الإِكليلَ مخافةً أن يظنَّ الملكُ بهما سوءاً. وعاش إبلاَدَ بعد ذلك أربعين سنةً كلما دخلَ على الملكِ كسرَ عينيه خوفاً أن يظنَّ الملكُ أنه أراها بعينه شيئاً، وخوفاً أن يتَّهمه بأمرٍ. فلولا عقلُ المرأةِ ومعرفةُ الوزيرِ لم ينجِ واحدٌ منهما من الموتِ.

وكان الملكُ يكونُ ليلةً عندَ إِراختَ و ليلةً عندَ مُساميتَها. فأتى إِراختَ في ليلتها - وقد صنعتُ أرزاً - فدخلتَ على الملكِ وفي يدها صحيفةٌ من ذهبٍ والإِكليلُ على رأسها، فقامت على رأسِ الملكِ بالصحفةِ وهو يطعمُ منها. فلما رأتَ مُساميتَها الإِكليلَ على رأسِ إِراختَ، غارت فلبست تلكَ الثيابَ ومَرَّت بين يديه - وكانت كالشمسِ حسناً - فأضاء كل ما حولها فاشتاف إليها، وقال لإِراختَ: إنك جاهلةٌ حين أخذتِ الإِكليلَ وتركتِ الثيابَ التي ليس في خزائنا مثلها. وإن جُورَ بناه¹¹ الأحسنُ منكِ عقلاً وأكملُ رأياً وأشبهُ بنساءِ الملوكِ منكِ. فلما سمعت ذلك منه، مع ما عاينتُ، غضبتُ وضربتُ بالصحفةِ رأسَ الملكِ فسال الأرزَ على رأسه ووجهه ولحيته. وكان ذلك عبارةً¹² الحلمِ الثامن الذي كتبه إياه كَتايَرونَ ولم يكن بينه له. فدعا الملكُ بإبلاَدَ، فدخلَ عليه. فقال: يا إبلاَدَ أما ترى إلى ما فعلته هذه المرأةُ بي، وكيف استخفَّت



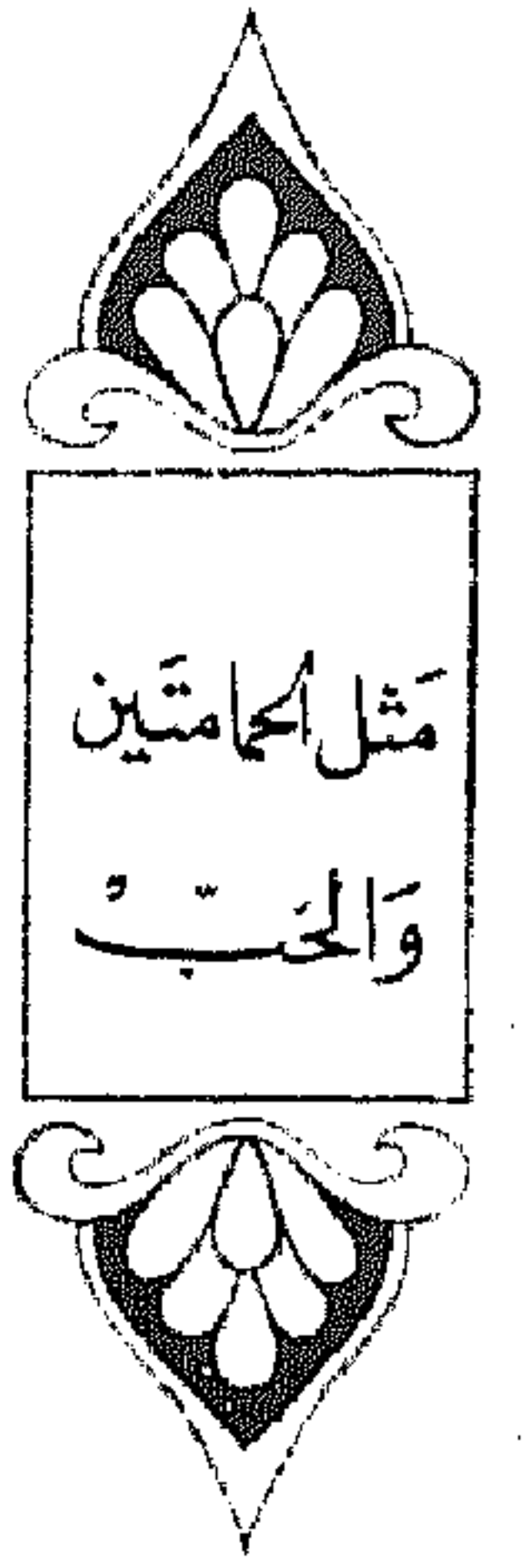
وغضبت إيراخت فضربت بالصحفة رأس
الملك فسال الأرز على رأسه ووجهه ولحيته

بي وحقرتني وعميت ما عملت ؟ فما أعلم أن ملكاً قطّ اجترىء عليه بمثل ما ركبت هذه الحمقاء
مني ! انطلق بها فاضرب عنقها ولا ترحمها. فخرج إبلاد بإيراخت من عند الملك، وقال في
نفسه: ما أنا بقاتلها حتى يسكن غضبُ الملك؛ فإنها امرأة عاقلة لبيبة حريصة على الخير،
سعيدة من الملكات، ليس لها في النساء عديلٌ في الحلم والعقل، وليس الملك صابراً عنها. وقد

خَلَّصَ اللهُ بِهَا اليَوْمَ بَشَرًا كَثِيرًا مِنَ الْقَتْلِ ، وَعَمِلَتْ أَعْمَالًا صَالِحَةً . وَنَحْنُ نَرْجُوهَا بَعْدَ اليَوْمِ ؛ وَلَسْتُ آمِنٌ أَنْ يَقُولَ الْمَلِكُ : مَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تُوَخَّرَ قَتْلُهَا ! فَلَسْتُ بِقَاتِلِهَا حَتَّى أَنْظُرَ رَأْيَ الْمَلِكِ فِيهَا ؛ فَإِنْ نَدِمَ عَلَى قَتْلِهَا وَحَزِنَ جُنَّتَهُ بِهَا حَيَّةً ، وَكُنْتُ قَدْ عَمِلْتُ ثَلَاثَةَ أَعْمَالٍ : أَنْجَيْتُ إِيْرَاخْتَ مِنَ الْقَتْلِ ، وَفَرَّجْتُ عَلَى الْمَلِكِ حَزْنَهُ ، وَافْتَخَرْتُ بِذَلِكَ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ . وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهَا ، وَلَا اشْتَاقَ إِلَيْهَا ، أَمْضَيْتُ أَمْرَهُ فِيهَا .

وَانْطَلَقَ بِهَا إِبِلَادٌ إِلَى مَنْزِلِهِ سَرًّا ، فَوَكَّلَ بِهَا رَجُلَيْنِ مِنَ أَمْنَاءِ الْمَلِكِ الَّذِينَ يَلُونُ أَمْرَ نِسَائِهِ ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ بِحِفْظِهَا وَالِاسْتِيصَاءِ بِهَا وَإِكْرَامِهَا حَتَّى يَنْظُرَ كَيْفَ يَكُونُ أَمْرُهَا . ثُمَّ خَضِبَ سَيْفَهُ بِالْدَمِ وَدَخَلَ بِهِ عَلَى الْمَلِكِ كَثِيبًا حَزِينًا ، وَقَالَ : قَدْ أَمْضَيْتُ أَمْرَ الْمَلِكِ فِي إِيْرَاخْتَ . فَلَمْ يَلْبَثِ الْمَلِكُ أَنْ سَكَنَ غَضَبَهُ ، فَذَكَرَ جَمَالَ إِيْرَاخْتَ وَرَأْيَهَا وَعَظِيمَ غَنَائِهَا ، فَاشْتَدَّ حَزْنُهُ وَجَعَلَ يَقْوِي نَفْسَهُ وَيَتَجَلَّدُ ، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يَسْتَحِي أَنْ يَسْأَلَ إِبِلَادًا ، وَيَرْجُو أَلَّا يَكُونَ قَتْلَهَا . وَنَظَرَ إِبِلَادٌ إِلَى الْمَلِكِ فَعَلِمَ مَا فِي نَفْسِهِ بِفَضْلِ عِلْمِهِ ، فَقَالَ : لَا تَحْزَنْ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَلَا تَغْتَمَّ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَزَنِ وَالْهَمِّ مَنَفَعَةٌ ، وَلَكِنَّهُمَا يُنْجِلَانِ الْجِسْمَ وَيُفْسِدَانَهُ ، مَعَ مَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِ وَدِّ الْمَلِكِ أَيْضًا مِنَ الْحَزَنِ إِذَا حَزِنَ ، وَفَرَحَ أَعْدَائِهِ وَشِمَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعُوا بِهِ لَمْ يُعَدِّ مِنْ صَاحِبِهِ عَقْلًا وَلَا حِزْمًا . فَاصْبِرْ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَا لَسْتَ بِنَازِلٍ إِلَيْهِ أَبَدًا . فَإِنْ أَحَبَّ الْمَلِكُ حَدِيثَهُ بِشَبِيهِ أَمْرِهِ هَذَا . قَالَ الْمَلِكُ : حَدِثْنِي يَا إِبِلَادُ . قَالَ إِبِلَادُ :

زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَتَيْنِ - ذَكَرًا وَأُنْثَى - مَلَأَا عُشَّهُمَا مِنَ الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ . فَقَالَ الذَّكَرُ لِلْأُنْثَى : أَمَّا مَا وَجَدْنَا فِي الصَّحَارَى مَا نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنَا نَأْكُلُ مِمَّا فِي عُشِّنَا شَيْئًا . فَإِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ وَلَمْ نُصِيبْ فِي الصَّحَارَى شَيْئًا أَقْبَلْنَا عَلَى مَا فِي عُشِّنَا فَأَكَلْنَاهُ . فَفَرَضِيَتِ الْأُنْثَى بِذَلِكَ وَقَالَتْ : نَعَمْ مَا رَأَيْتَ . وَكَانَ ذَلِكَ الْحَبُّ نَدِيًّا حِينَ وَضَعَاهُ ، فَامْتَلَأَ عُشَّهُمَا مِنْهُ . وَانْطَلَقَ الذَّكَرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ . فَلَمَّا جَاءَ الصَّيْفُ يَبَسَ ذَلِكَ الْحَبُّ وَنَقَصَ عَمَّا كَانَ فِي الْعَيْنِ . فَلَمَّا رَجَعَ الذَّكَرُ فَرَأَى الْحَبُّ نَاقِصًا قَالَ لِلْأُنْثَى : أَلَيْسَ كُنَّا قَدْ اجْتَمَعْنَا عَلَى أَلَّا نَأْكُلَ مِنْ عُشِّنَا شَيْئًا ؟ فَلِمَ أَكَلْتِ ؟ فَحَلَفَتِ الْأُنْثَى أَنَّهَا مَا أَكَلَتْ مِنْهُ حَبَّةً . فَلَمْ يُصَدِّقْهَا ، وَجَعَلَ يَنْقَرُهَا وَيَضْرِبُهَا حَتَّى قَتَلَهَا . فَلَمَّا جَاءَ الشِّتَاءُ وَالْأَمْطَارُ نَدِيَّ الْحَبُّ ، وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ، وَامْتَلَأَ الْعُشُّ كَمَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى الذَّكَرُ ، نَدِمَ



واضطجع إلى جانبها ونادىها: كيف ينفعني العيش إذا طلبتك فلم أقدر عليك؟

فمن كان عاقلاً علم أنه لا ينبغي أن يعجل بالعذاب والعقوبة، ولا سيما بعذاب من يخاف أن يندم عليه كما ندم الحمام الذكر.

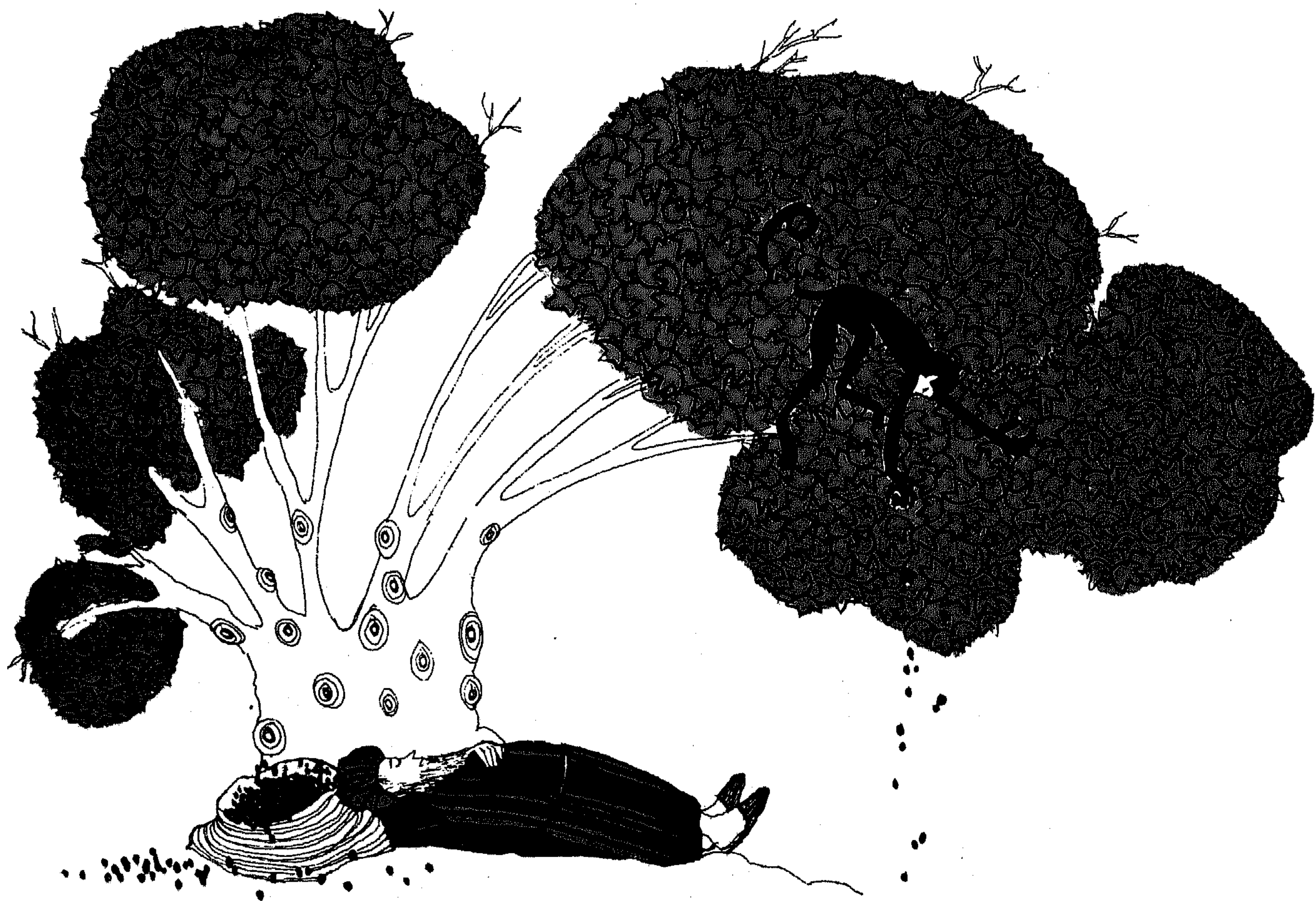
وقد سمعت أن رجلاً كان على ظهره كارةٌ عدسٌ فدخل بين شجر كثير فوضع حملة ورقد. فنزل قرد كان في الشجرة التي نام تحتها، فأخذ مِلء كفه من ذلك العدس، ثم صعد في الشجرة فسقطت من يده حبة فطلبها فلم يجدها، وانتثر العدس من يده فلم يقدر على جمعه. وأنت أيها الملك عندك ستة عشر ألف امرأة تدعُ أن تلهو بهنّ وتطلب التي لا تجد! فلما سمع الملك ذلك خشي أن تكون إيراخت هلكت، فقال لإبلاد: أفي سقطة واحدة كانت مني فعلت ما أمرتك به من ساعتك، وتعلقت بكلمة واحدة، ولم تثبت في الأمر؟ قال إبلاد: إن الذي قوله واحد، لا يختلف كلامه عندي، واحد. قال الملك: ومن ذلك؟ قال: الله، عز وجل، الذي لا يبدل كلامه ولا يختلف قوله. قال الملك: اشتدّ حزني لقتل إيراخت. قال إبلاد: اثنان ينبغي لهما أن يشتدّ حُزنهما: الذي يعمل الإثم، والذي لم يعمل براً قط؛ لأنّ فرحهما في الدنيا قليل. قال الملك: لئن رأيتُ إيراختَ حيّة لا أحزنُ أبداً. قال إبلاد: اثنان لا ينبغي لهما أن يحزنا أبداً: المجتهدُ في البرّ، والذي لم يَأثم قط. قال الملك: ما أنا بناظر إلى إيراخت سوى ما نظرت. قال إبلاد: اثنان لا ينظران أبداً: الأعمى والذي لا عقل له؛ فإنه كما أن الأعمى لا يبصرُ السماء ولا النجوم ولا الأرض، ولا يبصرُ القريب ولا البعيد ولا أمامه ولا خلفه، كذلك الذي لا عقل له، لا يبصرُ منفعته من مضرّته، ولا يعرف العاقل من الجاهل، ولا الحسن من القبيح، ولا المحسن من المسيء. قال الملك: لئن رأيتُ إيراختَ ليشتدّن فرحي. قال إبلاد: اثنان هما يريان وينبغي لهما أن يشتدّ فرحهما: البصير والعالم؛ فكما أن البصير يُبصر نورَ العالم وما فيه، كذلك العالم يبصر الإثم فيجتنبه، والبرّ فيعمله ويهدي من أتبعه إلى سبيل الخير. قال الملك: ما شبعتُ من رؤية إيراخت قط. قال إبلاد: اثنان لا يشبعان أبداً: الذي لا همّ له

* مقدار من .

إلا جمعُ المال، والذي يأكل ما يجد ويسأل ما لا يجد. قال الملك: إنه لينبغي لنا أن نتباعد عنك يا إبلاذ ! فإنك بذلك جدير. قال إبلاذ: اثنان ينبغي أن يُتباعَ منهما: الذي يقول: لا عذاب ولا حساب ولا ثواب ولا شيء إلا ما هو فيه، والذي لا يقدر أن يصرف بصره عن شهواته وعمّا ليس له، ولا أذنه عن استماع السوء، ولا فرجه عن نساء غيره، ولا قلبه عما يهم به من ركوب الإثم، فيصيرُ أمره إلى الندامة والهوان وخزي الأبد الدائم. قال الملك: صرتُ من إيراخت صيفراً. قال إبلاذ: ثلاثة هنّ أصفار: البحر الذي ليس فيه ماء، والأرض التي ليس فيها ملك، والمرأة التي ليس لها زوج. وأخرى: من لا يعرف الخير من الشر. قال الملك: إنك لمُلقَى الجواب يا إبلاذ ! قال إبلاذ: ثلاثة هم ملقون الجواب: الملك الذي يقسم ويُعطي من خزائنه، والمرأة المسماة لبعض من تهوى من ذوي الأحساب، والرجل العالم الذي قد تفرغ للعبادة. قال الملك: لقد ازددتُ حزناً بتعزيتك يا إبلاذ. قال إبلاذ: ثلاثة ينبغي لهم أن يحزنوا: الذي فرسه سمين حسن المنظر سيء المخبر، وصاحب المرقّة التي كثيرٌ ماؤها قليل لحمها ولا طعم لها، والذي ينكح المرأة الحسبية ولا يقدر على إكرامها فلا تزال تُسمعه ما يؤذيه. قال الملك: هلكت إيراخت ضيعةً في غير شيء ! قال إبلاذ: ثلاثة يضيعون في غير حق: الرجل يلبس الثياب البيض فلا يزال عند الكير جالساً فيسودها بالدخان، والقصّار يلبس الخفين الحديدين ثم لا تزال قدماه في الماء، والرجلُ التاجر يتزوج المرأة الحسناء الشابة ثم لا يزال بأرض بعيدة. قال الملك: إنك لأهلٌ أن تعذب أشدّ العذاب. قال إبلاذ: ثلاثة ينبغي لهم أن يعذبوا: المجرم الذي يعاقب من لا ذنب له، والمتقدّم إلى مائدة لم يُدع إليها، والذي يسأل أصدقاءه ما ليس عندهم ولا يدع مسألتهم. قال الملك: إنه لينبغي لك أن تسفّه يا إبلاذ. قال إبلاذ: ثلاثة ينبغي لهم أن يسفّهوا: النجار الذي ينزل البيت الصغير بأهله ثم لا يزال ينحت الخشب فيملاً بيته فأهله في ضيق وضرر، والذي يتكلف الحلق بالموسى ولا يُحسِن فيفسد عمله ويعقر صاحبه، والغريبُ المقيم بين ظهرائي عدوّه ولا يريد الرجوع إلى أهله فإن مات - مع غربته - ورثوه فيصيرُ ماله للغرباء ويُنسى ذكره. قال الملك: كان ينبغي لك أن تسكت حتى يهدأ غضبي يا إبلاذ ! قال إبلاذ: ثلاثة ينبغي لهم أن يسكتوا: الذي يرقى في الجبل الطويل، والذي يصيد السمك، والذي يهَمّ بالفعل الجسم. قال الملك: ليتني قد رأيت إيراختَ يا إبلاذ ! قال إبلاذ: ثلاثة

يتمنّون ما لا يجدون: الفاجر الذي لا ورع له ويريد - إذا مات - منزلة الأبرار في الآخرة،
والبخيل الذي يريد منزلة السَّمح الجواد، والفجرة الذين يسفكون الدماء - بغير حق - ويرجون
أن تكون أرواحهم مع الشهداء الأتقياء. قال الملكُ: لقد أوجعتَ قلبي يا إبلاذ. قال إبلاذ:
ثلاثة هم أوجعوا قلوبهم: الذي يأتي القتال ولا يتقي فيقتل، والكثير المال الذي لا ولد له وتجارته
في الربا والغلاء على الناس، فربما حسده بعضهم فقتله، والشيخُ الكبير ينكح المرأة الحسنة
الفاجرة الجريئة على ما لا تزال ترتكبه، فلا تبرح تمنّي موته لتنكح زوجاً غيره شاباً، فيكون
هلاكه على يديها .

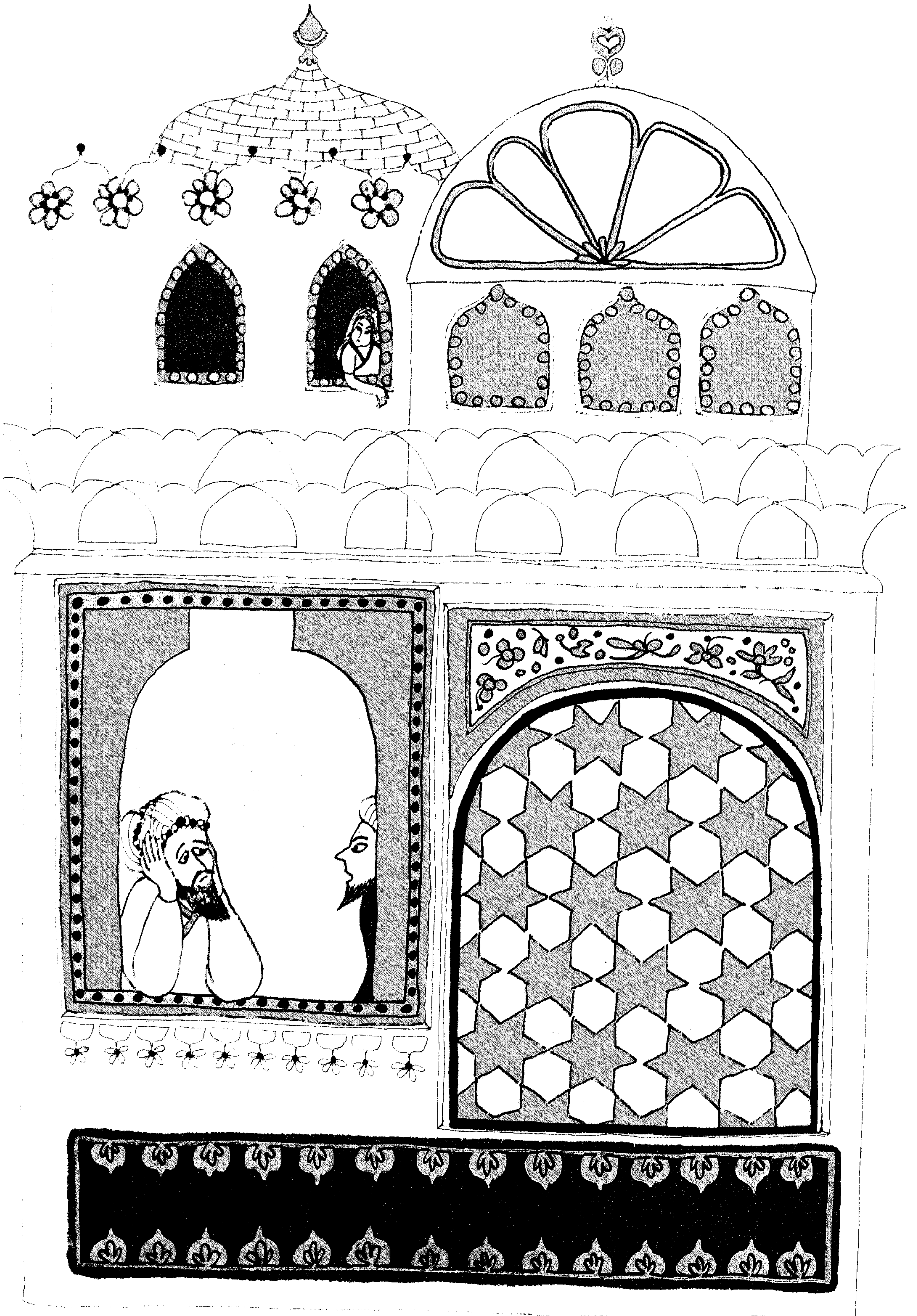
وأخذ القرد ملء كفه من العدس، ثم صعد الشجرة .. وانتثر العدس من يده



قال الملك: إني لحقير في عينك يا إبلاذ! قال إبلاذ: ثلاثة يحقرون أربابهم: الذي يهذي بالكلام ويتحدث بما لا يسأل عنه ويقول ما يعلم وما لا يعلم، والمملوك الغني وسيد فقير فلا يعطي سيده شيئاً من ماله ولا يعتد به، والعبد الذي يغلظ لسيد في القول ويستطيل عليه. قال الملك: إنك لتسخر بي يا إبلاذ! ليت إيراخت لم تكن ماتت! قال إبلاذ: ثلاثة ينبغي أن يسخر منهم: الذي يقول: شهدت زحواً كثيرة فأكثر القتلى، ولا يرى في جسمه شيء من آثار القتال، والذي يخبر أنه عالم بالدين ناسكٌ مجتهد وهو بادنٌ غليظ الرقبة لا يرى عليه أثر التخشع، والمرأة التي تذكر أنها عذراء وليست بعفيفة ولا حصان*. قال الملك: إنك لتجبر يا إبلاذ! قال إبلاذ: ثلاثة يشبهون المتجبرين: الجاهل الموسوس الذي يتعلم ورده على العالم فلا يقبل منه ويمار به بجهله ولا يحجزه ذلك عن أن يعود لأمثاله، والذي يهيج السفية ويتحرش به فيسمع أذاه والكذب عليه فيؤذي بذلك نفسه، والذي يفضي سره إلى من يذيعه ويدخله في الأمر العظيم ويثق به ثقته بنفسه. قال الملك: أنا الذي شققت على نفسي! قال إبلاذ: اثنان هما جلبا المشقة على أنفسهما: الذي ينكص على عقبه ويمشي القهقري فر بما عثر فوقع في مهواة فينكسر، والذي يقول: لست أهاب القتال ولا أتقيه فيغتر غيره به فإن لقي عدواً كان همه الفرار. قال الملك: قد تصرم ما بيني وبينك يا إبلاذ! قال إبلاذ: ثلاثة لا يلبث ودّهم أن يتصرم: الخليل الذي لا يلاقي خليله ولا يكاتبه ولا يرأسه، والرجل الذي يكرمه أحبّؤه فلا ينزل ذلك منهم منزلته ولا يقبله بقبوله ولكن يستهزئ بهم ويسخر منهم، والمعاطي أخلاءه في الفرح والنعيم وقرّة العين يسألهم أموراً لا يقدرّون عليها. قال الملك: قد عملت بقتل إيراخت عملاً يستدل به على قلة عقلك وخفة حلمك يا إبلاذ! قال إبلاذ: ثلاثة يعملون بجهلهم ما يستدل به على خفة أحلامهم: المستودع ماله من لا يعرف، والأبله القليل العقل الجبان ثم يخبر

قال الملك: صرت من إيراخت صفراً

* تحصن نفسها وتعف.



الناس أنه شجاع مقاتل ، والذي يزعم أنه تارك لأمر الجسد مقبل على أمور الروح وهو لا يُلفي إلا متابعاً لهواه. قال الملك : إنك لغير عاقل يا إبلاذ ! قال إبلاذ : ثلاثة لا ينبغي لهم أن يُعدّوا من أهل العقل : الإسكاف الذي يجلس على المكان المرتفع فإذا تدحرج شيء من أدواته شغله عن كثير من عمله ، والخياط الذي يُطيل خيطه فإذا تعقّد شغله تخلصه عن خياطته ، والذي يقصّر من شعور الناس ويلتفت يميناً وشمالاً فيفسد عمله. قال الملك : يا إبلاذ كأنك تريد أن تعلم الناس حتى يمهرُوا وتعلمني أيضاً حتى أكون ماهراً ! قال إبلاذ : ثلاثة زعموا أنهم مهروا وينبغي لهم أن يتعلموا : الذي يضرب بالصنّج والعود والطبل حتى يوافق المزمار وسائر الألحان ، والمصوّر الذي يحسن خطّ التصاوير ولا يحسن خلط الأصباغ ، والذي يزعم أنه ليس بمحتاج إلى علم شيء من الأعمال .

قال الملك : إنك يا إبلاذ تعمل بغير الحق. قال إبلاذ : أربعة يعملون بغير الحق : الذي لا يصدّق لسانه ولا يحفظ قوله ، والسريع في الأكل البطيء في العمل والحرب وخدمة من فوقه ، والذي لا يستطيع أن يُسكّن غضبه ، والملك الذي يهّم بالأمر العظيم ويرتكبه. قال الملك : لو عملت بسنتي لم تقتل إيراخت يا إبلاذ. قال إبلاذ : أربعة يعملون بالسنة : الذي يصنع الطعام وينظفه لسيدته ثم يقدمه إليه في إبانته ، والذي يرضى بامرأة واحدة ويُحصن فرجه عن نساء غيره ، والملك الذي يعمل الأمر العظيم بمشاورة العلماء ، والرجل الذي يقهر غضبه. قال الملك : إني لخائف منك يا إبلاذ. قال إبلاذ : أربعة يخافون مما لا ينبغي : الطائر الصغير الذي في الشجر يرفع إحدى رجليه مخافة أن تسقط السماء عليه فيدفعها¹² بها ، والكركي الذي يقوم على إحدى رجليه مخافة أن تنخسف الأرض به إن وضع الأخرى ، والدودة التي تكون في الأرض وطعامها التراب فتقلّ من الأكل مخافة أن يفنى التراب فهي من ذلك خائفة ، والخفّاش الذي يمنع من الطيران بالنهار أنه يرى أن ليس على الأرض طائر أحسن منه فيخاف أن تصيده الناس فيحبسوه عندهم. قال الملك : أكنت نذرت أن تقتل إيراخت يا إبلاذ ؟ قال إبلاذ : أربعة ينبغي لهم أن تُقبل فيهم الندور ألا يفارقوا : الفرس الجواد الثمين الذي هو عدّة مولاه ، والثور الذي يُحرث عليه ، والمرأة العاقلة المحبة لزوجها ، والعبد المجتهد الناصح في الخدمة الصادق الهائب

لسيده. قال الملك: لن تطيب نفسي بقتل إيراخت يا إبلاذ. قال إبلاذ: ثلاثة ينبغي لهم أن يحزنوا: العاقل الذي يجيبه الجاهل بما لا ينبغي ولا يقبل منه، والرجل الرغيب البطن الغني من المال، والرجل السيء الخبيث النفس. قال الملك: ما ينبغي لنا مخالطتك يا إبلاذ. قال إبلاذ: أربعة لا يخالط بعضهم بعضاً: النهار والليل، والبرّ والفاجر، والظلمة والنور، والخير والشر.

قال الملك: لقد أثبت في نفسي عليك حقدًا بقتلك إيراخت يا إبلاذ. قال إبلاذ: أربعة الحقد فيهم ثابت: الذئب والخروف، والسنور والجرد، والبوم والغربان، والبازي والدراج. قال الملك: أفسدت حكمتك يا إبلاذ! قال إبلاذ: أربعة يفسدون أعمالهم: المفسد الحسنات بالسيئات، والمملك يكرم العبد، والوالدان يفضلان المفسد من أولادهما على المصلح، والمؤمن المحتال الواشي على السر. قال الملك: أما لك رحمة فترحمني يا إبلاذ؟ قال إبلاذ: خمسة لا رحمة لهم: المملك الحقود الهذير في القول، والحامل الموتى بالأجر، واللص المراقب للمساء ليغير على الناس فيسرقهم، والصاد الناس عن القصد إلى الجور، والجريء الجاهل المقدم على ما ليس له وإن أتلف نفسه ونفس غيره في طلب حاجته وشحه. قال الملك: من رد علي إيراخت فله عندي من المال ما أحب. قال إبلاذ: إن الذين يحرصون على ما ذكرت فيحبون جمعه من غير الحق، وهو آثر عندهم من أنفسهم، خمسة نفر: المقاتل الذي لا نية له ولا روية إلا

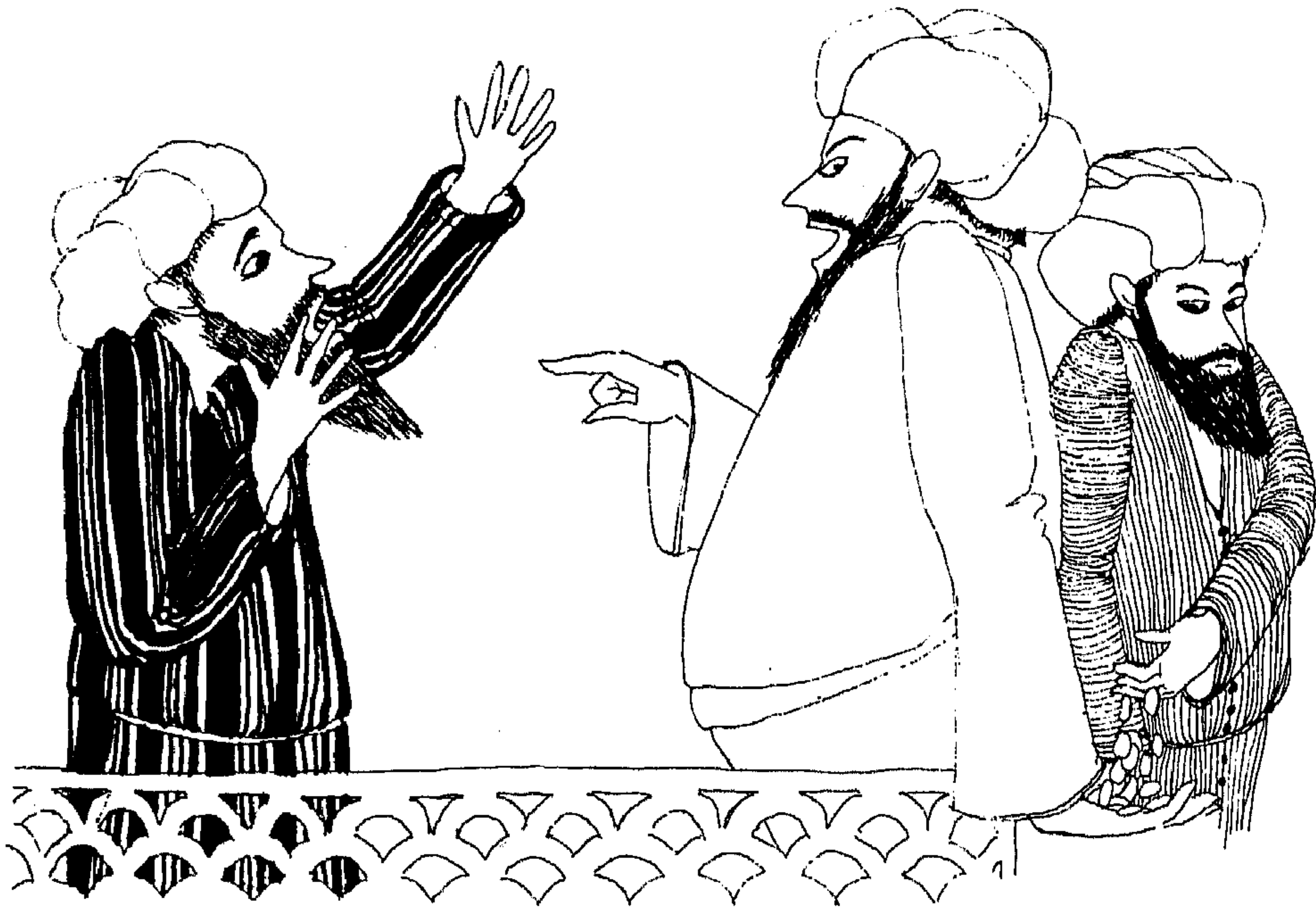


يفضي بسرّه إلى من يذيعه

في إصابة الطمع ونيله ، واللص الذي ينقب البيوت ويعرض لابن السبيل فتقطع يده أو يقتل ، والتاجر الذي يركب في البحر يطلب الدنيا ، وصاحب السجن الذي يتمنى أن يكثر أهله فيصيب منهم ، والقاضي الذي يأخذ الرشوة فيجور في الحكم . قال الملك : أفسدت علي العيش يا إبلاذ ! قال إبلاذ : الذي يكون على ما وصفت ، سبعة¹³ نفر : الفقيه العالم الذي لا يُعرف بذلك فيقتبس منه ، والملك الذي يأتي المعروف إلى كل غامطٍ كفور منكر لكل ما يصنع ، والعبد الذي يكون سيده فظاً غليظاً لا رحمة له ، والمرأة التي تحب ولدها وهو فاسق خبيث وتستتر عليه سيئاً أموره وتغفرها له ، والمرء يأمن الفاجر الغادر الجريء على ركوب المحارم ويسترسل إليه ، والذي يسرع ملامه إلى الخلان ، والذي لا يراقب الله ولا أهل الدين والصلاح .

قال الملك : لقد كرهتُ قتل إيراخت . قال إبلاذ : سبعة أشياء مكروهة : الشيخوخة التي تسلب الشباب ، والوجع الذي يُنجل الجسم ويتزف الدم ، والغضب الذي يُفسد علم العلماء وحكم الحكماء ، والهَمُّ الذي ينقص العقل ويسل الجسم¹⁴ ، والبرد الذي يغير النبات ، والجوع والعطش اللذان يجهدان كل شيء ، والموت الذي يفسد جميع البشر . قال الملك : ما ينبغي لي أن أكلمك بعدها يا إبلاذ . قال إبلاذ : ثمانية نفر لا يستقيم القول معهم ولا العمل : المشاور من لا حلم له ، والذي يصرف الكذب قلبه عن أخيه ، والمعجب بنفسه ، والمستبد برأيه ، ومن ماله أثر عنده من نفسه ، والضعيف الذي يسافر السفر البعيد ، والذي يعاند سيده ومعلمه وهما مسلطان عليه ، ومن يلقي ذا مودة بالخصومة والجدال . قال الملك : لأهتّم وأحزن إذا رأيتُ اثني عشر ألف امرأة وليس فيهن إيراخت . قال إبلاذ : ليس أحد بحقيق أن يحزن على المرأة إذا كان فيها أربعة أشياء : إذا كانت جاهلة جريئة على أمرها ، أو خفيفة اليد لصّة تذهب بما أسديت لها ، أو عمياء لا جمال لها ولا حسب ، أو سيئة الخلق غير موالية . قال الملك : لم يُصنني قطّ وجعٌ أشدّ عليّ ممّا وصل إليّ من إيراخت ، لحلمها وعقلها . قال إبلاذ : خمسة أشياء إذا كنّ في المرأة كانت أهلاً لأن يُحزن عليها : إذا كانت كريمة الحسب عظيمة المنزلة في قومها ، أو لبيبة

* ناكر الجميل .



عاقلة ، أو حسناء كاملة صورة الوجه والخلق ، أو حصاناً حيّة ميمونة الطائر * ، أو مؤاتية لزوجها راضية به متحنّنة عليه . قال الملك : لا أرى لإيراخت في النساء شبيهاً . قال إبلاد : أربعة نفر لا ينصرفون عن حالهم : المرأة التي تعودت كثرة الأزواج فلا ترضى بقلّتهم ، والرجل الذي قد جرى لسانه بالكذب فإذا أراد الصدق اشتد عليه ، والرجل الغليظ الكدين * المعجبُ برأيه لا يقدر أن يكون ليّناً ساكناً ، والرجل البطر الذي قد عدا طوره وطباعه الفجور فلا يستطيع أن يتحوّل من الفساد إلى الصلاح . قال الملك : ليس يأتيني النوم على حزني لإيراخت . قال إبلاد : ستة نفر لا ينبغي لهم أن يهجعوا : الكثير المال وليس له خازن أمين عليه ، والمرء يريد الفتك بصاحبه ولا يقدر عليه ، والقاذف الناس بالبهتان عن عرض الدنيا ، والرجل الشديد المرض ولا طيب له ، والمرء الفاجر الزوجة ، والمحبُّ الذي يتخوف الأحداث على قرينه .

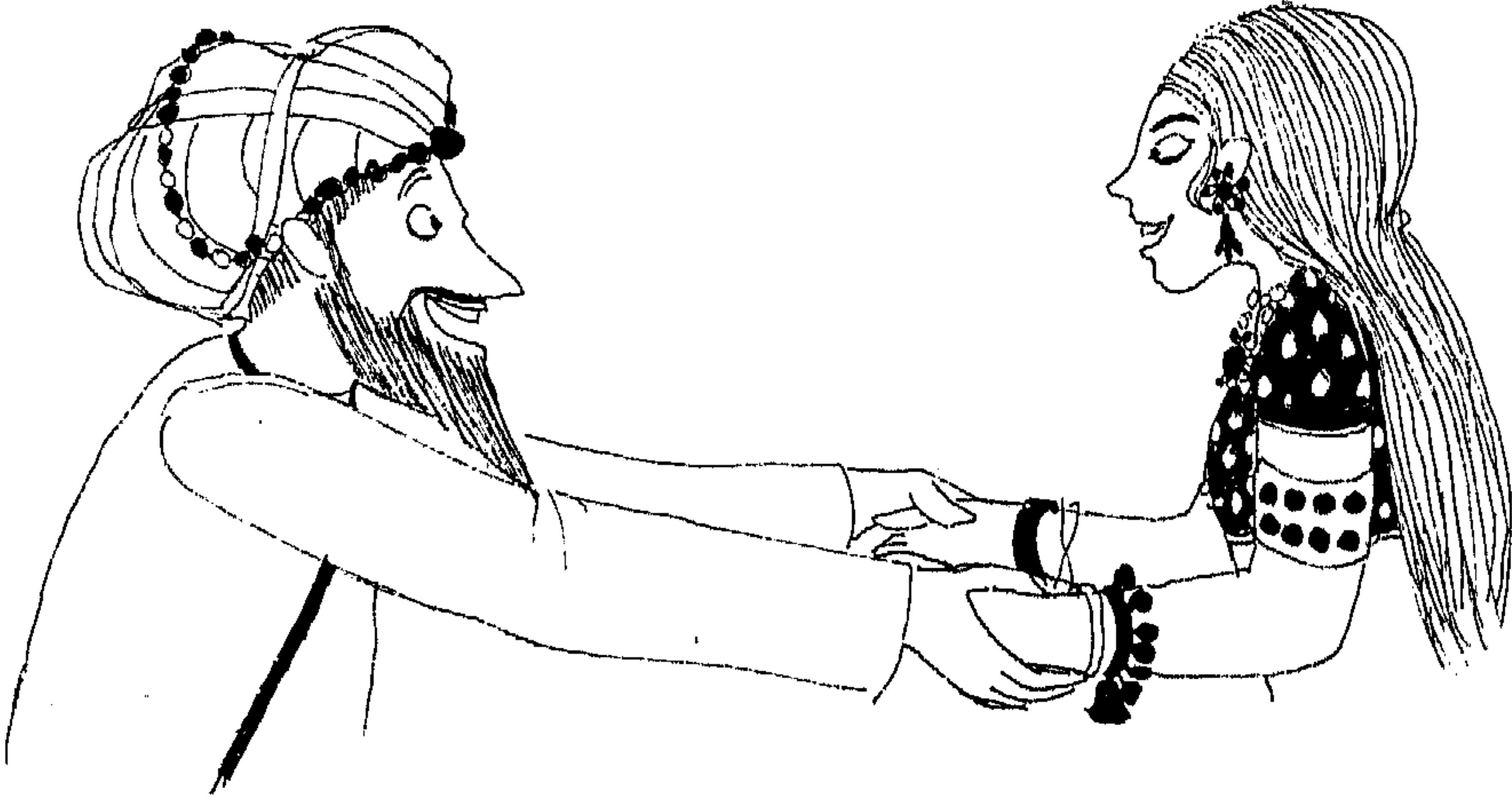
قال الملك : تنطق بين يديّ مع ما ترى من سخطي يا إبلاد ! قال إبلاد : سبعة لا يزالون

في سَخَط: الملك السريع الغضب الضيق الصدر غير المتند، والمتند الذي ليس له مع تُوذته علم، وعالم غير مرید للصالح، ومرید للصالح غير عالم، والقاضي المحبّ للعالم، والرحيم للناس البخيل بما عنده، وجوادٌ يلمس الثواب والشكر في العاجل. قال الملك: قد عنيت نفسك يا إبلاذ وإيائي معك! قال إبلاذ: تسعة نفر يُعنون أنفسهم وغيرهم: المكثّر من المال الواثق بالناس، والملمس ما لا ينال ولا ينبغي له إدراكه، والبديء الفاجر العادي طورَه، والذي يرى اللين ضعفاً وحسن الخلق وهناً ولا يقبل من ذي نصيحة إن بذلها له، ومن آزر الملوك والعظماء ولا رأي له ولا يتعلّم من غيره، وطالب العلم بخصومة من هو أنبل منه، والمحتال للملوك غير الباذل لهم النصيحة ولا المودّة، والملك الذي يكون خادماً وقهرمانه كذاباً هذيراً، والبطيء الفهم الذي لا يكاد يفهم ولا يقبل الأدب. قال الملك: حسبك يا إبلاذ؛ فلقد تركتني في شكّ من أمري. قال إبلاذ: إنما ينبغي أن يجرب الناس في عشرة أشياء: الجريء في القتال، والحراث في العمل، والعبد في عشرة سيّده، والملك في الغضب كيف يكون حلمه وعلمه، والتاجر في مخالطة صديقه، والإخوان بالاحتمال للأذى، والفطن عند الشدائد كيف يكون رفقه وحيلته، والناسك في ورعه وتزّهه، والجواد بالبذل والعطف، والفقير باجتناّب الإثم وطلب الرزق من الحلال.

ثم سكت إبلاذ، وعلم أنّ الملك قد اشتدّ حزنه على إيراخت، واشتاق إلى رؤيتها، فقال: أنا خليق بإتيان الملك بهذه التي قد أحبّها وحرص على رؤيتها أشدّ الحرص، وحلم عني في طول مرادّي إياه في أشياء كثيرة، وإغلاظي له في القول. أيها الملك إني، مع رقة شأني وضعف خطري، قد أغلظت في القول واجترأت. وأنتم أيها الملوك، لكرم أصولكم وسعة أحلامكم، ملكتم أنفسكم وصبرتم على ما سمعتم مني، فالشكر مني أيها الملك إذ لم تأمر بقتلي، وها أنا قائم بين يديك، وقد فعلت الذي فعلتُ بنصحي، فإن كانت دخلت هذه في معصية فإنّ لكم الحجّة والسلطان على عقوبتي وقتلي.

فلما سمع الملك أنّ إيراخت حيّة، اشتدّ فرحه وقال لإبلاذ: إنه كان يمنعني من الغضب عليك ما علمت من نصيحتك وصدق حديثك، وكنت أرجو من علمك بالأمر ألا تقتل إيراخت. فقال إبلاذ: إنما أنا عبدكم، وحاجتي إليكم اليوم ألا تعجلوا بعدها في الأمر العظيم

واشئت فرح الملك
بعودة ايراخت



الذي يُندم عليه ويكون في عاقبته الهمُّ والحزن كما رأيت؛ ولا سيما في أمر هذه التي لا تجد لها
عديلاً في الأرض ولا شبيهاً، وأن تتلبثوا. فقال الملك: بحقٍ قلتَ يا إبلاذ. وقد قبلتُ قولك
وكلَّ ما ذكرت. فكيف في مثل هذا الأمر العظيم الذي قد مرَّ بي؟ ولستُ عاملاً بعدها صغيراً
ولا كبيراً إلا بعد المؤامرة والنظر والتؤدة.

ثم إنَّ الملك أمر إبلاذ أن يأتيه بإيراخت، فأتاه بها فأعطاه تلك الثياب، واشتدَّ فرحه
بها، وقال لها: اصنعي ما أحببت، فلن أصرفَ بعدُ عن هواك شيئاً. فقالت إيراخت: دام ملكك
إلى الأبد. كيف، لولا رأيك أيها الملك وسعةُ خُلقك، تندم على سيئةٍ كانت منك؟ فإنك لو
تركت ذكري آخرَ الدهر كنتُ لذاك أهلاً للذي كان من سفهي وشِقوتي وإقدامي على ما
أقدمتُ عليه من الأمر الذي له أمرُ الملك بقتلي؛ وبرأفتك شكرتَ لإبلاذ حسنَ صنعه، ولولا
ثقة إبلاذ بسعة خُلقك لنفَّذَ أمرُك في سلطانك. قال الملك لإبلاذ: قد اصطنعتَ عندي ما
استوجبتَ به شكري، ولم تصنع بي شيئاً هو أعظمُ عندي من أنك لم تقتل إيراخت، بل أحيتها
بعدهما قتلتها، فوهبتها لي ولجميع الرعيَّة؛ فلم أكن قطُّ أرضي عنك مني اليوم، وأنت مسلط على

» المشاورة .

مُلْكِي فاصنع فيما أحببتَ ما أحببت. قال إبلاذ: ليست بي حاجة فيما قبلك إلا التآني عند الغضب، والروية عند الفكر. فقال الملك: أنا صائر إلى رأيك .

ثم إنَّ الملك أمر بقتل البرهميين الذين أشاروا عليه بقتل العدة التي ذكرتها. وقرت عينه وعيون أهل مملكته وولده بالوزراء الصالحين الذين هم أحبُّ الخلق إليه .







قال الملك للفيلسوف: قد فهمتُ مثل الحلم فيما بين الملوك وقرابينهم؛ ولكن أريد أن تعرّفني كيف ينبغي للإنسان أن يلتمسَ له مشيراً مناصحاً، وما الفائدة المستفادة من المشير الحكيم؟ قال الفيلسوف: إنّ مثل ذلك مثلُ ملكِ الجرذان ووزيرِ الناصح له المنقذِ وأهلّه ومخلصهم من الشدائد العظام. قال الملكُ: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

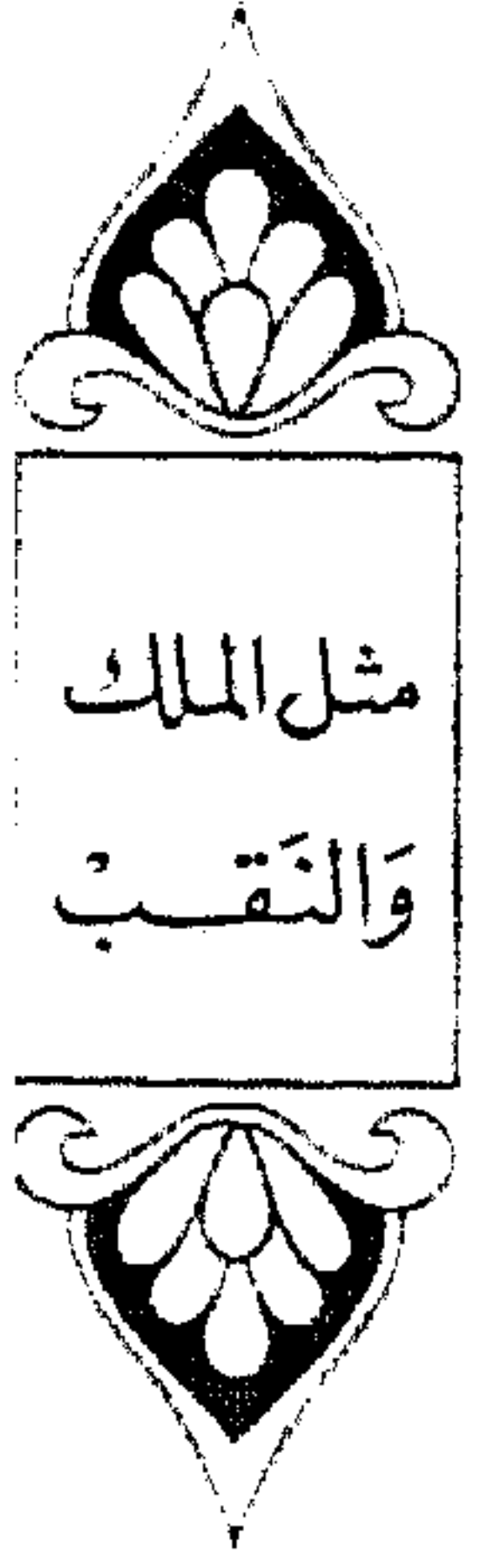
زعموا أنه كان في أرض البراهمة بقعةٌ تسمى دورات مساحتها ألف فرسخ، وكان في وسط تلك البقعة مدينة تسمى بدرور². وكانت كبيرة آهلة، وكان أهلها يتصرفون في معاشهم كما يحبّون. وكان في تلك المدينة جرذٌ يسمى مهايرز، وكان مملّكاً على جميع الجرذان الذين في تلك المدينة ورساتيقتها*. وكان له ثلاثة وزراء يشاورهم في أموره، يسمى أحدهم رُوذباد³،

* ج رستاق: السواد، فارسي معرب .

وكان ذا عقل وحُكْمَة. وكان الملك معترفاً بعقله وجودة حيلته، ويسمى الثاني شيرع، والثالث بغداد. وكان الملك يُحضرهم جميعاً ويستشيرهم فيما يُصلح رعيته .

فحضروا يوماً وتفاوضوا في أشياء كثيرة إلى أن انتهى بهم الكلام إلى هذا المعنى : وهو هل في استطاعتنا أن نُزيل عنا ما قد توارثناه من أسلافنا من الفزع والخوف من السنانير أم لا يمكن ذلك ؟ فقال شيرع وبغداد وزيراه : أنت رئيسٌ علينا لأنك في غاية العقل وإصابة الرأي. وقد قيل في آفتين من الآفات لا يمكن دفعهما إلا بمُدبّر حكيم مصيب. ونحن متّكلون على حِلْم الملك وحكمته وحسن تدبيره في هذا الأمر وغيره. ونحن مع هذا مستعدّون لأمر الملك؛ فإنه سيكون لنا وللملك فيه اسم عظيم إلى الأبد. وسبيل جميع الجرذان، وخاصةً نحن، أن نبالغ ونحرص ونجتهد في تبليغ الملك إرادته ولا سيمّا في هذا الأمر ولو بذهاب أنفسنا. فلما فرغ الوزيران من هذا الخطاب كانت عين الملك إلى الوزير الثالث؛ فلما لم يره يتكلم قال له بغضب : يا هذا قد كان سبيلك أن تذكر لنا ما عندك في هذا الأمر، ولا تكونَ كأنك أحرص أبكم لا تقدر على الجواب. فلما سمع الوزير من الملك هذا الكلام قال : ليس يجب أن يعدّني الملك حيث أمسكتُ عن الكلام إلى هذا الوقت، لأني فعلت ذلك لأستمع جميع ما أتى به أصحابي على الكمال، وأفكر فيه، ثم بعد ذلك أذكر ما عندي. قال له الملك : قل إذن ما عندك. قال : ما عندي أكثر من هذا : وهو أنه إن علم الملك أن له حيلة يبلغ بها مراده من هذا الأمر، ويتحقّق ذلك تحقّقاً صحيحاً، وإلا فما سبيله أن يحرص عليه ولا يدبّر بفكره فيه؛ لأنّ ما يُتوارث من الآباء والأسلاف في الأصلاب والجنس ويتأدّى* من الآباء إلى الأولاد بالطبع، لا يقدر ملك من الملائكة، دع الناس، على تغييره. قال الملك له : ليس ما يتوارث من الجنس فقط، ولكن كل أمر من الأمور وإن صغر وقلّ، لا يمكن أن يتمّ إلا بعناية من فوق؛ وذلك أن انتهاء كل أمر من الأمور إنما يكون في زمان من الأزمنة، غير أن معرفة ذلك الزمان خفية عن الناس، والعناية تحتاج إلى حرص كما يحتاج ضوء العينين إلى ضوء الشمس. قال الوزير : الأمر على

ما قال الملك ؛ لكن إذا لم تمكن الحيلة وليس لمقاومة الشيء الذي يتوارث مع الجنس وجهه ، فتركه أصلح ؛ فإن من قاوم ما يتوارث في الجنس فكأنه يريد أن يعارض ما قد اتفق عليه . وربما نتج من ذلك آفة أعظم من الأولى وآل الأمر فيه إلى أحوال من العطب لا تتلافى ؛ كما أصاب الملك الذي يحدث عنه . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟ قال الوزير :



زعموا أنه كان على بعض نواحي النيل ملك ، وكان في بلده جبل شامخ كثير الأشجار والنبات والثمار والعيون . وكانت الوحوش وسائر الحيوانات التي في ذلك البلد يعيشون من ذلك الجبل . وكان في سفح ذلك الجبل نقب يخرج منه جزء من سبعة أجزاء من جميع الرياح التي تهب في الثلاثة الأقاليم ونصف من أقاليم العالم . وبالقرب من ذلك النقب بيت في غاية حسن البناء والترصيف لم يكن له نظير في العالم كله . وكان الملك وأسلافه من الملوك يسكنون ذلك البيت والموضع ، لم يكن يتهيأ لهم أن يتحولوا منه . وكان للملك وزير يشاوره في أموره ، فاستشاره يوماً من الأيام وقال له : تعلم أنا ، بما قد تقدم من أفعال آبائنا الجميلة ، في نعم فائضة ، وأمورنا تجري على محبتنا . وهذا المنزل الذي نحن فيه ، لولا هذا النقب ولولا كثرة الرياح لكان شبيهاً بالجنة . ولكن سبيلنا أن نجتهد فلعلنا نجد حيلة يمكننا بها أن نسدّ فم هذا النقب الذي تهب منه هذه الرياح ؛ فإننا إذا فعلنا ذلك كنا قد ورثنا الجنة في هذه الدنيا ، مع ما يكون لنا من الأثر الجليل المؤبد . قال الوزير : أنا عبدك ومسارع لما تأمر به . قال الملك : ليس هذا جوابي ، قل ما عندك . قال له الوزير : ما عندي في هذا الوقت جواب غير هذا ، لأن الملك أعلم وأحكم وأشرف مني . وهذا الأمر الذي ذكره لا يمكن أن يعمل إلا بقوة إلهية . فأما الناس فلا يطيقون ذلك لأنه عظيم ، وما سبيل الصغير أن يدخل في الأمر العظيم الكبير . فليتأمل الملك ما يريد أن يفعله ؛ فإن علم أن له سبيلاً يوصلنا إليه ويكون عارفاً بما ينتج عنه من خير وشر معرفة صحيحة ، وإلا فما سبيله أن يهتم به ولا يضرف عنايته إليه ؛ فإن الكلام فيه الساعة سهل . فأما معرفة ما يؤول إليه من خير وشر معرفة صحيحة ، فهو خفي عن الناس ، صعب الإدراك . فلهذا ينبغي أن تُنعم النظر لئلا يلحقك من هذا الأمر ما لحق الحمار الذي ذهب يلتمس أن ينبت له قرنان فذهبت أذناه⁴ . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟ قال الوزير :



مثل الحمار
الذي التمس
قرنين
فذهبت أذناه



زعموا أنّ حماراً كان لبعض الناس وكان صاحبه يوسع له في العلف. فخصب الحمار وكلب وهاج. واتفق يوماً أنّ صاحبه ساقه إلى نهر ليشرب، فبصر الحمار من بعيد باتان. فلما رآها هاج وأدلى ونهق وشغب. فلما رأى صاحبه هيجانه خشي أن ينفلت منه فربطه في شجرة كانت على شطّ النهر، وتقدّم إلى صاحب الأتان بردها ففعل. وبقي الحمار يدور حول الشجرة ويزيد هيجانه. فبينما هو يدور إذ طأ رأسه فنظر إلى إحليله وتوتّره فقال في نفسه: هذه العصا تصلح للفرسان والقتال؛ ولكن إيش* الفائدة فيها وحدها وليس لي غيرها، والعصا وحدها لا تفي بقتال الناس؟ ومع هذا فلست أنا ماهراً بالفروسية، إلا أنه على كل حال أنا قادر أن أطعن بهذه العصا وأضرب. فبينما الحمار يتفكر في مثل هذا، وصاحبه جالس على الشط ينتظر سكون هيجانه ليرده، إذ اتفق في ذلك الوقت أن أَيْلاً كبيراً عظيم القرون قد أتى به صاحبه إلى النهر ليسقيه. فلما نظر الأيّل إلى الحمار، والحمار إلى الأيّل وأعجب الحمار كثرة قرونيه، وأنه المعني الذي أراد، هسّ إليه وفكّر وقال: ما حمل الأيّل هذه القرون إلا وعنده رماح وقسيّ وسائر أنواع السلاح، وبلا شك إنه ماهر بالفروسية. ولو استوى لي أن أهرب من موضعي وألازم هذا الأيّل وأخدمه وأطيعه فيما يأمرني به، لقد كنت أنفّس، وكان هو أيضاً إذا رأى خدمتي ونصحي واکرامني لم يبخل عليّ بهبة شيء من السلاح. ولو لم يرد الله بي سعادة جدّ ما ساق هذا الأيّل إليّ. وإنّ الأيّل لما رأى هيجان ذلك الحمار بقي متعجباً لا يشرب. فقال الحمار: أظن أنني قد أعجبته لما رأى من شهامتي وحسني وقد اشتغل قلبه بي.

ثم إنّ صاحب الأيّل لما رآه لا يشرب رده إلى بيته. وكان بيت صاحبه الأيّل بالقرب من الشط الذي كان الحمار مربوطاً فيه. ولم يزل الحمار يمدّ عينه وينظر إلى الأيّل في رجوعه إلى أن دخل بيت صاحبه، وعلم على الموضع علامة يعرفه بها. ثم إنّ صاحب الحمار رده أيضاً إلى بيته وشده على معلفه وطرح له علفاً. فكان الحمار مشغول القلب بالمضي إلى عند الأيّل فلم يهنيه أكل ولا شرب، وأخذ يفكر ويحتال في ذلك وقال: ينبغي أن أجعل هربي إليه في

* لغة العامة في : ما هي .

الليل. فلما جاء الليل واشتغل أصحابه بالعشاء والشرب، اجتهد حتى قلع مقوده وخرج هارباً إلى الدار التي دخل فيها الأيل. فلما انتهى إليها وجد الباب مغلقاً مستوثقاً منه فاطلع من شق الباب فرأى الأيل مُخلى من رباطه. وخشي الحمار أن يراه الناس فوقف في زاوية الحائط إلى الغداة. فلما كان بالغداة أخذ الرجل الأيل ومضى به إلى النهر ليسقيه. وكان الرجل يمشي قدماه ويسوقه بحبل مربوط في عنقه. فلما رأى الحمار ذلك أتبعه يمشيه ويخاطبه بلغته، ولم يكن الأيل عارفاً بلغة الحمير، فلم يفهم عنه كلامه، ونفر منه، وأخذ يقاتله، والتفت صاحب الأيل، وكان معه عصا فضربه. فقال الحمار في نفسه: ما يمنعني من كلام هذا الأيل واللطف به والخدمة له وكشف ما عندي إلا هذا الرجل الذي يقوده. فوثب عليه وقبض على ظهره بأسنانه فعضه عضّة شديدة، فما تخلص الرجل منها إلا بعد شدّة. فقال الرجل: إن أنا واخذته لم آمن من بليّة يلقيها بي؛ ولكني أودّ أن أعلم فيه علامة حتى إذا رأيته طالبت صاحبه بثأري. فأخرج سكيناً كانت معه فقطع بها أذني الحمار. وعاد الحمار إلى دار أصحابه، وكان الذي نزل به من صاحبه أشدّ من قطع أذنيه. فحينئذ فكر الحمار وقال: لقد كان آبائي أقدر مني على هذا؛ لكن خافوا من سوء عاقبته فامتنعوا منه.

قال الملك: قد سمعت مثلك هذا، وما سبيلك أن تخاف من هذا الأمر؛ فإنه، والعياذ بالله، إن لم يتم لنا ما نريده منه فلا بأس عليك وعليّ. فنحن قادرون على خلاص نفوسنا من سوء عاقبته. فلما رأى الوزير الملك مشتتاً لهذا الأمر لم يماره بعدها فيه، ولكن دعا له .
ثم إن الملك أمر بالمناداة في جميع أعماله ألا يبقى صغير ولا كبير إلا ويحيته في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا بحمل حطب. فعمل الناس على هذا. وكان الملك قد عرف الوقت الذي ينقص فيه هبوب الرياح. فلما كان في ذلك الوقت أمر الناس بسدّ النقب بالحجارة والحطب والتراب، وأن يبنوا عليه دكةً عظيمة. ففعلوا ذلك. وامتنعت الرياح التي كانت تخرج من ذلك النقب، وفقد البلد كلّ نسيم الهواء وهبوب الرياح، فجفت الأشجار ونشفت المياه. ولم يمض ستة أشهر حتى جفت العيون، ويبست كل خضراء في الجبل من الشجر والنبات، وبلغ ذلك إلى نحو من مائة فرسخ، وتماوتت المواشي وسائر الحيوانات، ووقع الوباء في الناس، وهلك خلق كثير. فلم يزل هذا البلاء بأهل البلد فوثب من بقي منهم ممن به رمق، وتجمعوا إلى

باب الملك فقتلوه ووزيره وأهله ولم يبق منهم أحد. ثم مضوا إلى باب ذلك النقب فقلعوا الدكان* والحجارة من الباب وطرحوا في ذلك الحطب ناراً، فالتهمت. فلما بدأت في اللهب عاد الناس إلى مواضعهم. ثم إنَّ الريح التي كانت قد احتقنت في مدة الستة أشهر خرجت بحمى شديدة فطرحت النار في سائر البلد. ودام هبوب الرياح يومين وليلتين، فلم يبق في ذلك البلد مدينة ولا قرية ولا حصن ولا شجرة إلا أحرقتة النار.

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن ما يتوارث ويسري في الجنس صعب الزوال؛ ولكن سبيل الإنسان إذا أراد أن يباشر أمراً من الأمور، وكان بالقرب منه رجل حكيم، أن يسأله أولاً ويشاوره ويأخذ رأيه فيه. وإن لم يكن بالقرب منه، فسيئله أن يشاور العوام فيه ويطلب البحث معهم والتفتيش؛ فإنه بهذا الطريق يمكنه أن يعلم ما في عاقبة هذا الأمر من الخير والشر عند ما يمعن في الفحص والتنقيب.

فلما سمع الملك ذلك بدأ يشاور الثلاثة وزراء بالعكس من أسفل إلى فوق فقال لأصغرهم عنده: ما تقول أنت في هذا الأمر الذي نحن فيه وما الذي يجب أن نصنع؟ قال الوزير: عندي أن تجعل أجراس كثيرة، ويعلق كل جرس منها في عنق واحد من السنانير ليكون كلما ذهب وجاء سمعنا صوت الجرس فحذرنا منها ولم ينلنا مضرة. فقال الملك للوزير الثاني: ما الذي عندك فيما أشار به صاحبك؟ قال: أنا غير حامد لمشورته. وهبنا أحضرنا أجراساً كثيرة؛ من ذا يقدر أن يتقدم إلى السور حتى يعلق عليه ذلك؟ وهبنا علّقنا الأجراس في رقابها، فما الذي يمنع السور من الإضرار بنا؟ وما الذي يزيل عنا الخوف؟ ولكن الذي عندي أن نخرج جميعنا من هذه المدينة ونقيم في البرية سنة واحدة إلى أن يعلم أهل المدينة أنهم قد استغنوا بغيبتنا عن السنانير، لأنه قد يلحق الناس مضرة عظيمة من السنانير؛ فإذا علموا أنه لم يبق في المدينة جرد واحد قتلوا السنانير وطردوها وتهاربت. فإذا هلكوا عدنا نحن بأجمعنا إلى المدينة كما كنا. قال الملك للوزير الثالث: ما عندك فيما قال الوزير؟ قال: أنا غير حامد لما قال. وذلك أنا لو

* ما دك به باب النقب.

خرجنا بأجمعنا إلى البرية، وأقمنا فيها سنة واحدة، فعلى كل حال ليس يمكن أن تفنى السنابير من هذه المدينة، ونلقى نحن في البرية من الشقاء والبلاء ما ليس هو بدون فزعنا من السنابير، لأننا لم نعتد الشقاء قبل هذا. ثم إننا لو رجعنا إلى المدينة لم يدم لنا ذلك الأمر إلا مدة يسيرة؛ وذلك أن الناس، إذا عدنا وعاد فسادنا، أعادوا السنابير وعادت الحال في الفزع كما كان، ويمضي شقاؤنا وغربتنا فارغاً .

قال له الملك: فقل الآن أنت ما عندك. قال الوزير، وهو روذبأد: لا أعرف في هذا الباب إلا حيلة واحدة؛ وهو أن يُحضر الملكُ إلى حضرته جميعَ الجرذان الذين في هذه المدينة ونواحيها فيأمرهم أن يتخذ كل واحد منهم في البيت الذي يأوي فيه ثقباً يسع جميعَ الجرذان، ويُعدّ فيه زاداً لكفائتهم عشرة أيام، ويفتح للبيت سبعة أبواب مما يلي الحائط، وثلاثة أبواب مما يلي خزانة الرجل والثياب والفُرُش. فإذا فعلوا هذا قمنا بأجمعنا إلى دار بعض الموسرين ممن يكون له في داره سنور واحد، وأقمنا على كل باب من السبعة أبواب نرصد السنور كيلا يدخل علينا بغتة. ويكون لنا عليه عين على ذهابه ومجيئه، لأنه لا بد من أن يطمع ويقف على بعض الأبواب. ثم ندخل بأجمعنا من الثلاثة أبواب إلى خزانة المتاع، ولا نعرض للمأكل، ولكن نقصد إلى الفساد في الكسوة والفرش، ولا نسرف في الفساد. فإذا رأى صاحب المنزل ذلك الفساد قال: لعلّ هذا السنور لا يكفي! فيزيد آخر. فإذا فعل ذلك أكثرنا من الفساد وبالغنا فيه، فيميّز ذلك صاحبُ المنزل ويقول: إن الفساد يزيد بكثرة السنابير، ولكنني أجرب بإخراج سنور واحد. فإذا فعل ذلك ونقص سنور نقصنا نحن من الفساد قليلاً. فإذا أخرج الثاني نقصنا أيضاً من الفساد أكثر. فإذا أخرج الثالث خرجنا من ذلك المنزل إلى غيره وأجرينا أمره مجرى البيت الأول. فلا نزال ندور من منزل إلى منزل ونملأ المدينة وندورها إلى أن يتبين للناس أن الذي يلحقهم من المضرّة العظيمة هي من قبل السنابير. فإنهم إذا تبينوا ذلك لم يقتصروا على قتل السنابير التي في البيوت فقط لكنهم يطلبون السنابير البرية فيقتلونها .

ففعل الملك وسائر الجرذان ما أشار به الوزير. فما مضت ستة أشهر حتى هلك كل سنور

في المدينة ونواحيها. ومضى ذلك الجيل من الناس، ونشأ بعدهم قرن آخر على بغضة السنانير؛ فكانوا، متى ظهر لهم أدنى فساد من الفأر، يقولون: انظروا لا يكون اجتاز بالمدينة سنور. وكانوا أيضاً، متى حدث بالناس أو بالبهايم مرض، يقولون: يوشك أن يكون عبر هذه المدينة سنور. فبهذا النحو تخلص الجرذان من فرع السنانير واطمأنوا منهم.

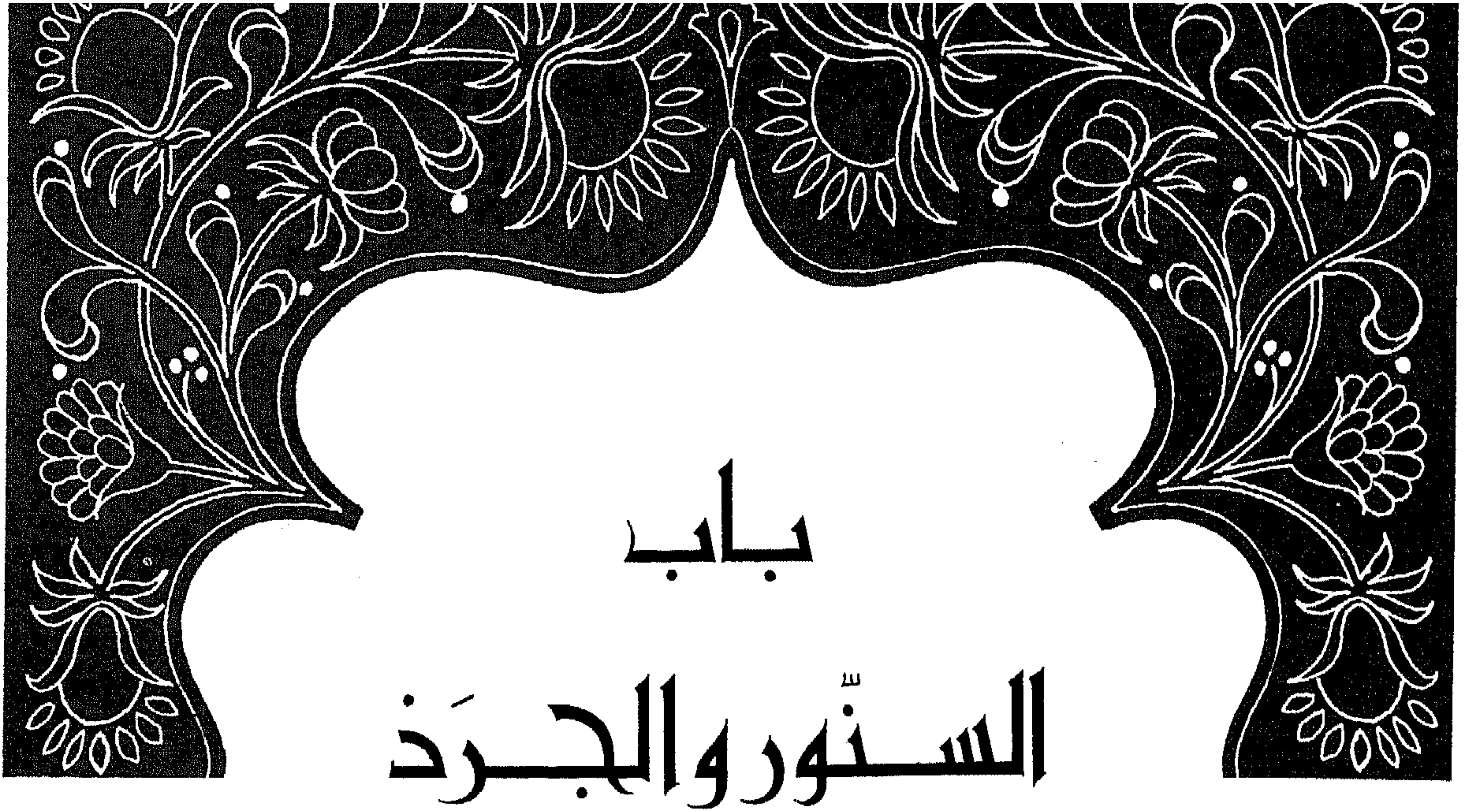
فإذا كان هذا الحيوان الضعيف المهين احتال بمثل هذه الحيلة حتى تخلص من عدوه، ودفع الضرر عن نفسه، فما يجب أن نقطع الرجاء من الإنسان، الذي هو أكيس الحيوان وأكمله وأحكمه، أن يدرك من عدوه ما أراد بحيلته وتدبيره.





باب

السنور
والجرد



قال الملكُ للفيلسوفِ: قد سمعتُ المثلَ الذي ضربتَ، فاضرب لي الآن، إن رأيتَ، مثلَ رجلٍ كثرُ عدوُّه وحصروه من كلِّ جانبٍ، فأشرفَ على الهلكةِ، فالتمسَ المخرجَ بموالةِ بعضِ العدوِّ ومصالحتهِ، فسلمَ ممَّا يتخوَّفُ، ووَفَى لمن صالحَ منهم. فأخبرني عن موضعِ الصلحِ وكيف يُلتَمَسُ ذلك .

قال الفيلسوفُ: إنَّ العداوةَ والمودةَ والبغضاءَ ليس كُلُّها تثبتُ وتدومُ، وكثيرٌ من المودةِ يتحوَّلُ بُغْضاً، وكثيرٌ من البغْضِ يتحوَّلُ محبَّةً ومودةً، عن حوادثِ العُللِ والأُمورِ. وذو الرأيِ والعقلِ يهيِّئُ لكلِّ ما حدثَ من ذلكِ رأياً، من الطمعِ فيما يحدثُ من ذلكِ قبْلَ العدوِّ، واليأسِ ممَّا عندَ الصديقِ. فلا يمتنعُ ذا العقلِ عداوةً كانت في نفسه لعدوِّه من مقاربتِهِ والتماسِ ما عنده، إذا طمعَ منه في دفعِ مخوفٍ، ويُعملُ الرأيَ في إحداثِ المواصلَةِ والموادعةِ. ومَن أبصرَ الرأيَ في ذلكِ فأخذَ فيه بالحزمِ ظفرٍ بحاجتهِ. ومن أمثالِ ذلكِ مثلُ الجرذِ والسنورِ اللذينِ اصطلحا

حين كان ذلك الرأيُّ لهما صواباً، وكان في صلاحهما صلاحهما جميعاً ونجاتهما من الورطة الشديدة. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

زعموا أنه كان بأرض سرنديب شجرةٌ من الدَّوح¹، وكان في أصلها جُحرٌ لجرذ يقال له فريدون، وجُحرٌ لسنورٍ يسمى رومي²، وكان الصيَّادون ربما اجتازوا بذلك المكان يلتمسون صيد الوحش، وأنَّ صيَّاداً مرَّ ونصب حباله ذات يوم فوق وقع فيها رومي. وخرج الجرذ يبتغي ما يأكل وهو مع ذلك حذرٌ يتلفت وينظر. فلما رأى السنور مقتنصاً في الحبال، فرح. ثم التفت خلفه فأبصر ابن عرس قد تبعه، فنظر فوقه فإذا بومة على شجرة ترصده. فخاف، إن انصرف راجعاً، أن يثب عليه ابن عرس، وإن ذهب يميناً أو شمالاً أخذته البومة، وإن تقدّم فالسنور أمامه. فقال الجرذ: هذا بلاء قد اكتفني، وشروور قد تظاهرت عليّ، ولا مفرج لي إلا إلى عقلي وحيلتي. فلا يكوننَّ الدهش من شأني، ولا يذهبنَّ قلبي شعاعاً*؛ فإن العاقل لا يتفرّق عليه رأيه، ولا يعزّب عنه عقله على حال. وإنما عقول ذوي الرأي كالبحر الذي لا يُدرك غوره. ولا يبلغ البلاء من ذي الرأي مجهودَ عقله فيهلكه، ولا الرخاء ينبغي له أن يبلغ منه مبلغاً يُبطره ويُسكره ويُعمي عليه أمره. ثم قال: لا أرى حيلةً أمثلَ من التماس صلح السنور؛ فإنَّ السنور قد نزل به بلاء، ولعليّ أقدر على صلاحه. ولعلّه، لو قد سمع مني ما أكلمه به من الكلام الصحيح الذي لا خداع فيه، أن يفهم عني ويطمع في معرفتي، ويسلس بذلك لصلحي. ولعلّه يكون له ولي في ذلك نجاة. ثم دنا منه فقال: كيف حالك؟ فأجابه السنور: كالذي تهوى؛ في الضنك والضيق! قال الجرذ: لا تكذب لك. لعمرى لقد كان يسرني ما ساءك، وأرى ما ضيق عليك لي سعة؛ ولكني اليوم قد شاركتك في البلاء، فلا أرجو لنفسني خلاصاً إلا بالأمر الذي أرجو لك به الخلاص، فذلك الذي عطفني عليك؛ وستعرف مقالي أن ليس فيها ريب ولا مخادعة، فإنه قد ترى مكان ابن عرس كامناً لي، والبومة تريد اختطافي، وكلاهما لي ولك عدو، وهما يخافانك ويهابانك. فإن أنت جعلت لي أن تؤمّني، إن أنا دنوتُ منك، فأنجو بذلك منهما فإني مُخلصك مما أنت فيه. فاطمئن إلى ما ذكرت، وثق به مني؛ فإنه ليس

* في الحيرة والتردد.



وخرج الجرذ فرأى السنور مقتنصاً في الحبال، والتفت خلفه
فأبصر ابن عرس قد تبعه، وكانت فوقه بومة ترصده

أحدٌ أبعدَ من الخير من اثنين منزلتهما واحدة وصفتهما مختلفة: أحدهما من لا يثق بأحد، والآخر
من لا يثق به أحد. ولك عندي الوفاء بما جعلتُ لك من نفسي. فاقبلْ مني واسترسلِ إليّ وعجّل
ذلك ولا تؤخّر؛ فإنّ العاقل لا يؤخّر عمله. ولتطب نفسك ببقائي كما طابت نفسي ببقائك؛
فإنّ كل واحد منا ينجو بصاحبه، كالسفينة والركّاب في البحر؛ فبالسفينة يخرج الركّاب من
البحر وبالركّاب تخرج السفينة .

فلما سمع السنور مقالة الجرذ سرّ بها، وعرف أنه صادق، فقال للجرذ: أرى قولك شبيهاً



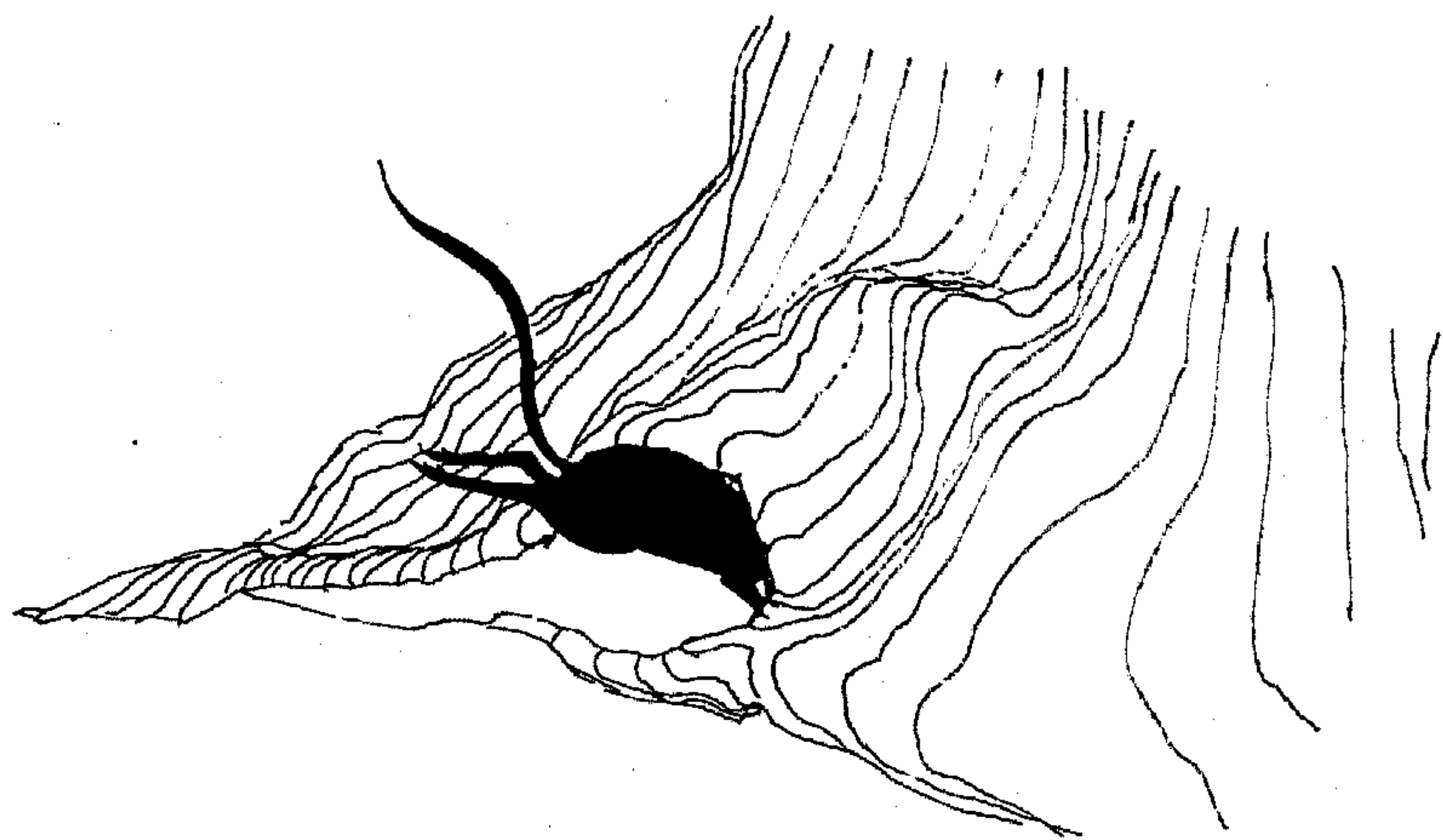
فبالسفينة يخرج الركاب من البحر وبالركاب تخرج السفينة

بالحق والصدق، فأنا راغب في هذا الصلح الذي أرجو لنفسي ولك فيه الخلاص؛ ثم أشكر لك ذلك ما بقيت وأجازيك به أحسن الجزاء. قال الجرذ: فإذا دنوتُ منك فليّر ابن عرس والبومة ما يعرفان به صلحنا فينصرفان آيسين، وأقبل أنا على قرض الحبال. فلما دنا الجرذ من السنور أخذه فالتزمه. فلما رأت البومة وابن عرس ذلك انصرفا خائبين. وأخذ الجرذ في قطع حبال السنور فاستبطأه السنور وقال للجرذ: ما أراك جادا في قطع رباطي؛ فإن كنت، حين

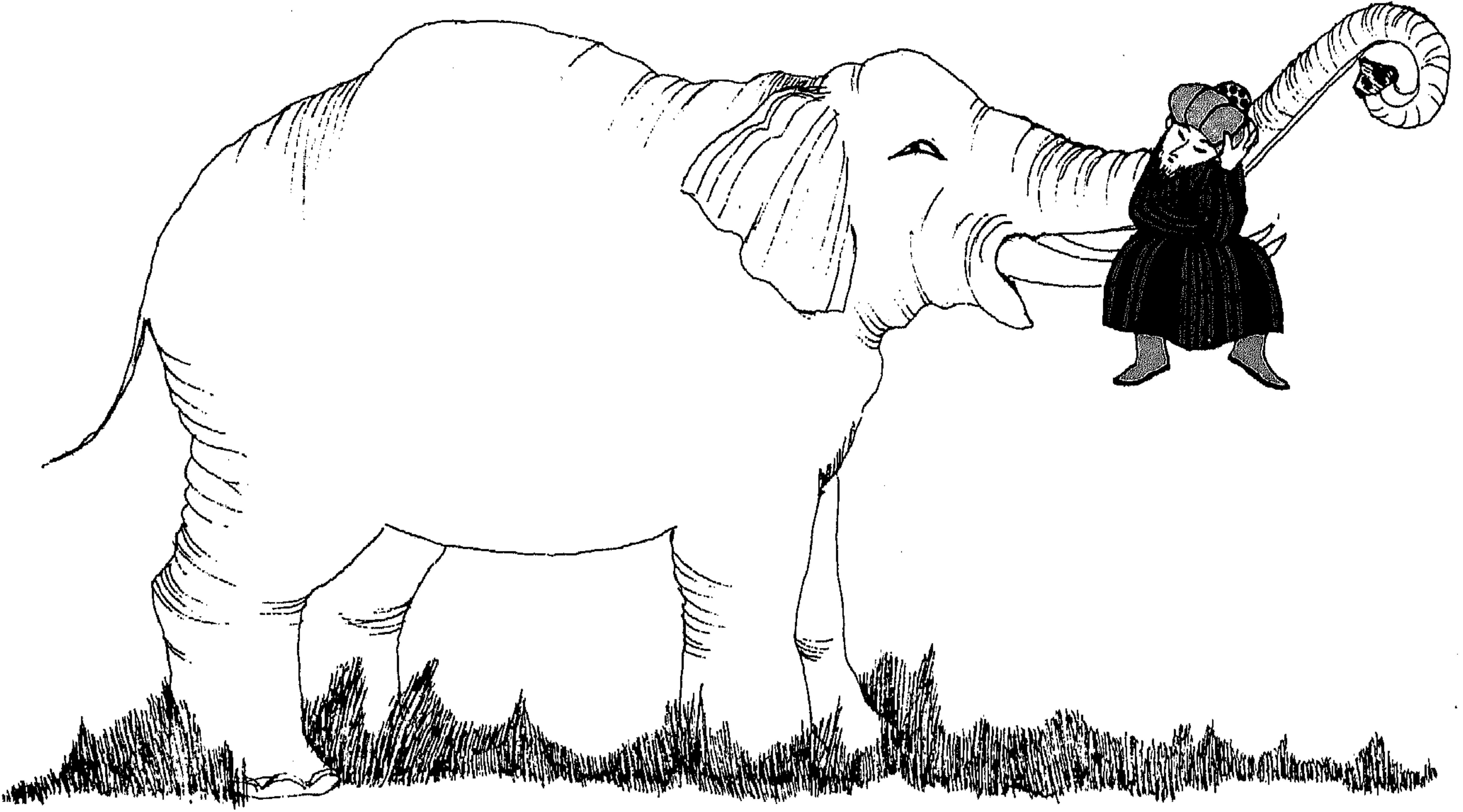
وأخذ الجرذ في قطع حبال السنور



ظفرت بحاجتك، تبدلت عما كنت عليه وتوانيت في حاجتي فليس هذا للكريم بخلق، أن يتوانى في حاجة صاحبه إذا استمكن من حاجة نفسه. وقد كان لك في مودتي من عاجل المنفعة والاستنقاذ من الهلكة ما قد رأيت، وأنت حقيقٌ أن تكافئني، ولا تذكر عداوة ما بيني وبينك؛ فإن ما حدث بيننا حقيقٌ أن يُنسيك ذلك. وإن الكريم لا يكون إلا شكوراً غير حقود، تُنسيه الخلة الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة. وأعجل العقوبة عقوبة الغدر واليمين الكاذبة، ومن إذا تُضرع إليه وسئل العفو لم يعف ولم يصفح. قال الجرذ: الأصدقاء صديقان: طائع ومضطر، وكلاهما يلتمس المنافع ويحترس من المضار. فأما الطائع منهما فيُسترسل إليه ويوثق به على كل حال، وأما المضطر فإن له حالات يُسترسل إليه فيها، وحالات يُتقى فيها. فلا يزال العاقل يرتهن منه بعض حاجته ببعض ما يتقى وما يخاف؛ وليس عامة التواصل والتحاب بين الناس إلا التماس عاجل النفع. وأنا وافٍ لك بما جعلت على نفسي، ومحترسٌ من أن يصيبني منك مثل الذي أُلجأتني إلى صلحك؛ فإن لكل عملٍ حيناً، وإن لم يكن في حينه فلا عاقبة له. وأنا قاطعٌ حبائك لوقتها، غير أني تاركٌ عقدة واحدة أرتهنك بها، فلا أقطعها إلا في الساعة التي أعرف أنك عني فيها في شغل. ففعل ذلك. وباتا يتحادثان حتى إذا أصبحا إذا هما بالصياد قد أقبل من بعيد. فقال الجرذ: الآن جاء موضع الجدد في قطع بقية حبائك. فقطع حبائله. ولم يدن منهما الصياد حتى فرغ الجرذ، على سوء ظن من السنور ودهش. فلما أفلت عدا إلى الشجرة فصعداها، ودخل الجرذ الحجر. فأخذ الصياد حبائله مقطعة وانصرف خائباً.



ودخل الجرذ الحجر



وركب ناب الفيل فغلبه النعاس

وخرج الجرذ بعد ذلك من جُحره فرأى السنور من بعيد، فكره أن يدنو منه. وناداه السنور :
أيها الصديق ذا البلاء الحسن ! ما يمنعك من الدنو مني لأجزيك بأحسن ما أبليتني ؟ هلّم إليّ
ولا تقطع إخائي ؛ فإنه من اتخذ صديقاً ثم أضاع ودّ إخائه، حُرِمَ ثمرة الإخاء، وأيس من منفعة
الإخوان. وإن يدك عندي اليد التي لا تُنسى ؛ فأنت حقيق أن تلتمس مكافأة ذلك مني ومن
إخواني وأصدقائي. فلا تخافنّ مني شيئاً، واعلم أنّ ما قبلي لك مبدول. ثم حلف له واجتهد على
تصديق ما قال، فأجابه الجرذ أنه رُبَّ عداوةٍ باطنة ظاهرها صداقة، وهي أشدُّ ضرراً من العداوة
الظاهرة. ومن لم يحترس منها وقع موقع من يركب ناب الفيل المغتلم ثم يغلبه النعاس. وإنما
سُمِّي الصديق صديقاً لما يُرجى من نفعه، وسُمِّي العدو عدواً لما يُخاف من ضرره. فإنّ العاقل
إذا رجا نفع العدو أظهر له الصداقة، وإذا خاف ضرر الصديق أظهر له العداوة. أو لا ترى أولاد

البهائم تتبع أمهاتها رجاء ألبانها، فإذا انقطع ذلك انصرفت عنها؟ وكما أن السحاب يلتئم ساعة ويتقطع أخرى، ويهمني ساعة ويُمسِكُ* أخرى، كذلك العاقل يتلَوْن مع متلونات الأمور عن اختلاف أحوال الأصحاب، فينبسط مرّة وينقبض أخرى، ويسترسل مرّة ويحترس أخرى. وربما قَطَعَ المرء عن صديقه بعض ما كان يصله بفضله فلم يخفْ شرّه، لأن أصل أمره لم يكن عداوة. فأما من كان أصل أمره عداوةً، وتحدث صداقته لحاجة حملته على ذلك، فإنه إذا ذهب الأمر الذي أحدث ذلك صار إلى أصل أمره؛ كالماء الذي يسخن بالنار فإذا رفع عنها عاد بارداً. فلا عدوٌّ أضرُّ لي منك. وقد كان اضطررتي وإياك أمرٌ أخرجنا إلى ما صرنا إليه من المصالحة. وقد ذهب الأمر الذي احتجت إليّ واحتجت إليك فيه. وأخاف أن يكون مع ذهابه عود العداوة بيني وبينك. ولا خير للضعيف في قرب العدو القوي، ولا للذليل في قرب العدو العزيز. ولا أعلم لك في حاجةٍ إلا أن تريد أكلي. ولا أرى الثقة بك؛ فإني قد علمت أن الضعيف هو أقرب إلى أن يسلم من العدو القوي، إذا هو احترس منه ولم يغترر به، من القوي إذا اغتر بالضعيف واسترسل إليه. والعاقل يصانع عدوه إذا اضطرَّ إليه فيظهر له وده ويريه من نفسه الاسترسال إليه إذا لم يجد من ذلك بداً، ويعجل الانصراف عنه إذا وجد إلى ذلك سبيلاً. واعلم أن صريع الاسترسال³ لا يكاد يستقبل عشرته. والعاقل يفني لمن صالح بما جعل له، ويثق بذلك من نفسه، ولا يثق لها بمثل ذلك من أحد، ولا يؤثر على البعد من عدوه، ما استطاع، شيئاً. والبعد لك من الصياد، والبعد لي منك، من أحزم الرأي. وأنا أودك من بعيد، ولا عليك أن تجزيني بمثل ذلك، إن رأيت، وإلا فلا سبيل إلى اجتماعنا أبداً والسلام.





باب الملك والطير قبرة^①

قال الملك للفيلسوف: قد سمعتُ مثل الرجل يحيط به عدوّه فيستظهر ببعضهم على بعض، ويصالحه حتى يتخلص بذلك مما يخاف وقد وَفَى وسَلِمَ. فاضرب لي، إن رأيت، مثل أهل التّرات* والذي ينبغي لبعضهم من الاتّقاء لبعض .

قال الفيلسوف: زعموا أنه كان ملكٌ من الملوك يقال له برهمود²، وكان له طائر يقال له قُبرة، وكان ناطقاً كَيْساً، ومعه فرخ له، فأمر الملك بقُبرة وبفرخه فجُعِلَا في مكان عند امرأة هي سيّدة نساءه، وأمرها بالاستيضاء به، وأنّ امرأة الملك ولدت غلاماً. فلما شبَّ قليلاً أَلِفَ الفرخ الغلام، فكانا يلعبان جميعاً ويأكلان معاً. وكان قُبرة يذهب إلى الجبل كلَّ يوم فيجيء بشمرتين من فاكهة لا تُعرف فيُطعم إحداهما فرخه، والأخرى ابنَ الملك. فأسرع ذلك في نباتهما

* التارات والأحقاد.

وقوتهما حتى استبان ذلك للملك، فزاد قبرةً عنده كرامةً. حتى إذا كان ذات يوم وقبرةً غائب في ابتغاء الثمرتين، إذ وثب فرخ قبرة في حجر الغلام. فغضب الغلام من ذلك وضرب بالفرخ الأرض فقتله .

فلما جاء قبرة ورأى فرخه مقتولاً حزن وصاح وقال: قُبْحاً للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء! وويل لمن ابتلي بصحبته! فإنهم لا حميم لهم ولا حريم، ولا يحبون أحداً، ولا يكرم عليهم، إلا أن يطمعوا عنده في غناء فيقرّبوه عند ذلك ويكرموه. فإذا قضوا منه حاجتهم فلا ودّ ولا حفاظ، ولا الإحسان يجزون به، ولا الذنب يعفون عنه. الذين إنما أمرهم الفخر والرياء والسُّمعة، الذين كلُّ عظيم من الذنوب يركبونه، وهو عندهم صغير حقير هين. ثم قال: لأنتقمّن اليوم من الكفور الذي لا رحمة له، الغادرِ بالفه وتربّه*، وصاحب ملاعبته ومواكلته. ثم وثب في وجه الغلام ففقأ عينيه برجليه، ثم طار فوق على مكان مُشْرِف .

فبلغ الملك ذلك وما فعل بابنه، فجزع جزعاً شديداً، وطمع أن يحتال لقبرة فيظفر به. فركب إليه ووقف عنده وناداه ودعاه باسمه، وقال: أنت آمن فأقبل إلينا. فأبى ذلك قبرة وقال: أيها الملك، إن الغادر لا يُجاز له بغدره. وإن أخطأه عاجلُ العقوبة لم يخطئه آجلُها، حتى تدرك الأعبابَ وأعقابَ الأعقاب. وإن ابنك غدرَ بابني، فعجّلْتُ له العقوبة. قال الملك: قد لعمرى فعلنا ذلك بك، فانتقمت منا، فليس لنا قبلك ولا لك قبلنا وتُرُّ مطلوب، فارجع إلينا آمناً. قال قبرة: لست راجعاً إليك، فإن ذوي الرأي قد نهوا عن قرب الموتور، وقالوا: لا يزيدنك لطفُ الحقود ولينه وتكريمته إلا وحشة منه؛ فإنك لا تجد للموتور الحقود أماناً هو أوثق من الدُّعر والبعد عنه والاحتراس. وكان يقال: إن العاقل إنما يعدُّ أبويه من الأصدقاء، ويعدُّ الإخوة من الرفقاء، والأزواج إلفاً، والبنين ذكراً، والبنات خصيمات، والأقارب غرماء، ويعدُّ نفسه فرداً



ثم وثب قبرة ففقأ عينيه

وحيداً. وأنا اليوم الفرد الوحيد؛ قد تزوّدت من عندكم من الحزن عبثاً ثقيلاً لا يحمله معي أحد؛
وأنا ذاهب فعليك السلام .

فقال الملك: إنك لو لم تكن اجتزيت منّا ما صنعنا بك، ولو كان صنيعك بنا من غير
ابتداءٍ منّا إليك بالغدر، كان الأمر كما ذكرت؛ فأما إذ كنا نحن بدأناك فما ذنبك؟ وما
الذي يمنعك من الثقة بنا؟ فهلهمّ فارجع فإنك آمن. قال قبرة: إنّ للأحقاد في القلوب لمواقع
مُوجعة خفية. فالألسن لا تصدق عن القلوب، والقلبُ أعدلُ على القلب شهادةً من اللسان. وقد

علمتُ أن قلبي لا يشهد للسانك، ولا قلبك للساني. قال الملك: أأست تعلم أن الضغائن والأحقاد تكون بين كثير من الناس، فمن كان له عقل كان على إماتة الحقد أحرص منه على تربيته؟ قال قبرة: إن ذلك لكما ذكرت. وليس ذو الرأي مع ذلك بحقيق أن يظنّ بالموتور أنه ناسٍ ما وتره به، ومنصرف عنه. وذو الرأي جدير بأن يتخوف الحيل والخدع، ويعلم أن كثيراً من الأعداء لا يستطيع بالشدة والمكابرة حتى يصاد بالرفق والملاينة، كما يصاد الفيل الوحشي بالفيل الداجن. قال الملك: إن الكريم لا يترك إلفه، ولا يقطع إخوانه، ولا يضع الحفظ، وإن هو خاف على نفسه؛ حتى إن هذا الخلق ليكون في أوضع الدواب منزلة. وقد عرفنا أن ناساً يذبحون الكلاب ويأكلونها، فيرى ذلك الكلب الذي قد أفهم، فيمنعه إلفه إياهم من أن يفارقهم. قال قبرة: إن الأحقاد مخوفة حيث كانت، وأشدّها ما كان في أنفس الملوك، فإن الملوك يدينون بالانتقام، ويرون الطلب بالوتر مكرمة وفخراً. ولا ينبغي للعاقل أن يغترّ بسكون الحقود؛ فإنما مثل الحقد في القلب، ما لم يجد متحرّكاً، مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطباً. فلا يزال الحقد يتطلع إلى العليل كما تبتغي النار الحطب، فإذا وجد علّة استعر استعار النار، فلا يطفئه ماء ولا كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تضرّع ولا شيء دون تلف الأنفس؛ مع أنه ربّ وائرٍ يطمع في مراجعة الموتور لما يرجو أن يقدر عليه من النفع له والدفع عنه؛ ولكني أضعف من أن أقدر لك على ما يذهب ما في نفسك. ولو كانت نفسك لي على ما تقول كان ذلك عني مغيباً؛ فأنا لا أزال في خوف وسوء ظن ما اصطحبنا، وليس الرأي إلا الفراق. وأنا أقرأ عليك السلام.

قال الملك: قد علمت أنه لا يستطيع أحد لأحد ضرراً ولا نفعاً، وأنه لا شيء من الأشياء صغيراً ولا كبيراً يصيب أحداً إلا بقدر مقدور. وكما أن خلق ما يخلق وولادة ما يولد وبقاء ما يبقى ليس إلى الخلائق منه شيء، كذلك فناء ما يفنى، وهلاك ما يهلك. فليس لك عندي فيما صنعت بابني، ولا لابني في هلاك فرحك ذنب؛ إنما كان ذلك قدراً مقدوراً، وكنا له عللاً؛ فلا تؤاخذنا بما أتاك به القدر. قال قبرة: إن أمر القدر لكما ذكرت؛ ولكن ليس ذلك حقيقاً أن يمنع الحازم من توقي المخوف والاحتراس من المحترس منه؛ ولكنه يجمع تصديقاً بالقدر وأخذاً بالقوة والحزم. وأنا أعلم أنك تحدّثني بغير ما في نفسك. والأمر فيما بيني وبينك غير صغير؛

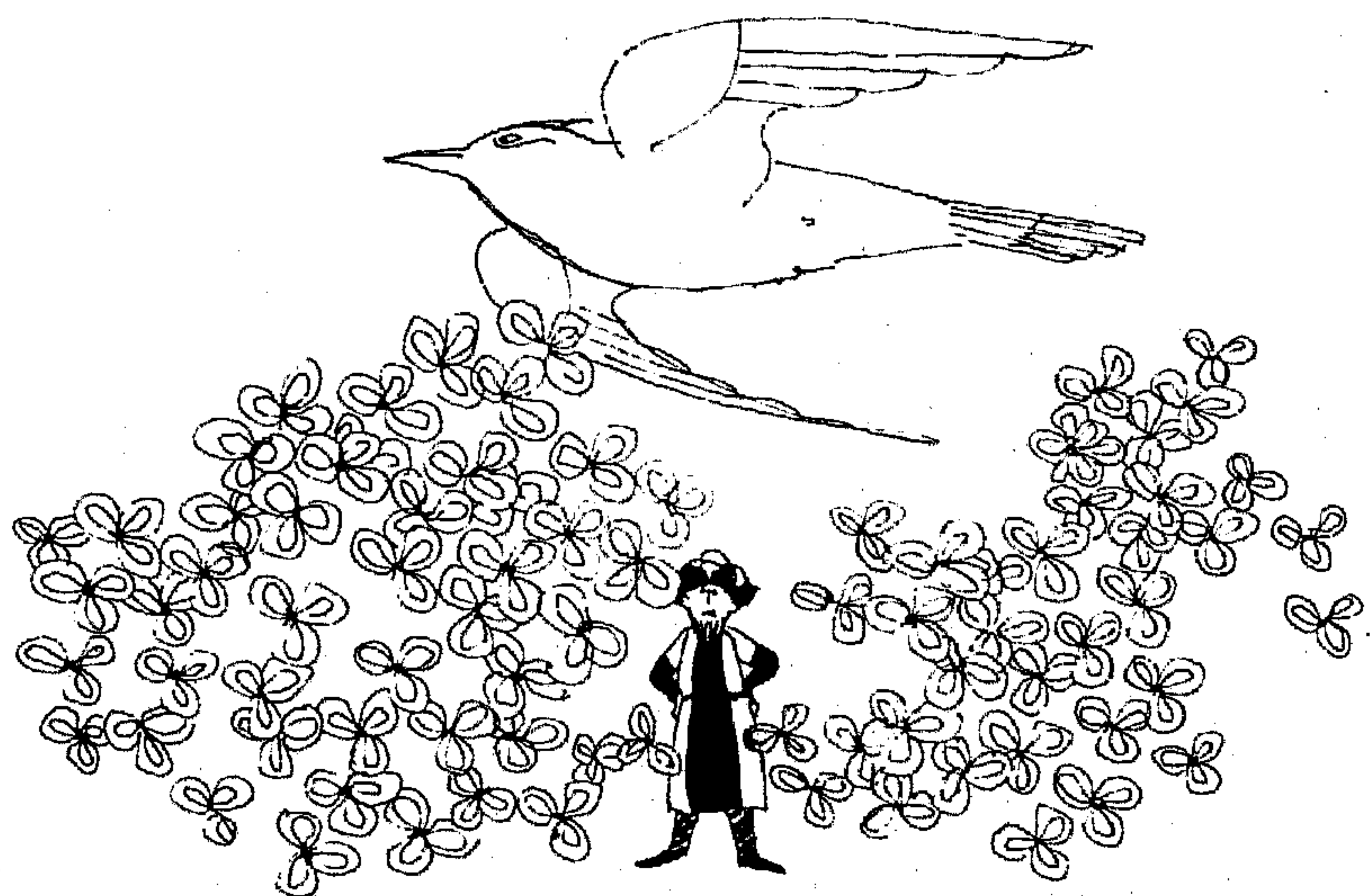


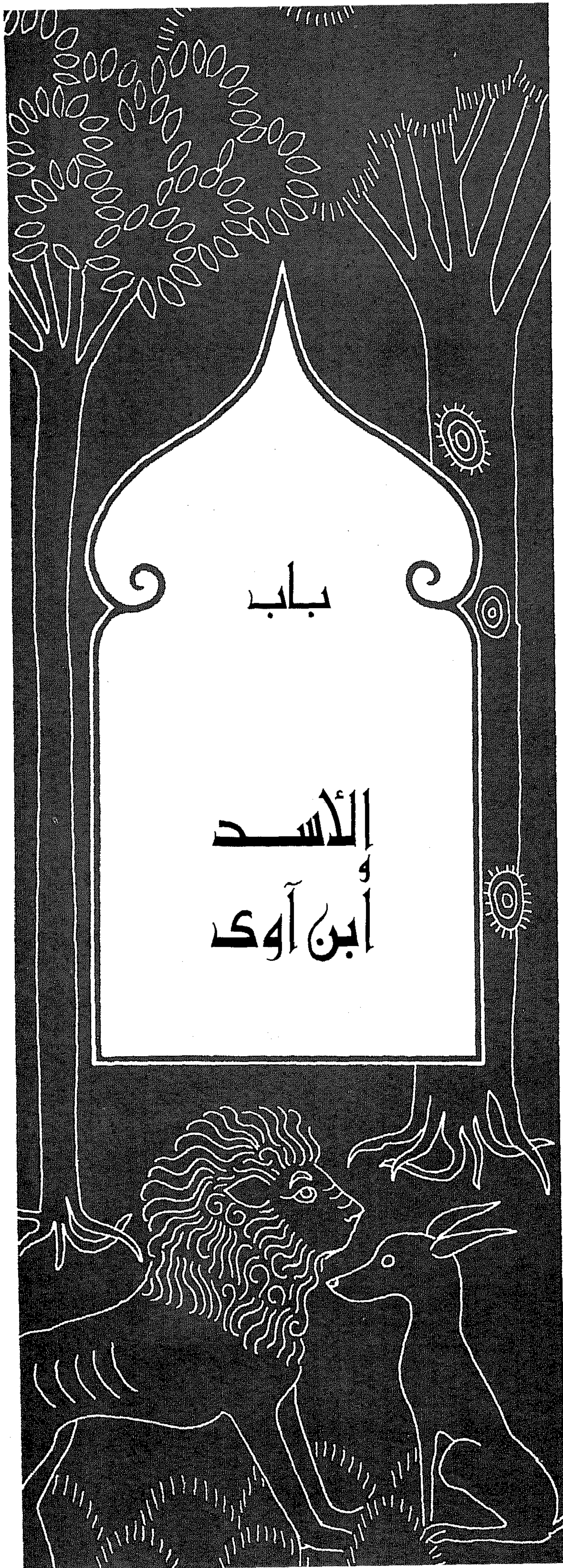
إنّ ابنك قتل فرخي، وفقأتُ أنا عينيه. فأنت الآن تريد بي القتل، وتحاتلني عن نفسي لتشتفيَ مني. والنفس تأبى الموت. وقد كان يقال: الفاقة بلاء، والحزن بلاء، وقرب العدو بلاء، وفراق الأحبة بلاء، والسقم بلاء، والهَرَم بلاء، ورأس البلايا كلّها الموت. وليس أحد أعلم بما في نفس الموحج المحزون ممّن ذاق مثلاً ما به. وأنا بما في نفسك مني عالم، للمثال الذي عندي من ذلك، فلا خير لي في صحبتك؛ فإنك لن تذكر صنيعي بابنك، ولن أذكر صنيع ابنك بفرخي إلاّ أحدث ذلك لقلوبنا تغييراً .

قال الملك: إنه لا خير فيمن لا يستطيع الإعراضَ عما في نفسه، ويميته ويتناساه، حتى لا يذكر منه شيئاً، ولا يكون له في نفسه موقع. قال قبرة: إنّ الرجل الذي باطن قدمه قرحةٌ إن هو حرص على خفة المشي فلا بدّ أن ينكأها، والرجل الرمّد إذا استقبل الريح فقد تعرّض لإنكاء عينيه. وكذلك الموتور، إذا دنا من عدوّه فقد عرض نفسه للهلكة. ولا يستطيع صاحب الدنيا إلاّ توقّي المتالف وتقدير الأمور وقلة الاتكال على القوّة والحيلة، وقلة الاغترار بمن لا يأمن؛ فإنه من اتكل على قوّة حمله ذلك على أن يسلك الطريق المخوف، ومن سلك الطريق

المخوف فقد سعى في حتف نفسه، ومن لا يقدر طعامه وشرابه فحمل على نفسه وأعضائه ما لا يطيق فربما قتل نفسه، ومن لم يقدر لقمته فأعظمها فوق ما يسع فوه غصّ بها فمات، ومن اغترّ بكلام عدوّه وضيّع الحذر فهو أعدى لنفسه من عدوّه. وليس على الرجل النظر في القدر الذي لا يدري ما يأتيه منه وما يُصرف عنه، ولكن عليه العمل بالحزم، والأخذ بالقوّة في أمره، ومحاسبة نفسه في ذلك. والعاقل لا يُخيف أحداً ما استطاع، ولا يقيم على الخوف وهو يجد مذهباً. وأنا كثير المذاهب أرجو ألا أتوجّه في وجه منها إلا وجدت فيه ما يغنيني؛ فإنّ خلافاً خمساً من تزودهنّ بلّغنه في كل وجه وطريق، وقربن له البعيد، وأنسن له الغربة، وأكسبته المعيشة والإخوان: كفّ الأذى، وحسن الأدب، ومجانبة الريّة، وكرم الخلق، والنبل في العمل. وإذا خاف العاقل على نفسه طابت نفسه عن الأهل والولد والوطن؛ فإنه يرجو في ذلك خلفاً ولا يرجو من النفس خلفاً. وشرّ المال ما لا ينفق منه، وشرّ الأزواج التي لا تُتواي البعل، وشرّ الولد العاصي، وشرّ الإخوان الخاذل لإخوانه، وشرّ الملوك الذي يخافه البريء، وشرّ البلاد بلاد ليس فيها أمن ولا خصب. وإنه لا أمن بي أيها الملك معك، ولا طمأنينة لنفسي في جوارك.

ثم ودّع الملك وطار .







باب الأسد وابن أوى

قال الملك للفيلسوف: قد سمعتُ هذا المثل. فاضرب لي مثل الملوك فيما بينهم وبين قرايئهم* ،
وفي مراجعة من يراجع منهم بعد عقوبة أو جفوة تكون عن ذنب يُدنيه أو ظلم يُظلمه .

قال الفيلسوف: إنَّ الملك لو كان لا يراجع من أصابته جفوة أو عقوبة عن جرم اجترمه
أو ظلم ظلمه، أضرَّ ذلك بالأُمور والأعمال؛ ولكن الملك حقيق أن ينظر في حال من ابتلي بشيء
من ذلك وما عنده من الغناء الذي يرجو منه النفع. فإن كان ممن يستعان به ويوثق برأيه وأمانته،
كان الملك حقيقاً بالحرص على مراجعته؛ فإنَّ المُلِكَ لا يستطيع إلا بالوزراء والأعوان، ولا يُنتفع
بالوزراء والأعوان إلا بالموَدَّة والنصيحة، ولا موَدَّة ولا نصيحة إلا مع أصالة الرأي والعفاف. وأعمال
الملك كثيرة، ومن يحتاج إليه من العمَّال والأعوان كثير، ومن يجمع منهم الذي ذكرتُ من

* ذوي خاصتهم .

النصيحة وأصالة الرأي والعمارة قليل. وإنما السبب في الوجه الذي به يستقيم العمل أن يكون الملك عالماً بمودة من يريد الاستعانة به، وما عند كل رجل منهم من الرأي والغناء، وما فيه من العيوب. فإذا استقر ذلك عنده من علمه أو علم غيره، وعلم ما يستقيم به وجه لكل عمل من قد عرف أن عنده من الأمانة والنجدة والرأي ما يستقل بذلك العمل، وأن الذي فيه من العيب لا يضر بذلك العمل. ويتحفظ من أن يوجه أحداً في وجه لا يحتاج فيه إلى مروءة إن كانت عنده، ولا تؤمن عيوبه وعاقبة ما يكره منه. ثم على الملك بعد ذلك تعاهد عماله والتفقد لأمرهم حتى لا يخفى عليه إحسان محسن، ولا إساءة مسيء. ثم عليهم بعد ذلك¹ ألا يتركوا محسناً بغير جزاء، ولا يقرّوا مسيئاً ولا عاجزاً على العجز والإساءة؛ فإنهم إن ضيّعوا ذلك وتهاونوا به تهاون المحسن، واجترأ المسيء، ففسد الأمر وضاع العمل. ومثل ذلك مثل الأسد وابن آوى. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

زعموا أنه كان بأرض كذا وكذا ابن آوى، وكان متأهلاً متعافياً، وكان مع ذئب وثعالب وبنات آوى. ولم يكن يصنع ما يصنعون ولا يُغير كما يُغيرون، ولا يأكل لحماً. فخاصمته تلك السباع وقلن له: لا نرضى بسيرتك ولا برأيك الذي أنت عليه؛ مع أن تألهك لا يُغني عنك شيئاً، وأنت لا تستطيع أن تكون إلا كأحدنا فتسعى معنا وتفعل فعلنا. فما الذي يشبه كفك عن الدماء وتركك اللحم. قال ابن آوى: إن صحبتي إياكم لا تؤثمني إن لم أوثم نفسي، لأن الآثام ليست من قبل الأماكن والأصحاب، ولكنها من قبل القلوب والأعمال. فلو كان صاحب المكان الصالح يكون عمله فيه صالحاً، وصاحب المكان الشر يكون عمله فيه سيئاً، إذا كان من قتل الناسك في محرابه لم يَأثم، ومن استحياه في معركة القتال أثم. وإنما صحبتكم بنفسي²، ولم يصحبكم مني قلب ولا عمل، لأنني أعرف ثمرة الأعمال.

فثبت ابن آوى على حاله تلك، وشهر بالنسك والتأله حتى بلغ من الصدق والعمارة والأمانة أفضل ما بلغ أحد من الناسك. وبلغ ذلك أسداً كان ملك السباع بتلك الناحية، فرغب فيه

متعبداً.

وأرسل إليه وكلمه وفتشه ودعاه إلى صحبته فقال له: إنَّ مُلكي عظيم، وأعمالي كثيرة، وأنا إلى الأعداء محتاج. وقد بلغني عنك نبيلٌ وعفاف، ثم قدمت عليّ فازددتُ بك إعجاباً، وفيك رغبة. وأنا مؤمِّلٌ من عملي جسيماً، ورافعٌ منزلتك إلى منزلة الأشراف، وجاعلٌ لك مني خاصّة. قال ابن آوى: إنَّ الملوك أحقُّ باختيار الأعداء، فيما يهتمُّون به من أعمالهم وأمورهم، من غير أن يُكرهوا على ذلك أحداً؛ لأنَّ المُكره لا يستطيع المبالغة في العمل. وأنا لعمل السلطان كاره، وليست لي به تجربة، ولا بالسلطان رفق. وأنت ملك السباع، وعندك من أجناس السباع عدد كثير، وفيهم أهل نبل وقوّة، ولهم على العمل حرص، ولهم به رفق. فإن استعملتهم أغنوا عنك، واغتبطوا لأنفسهم بما أصابوا من ذلك. قال الأسد: دع عنك هذا فإني غير مُعفيك من العمل. قال ابن آوى: إنما يستطيع العمل وصحبة السلطان رجلان لست بواحد منهما: إما فاجر مصانع ينال حاجته بفجوره ويسلم بمصانعته، وإما رجل مهين مغفل لا يحسده أحد. فأما من أراد أن يصحب السلطان بالصدق والنصيحة والعفاف لا يخلط ذلك بمصانعة، فقلماً يستقيم له صحبته؛ لأنه يجمع عليه عدوُّ السلطان وصديقه بالعداوة والحسد؛ أما الصديق فينافسه في منزلته، ويبغي عليه فيها ويعاديه. وأما عدوُّ السلطان فيضعن عليه بنصيحته لسلطانه وغناؤه عنه. فإذا اجتمع عليه هذان الصنفان كان قد تعرّض لهلاكه. قال الأسد: لا يكوننّ بغي أصحابي عليك وحسدُهم لك مما يعرض في قلبك؛ فإني كافيك ذلك، وبالغُ بك في الكرامة والإحسان غاية همّتك. قال ابن آوى: إذا كان الملك يريد الإحسان بي فليدعني أعيش في هذه البرية آمناً من أن أُحسد؛ فإني قليل الهمّ، راضٍ بمعيشتي من الماء والحشيش. وقد علمت أن صاحب السلطان يصل إليه في ساعة واحدة من الأذى والخوف، ما لا يصل إلى غيره طول دهره، وأن قليل الغذاء في أمن وطمأنينة خيرٌ من كثيره في خوف ونصب. قال الأسد: قد سمعتُ كلامك فلا تخافن شيئاً مما أراك تتخوفه، ولا بدّ من الاستعانة بك. قال ابن آوى: إن أراد الملك بي هذا فليجعل لي عهداً، إن بغي عليّ أحد عنده ممن هو فوقني خوفاً على منزلته، أو ممن هو دوني لينازعني منزلي، فذكر عند الملك منهم ذاكر بلسانه أو بلسان غيره ما يريد به تحميل الملك عليّ - ألا يعجل عليّ، وأن يتثبت فيما يُرفع إليه ويُذكر له من ذلك، ويفحص عنه ثم يقضي فيه بما بدا له؛ فإذا أنا وثقت من الملك بذلك أعنته بنفسِي، وعملت له فيما ولّاني بنصيحة واجتهاد وحرصٍ

على ألا أجعل على نفسي سبيلاً. قال الأسد: ذلك لك .

فولاه خزانته، واختصه دون أصحابه بالرأي والمشورة والمنزلة، وازداد به على الأيام عجباً، فزاده كرامةً وعملاً. فثقل ذلك على من كان يُطيف بالأسد من قرابينه وأصحابه وعمّاله، وعادوه وحسدوه واثمروا ليحملوا عليه الأسد ويهلكوه. فلما اجتمعوا على ذلك من كيدهم، دبوا ذات يوم للحم كان الأسد استطرفه واستطابه فأمره برفعه في موضع طعامه ليعاد إليه، فسرقوه ثم أرسلوا به إلى بيت ابن آوى فخبأوه في موضع لا يطلع عليه أحد. فلما كان من الغد ودعا الأسد بغدائه فقد ذلك اللحم والتمسه فلم يجده، وابن آوى غائب والقوم الذين أرادوا المكر به حضور. فلما رأوا الأسد قد احتشد في طلب اللحم وغضب، نظر بعضهم إلى بعض فقال أحدهم قول المخبر الناصح: إنه لا بد لنا أن نخبر الملك بعلمنا فيما يضر به وينفعه، وإن شق ذلك على من شق عليه؛ إنه بلغني أن ابن آوى كان ذهب باللحم إلى منزله. قال آخر: أراه شبيهاً أن يكون فعل ذلك، ولكن انظروا وافحصوا فإن معرفة الخلائق شديدة. قال آخر: أجل لعمرى ما تكاد السرائر يُطلع عليها؛ ولكن إن فحصتم فوجدتم ذلك في منزل ابن آوى فكل شيء كان يُذكر لنا من عيوبه وخيائنه حق، وحقيق أن نحذره ونصدّق كل ما كان قيل لنا فيه. فقال آخر: كيف يسلم من خاتل السلطان، وكيف يخفى ذلك له، ومخاتلة الأصحاب لا تكاد تخفى؟ قال آخر: لقد أخبرني مخبر عن ابن آوى بأمر عظيم فما وقع في نفسي حتى سمعت كلامكم. قال آخر: لم يخف علي أمره وخبثه أول ما رأيته. وقد قلت مراراً واستشهدت فلاناً: إن هذا المخادع المتخشع يوشك أن يفتش عن خيانة فاحشة وذنب عظيم. قال آخر: لئن كان هذا المتأله المتخشع الذي يرينا أن عمله عمل النسك خان هذه الخيانة، إن ذلك لمن أعجب العجب. قال آخر: لئن وجد هذا الأمر حقاً فإنها ليست خيانة فقط، بل مع الخيانة كفر النعمة والجرأة على الذنوب. قال آخر: أنتم أهل العدل والفضل، ولا أستطيع أن أكذبكم، ولكن يستبين صدق هذا من

قال ابن آوى: أنت ملك السباع، وعندك من أجناس السباع عدد كثير



كذبه لو قد أرسل الملك إلى بيت ابن آوى ففتشه. قال آخر: إن كان منزله مفتشاً فالعجل فإن عيونه وجواسيسه ماثثة بكل مكان. قال آخر: قد علمت أن ابن آوى لو فتش منزله وأطلع على عيوبه وخيانتة سيحتال بمكره حتى يشبهه* على الملك فيعذره.

فلم يزالوا بهذا الكلام وأشباهه حتى وقع ذلك في نفس الأسد، وحقق الاتهام لابن آوى فدعا به فقال: ما صنعت باللحم الذي أمرتك بالاحتفاظ به؟ قال: دفعته إلى فلان صاحب الطعام - وكان ممن تابع القوم - فسأله الملك عن اللحم، فقال: ما دفع إلي شيئاً. فوجه الأسد أمناه إلى بيت ابن آوى فوجد اللحم في بيته فأتوا به الأسد. فدنا إلى الأسد ذئب لم يكن ليتكلم بشيء من تلك الأمور، وكان يظهر أنه من أهل العدل الذين لا يتكلمون إلا فيما صحّ عندهم واستبان لهم أنه حق، فقال: أما إذا أطلع الملك على خيانة ابن آوى فلا يعفون عنه؛ فإنه إن عفا عنه لم يعد أحد يُطلع الملك على خيانة خائن ولا ذئب مذنب. فأمر الأسد بابن آوى أن يُخرج من عنده ويحتفظ به. فقال عند ذلك بعض جلساء الأسد: إني لأعجب من رأي الملك ومعرفته بالأمور، كيف يخفي عليه أمر هذا المخادع؟ وقال آخر: فأعجب من هذا أني لا أراه إلا سيفضح عنه بعد الذي ظهر عليه منه.

ثم إن الأسد أرسل إلى ابن آوى بعضهم لينظر ما يكون من عذره، فجاء الأسد منه برسالة كذب. فغضب الأسد من ذلك، وأمر بابن آوى أن يقتل. وبلغ ذلك أم الأسد فعلمت أن الأسد قد عجل في أمره، فأرسلت إلى الذين أمروا بقتله أن يؤخروه، ودخلت على الأسد فقالت له: لأي ذنب أمرت بابن آوى أن يقتل؟ فأخبرها الأسد بالأمر. فقالت له: قد عجلت يا بُني، وإنما يسلم العاقل من الندامة بترك العجلة، والأناة والتثبت. ولا يزال يجتني ثمرة الندامة وضعف الرأي من لم يتثبت في الأمور. وليس أحد أحوج إلى التؤدة والتأني من الملوك؛ فإن المرأة بزوجهها، والولد بوالديه، والمتعلم بالمعلم، والجنّد بالقائد، والناسك بالدين، والعامّة بالملوك، والملوك بالتقوى،



ودبوا للحم كان للأسد فسرقوه

والتقوى بالعقل، والعقل بالثبّت. ورأسُ الحزم للملك معرفةُ أصحابه وإنزاله إياهم منازلهم، واتهامُ بعضهم على بعض. فإنه إن وجد بعضهم إلى هلاك بعض سبيلاً، وإلى تهجين بلاء المبلىين وإحسان المحسنين، والتغطية على إساءة المسيئين، لم يدعوا ذلك. وذلك سريعٌ في إضاعة الأمر، وجلبِ عظيمِ الخطر والضرر. وقد كنتَ بلوتَ ابن آوى واختبرته قبل استعانتك به وتفويضك إليه فلم تزل عنه راضياً، تزيدك الأيام له استصلاحاً، وإليه استرسالاً، وفيه رغبة، فأمرتَ بقتله في طابَقٍ* من لحم فقدته. فعسى أصحابك أن يكونوا قد ألزموه من ذنبه باطلاً، لحسدِهم له وتعاونهم عليه. واعلم أنّ الملوك إذا وكلوا إلى غيرهم ما ينبغي لهم مباشرة بنفوسهم، وألزموا نفوسهم ما ينبغي لهم تفويضه إلى الكفاة، ضاعت أمورهم ودعوا الفساد إلى أنفسهم. والملوك يحتاجون إلى النظر في وجوهٍ شتى؛ فإذا آثروا النظر في بعض تلك الوجوه على بعض، لم يأمنوا

* إناء يطبخ فيه .

خطأ البصر وزلل الرأي، كصاحب الخمر إذا أراد شراءها احتاج إلى اختبار لونها وطعمها وريحها، فإن هو آثر بالاختبار بعض ذلك دون بعض لم يأمن الغبن والخسران. وكالرجل الذي يرى بين عينيه شعراً من المرض، وليس بشعر، فلا يتثبت في القضاء أنه ليس بشعر من المرض، ويعلم أنه لو كان شعراً أبصره غيره كما أبصره هو ليخبره ويعتبر مرضه، وكاليراعة يراها الجاهل في ظلمة الليل فيقضي عليها بالمعاينة، قبل أن يلمسها، أنها نار، فإذا لمسها تبين له خطأ قضائه. وقد كنت حقيقاً أن تنظر في خطأ ابن آوى نظر متثبت فتعلم أنه، إذ لم يأكل اللحم الذي كنت ربّما أمرت له بالكثير منه فكان يجعله في طعامك وطعام جنديك، ليس بخليق لسرقة قليل من اللحم أمرته بالاحتفاظ به. فافحص عن أمره فإنه لم يزل ذلك عادة الأردال والأندال حسد أهل المروعة والفضل واستتقالهم. ولم يزل جهال الناس يحسدون علماءهم، ولئامهم يحسدون كرامهم، وشرارهم يحسدون خيارهم. ولا ابن آوى مروعة وفضل. فعسى أعداؤه من أصحابك فطنوا لموضع ذلك اللحم فجعلوه في منزله من غير علم منه. فإن الحدأة إذا أصابت البضعة* من اللحم نافسها فيها كثير من الطير، والكلب إذا كان في فيه العظم تعاون عليه عدّة من الكلاب. وإن خصماء ابن آوى لم ينظروا فيما يضرّك ولم يرغبوا فيه عنك إلا لعاجل منفعة أنفسهم؛ فانظر أنت فيما ينفعك لنفسك إن لم ينظر لك أحد، ولا تمالكهم على ما يضرّك؛ فإن أعظم الأشياء ضرراً على الناس عامة، وعلى الولاة خاصة، أمران: أن يُحرّموا صالح الأعوان والوزراء والإخوان، وأن يكون وزراؤهم وإخوانهم غير ذوي مروعة ولا غناء. ولم يزل غناء ابن آوى عنك عظيماً؛ يؤثر منفعتك على هواه، ويشترى راحتك بنصبه، ورضاك بسخطه، لا يطوي عنك أمراً، ولا يكتمك سراً، ولا يرى شيئاً احتمله منك أو بذله لك عظيماً. فمن كان من الأصحاب هذه صفته فإنما منزلته منزلة الآباء والأبناء والإخوان.

فبينما أمّ الأسد في كلامها إذ دخل على الأسد بعض من كان مكرّ بابن آوى فأطلع الأسد على أمره. فلما علمت أمّ الأسد أنّ الأسد قد اطلع على براءة ابن آوى قالت للأسد: أما إذ



إذا أراد شراء الخمر احتاج إلى اختبار لونها وطعمها وريحها

اطَّلعت على براءة ابن آوى وجرأة أصحابك عليه، فلا ترضينَّ بذلك منهم، ولا تدعنَّ تشتيت ذاتِ بينهم حتى تنقطع منك الشفقةُ عليهم، فيتخذوك مركباً فتعودهم الاحتمال منك وتجرئهم على ضرك وشينك. ولا تغترنَّ بسطوانك عليهم فيدعوك ذلك إلى استصغارهم والتهاون بأمرهم؛ فإنَّ الحشيش الضعيف إذا جُمع فُتِل منه الحبل القوي الذي يوثق به الفيل المغتلم* الشديد.

* القوي .



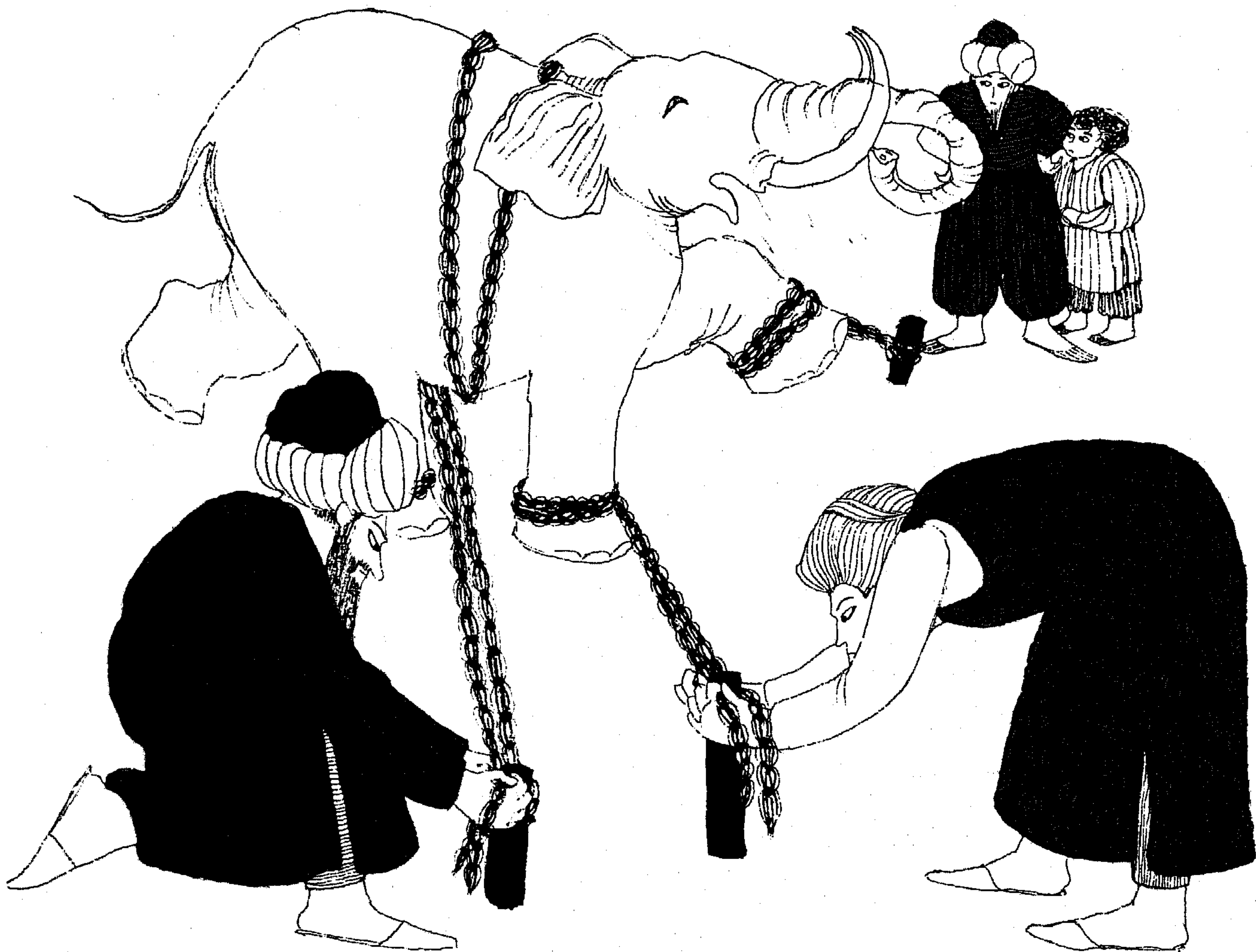
والكلب إذا كان في فيه العظم تعاون عليه عدة من الكلاب

فأعد لابن آوى منزلته وخاصته، ولا يؤيسنك من مناصحته ما فرط إليه منك من الإساءة؛ فإنه ليس كل من أسىء إليه ينبغي أن يتخوف غشه وعداوته، ويؤيس من نصيحته ومودته؛ لكن ينبغي أن ينزل الناس في ذلك على اختلاف ما بينهم؛ فإن منهم من إذا ظفر بقطيعته كان الرأي أن يُغتَنَم ذلك منه ويُمتنع من معاودته، ومنهم من لا ينبغي تركه وقطعه على كل حال. فمن عُرف بالشرارة * ولؤم العهد، وقلة الوفاء والشكر، والبعد من الورع والرحمة، والجحود لثواب الآخرة

* الشر .

وعقابها ، والحسد وإفراط الشره والحرص ، والسرعة إلى سوء الظن والقطيعة ، والإبطاء عن المعادة والمراجعة ، فقطعه أحزم للرأي. ومن عُرف بالصلاح وكرم العهد، والشكر والوفاء والمحبة للناس ، والسلامة من الحسد والحقد، والبعد من الأذى، والاحتمال للأصحاب والإخوان وإن ثقلت عليه منهم المثونة، فهذا حقيق أن تُغتَمَّ صحبته وصلته ويُمتنع من قطيعته. واحذر من الخلطاء الثمانية : الكفورُ النعمة الغادر بما يعهد إليه، والذي لا يؤمن بيوم الحساب والثواب والعقاب، والمفرط في حرصه وهمه وغضبه، ومن يُسَخِّطه اليسير بغير علة، ومن لا يرضى بشيء وإن كان

الحشيش الضعيف يفتل منه الحبل ويوثق به الفيل الشديد



كثيراً جسيماً، وذو المكر الداهي الغامض مكرّاً، واللهجُ بالزنا والخمر، والسيء الظن المتلون المتهجم القليل الحياء. واعتقد من الخلطاء والأصحاب: الشكور النعمة الوفي العهد، والكريم عند تصارييف الأمور، وذا الدين المتقي الورع، والمستريح الصدر بالخيرات، والعالم الدين المحبّ الخير للناس، والرحيم القليل الحقد الصافح عن ذنوب أخلائه المحافظ عليهم غير الناسي لودّهم، والمختبر بالعفة والحياء.

فلما ظهر للأسد براءة ابن آوى مما قُرِف به ازداد له تكريمة، وبه ثقة، فدعاه واعتذر إليه مما كان منه في أمره وقال له: إن الذي كان من الأمر قد زاد فيما كان من ثقتي بك ثقة، وزاد ظني بك إلى ما كان من حسنه حسناً، فأقم على ما كنت عليه من أمرنا وعملنا. قال ابن آوى: إني قائل لك أيها الملك قولاً فلا يغلظنّ عليك؛ فإن أحقّ من قبل من أهل الحجج الحكّام، وإنك إن كنت أحدثت بي ثقة وحسن ظن فليس شيئاً تفضّلت به عليّ فتعتدّه من نفسك صنيعه عندي، أو طولاً* عليّ؛ ولكن قد أحدثتُ بك أيها الملك سوء ظن، وقلة ثقة، لما ظهر لي من سرعة استماعك لأهل الكذب وإفسادك الكثير من حُسن البلاء الذي لا تنكره بالقليل الحقير من القذف الذي لا تعرفه، وتقلبك إليّ بالباطقة والجائحة* قبل التثبّت والإعداد. فقد صيرتني في حدّ لا تثق بي ولا أثق بك، لما صيرت لهم عليّ من السبّل؛ لأنه لا ينبغي للملك أن يثق بهذه الأصناف ممن قد عوقب العقوبة الكبيرة عن غير جرم، ومن ناله الضرّ العظيم منهم، ومن عزلوه عن ولاية وعمل كان في يديه، ومن سلبوه أمواله وعقاره، ومن كان في الثقة عندهم فأقصوه وقطعوا طمعه بغير سبب، وذو المروعة والنبيل إن نُزل غير منزلته، أو قدّم عليه أكفأؤه ونظراؤه، والمظلوم الطالب للنصفة غير المنصف، ومن يرجو المنفعة والصلاح بمضرة السلطان، ومن استقبل بما يكره في المحافل، وذو الحرص القليل التبرع، والمذنب الراجي للعفو فلم يعف عنه. فهذه الأصناف أعداء الملك وأعدائي، وقد صار لهم السبيل إليّ والاستخفاف بي والجرأة عليّ. قال الأسد: ما أحسن كلامك وأغلظه. قال ابن آوى: أيها الملك لا يغلظنّ عليك ولا ينحسُن الحق

* * الباطقة: الشر والخصومة، والجائحة: الداهية العظيمة.

* مناً وتكرماً.

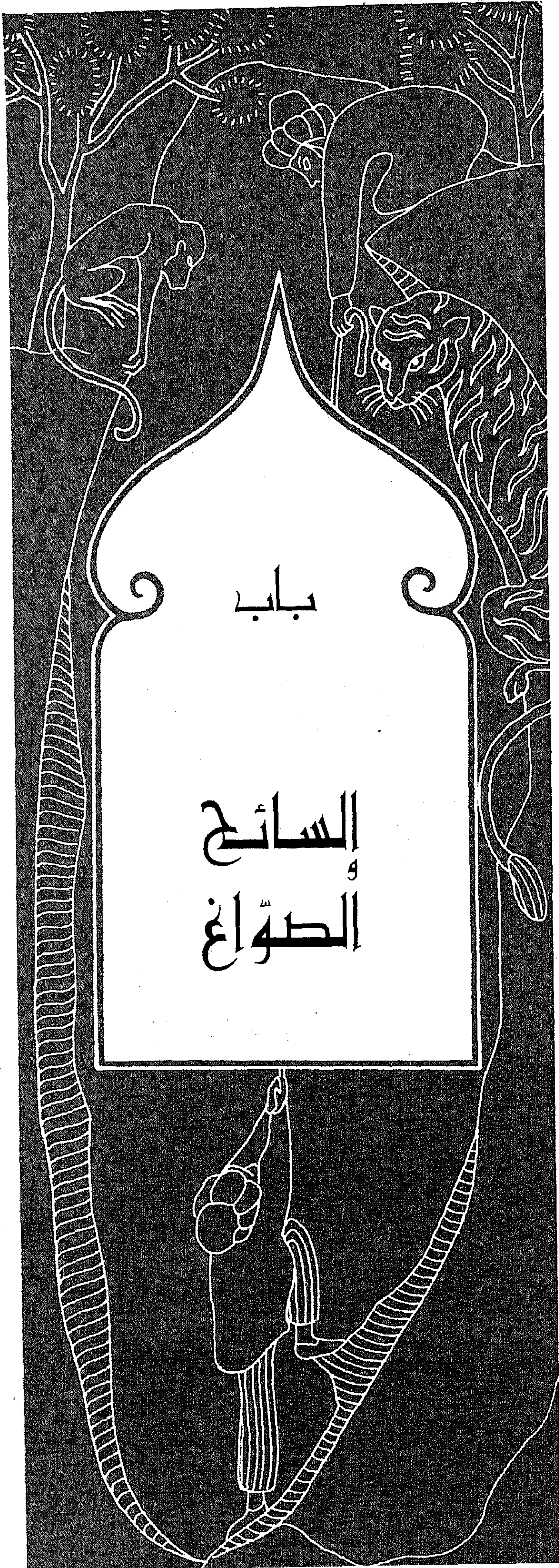


فلما ظهر للأسد براءة ابن آوى اعتذر اليه

والصدق إن خفّ عليك الكذب والباطل، مما حُمّلت به عليّ. ولا تحملنّ جوايي لك والغلظة في محاورتي إياك على سفه رأي وقلة بصر بما أقول؛ ولكن قد قلت ذلك لخصمتين: منهما أنّ في القصص تسليّة الضغائن وإطلاقاً لمنعقد الحقد، وأجبت أن أخرج ما في نفسي مما وترتني به ليسلم لك صدري من الضغن ولتخلص لك منه سلامة العتب؛ ومنهما أنّي أجبت أن تكون أنت الحاكم على نفسك، وألا أكون أنا الحاكم عليك؛ مع أنّي لم أجترأ على هذه المقالة حتى استعهدتك من نفسك. قال الأسد: أو لم أحسن التثبت في أمرك؟ قال ابن آوى: إنما كان التثبت من أمّ الملك، وكان التعجيل بقتلي من قبلك أيها الملك. قال الأسد: ألم تزعم أنّ التجاوز عن إساءة العمد أفضل ما يكون من الإحسان؟ فكيف لا يكون ذلك لأهل الخروج عن الخطأ على الكره، إلى الإحسان على علم؟ قال ابن آوى: إني لم أقل ما قلت لأوقف الملك على إساءة في أمري، ولا على الخطأ في أمره وحكمه في شأني؛ ولكنني أيضاً قد تحوّفت موضعاً حدث لأهل المكر يجدون به فيما بيني وبينك مدخلاً. قال الأسد: وما ذاك الموضع؟ قال: يقال

لك أيها الملك: قد دخلت قلب ابن آوى عليك ضغينةً فيما أدخلت عليه من التهمة والوحشة، وما أشربت به قلبه من الإشراف على الهلكة، فقال كذا وكذا. وهذا سبب مظنون بالملوك ممن أصابته منهم عقوبة أو جفوة أو تغيير منزله أو عزل عن سلطان أو أوثر غيره عليه ممن هو دونه في المنزلة والحال. قال الأسد: إنك لست ممن يصدقُّ عليه القبيح، وقد عرفتك بالأثر الحسن، وإنك عندنا ممن يشكر الحسنة ويحتمل السيئة ويذكر جميع ما أبلى، فلا يعرض بك تخوف لقبولي فيك قبيحاً يأتي به آت، ولا يسؤ ظنك ما حسنَ ظننا فيك. وأقم على ما وليناك من أمرنا؛ فإننا منزلوك منزلة الكرام الأخيار، والكريم تنسيه الخلة الواحدة من الإحسان ألف خلة من الإساءة. وأضعف له الملك الكرامة، وازداد به ثقة وإليه تفويضاً وبه اغتباطاً حتى هلك.





باب

السائح
الطواغ



باب السائح والبطّواغ

قال الملك للفيلسوف: قد سمعت مثل الملوك فيما يجري بينهم وبين قرابينهم، فأخبرني عن الملك، إلى من ينبغي أن يصنع المعروف؟ ومن يحق له أن يثق به؟

قال الفيلسوف: إنّ الملوك وغيرهم جُدُرٌ أن يأتوا الخير إلى أهله، وأن يؤمّلوا من كان عنده شكر، ولا ينظروا إلى أقاربهم وأهل خاصّتهم، ولا إلى أشرف الناس وأغنيائهم وذوي القوّة منهم، ولا يمتنعوا أن يصنعوا المعروف إلى أهل الضعف والجهد والفاقة؛ فإنّ الرأي في ذلك أن يجربوا ويختبروا صغار الناس وعظماءهم، في شكرهم وحفظهم الودّ، وفي غدرهم وقلة شكرهم، ثم يكون عملهم في ذلك على قدر الذي يبدو لهم؛ فإنّ الطبيب الرفيق لا يداوي المرضى بالمعاينة لهم فقط، ولكنه ينظر إلى البول ويَجُسُّ العروق، ثم يكون العلاج على المعرفة وقدرها. ويحقّ

على المرء اللبيب، إذا وجد قوماً لهم وفاء وشكر، أن يحسن فيما بينه وبينهم لعله يحتاج إليهم يوماً من الدهر فيكافئوه؛ فإنّ العاقل ربما حذر الناس ولم يأمن على نفسه أحداً منه، وأخذ ابن عرسٍ فأدخله كمه والطير فوضعه على يده¹ وقد قيل: ينبغي لذي العقل ألا يحقر صغيراً ولا كبيراً من الناس ولا من البهائم، ولكنه جدير أن يبلوهم ويكون ما يصنع إليهم على قدر الذي يرى منهم. وقد مضى في ذلك مثلٌ ضربه بعض الحكماء. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

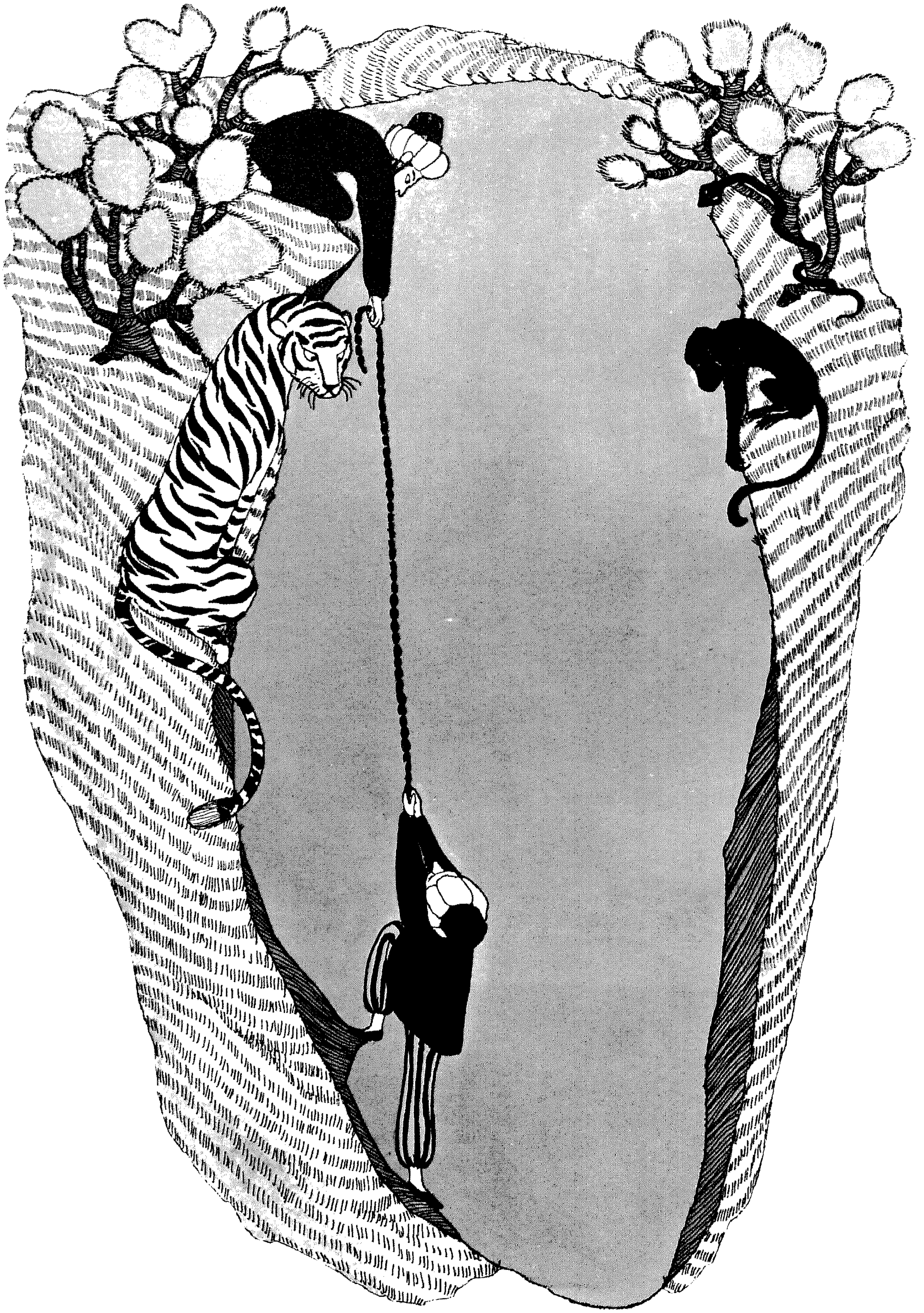
زعموا أن أناساً انطلقوا إلى مغار فحفروا فيه زُبِيَّة* للسابع فوقع فيها رجل صائغ وببر* وحية وقرد. فلم يهجن ذلك الرجل، ولم يجدوا لهم مخلصاً. فمرَّ رجل سائح بهم فاطَّلَع فيها. فلما رآهم فكر في نفسه وقال: ما أراني مقدماً لآخرتي شيئاً أفضلَ من أن أُخَلِّصَ هذا الإنسان من بين هؤلاء الأعداء. فأخذ حبلاً فدلاه فتعلَّق به القرد ليخفّته فأخرجه، ثم دلاه الثانية فتشبث به الببر فأخرجه، ثم دلاه الثالثة فالتوت به الحية فأخرجها. فشكرن له صنيعة، وقُلن: لا تخرج هذا الإنسان من الزُبِيَّة، فإنه ليس في الأرض أقلُّ شكرياً من الإنسان، ولا سيما هذا الرجلُ خاصةً. وقال القرد: إنَّ وطني في جبلٍ كذا وكذا إلى جانب مدينة يقال لها بَرَاجون². وقال الببر: وأنا أيضاً في أجمة إلى جانبها. وقالت الحية: وأنا أيضاً في سور تلك المدينة، فإن أتيتها يوماً من الدهر أو مررت بها فاحتجت إلينا فنادنا حتى نخرج إليك ونجازيك بما أوليتنا وأتيت إلينا. ثم إنَّ السائح أدلى الجبل إلى الصائغ، ولم يلتفت إلى ما ذكره القرد والببر والحية من قلة شكره، واستخرجه فسجد له وأثنى عليه وقال له: إنك قد أوليتني معروفاً جسيماً وأنا حقيق بشكره وحفظه.

وقالت الحية والقرد والببر: لا تخرج هذا الانسان

ولكن السائح لم يطعها وأخرج الصائغ من البئر

* الزببية: مصيدة الأسد، ولا تتخذ إلا في قلة أو رابية أو هضبة. وجمعها زببي ومنه قول الطرماح: « كمبتغي الصيد أعلى زببية الأسد » هذا مذهب المبرد.

** حيوان يعادي الأسد. ويذهب الأزهري إلى أنه ليس من كلام العرب.



فإن قُضي لك أن تأتي مدينة براجون — وهي المدينة التي ذكرها القرد وصاحباها — فسل غني،
فإن منزلي بها؛ لعلّي أجازيك بجميل ما كان منك إليّ .

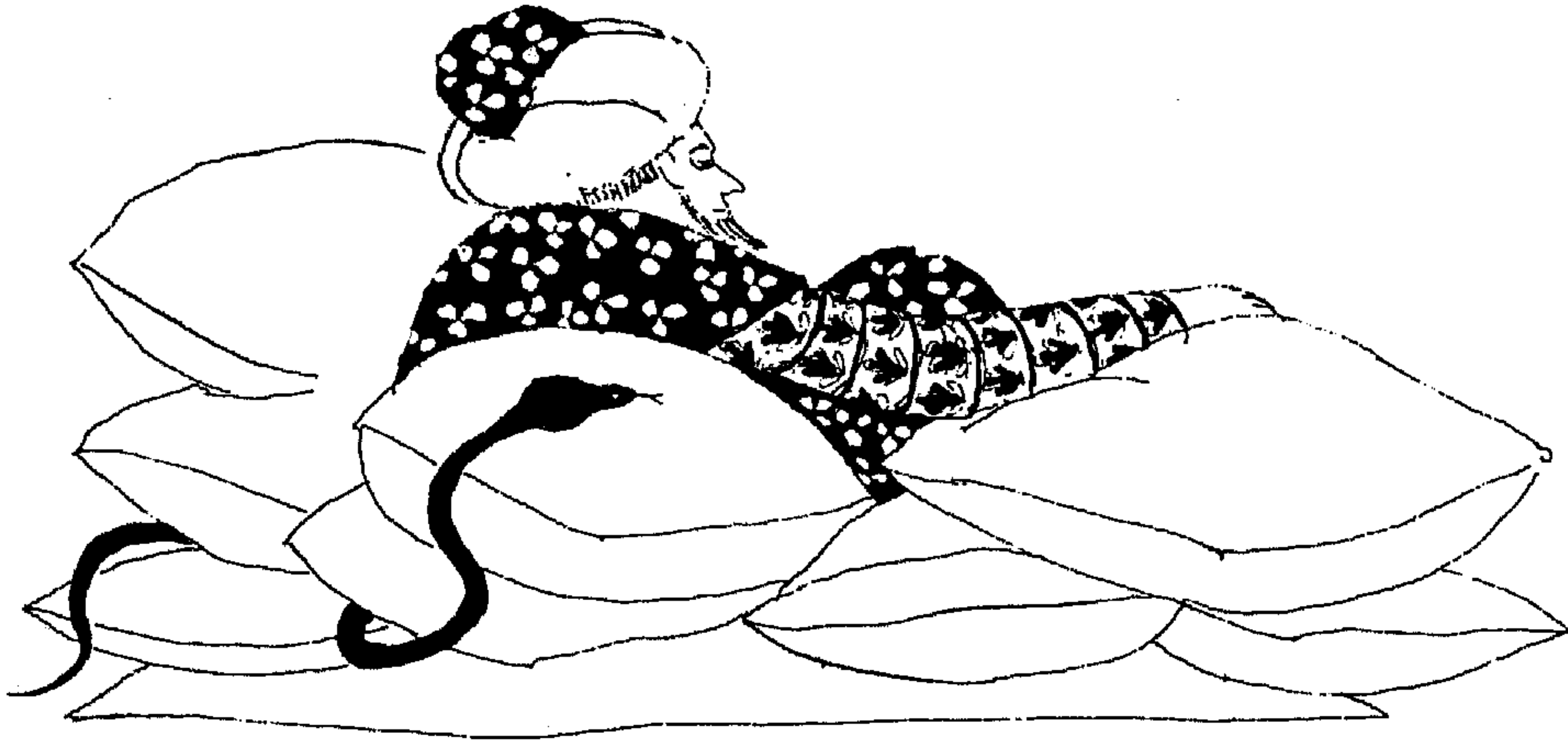
ومضى كل واحد منهما لوجهه. ومكث السّياح حيناً ثم عرضت له حاجة نحو تلك المدينة،
فسار إليها فلقية القرد وسجد له وقبل يديه ورجليه واعتذر إليه وقال: إني لا أملك شيئاً؛ ولكن
أنظرني ساعة حتى آتيك ببعض ما تصيب منه. فمضى القرد ولم يلبث أن جاءه بفاكهة طيبة
فوضعها بين يديه، فأكل منها حاجته. ثم توجه نحو المدينة فاستقبله البير فحيّاه وسجد له وقال:
قد أوليتني جميلاً، فلا تبرح حتى أرجع إليك. وذهب إلى ابنة الملك فقتلها وأخذ حلّيها وأتاه به
فدفعه إليه من غير أن يُعلمه. فقال السّياح في نفسه: هذه البهائم قد أولتني هذا وصنعتة بي؛
فكيف لو انتهيت إلى الصوّاغ؟ فإنه إن كان مُعسراً لا شيء له، فإن أقل ما يصنع أن يبيع لي هذا
الحلّي بثمانه، فيعطيني بعضه ويأخذ بعضه .

ثم إن السّياح دخل المدينة فأتى منزل الصوّاغ فرحب به وأدخله منزله. فلما بصر بالحلّي
عرفه فقال: اطمئن حتى آتيك بشيء تأكله، فإني لا أرضى لك بما في منزلي. فانطلق الصائغ
حتى أتى الملك فقال: إن الرجل الذي قتل ابنتك وأخذ حلّيها، قد أخذته، وهو محبوس عندي،
فلا تطالبنّ به أحداً، فإني قد ظفرت به ومعه الحلّي. فأرسل الملك بأصحابه مع الصوّاغ، فهجموا
على السّياح، فأخذوه وأتوا به إلى الملك. فلما رأى الحلّي معه أمر به أن يعذب وأن يطاف به في
المدينة ثم يُصلب. فلما فعل به ذلك وطيف به المدينة، جعل يبكي ويقول بأعلى صوته: لو أني
أطعت القرد والبير والحية فيما أمرني به لم يصبني هذا البلاء. فسمعت بذلك الحية فخرجت من
جحرها فلما بصرت به اشتدّ عليها أمره، وفكرت في الاحتيال لخلاصه. فانطلقت إلى ابن الملك
فلدغته على رجله. فبلغ الملك ذلك فدعوا له أهل العلم ليرقوه فلم يُغنوا عنه شيئاً. فنظروا له في النجوم
واحتالوا له حتى تكلم فقال: إني لا أبرأ حتى يأتيني هذا السائح فيرقيني ويمسح بيده عليّ؛ فإنك
أيها الملك أمرت بقتله ظلماً وعدواناً.

وقد كانت الحية تقدّمت إلى أخت لها من الجن فأخبرتها بنجر السائح وفعاله* بها وما قد

* الفعال، بالفتح، الصنائع الحسنة .

وانطلقت الحية الى
ابن الملك فلدغته

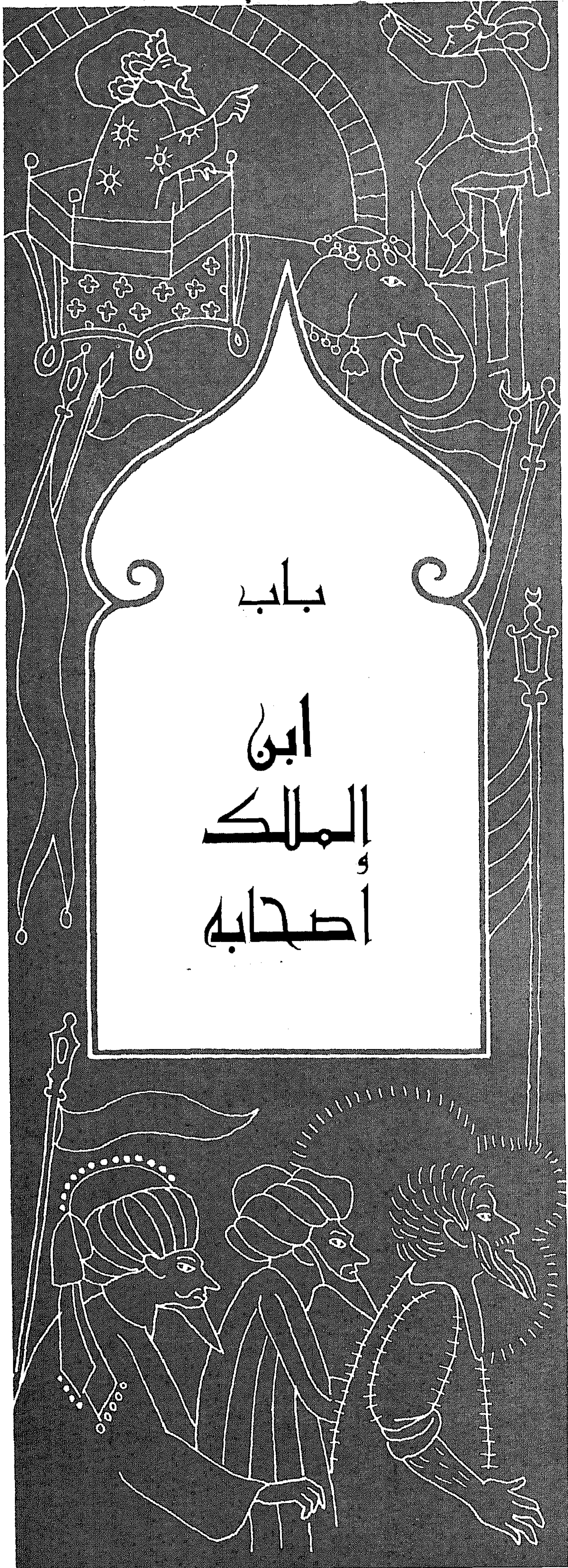


أصابه، فذهبت إلى ابن الملك فأرته ذلك في منامه فنطق به بحضرة المنجمين. فانطلقت الحية إلى السياح فأعلمته بذلك وقالت له: ألم أنك عن هذا الإنسان فلم تطعني؟ وأعطته شجرة* تنفع من سمها، وقالت له: إذا صرت إلى الملك فارق الغلام واسقه من هذه الشجرة، فإنه يبرأ، واصدق الملك الحديث فإنك تنجو إن شاء الله. فلما سمع الملك ذلك من ابنه: أن شفائي³ عند الناسك الذي أخذته وأمرت بعذابه، أمر الملك أن يكف عن عقوبة الناسك وأن يؤتى به. فأتي به، فأمره أن يرقى ابنه، فقال: لست أحسن ما أمرتني به؛ ولكن أدعو الله، عز وجل، بدعوة أرجو أن يكون فيها شفاء ما به. فقال الملك: إنما دعوتك لتخبرني بحاجتك في هذه المدينة، وما أقدمكها. فقال السياح وقص عليه أمره، وما كان من صنعه إلى الصواغ والقرد والحية والبير، والذي قلن له في أمر الصواغ، وما حمله على أن يأتي مدينته. ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أني صادق فيما ذكرت فعجل لابن الملك إبراءه مما هو فيه، والشفاء والعافية. فبرىء الغلام مما كان به وكُشِف عنه الألم. فأعطى الملك السياح، ووصله وأحسن جائزته، وأمر بالصائغ أن يُضرب حتى يموت، ويصلب.

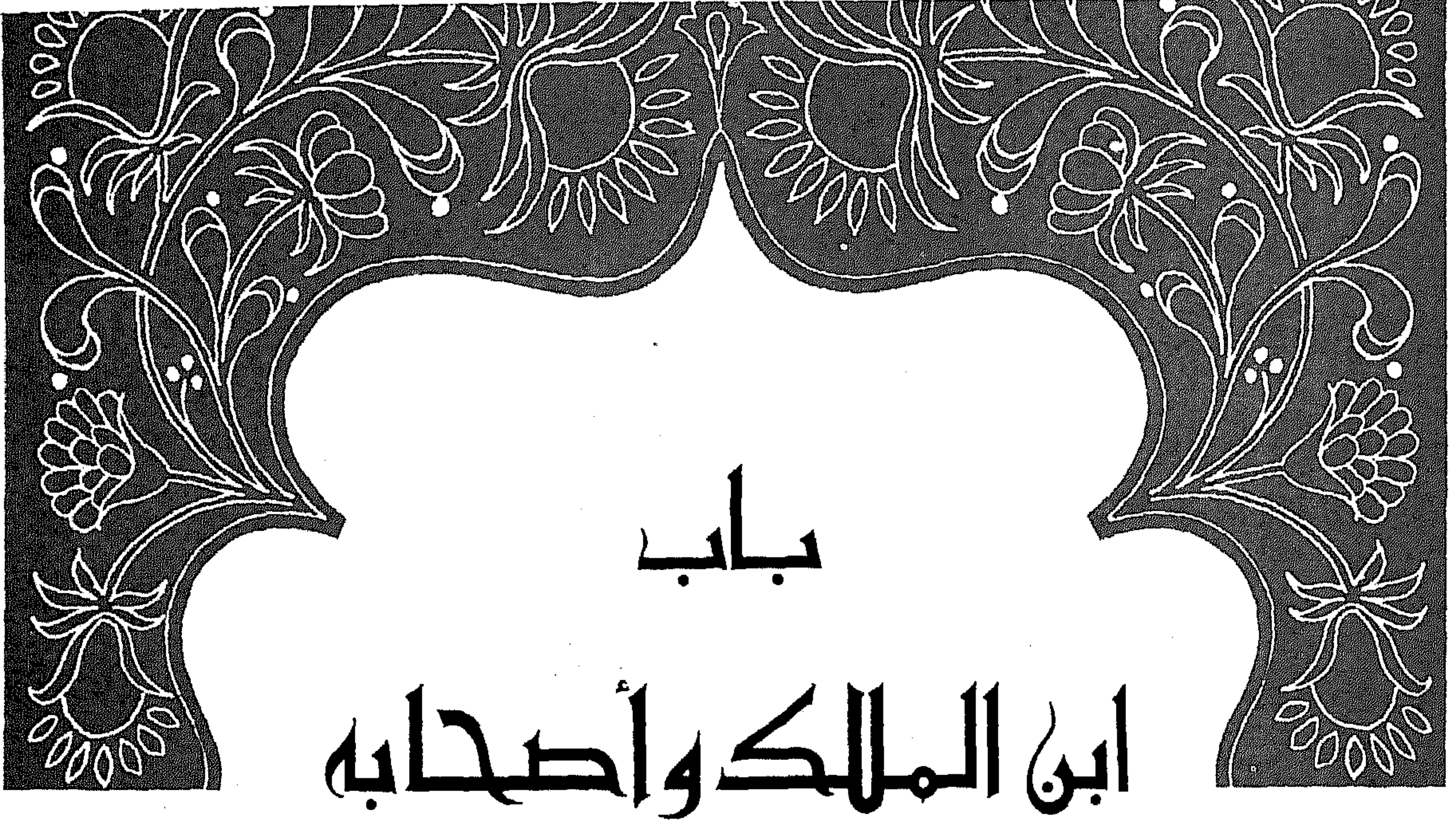
ثم قال الفيلسوف للملك: ففي صنع الصائغ بالسياح وكفره به، بعد استنقاذه إياه من

المكروه، ومكافأة البهائم له وتخليص بعضها له من القتل - عبرة للمعتبر، وفكرة لمن يفكر، وأدب في وضع المعروف والإحسان عند أهل الوفاء والكرم قُربوا أم بُعدوا؛ لما في ذلك من صواب الرأي وجلب الخير وصرف المكروه .





باب
الملك
و
اطحبه



قال الملك للفيلسوف: قد فهمتُ ما ذكرتَ مما يحقّ على الملك من التوخيّ بمعرفة أهله الشكر قربوا أم بعدوا. فأخبرني ما بال الرجل السفيه يصيبُ الرفعة والشرف، والحكيم اللبيب لا يخلو من الهمّ والجهد؟

قال الفيلسوف: كما أنّ الرجل لا يبصر إلا بعينه ولا يسمع إلا بأذنيه، كذلك العلم، إنّما تمامه الحلم والعقل والتثبت؛ غير أنّ القضاء والقدر يغلبان كل شيء. وإنما يريدان أدنى علة¹ فيمولان صاحبها أو يهلكانه. ومثّل ذلك مثل ابن الملك الذي رُئي على باب مدينة يقال لها مطون² جالساً وقد كتب على الباب: «إنّ العقل والجمال والاجتهاد والقوة وما سوى ذلك إنّما ملاكه القضاء والقدر». قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

زعموا أنّ أربعة نفر اصطحبوا: أحدهم ابن ملك، والآخر ابن تاجر، والآخر ابن شريف

مِنَ أتمَّ الناسَ حسناً وجمالاً، والآخِر ابنُ أكارٍ* . وكانوا جميعاً محتاجين قد أصابهم ضرٌّ وجهد، لا يملكون شيئاً إلا ما عليهم من ثيابهم. فبينما هم يمشون إذ قال ابنُ الملك: إن أمر الدنيا كلُّه بقدر. قال ابنُ التاجر: العقل أفضل من كل شيء. قال ابنُ الشريف: الجمال خير مما ذكرتم. قال ابنُ الأكار: الاجتهاد أفضل من ذلك كله. ثم مضوا نحو مدينة يقال لها مطون. فلما انتهوا إلى تلك المدينة أقاموا في ناحية منها، وقالوا لابن الأكار: انطلق فاطلب لنا باجتهادك اليوم طعاماً ليومنا هذا. فانطلق ابن الأكار يسأل: أيُّ عمل إذا عمله الرجل من غدوة إلى الليل كسبه ما يُشبع أربعة نفر؟ فقيل له: ليس شيء أعزَّ من الحطب، وكان على رأس فرسخ منها، فتوجه إليه فحمل طناً* من حطب فجاء به فباعه بنصف درهم. ثم اشترى به ما يُصلح أصحابه. وكتب على باب المدينة: «اجتهاد يوم واحد تبلغ قيمته نصفَ درهم». وأتاهم بما اشترى فأكلوه .

فلما أصبحوا قالوا لابن الشريف: انطلق فاكسب لنا بجمالك بعض ما يقوتنا اليوم. فانطلق ففكر في نفسه وقال: لست أعرف شيئاً من الأعمال، وأستحي أن أرجع إلى أصحابي بغير شيء. وهم أن يفارقهم، فأسند ظهره إلى شجرة في المدينة. فبينما هو مهموم إذ مرَّت به امرأة لبعض عظماء أهل المدينة فأعجبها جماله. فأرسلت إليه جاريتها فأتت به إلى منزلها. ثم أمرت به فنظف، ثم خلا بها يومه كله في نعيم وسرور. فلما أمسى أمرت له بخمسمائة دينار. فلما قبضها توجه إلى أصحابه وكتب على باب المدينة: «جمال يوم واحد بخمسمائة دينار» .

فلما أصبحوا قالوا لابن التاجر: انطلق أنت اليوم فاكسب لنا بعقلك وتجارتك شيئاً. فذهب ابن التاجر، فما لبث قليلاً حتى أبصر سفينة عظيمة في البحر قد أرسيت إلى الشط غير بعيد من المدينة، وقد خرج إليها أناس كثير ليشتروا ما فيها، فساوموا أصحابها، ثم قال بعضهم لبعض: انصرفوا يومكم هذا حتى يكسُد عليهم ويُرخِصوه علينا. فجاء ابن التاجر فاشترى ما فيها بمائة ألف دينار. فلما بلغ القوم ذلك أتوه فأربحوه مائة ألف درهم، فأخذها منهم وأحال

زعموا أن أربعة
نفر اصطحبوا



صاحب السفينة على التجار، ورجع إلى أصحابه. فلما مرّ بباب المدينة كتب عليه: «عقل
يوم واحد بمائة ألف درهم» .

فلما أصبحوا في اليوم الرابع قالوا لابن الملك: انطلق أنت اليوم فاكسب لنا شيئاً. فذهب
حتى أتى باب المدينة فجلس على دُكَّانٍ بالباب. فقضى أن ملك المدينة هلك في ذلك اليوم،
ولم يُخلف ولداً ولا أخاً ولا قرابة. فرّوا عليه بالجنّازة فبصروا به لا يتحرك ولا ينحاش* ولا يحزن
لموت الملك. فسأله رجل فقال³: من أنت؟ وما الذي يقعدك على باب المدينة لا يُحزنك موت
الملك؟ فلم يجبه. فشتمه وطرده. فلما مضوا رجع إلى مكانه. فلما انصرفوا رآه الذي طرده فقال:
ألم أنك عن هذا الموضع، وأتقدم إليك؟ فأخذه وجبسه .

ثم إنهم اجتمعوا ليملكوا عليهم رجلاً يختارونه، فقام الذي كان أمر بالفتى إلى الحبس
فحدثهم بقصته، وقال: إني أتخوّف أن يكون عيناً علينا لعدونا. فبعثوا إليه فأتوا به فسألوه من
هو، وما أمره، وما الذي أقدمه بلدهم؟ فقال: أنا ابن اصطهر ملك أرض قورماه⁴. تُوفّي

* يُرد ويتعد.

والذي فغلبنى أخي على الملك، وأنا أكبر منه، فهربت منه حذراً على نفسي. فعرفه من كان وطىء أرضهم فأثنوا عليه، وملكوه عليهم. وكان سنتهم إذا ملكوا الرجل طافوا به على الفيل الأبيض، وتركوا⁵ التاج على رأسه وجالوا به المدينة. فلما مرّ على باب المدينة فأبصر ما كتبه أصحابه، أمر أن يكتب مع ذلك: «إن الاجتهاد والجمال والعقل وما أصاب المرء من خير وشر فبقضاء وقدر. اعتبروا ذلك بما ساقه الله إليّ من الخير والسعادة» .

ثم إن الملك أتى مجلسه وقعد على سرير ملكه وأرسل إلى أصحابه فأتوه فمّوهم وأعطاهم وأغناهم. ثم جمع الناس والعمّال وذوي الرأي من أهل مملكته فقال: أما أصحابي فقد استيقنوا أنّ الذي رزقهم الله من الخير إنما كان بقدر فأعان عليه ببعض ما ذكروا. وأما أنا فإنّ الذي منحني الله ورزقي ووهبه لي لم يكن من الجمال ولا من العقل ولا من الاجتهاد. وما كنت أرجو، إذ طردني أخي، أن أصيب هذه المنزلة، ولا أن أكون بها؛ لأنني قد رأيت من أهل هذه الأرض من هو أفضل مني جمالاً وحسناً، وعلمت أنّ فيها من هو أكمل مني عقلاً ورأياً وأشدّ اجتهاداً، فساقني القضاء والقدر إلى أن اغتربت فملكتم أمراً قد علمه الله وقدره، وقد كنت راضياً أن أعيش بحال خشونة وضيق معيشة. فقام سيّاح كان في جمعهم ذلك فقال: أيها الملك قد تكلمت بحلم وعقل فحسن ظننا بك، وعظم رجائنا فيك، وعرفنا ما ذكرت، وصدّقناك فيما وصفت، وعلّمنا أنّك كنت لما ساق الله إليك من ذلك أهلاً، بفضل قسّمه لك، وتابع نعمه عليك؛ فإنّ أسعد الناس في الدنيا والآخرة وأولاهم بالسرور فيها من رزقه الله ما رزقك، وجعل عنده مثل ما عندك، وقد أرانا الله الذي نحبّ إذ ملكت علينا. فنحمد الله على ما أكرمنا به من ذلك وامتنّ به علينا. وقام سيّاح آخر فأثنى على الله تعالى ومجّده وذكر آلاءه وقال: أيها الملك إني قد كنت، وأنا غلام قبل أن أكون سائحاً، أخدم رجلاً من أشرف الناس. فلما بدا لي أن أرفض الدنيا فارقت. وقد كان أعطاني من أجرتي دينارين. فأردت أن أتصدّق بأحدهما وأنفق الآخر. فقلت: أليس أعظم الأجر أن أشتري نفساً بدينار وأعتقها لوجه الله؟ فأتيت السوق فوجدت مع صياد حمامتين، فساومته بهما فأبى أن يبيعهما بأقلّ من دينارين. فجهدت على أن يعطينيهما بدينار فأبى. فقلت: لعلهما أن يكونا زوجين أو أخوين، فأخاف أن أعتق أحدهما فيموت الآخر. فاشتريتهما منه بالثمن الذي سمى. وأشفقت، إن أنا أرسلتهما في أرض



فلما مر الملك على باب المدينة فأبصر ما كتبه أصحابه ، أمر أن يكتب ...

عامرة ، ألا يستطيعا أن يطيرا من الهزال وما لقيتا من الجهد. فذهبت بهما إلى مكان كثير الرعي فسرحتهما فطارا فوقا على شجرة. ثم انصرفت راجعا. فقال أحدهما للآخر : لقد خلصنا هذا السائح من البلاء الذي كنا فيه ، وإنا لحقيقان أن نجازيه بفعله. فقالا لي : قد أتيت إلينا معروفاً ، ونحن أحقُّ أن نشكرك به ونجازيك عليه ؛ وإن في أصل هذه الشجرة جرّة مملوءة دنائير ، فاحتفر عنها فخذها. فأتيت الشجرة وأنا في شكٍّ مما قالا ، فلم أحفر إلا قليلاً حتى انتهيت إليها فاستخرجتها ودعوت الله لهما بالعافية وقلت لهما : إذا كان علمكما على ما أرى ، وأنتم تطيران بين السماء



قالت الحمامتان: إن في أصل الشجرة جرة مملوءة دنائير.

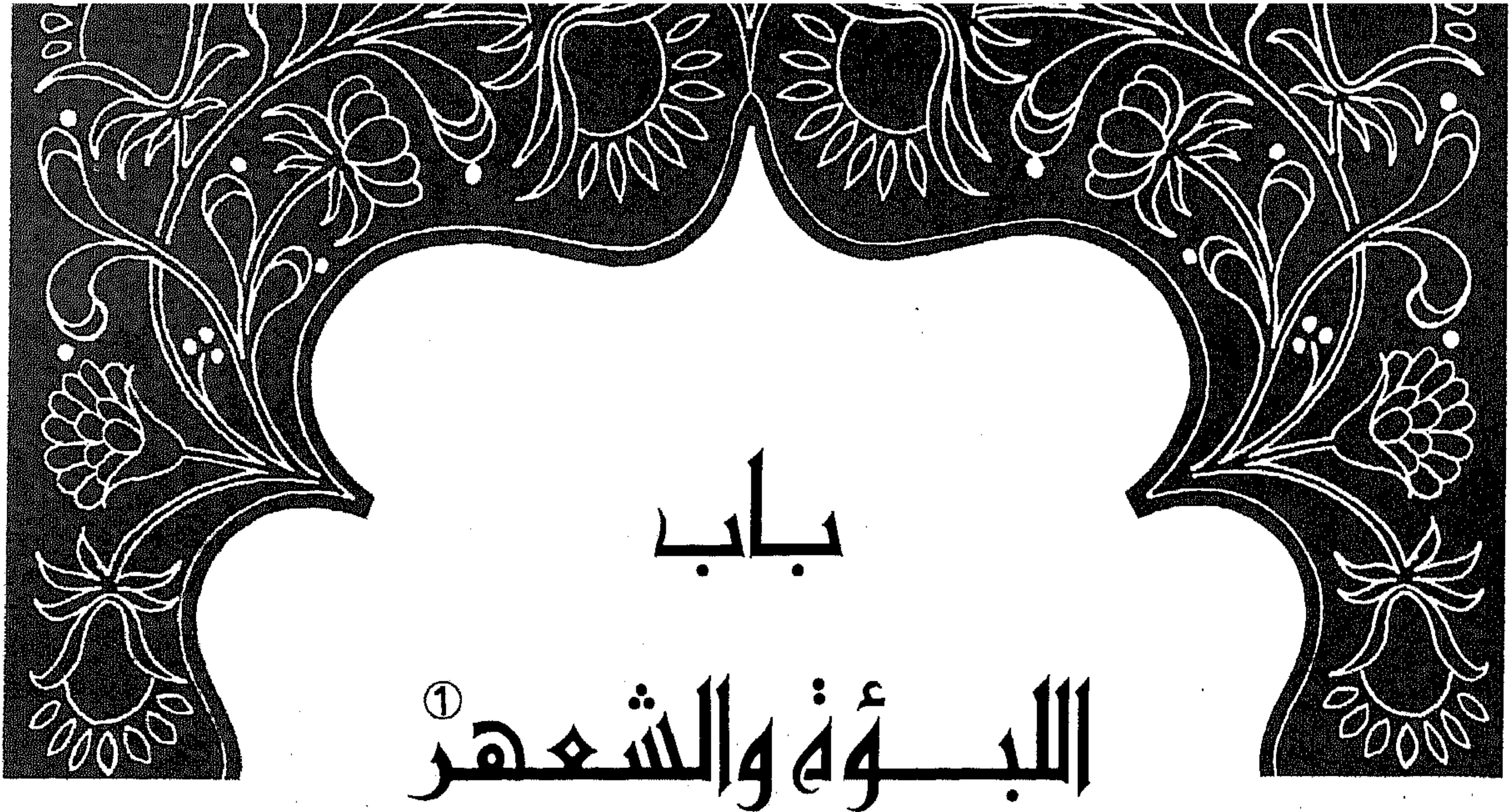
والأرض، فكيف وقعنا في هذه الورطة التي نجيتكما منها؟ فقالا لي: أيها العاقل، أما تعلم أنّ القدر يغلب كل شيء، ولا يستطيع أحد أن يجاوزه أو يقصّر عنه!

ثم قال الفيلسوف للملك: ليعرف أهل النظر في الأمور والعمل بها أنّ الأشياء كلّها بقضاء وقدر؛ لا يجلب أحد منها إلى نفسه خيراً ولا يدفع عنها مكروهاً، وأنّ ذلك كله من الله عز وجل، وأنّ الله يفعل فيها ما أراد ويقضي فيها ما أحبّ. فلتسكن إلى ذلك الأنفس، ولتطمئنّ إليه القلوب؛ فإنّ ذلك لمن ألهمه الله ووفق له، سعة وراحة.



باب

اللبؤة
والشعر



باب

اللبؤة والشعر^①

قال الملك للفيلسوف: قد فهمت ما ذكرت من أمر القضاء والقدر وغلبتهما للأشياء. فأخبرني عمّن يدع ضرّ غيره لما يصيبه من الضرّ، ويكون له فيما ينزل به واعظ وزاجر عن ارتكاب الظلم والعدوان من غيره .

قال الفيلسوف: إنه لا يُقدّم على طلب ما يضرّ الناس ويسوؤهم إلا أهل الجهالة والسفه، وسوء النظر في عواقب الأمور في الدنيا والآخرة، وقلة العلم بما يدخل عليهم في ذلك من حلول النعمة، ويلزمهم من تبعه ما اكتسبوا مما لا يحيط به القول. فإن سلم بعضهم من بعض لمنية عرضت قبل نزول وبال ما صنعوا، اعتبر² بهم الآخرون بما ينقطع فيه الكلام والوصف من الشدّة وعظم الهول. وربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المكروه من غيره، فارتدع عن أن يتلي أحداً بمثل ذلك من الظلم والعدوان، ورجا نفع ما كفّ عنه في الآخرة. ونظير ذلك



ومر الأسوار بالشبلين فرماهما

حديثُ الأسوار* واللبؤة والشَّعْهَر. فقال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:
 زعموا أنَّ لبؤة كانت في غِيضة ولها شِبْلان، وأنها خرجت ذات يوم تطلب الصيد، وخلفتها.
 فرَّ بهما أسوار فرماهما حتى قتلهما، وسلخ جلودهما، ومضى بهما إلى منزله. ثم إنَّ اللبؤة رجعت
 فرأت ما بشبليها من الأمر الفظيع فصرخت وصاحت وتقلبت ظهراً وبطناً.

وكان إلى جانبها شعهر جارُّ لها. فلما سمع بكاءها وصراخها وجزعها، خرج إليها فقال
 لها: ما هذا الذي أراه بك؟ وما جرى عليك؟ فأخبرني به لأشاركك فيه. قالت: إنَّ شبليَّ
 مرَّ عليهما أسوار فقتلهما وأخذ جلودهما وألقاهما بالعراء. قال الشعهر: لا تحزني ولا تصرخي،
 وأنصفي من نفسك، واعلمي أنَّ هذا الأسوار لم يأت إليك شيئاً إلاَّ وكنت ركبت من غيرك

* الصياد.

مثله، ولم تجدي من الأسف والحزن على شبليك شيئاً إلا وقد كان من كنتِ تفعلين بأحبابه ما تفعلين، يجد مثله أو أفضل منه³. فاصبري من غيرك على نحو ما صبر عليه غيرك منك؛ فإنه قد قيل: كما تدينُ تدان. وإنَّ ثمرة العمل الثوابُ أو العقاب، وهما على قدره في القلّة والكثرة؛ كالزراع إذا حصد الحصاد أُعطيَ على قدر بذره. قالت اللبوة: اشرح لي ما تقول وأوضحه. قال الشعهر: كم لك من العمر؟ قالت اللبوة: مائة سنة. قال: ما الذي كان يقوتك ويُعيشك؟ قالت اللبوة: لحوم الوحش. قال الشعهر: ومن كان يُطعمك ذلك؟ قالت اللبوة: نفسي. قال: أما كان لتلك الوحوش آباء وأمّهات؟ قالت اللبوة: بلى. قال الشعهر: فما لنا لا نسمع من تلك الآباء والأمّهات من الضجة والجزع والصراخ ما نسمع ونرى منك؟ أما إنه لم يصبك ذلك إلا لسوء نظرك في العواقب، وقلة تفكيرك فيها، وجهالتك بما يرجع عليك من ضرّها! فلما سمعت اللبوة ذلك عرفت أنها هي اكتسبت ذلك على نفسها وجرتة إليها، وأنها هي الظالمة الجائرة، وأنه من عملٍ بغير الحقّ والعدل انتقم منه وأدب عليه* فتركت الصيد وانصرفت عن أكل اللحم إلى الثمار، وأخذت في الزهد والنسك والعبادة.

ثم إنَّ الشعهر، وكان عيشه من الثمار، رأى كثرة أكل اللبوة إياها. فقال لها: لقد ظننتُ، لقلة الثمار وكثرة أكلك إياها، أنَّ الشجر لم يحمل إلا نزرًا العام. ولما رأيت أكلك لها - وأنت صاحبة لحم - ورفضك رزقك وما قسم الله لك، وتحولك إلى رزق غيرك فانتقصته ودخلت عليه فيه، علمتُ أنَّ الشجر قد أثمر كما كان يُثمر فيما خلا، وأما هذه النزورة في ذلك من قبلك. فويل للشجر وللثمار ولن كان عيشه منها! فما أسرع هلاكهم ودمارهم، إذ قد نازعهم في ذلك من لا حق له فيه ولا نصيب! فتركت أكل الثمار وأقبلت على أكل العشب.

وإنما ضربتُ لك هذا المثل لأنَّ الجاهل ربما انصرف لمكروه يحلّ به عن ضرّ الناس، كاللبوة التي تركت، بما لقيت من شبليها، أكل لحوم الوحش، ولقول الشعهر، أكل الثمار، وأقبلت على النسك والعبادة.

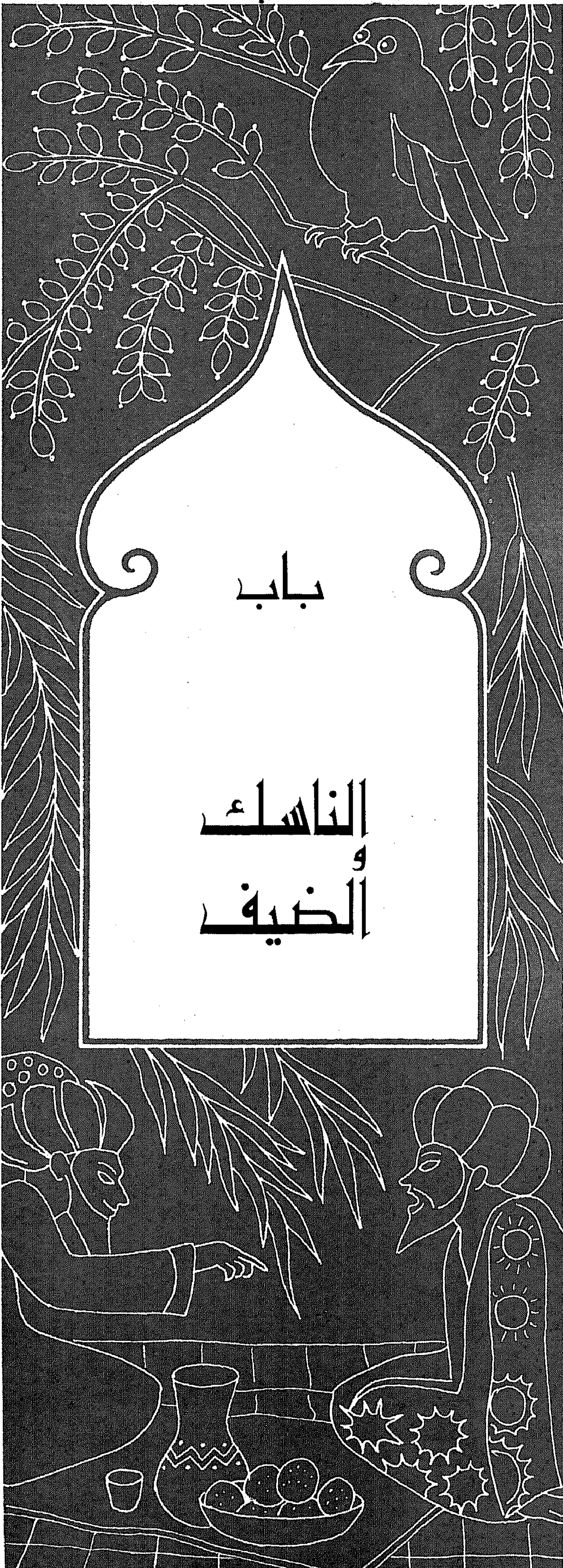
* غلب بعد أن كانت له الغلبة.

ثم قال الفيلسوف للملك : فالناس أحق بحسن النظر في الأمر الذي لهم الحظّ فيه؛
فإنه قد قيل : ما لا ترضاه لنفسك لا ترضه لغيرك، وما لا تحبُّ أن يُصنع بك فلا تصنعه بغيرك؛
فإنّ في ذلك العدلَ، وفي العدل رضا الله تعالى .



ولما رأى الشعير كثرة أكل اللبوة من الثمار، قال : لقد
ظننت لقلة الثمار أن الشجر لم يحمل الا نزرأ هذا العام..







باب

الناسك والضيف

قال الملك للفيلسوف: قد فهمت ما ذكرت من أمر من يدع ضرر غيره لضرر نفسه. فأخبرني
عمن يدع عمله الذي يعرفه ويليق به، ويطلبُ سواه فلا يقدر عليه، فيراجع الذي كان في
يده من عمله، فيفوته ويبقى حيراناً متلذداً*. قال الفيلسوف:

زعموا أنه كان في أرض يقال لها الكرخ ناسك مجتهد في النسك فنزل به ضيف ذات
يوم فدعا له بتمر ليُطرفه به، فأكلا منه جميعاً. ثم إن الضيف قال: ما أحلى هذا التمر وأطيبه!
وليس في بلادي التي أسكنها نخل، مع أنه إن لم يكن فيها فإن هنالك من الثمار ما أكتفي به.
فإنه من يقدر على التين وما أشبهه من حلو الفاكهة يُجزيه* ويقضي منه حاجته. هذا مع
وخامة التمر وقلة موافقته للجسد. قال الناسك: إنه لا يُعدّ سعيداً من احتاج إلى ما لا يجد وليس

* متردداً، لا يستقر على رأي.

** ينفعه.



بمقدور عليه، فتشبهه لذلك نفسه، ويقل عنه صبره، ويصل إليه من ثقل ذلك واغتمامه ما يُضِرُّ به ويُدخِل المشقة عليه. وإنك أنت العظيم الجِدُّ الجزيل الحِظُّ، حين قنعت بما رُزقت وزهدت فيما لا تظفر به ولا تدرك طلبتك منه. قال الضيف: وَفَقَّتْ وَرَشِدَتْ. وقد سمعت منك كلاماً عبرانياً أعجبنى فاستحسنته؛ فلو علمتنيه! فإن لي فيه رغبة، وأنا عليه حريص. فقال الناسك: ما أخلقتك أن تقع، فيما تركت من كلامك وتكلفت من كلام العبرانية، في مثل ما أصاب الغراب. قال الضيف: وكيف كان ذلك؟ قال الناسك:

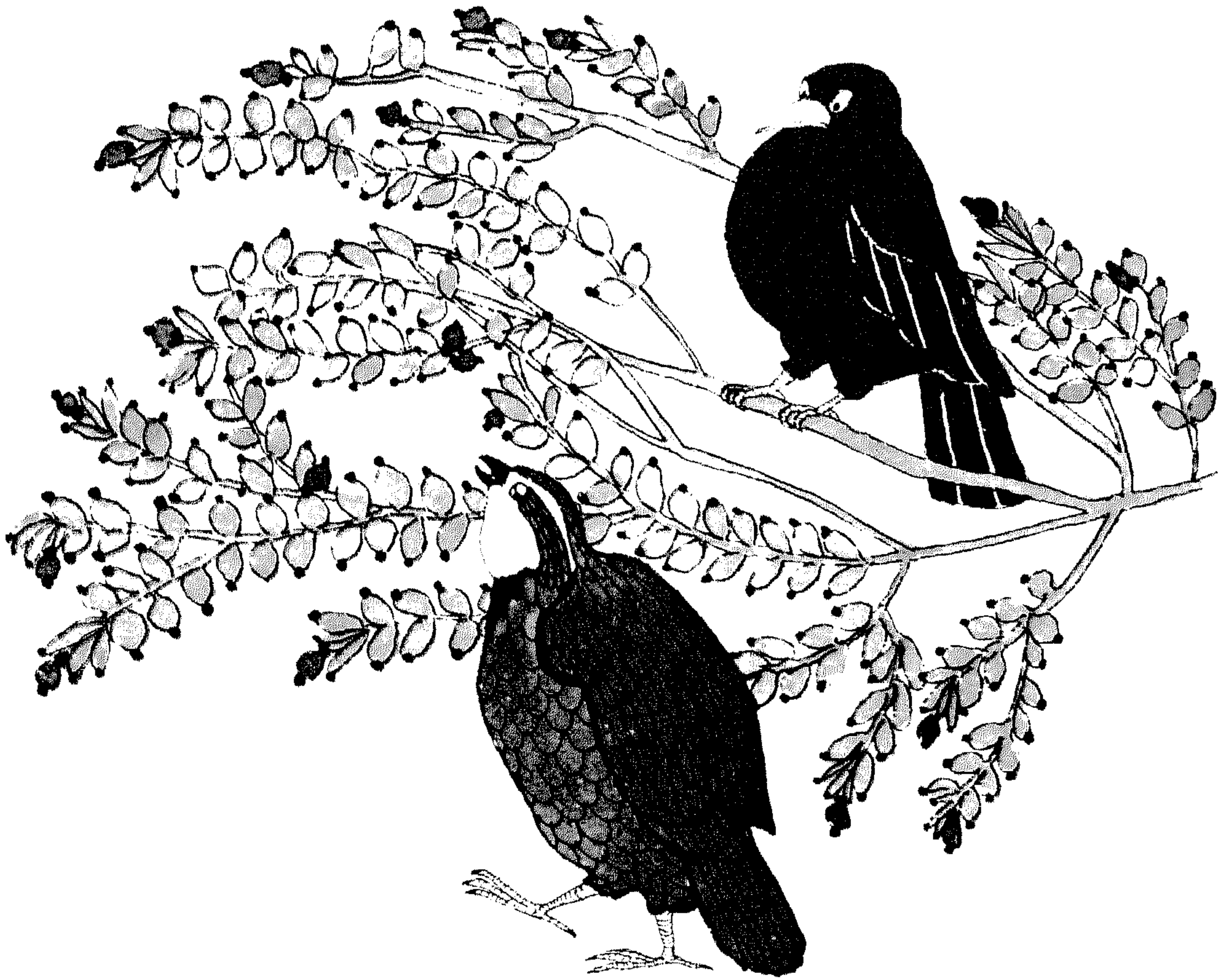
زعموا أن غراباً رأى حَجَلَةً تدرج، فأعجبته مشيتها، فطمع في تعلمها، فراض نفسه فلم يقدر على إحكامها. فانصرف إلى مشيته التي كان عليها فلم يُحسن. فبقي حيران متردداً، لم يدرك ما طلب ولم يحسن لما كان في يده الحِفظ.

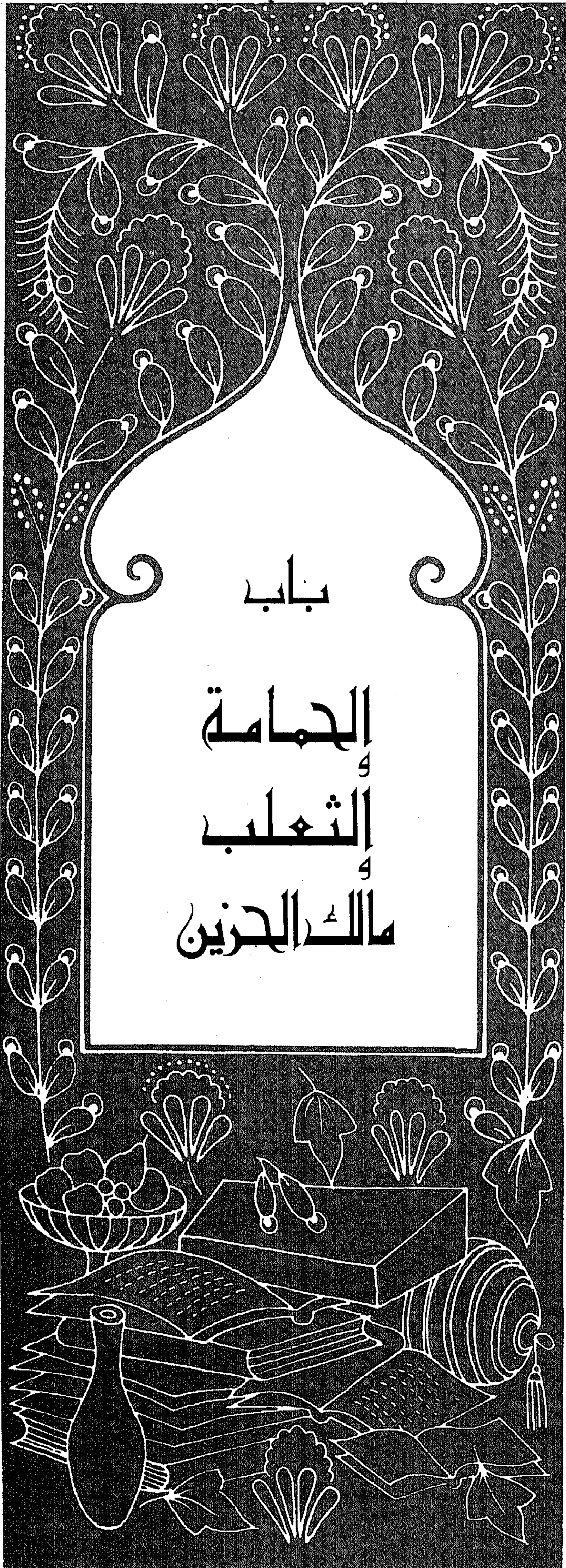
وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنك خليق، إن تركت لسانك وتكلفت علم ما لا يشاكلك من كلام العبرانية، ألا تدركه وأن تنسى الذي كان في يدك من غيره؛ فإنه قد قيل: يُعَدُّ جاهلاً من حاول من الأمور ما لا يشبهه وليس من أهله، لم يدركه آباؤه ولا أجداده من قبله، ولا يُعرفون به.

ثم قال الفيلسوف للملك: فالولة، في قلة تعاهدتهم للرعية في هذا وأشباهه، ألوم وأسوأ تدبيراً؛ لأنَّ تنقل الناس من بعض المنازل إلى بعض فيه صعوبة ومشقة شديدة. ثم إنَّ الأشياء في ذلك تجري على منازل حتى تنتهي إلى الخطر الجسم من مضادة الملك في ملكه.

وقال الضيف للناسك: ما أحلى هذا التمر وأطيبه وليس في بلادي نخل

ورأى الغراب حجلة تدرج فأعجبته مشيتها







باب

الحمامة والتعلب ومالك الحزين

قال الملك للفيلسوف: قد سمعتُ هذا المثل فاضربُ لي مثلاً في شأن الرَّجُلِ الذي يرى الرَّأيَ لغيره ولا يراه لنفسه. قال الفيلسوفُ: إنَّ مثل ذلك مثلُ الحمامةِ والتعلبِ ومالك الحزين. قال الملكُ: وما مثلهنَّ؟

قال الفيلسوفُ: زعموا أنَّ حمامةً كانت تُفْرِخُ في رأسِ نخلةٍ طويلةٍ ذاهبةٍ في السماء، فكانت الحمامةُ تَشْرَعُ في نقلِ العِشِّ إلى رأسِ تلكِ النخلةِ، فلا يمكنُ أن تنقلَ ما تنقلُ مِنَ العِشِّ وتجعله تحت البيضِ إلا بعد شدةٍ وتعبٍ ومشقةٍ: لطولِ النخلةِ وسُحْقِها* ؛ فإذا فرغتُ من النقلِ باضتُ ثم حضنتُ بيضها، فإذا فقست وأدرك فراخها جاءها ثعلبٌ قد تعاهد ذلك منها لوقتٍ قد علمه بقدر ما ينهضُ فراخها، فيقفُ بِأصلِ النخلةِ فيصيحُ بها ويتوعدها أنْ

* بعدها الشديد .

يرقى إليها فتلقني إليه فراخها. فبينما هي ذات يوم أدرك لها فرخان إذ أقبل مالك الحزين فوق على النخلة. فلما رأى الحمامة كثيبة حزينة شديدة الهم قال لها مالك الحزين : يا حمامة، مالي أراك كاسفة اللون سيئة الحال ؟ فقالت له : يا مالك الحزين ، إن ثعلباً دهيتُ به كلما كان لي فرخان جاءني يهددني ويصيحُ في أصل النخلة، فأفرق منه فأطرح إليه فرخي. قال لها مالك الحزين : إذا أتاك ليفعل ما تقولين فقولي له : لا ألقى إليك فرخي، فأرق إلي وغرر بنفسك. فإذا فعلت ذلك وأكلت فرخي، طرتُ عنك ونجوتُ بنفسي. فلما علمها مالك الحزين هذه الحيلة طار فوق على شاطئ نهر. فأقبل الثعلب في الوقت الذي عرف، فوقف تحتها، ثم صاح كما كان يفعل. فأجابته الحمامة بما علمها مالك الحزين. فقال لها الثعلب : أخبريني من علمك هذا ؟ قالت : علمني مالك الحزين. فتوجه الثعلب حتى أتى مالكاً الحزين على شاطئ النهر، فوجده واقفاً. فقال له الثعلب : يا مالك الحزين : إذا أتتك الريح عن يمينك فأين تجعل رأسك ؟ قال : عن شمالي. قال : فإذا أتتك عن شمالك فأين تجعل رأسك ؟ قال : أجعله عن يميني أو خلفي. قال : فإذا أتتك الريح من كل مكان وكل ناحية فأين تجعله ؟ قال : أجعله تحت جناحي. قال : وكيف تستطيع أن تجعله تحت جناحك ؟ ما أراه يتهاياً لك. قال : بلى . قال : فأرني كيف تصنع ؟ فلعمري يا معشر الطير لقد فضلكم الله علينا . إنكن تدرين في ساعة واحدة مثل ما ندري في سنة، وتبلغن ما لا نبلغ، وتدخلن رعووسكن تحت أجنحتكن من البرد والريح . فهنيئاً لكن فأرني كيف تصنع . فأدخل الباطر رأسه تحت جناحه، فوثب عليه الثعلب مكانه فأخذه فهمزه همزة دقت عنقه . ثم قال : يا عدو نفسيه ، ترى الرأي للحمامة، وتعلمها الحيلة لنفسها، وتعجز عن ذلك لنفسك، حتى يستمكن منك عدوك، ثم أجهز عليه وأكله .



فلما انتهى الملك والفيلسوف إلى باب الناسك والضيف سكت الملك، وقال الفيلسوف : عشت أيها الملك ألف سنة، ومُلكت الأقاليم السبعة، وأعطيت من كل شيء سبباً، وبلغته في سرور منك برعيتك، وقرّة عين منهم بك، ومساعدة من القضاء والقدر. فلقد كمل منك الحلم، وزكا منك العقل والقول والنية. فلا يوجد في رأيك نقص، ولا في قولك سقط، ولا في فعلك عيب. وجمع فيك النجدة واللين، فلا توجد جباناً عند اللقاء، ولا ضيق الصدر فيما ينوبك من الأشياء .

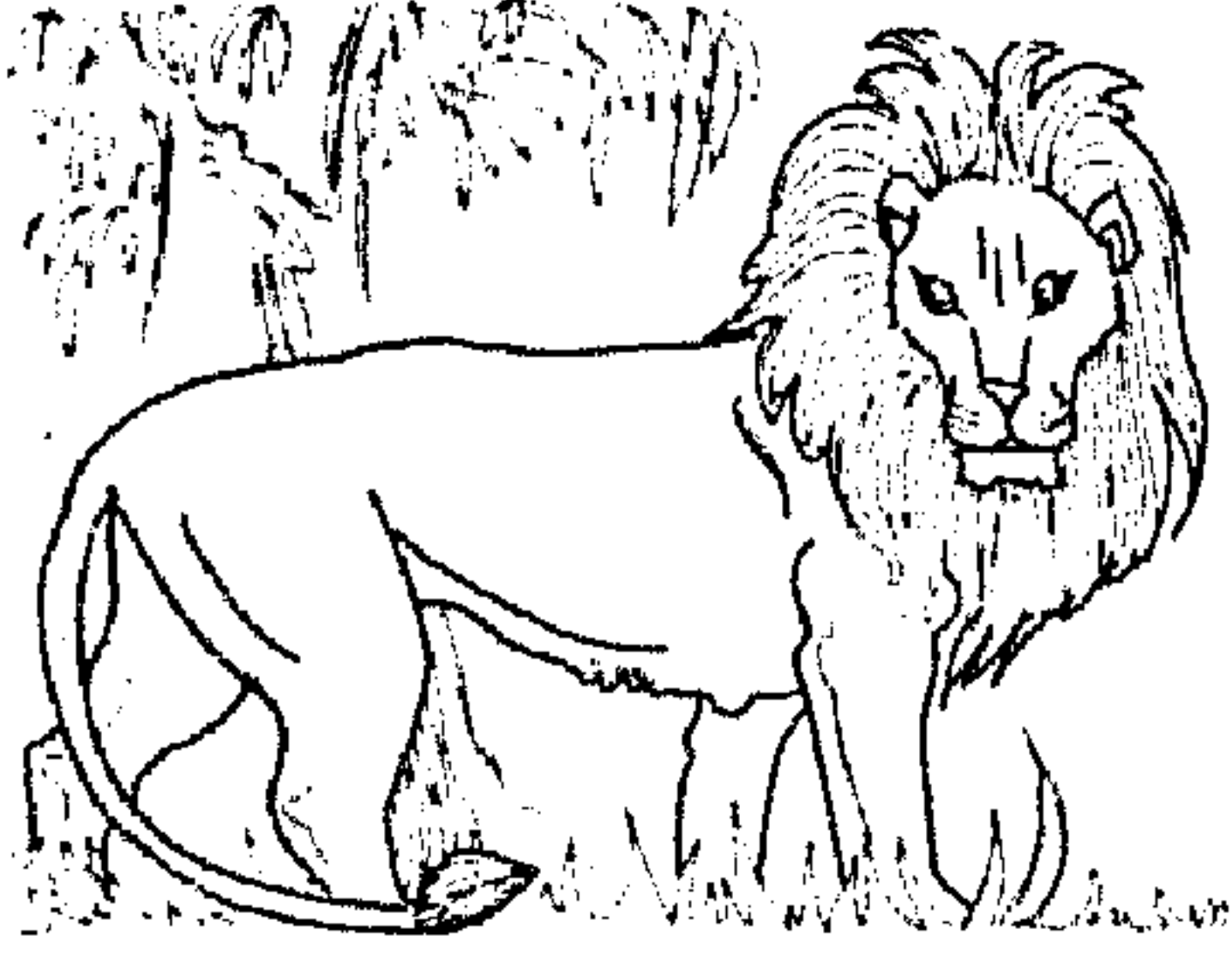
وقد شرحت لك الأمور، ولخصت لك جواب ما سألتني عنه، واجتهدت لك في رأيي، ونظرت بمبلغ فطنتي في التماس قضاء حاجتك. فاقض حقي بحسن النية منك بإعمال فكرك وعقلك فيما وصفت لك؛ فإنّ الأمر بالخير ليس بأسعد به من المطيع له فيه، ولا الناصح بأولى بالنصيحة من المنصوح له بها، ولا المعلم بأسعد بالعلم ممن تعلمه

منه. فمن تدبّر هذا الكتاب بعقله، وعمل فيه بأصالة رأيه، ثم فكّر فيه كان قميناً للمراتب العظام والأمر الجسام. والله يوفّقك أيها الملك، ويصلح منك ما كان فاسداً .

فأمر الملك عند ذلك بفتح أبواب خزائنه، وأن يحكّم فيها الفيلسوف فيأخذ ما احتكم من الأموال ومن صنوف الدرّ والجوهر والذهب والفضة، وألا يُمنع شيئاً من ذلك. وأقطعه إقطاعاً كثيراً، ورفع درجته ومرتبته إلى الغاية التي لا يسمو إليها أحد من نظرائه .

تعريفات

هذه التعريفات التي تفردت بها نسختنا إضافة جديدة لا توجد في أية نسخة مطبوعة من كليلة ودمنة . وقد أردنا بها أن نتيح للقارئ فهم الشخص التي كانت محور قصص كليلة ودمنة . ولذلك اخترنا من هذه الشخص ما له قسط من أمثال الكتاب وقصصه ، معرضين عن بعضها تجنباً للإطالة ، ورغبة في الفائدة .
وقد اعتمدنا على معظم الكتب القديمة واجتهدنا أن يكون التعريف قريباً من مضمون القصص ، موضحاً مستغلقها ، مضيئاً جوانبها المظلمة . ولذلك قصرنا التعريف بالحيوان على ما يخص كليلة ودمنة دون تناول الصفات والطابع الأخرى مما ليس له صلة بقصص الكتاب أو أمثاله .

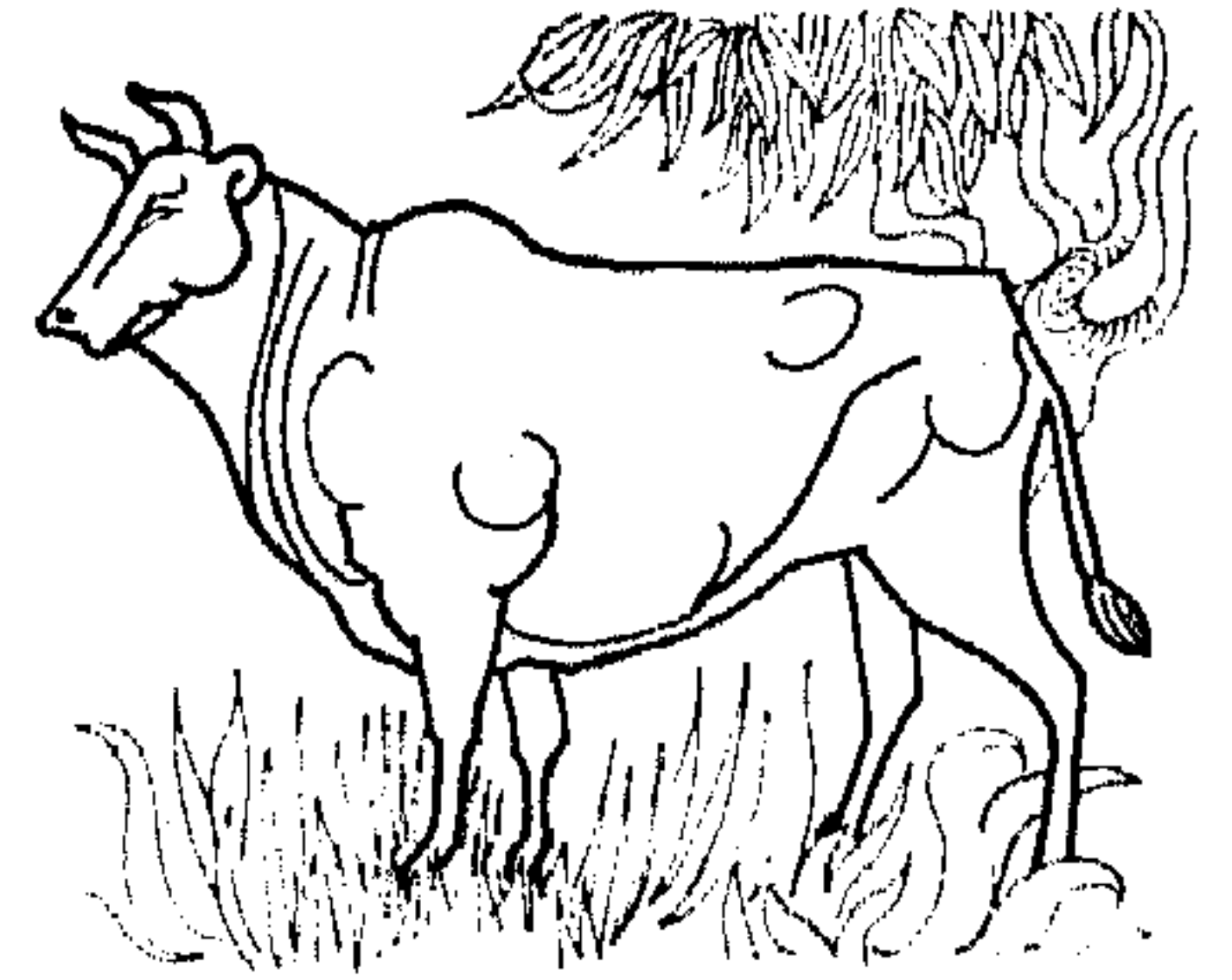


الأسد

أشرف الحيوان المتوحش . منزلته منها منزلة الملك المهاب لقوته وشجاعته ، وقساوته وشهامته ، وجهامته وشراسة خلقه . ولذلك يضرب به المثل في القوة والنجدة والبسالة وشدة الإقدام ، والجرأة والصولة . ومنه نوع على شكل البقر له قرون سود .
يفزع من صوت الديك ، ونقر الطست ، وخوار الثور ، ويتمحير عند رؤية النار .
يعمر كثيراً . وعلامة كبره سقوط أسنانه .

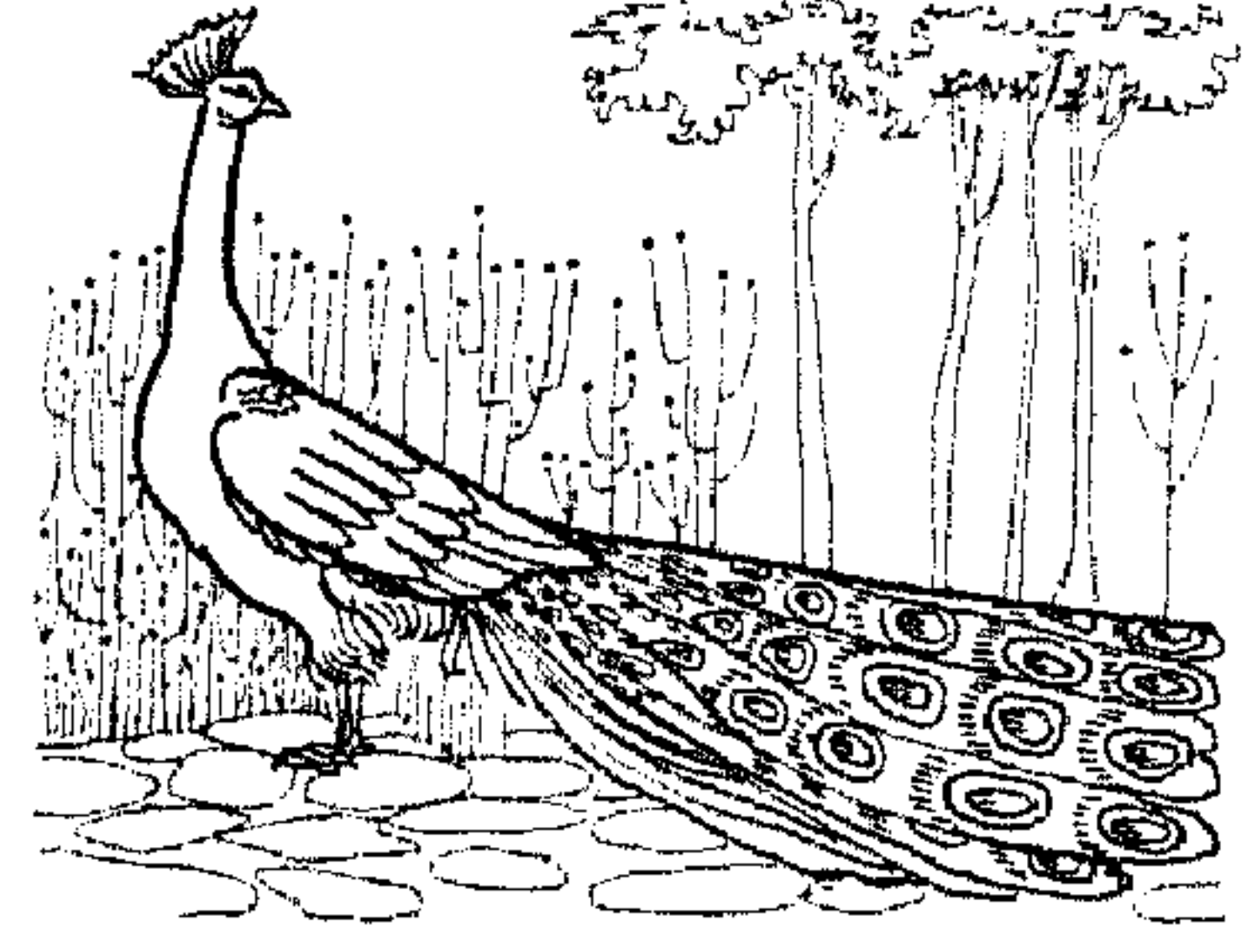
الثور

أمير البقر ، تطيعه طاعة إناث النحل للبعسوب . له خوار مكرب يهيج له الأسد ويفزع منه . لكنه أشد الحيوان براءة ودمائة إذا لم يثر . والثور إذا عدل بلساته عن شق شماله إلى يمينه . سلاحه قرنه ، وهو قوي ، منه ما يحمل حمل الجمل باركاً ثم ينهض به . ومنه ما يحلم ويحتلم . وهو يفزع من الصبح والإشراق . يعادي الذئب والغراب ويكره ابن آدم .

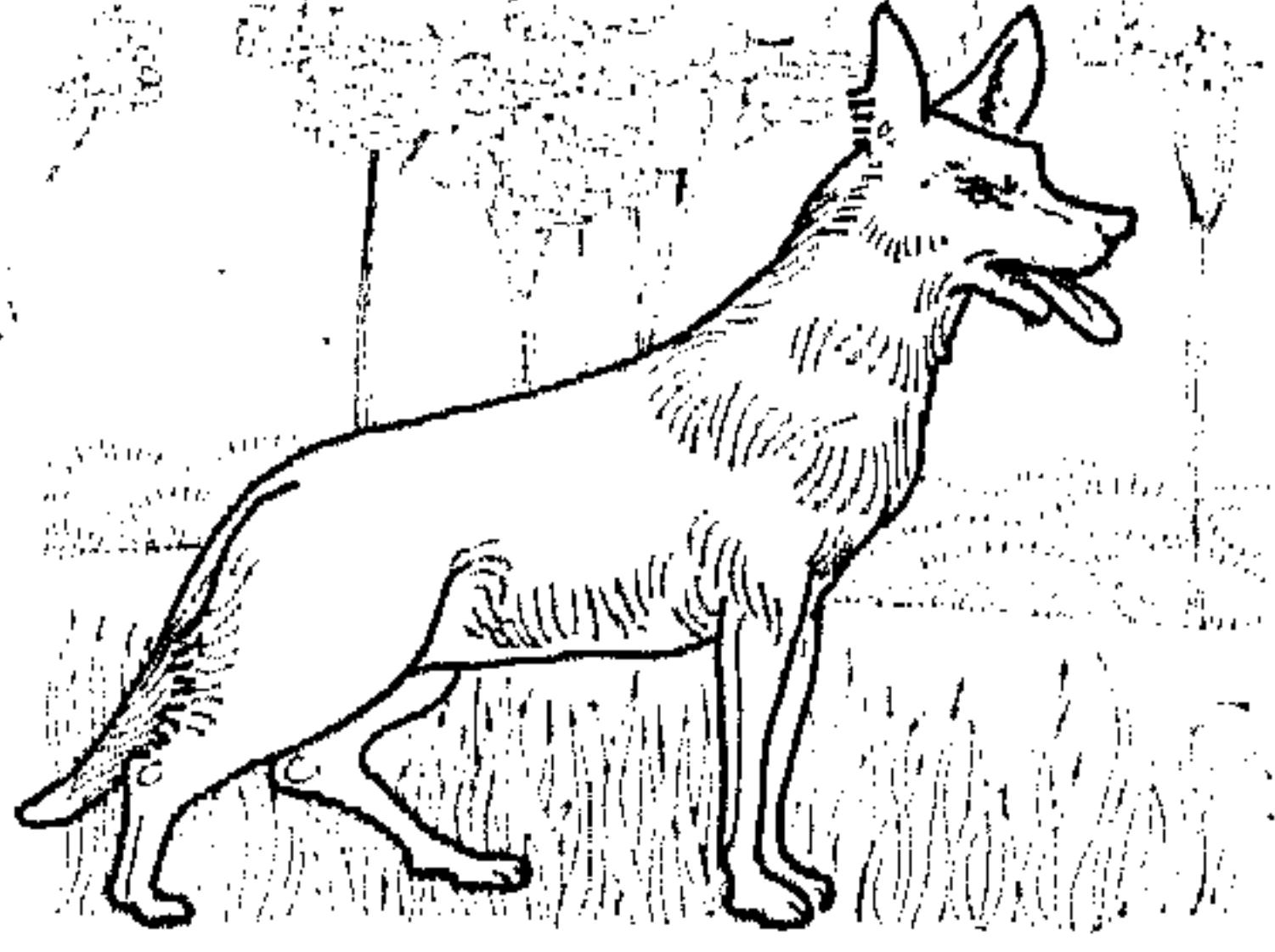


الطاووس

من طير الجنة ، حسنه في ذنبه وتلاوين ريشه . وصوته سمج يتشام منه . يلقي ريشه في الخريف ، ويكتسي إذا اكتسى الشجر . ويقال إنه يحسن الرقص ، ويحب الملاطفة وإذا عرض الطاووس في منام الإنسان عثر على كثر أو تزوج امرأة جميلة . وكانت الهند تتخذ من ريش ذنبه حلية للموكها وأعظم رجالاتها . كما كانوا يزینون به حجال العروس .



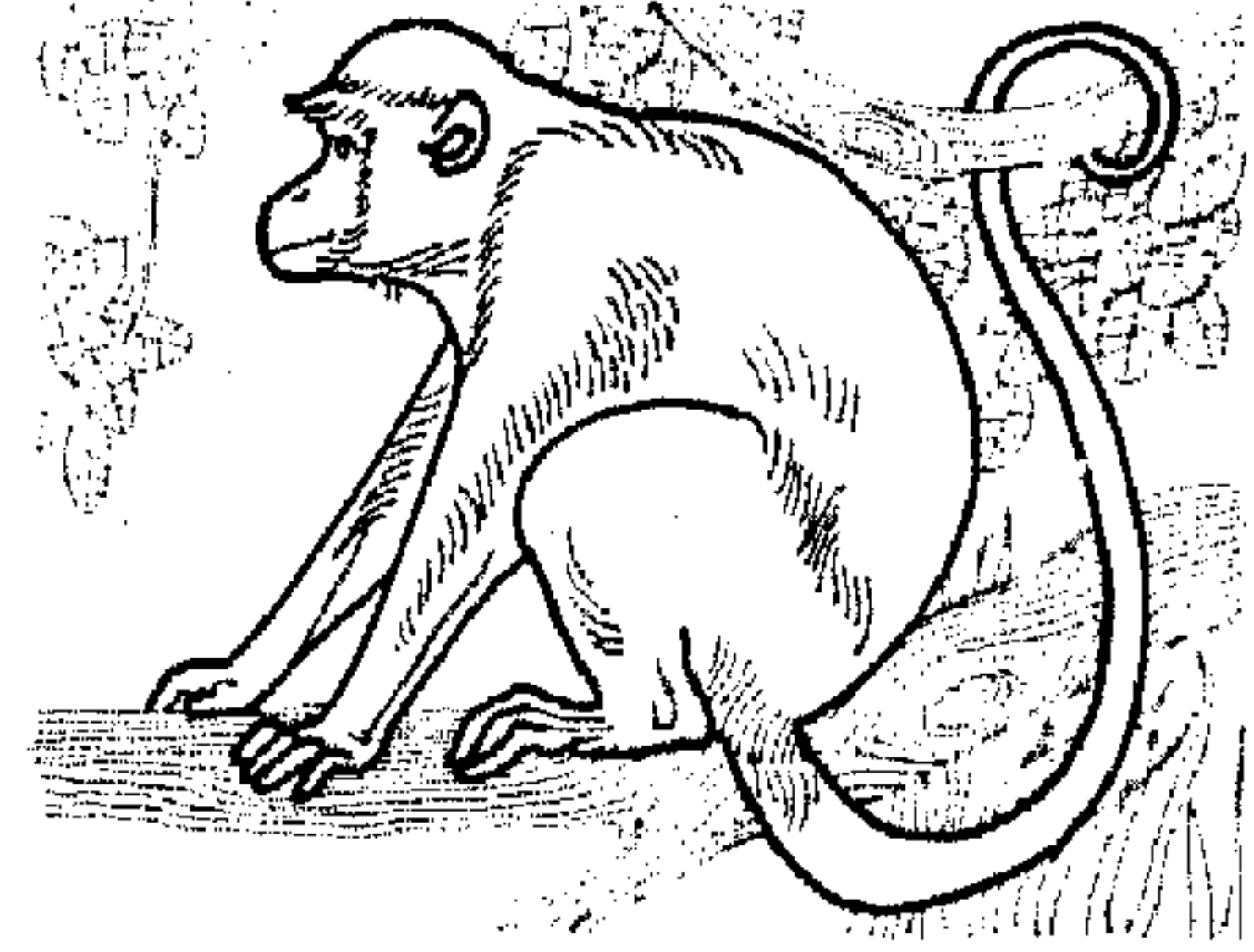
الكلب



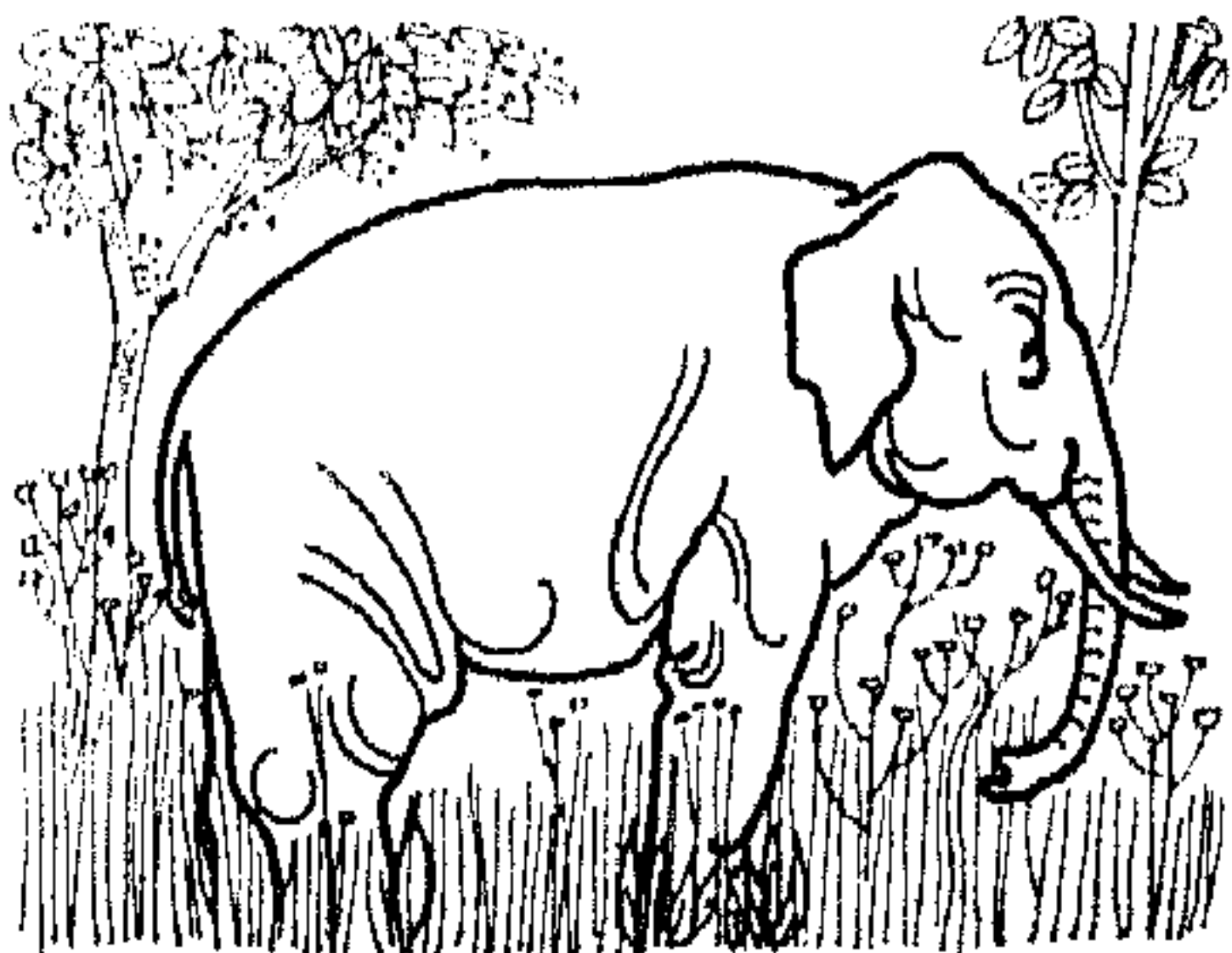
يجمع خصال اللؤم والنذالة والحرص والشرة . ومن عجائبه أن أنثاه إذا سافدت أدت إلى كل كلب سافد شكله . وله ضروب من النغم والتصويت ، وله نوح وتطريب ، ودعاء وخوار ، وبصبصة ، وشيء يصنعه عند الفرح . وله صوت شبيه بالأنين إذا غشي الصيد . يخالط الناس ، ويكرم الرجل الجميل اللباس ، ويقدم مع الإنسان ، فيعرف اسمه وصاحبه . ويهتدي في التلوج . وهو من أقدر الحيوان على السباحة .

القرود

أشبه الحيوان بالإنسان ، وأكثرها تقليداً له . فهو يضحك ويطن ويحكي ويتناول الطعام بيديه . لا يعرف السباحة ، فإذا سقط في الماء غرق ولم يسبح ، ويحكى عنه شدة التراوح والغيرة على أنثاه . وهو حيوان ذو أعاجيب ، كثير الفطنة ، صاحب حيلة ، يقبل التدريب إلى درجة بالغة . وهو أنواع . ومن الهندوس من يعبده لما عرف عنه من أساطير .



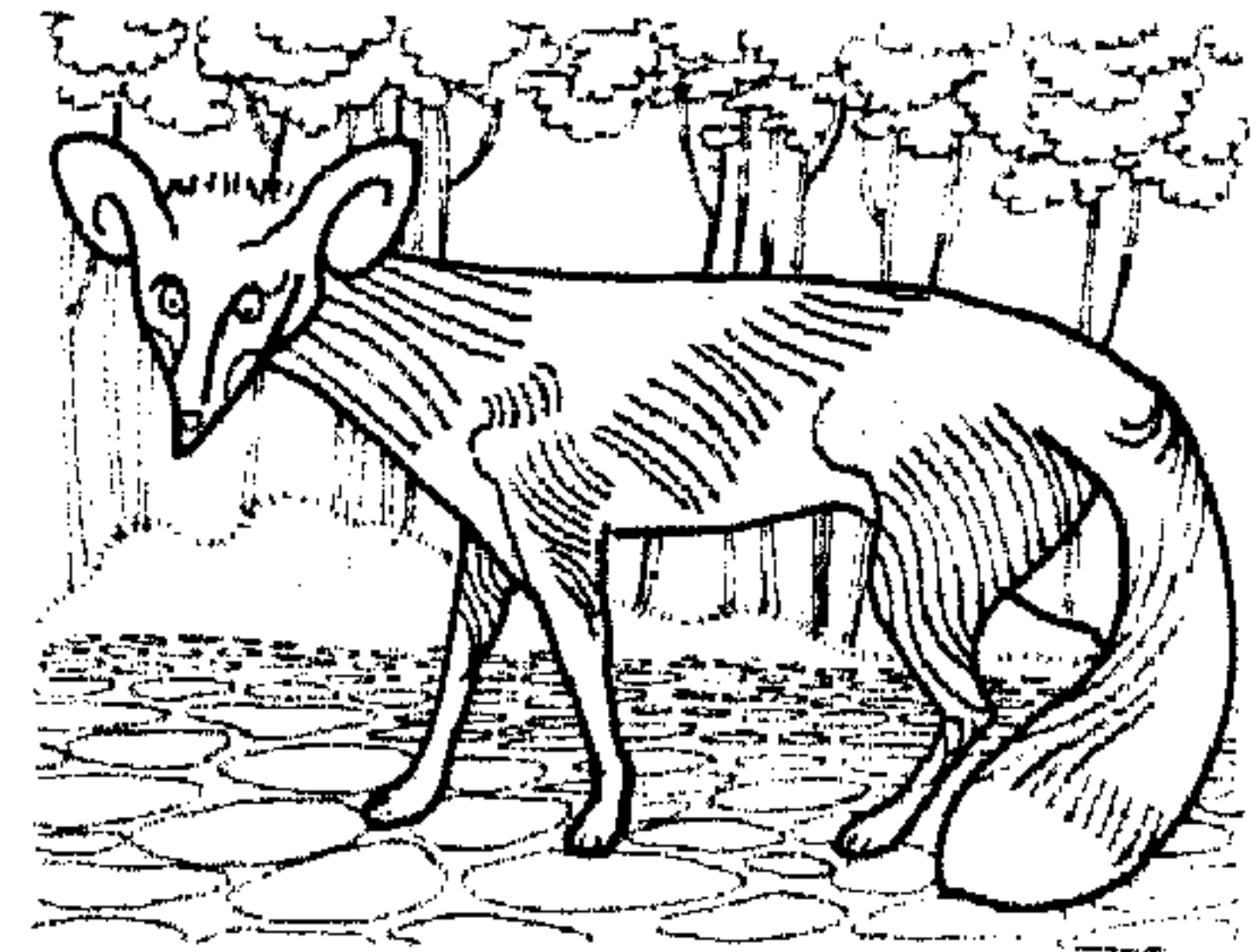
الفيل



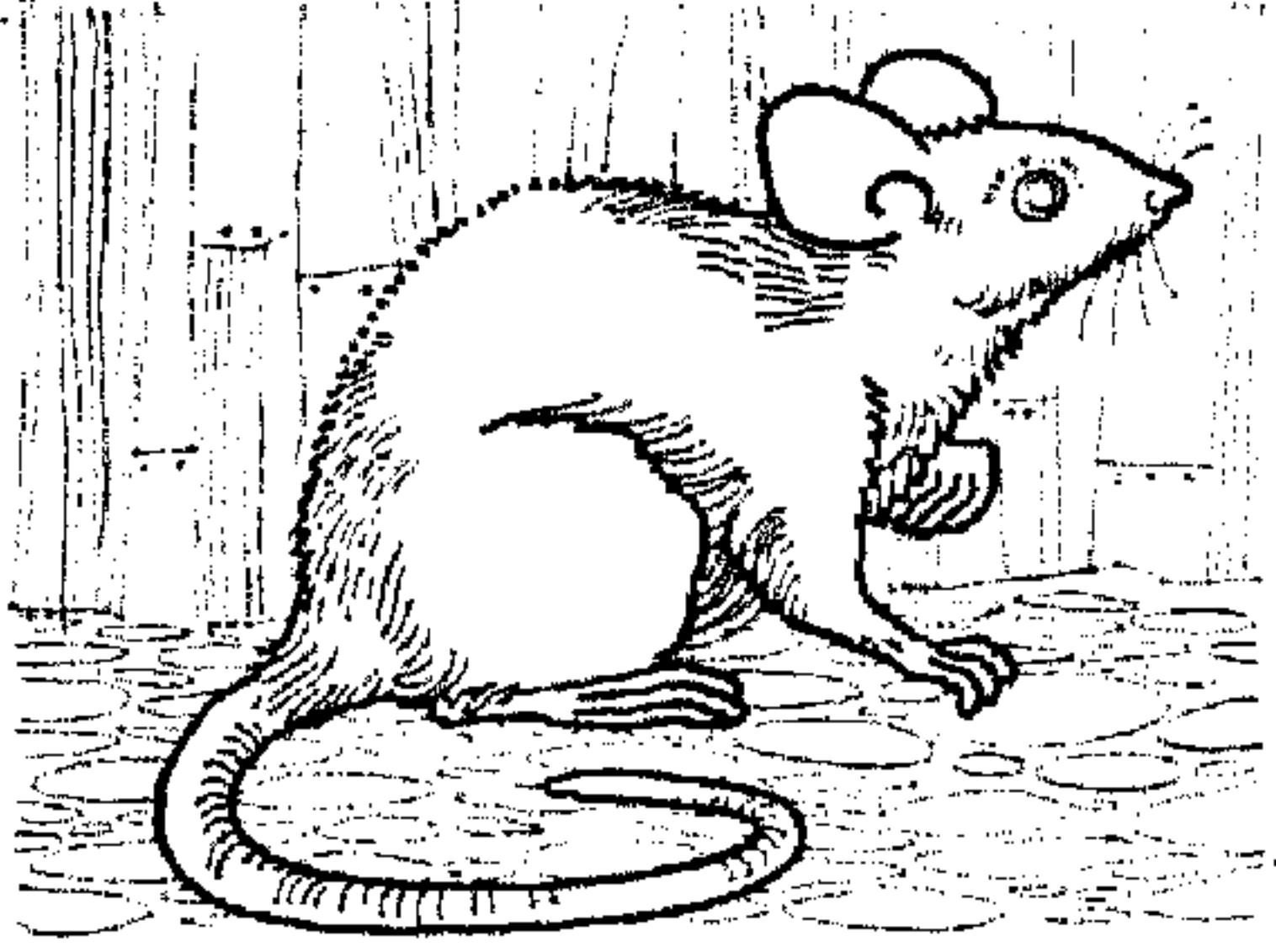
أشرف مراكب الملوك . في عينه من صحة الفهم والتأمل إذا نظر بها ما يشبه نظرة الملوك . يعيش مائة سنة ، وماتت السنة . سريع التعلم . يخرج من بطن أمه نابت الأسنان . يقاتل بخرطوميه ، ويضرب ويصيح ، وهو مقاتل من مقاتله كذلك . والهند تربط في طرفه سيفاً شديداً المتن فيقاتل به ، وأنثاه سيئة الأخلاق عند الهيج .

الثعلب

سبع ، جبان ، مستضعف ، لكنه ذو مكر وخديعة . ولفرط خبثه يجري مع كبار السباع . ومن حيلته في طلب الرزق أنه يتأوت ، وينفخ بطنه ، ويرفع قوائمه ، حتى يظن أنه مات . فإذا قرب منه حيوان وثب عليه ، وصاده . ومن شأنه إذا دخل برج حمام ، وكان شعبان ، قتلها ، ورمى بها ، لعلمه أنه إذا جاع ، عاد إليها فأكلها . وحين تكثر البراغيث في فروته يتناول بفيه صدفة ويدخل في الماء فيغمس كل بدنه ما عدا خطمه . وهكذا تتجمع البراغيث في الصدفة فيتركها ، ويهرب .

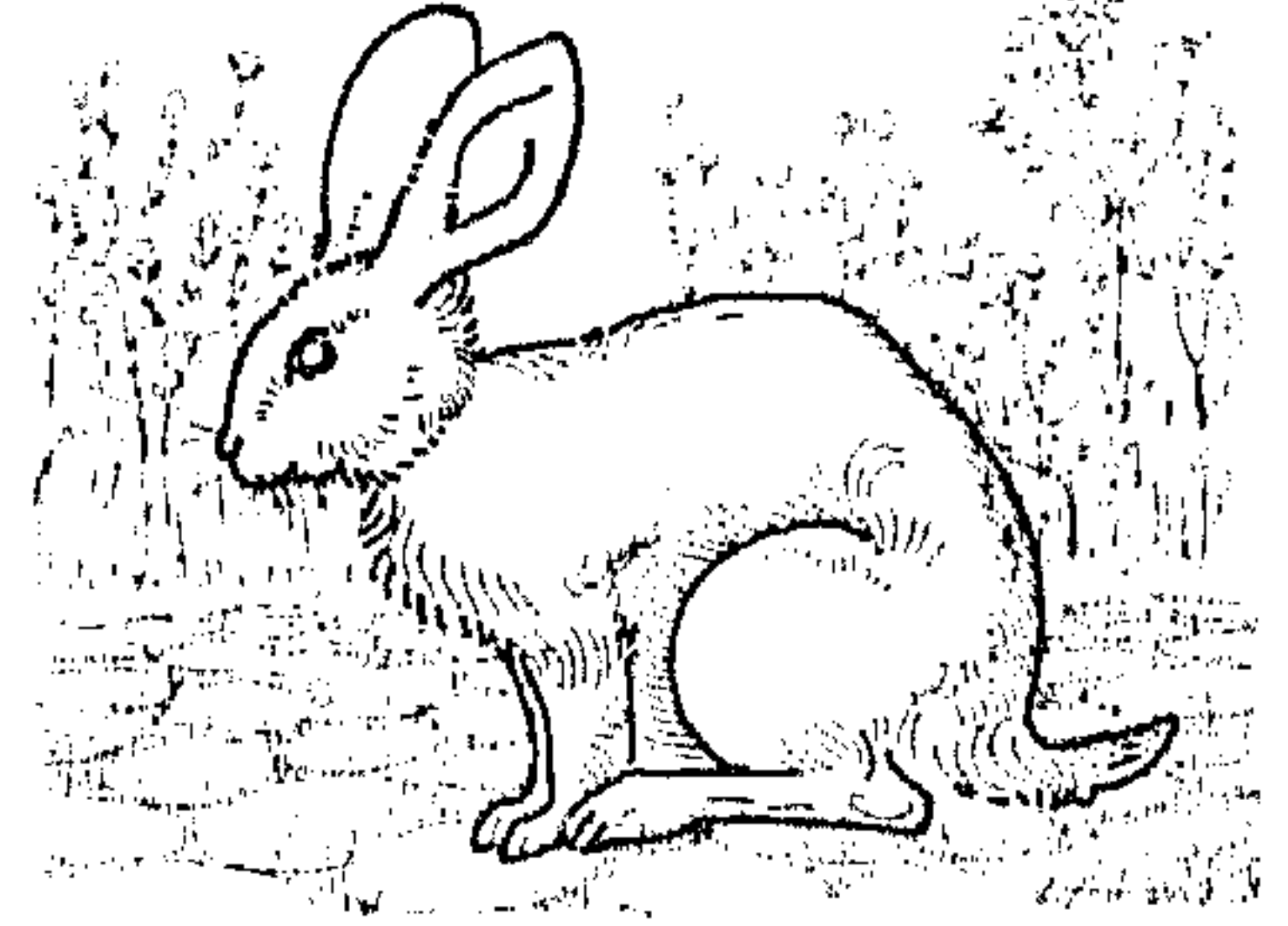


الفأر



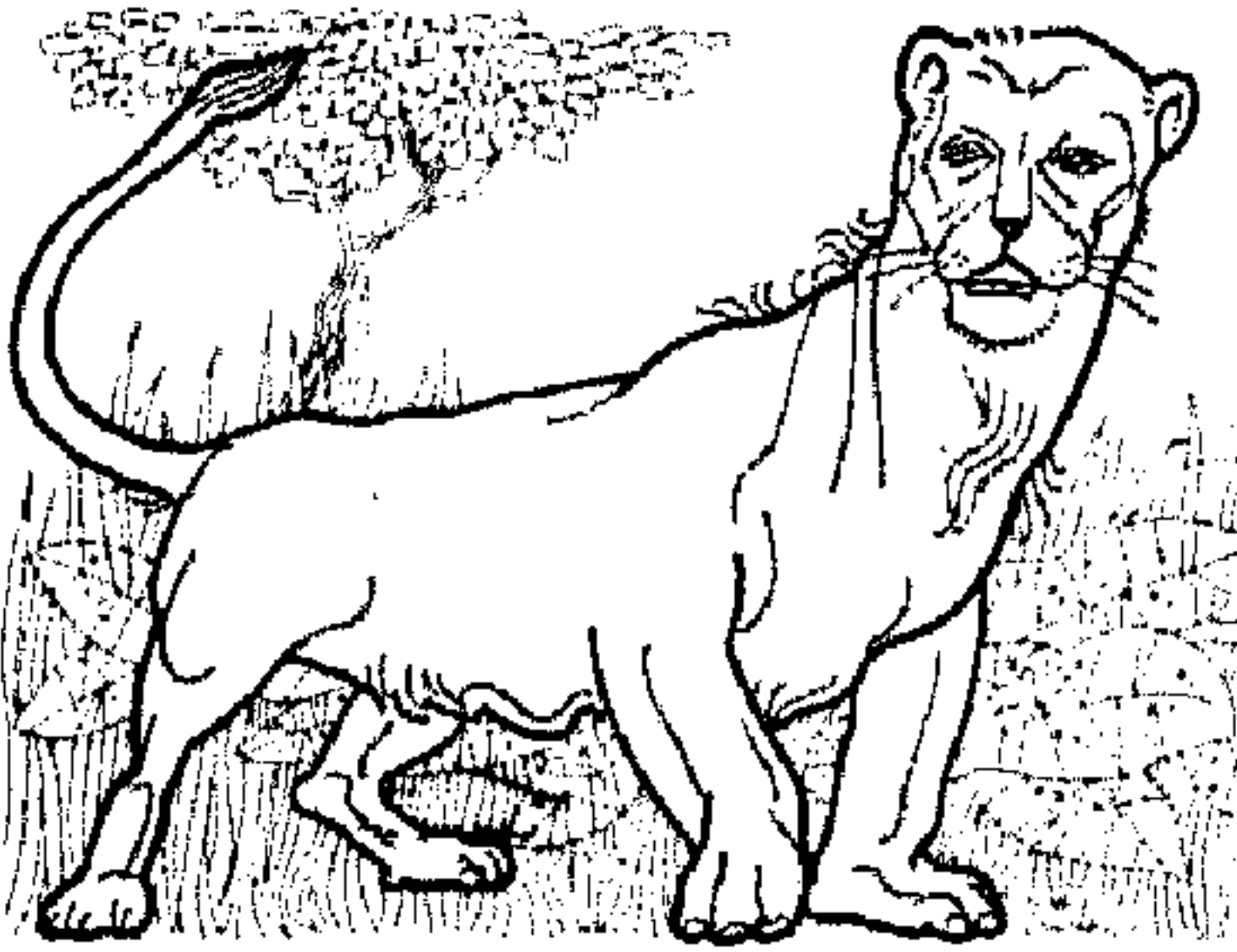
من الحيوانات المتقدمة في إحكام شأن معيشتها . فهي تذخره ، وتشبه في ذلك بالإنسان : عقلاً وروية ونظراً في العواقب . وهي ضارة ، إذ ربما تحرق أهل البيت ، وتقرض الثياب الثمينة ، وتفسد بذلك اللحم ، وتجلب الحيات إلى البيوت ، وربما تقطع أذن النائم ، أو تسبب في هلاك أمة . لا تلاقح الجرذان ، ولا تأنس . وهي لا تحفر بيوتها على قارعة الطريق ، وتجتنب الجواد حتى لا تهدم الحوافر بيوتها ، وهي تفر من السنور ، لتسلطه عليها ، ولعبه بها ، وأكله لها .

الأرنب



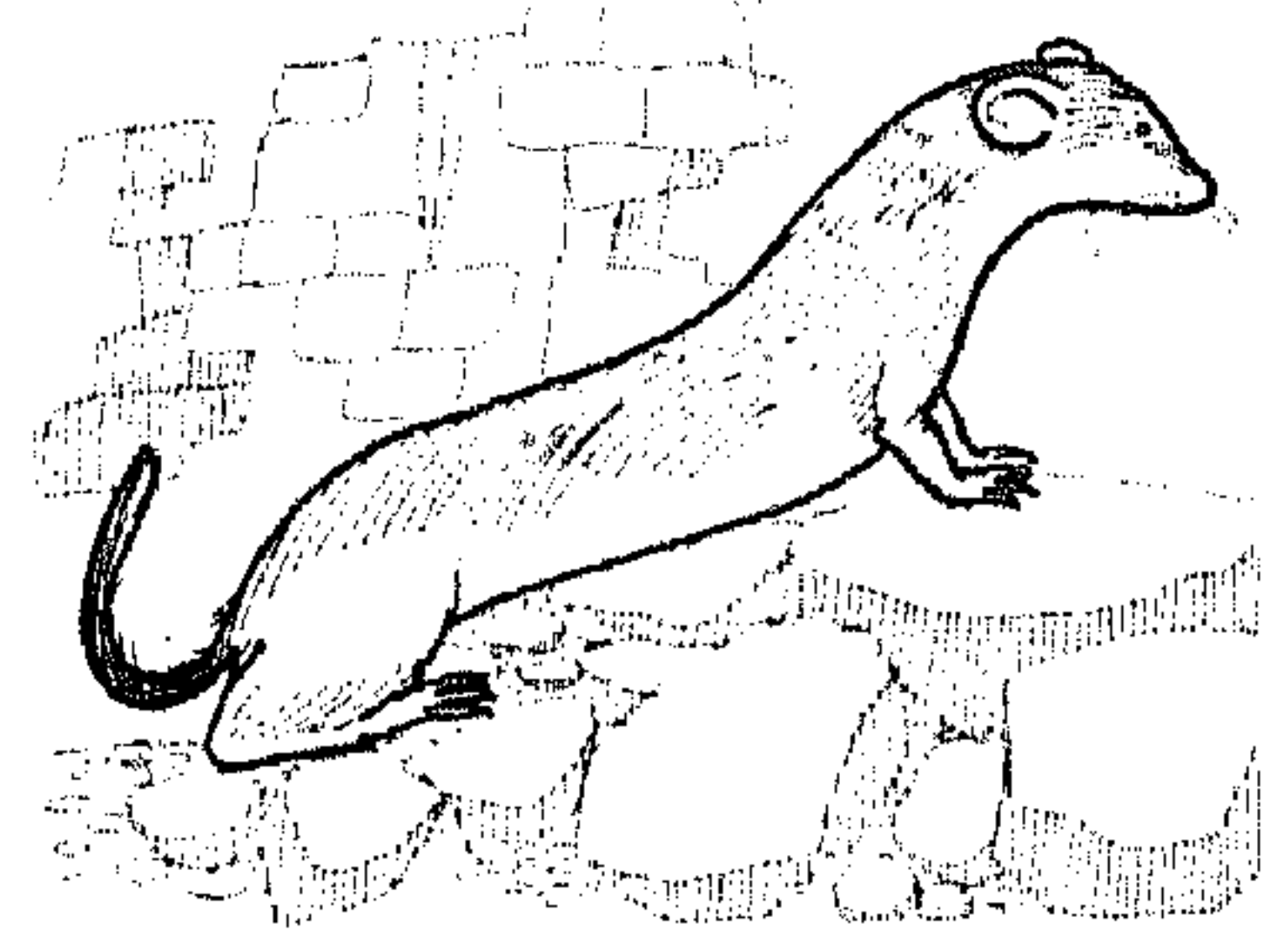
حيوان مسخ ، من مراكب الغيلان ، فهي تتناسل منها . تحيض ولا تسمن . وذكرها الخرز . ويقال : إن قضيبه من عظم على صورة قضيب الثعلب . ومن أعاجيبها أنها تنام مفتوحة العين ، وأنها تطأ على مؤخر قوائمها كي لا تعرف الكلاب آثارها . ويحكى أن العقاب إذا اصطادها ، يلعب بها ساعة ، فيخلي سبيلها ، ويتغافل عنها ، فإذا ظنت أنها نجت انقض عليها فأخذها .

البر

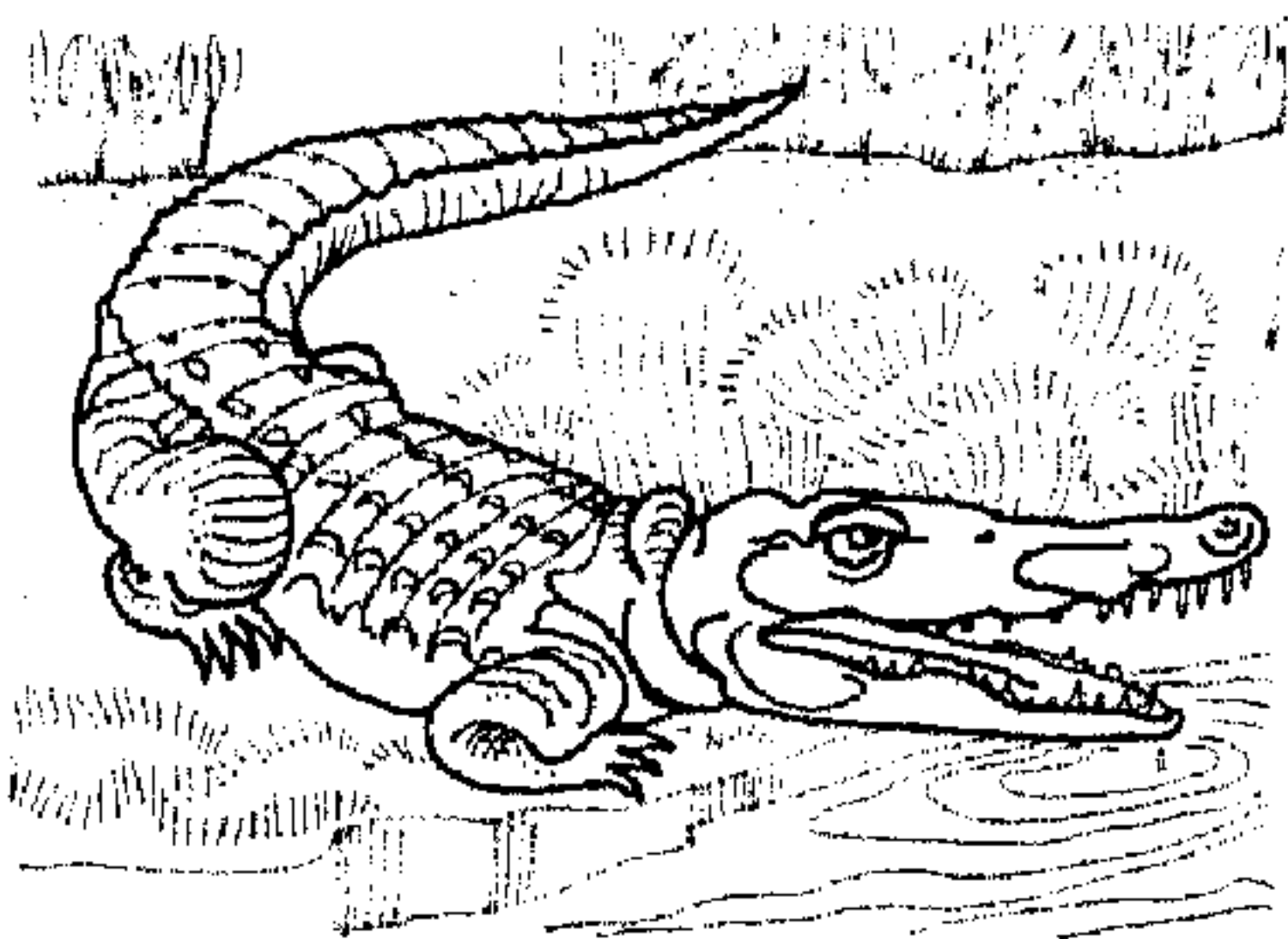


إذا دمي استكلب ، فخافه كل شيء كان يسالمه من كبار السباع . وهو يسالم الأسد ، والنمر يطالبه ، فإذا التقى الأسد النمر ، أعان البر الأسد . يأوي إلى ضفاف الأنهار المكسوة بالغاب الطويل أو إلى أحراش الخيزران الكثيفة ، كما أنه يسكن الخرائب . فائق السرعة ، لا يتعب إلا بعد وقت طويل ، وجهود مضنية . فهو في غزواته يقطع مسافات شاسعة في وقت قصير . ويحذق السباحة . ومعظم غذائه من الغزال ووحش البقر والخنزير البري ، كما يسطو على الحيوانات المنزلية . وعند الحاجة يأكل الزواحف والطيور .

السنور



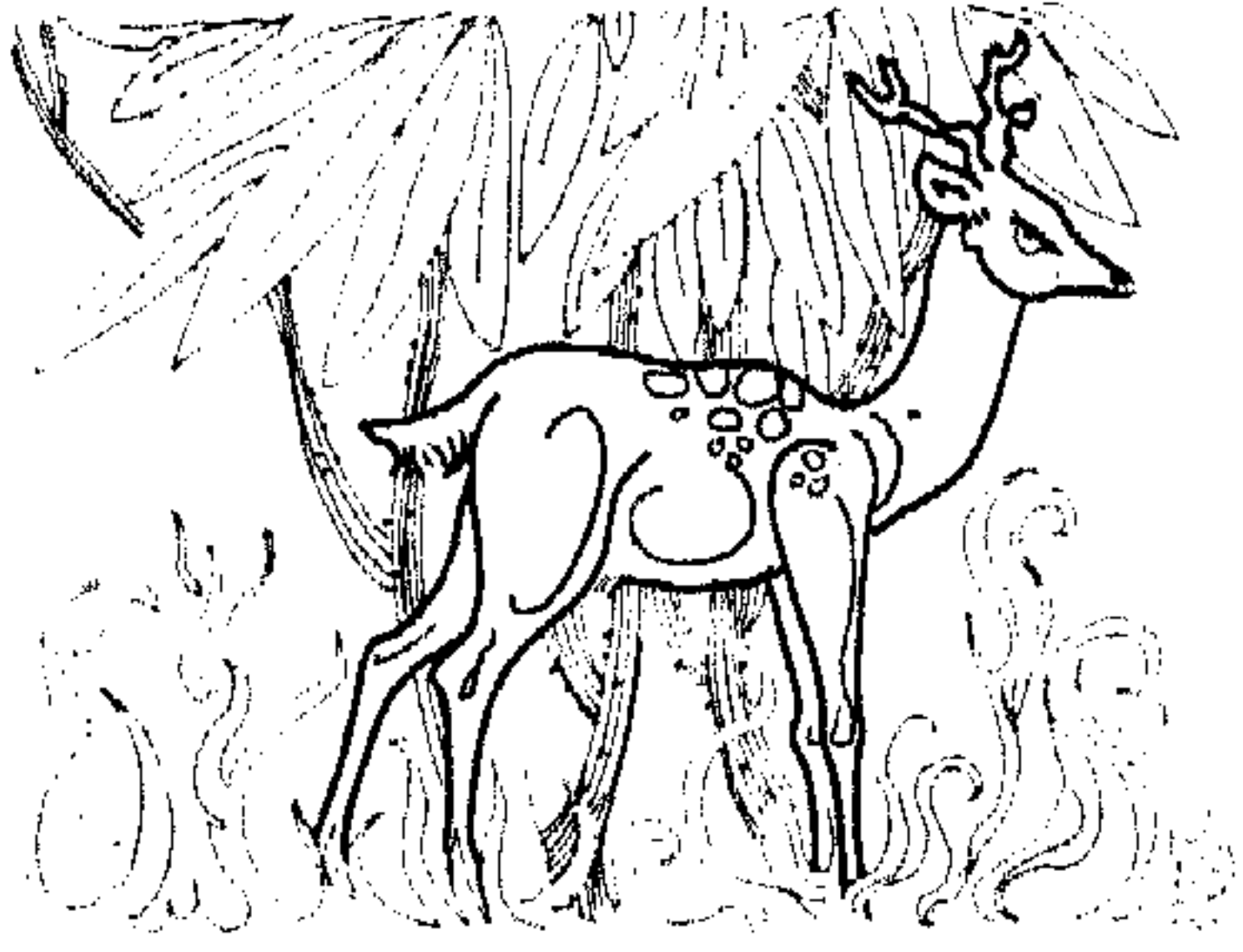
يألف المكان والإنسان . فهو أليف يرجع إلى صاحبه مهما غاب . لكنه لص لئيم ، فإذا رمى إليه صاحب المنزل ببعض الطعام ، يحتمله احتمال المريب ، حتى يولج فيه خلف شيء يخفيه ، ثم لا يأكله إلا وهو يلتفت يمينا وشمالاً ، وليس في الأرض خبثة إلا وهو يأكلها وإنات السنانير إذا هجن ، آذين بصياحهن الناس ليلاً نهاراً . ومن السنانير ما يأكل أولاده . اشتهر بعداوتة للجرذان ، وبعضها يعجزه .



التمساح

مشهور بالحيرة وتقلب الهوى ، فهو لا يظهر على الأرض حتى يرجع إلى الماء ، ولا يغطس في الماء حتى يعود إلى الأرض . وحشي لا يفر فريسة .

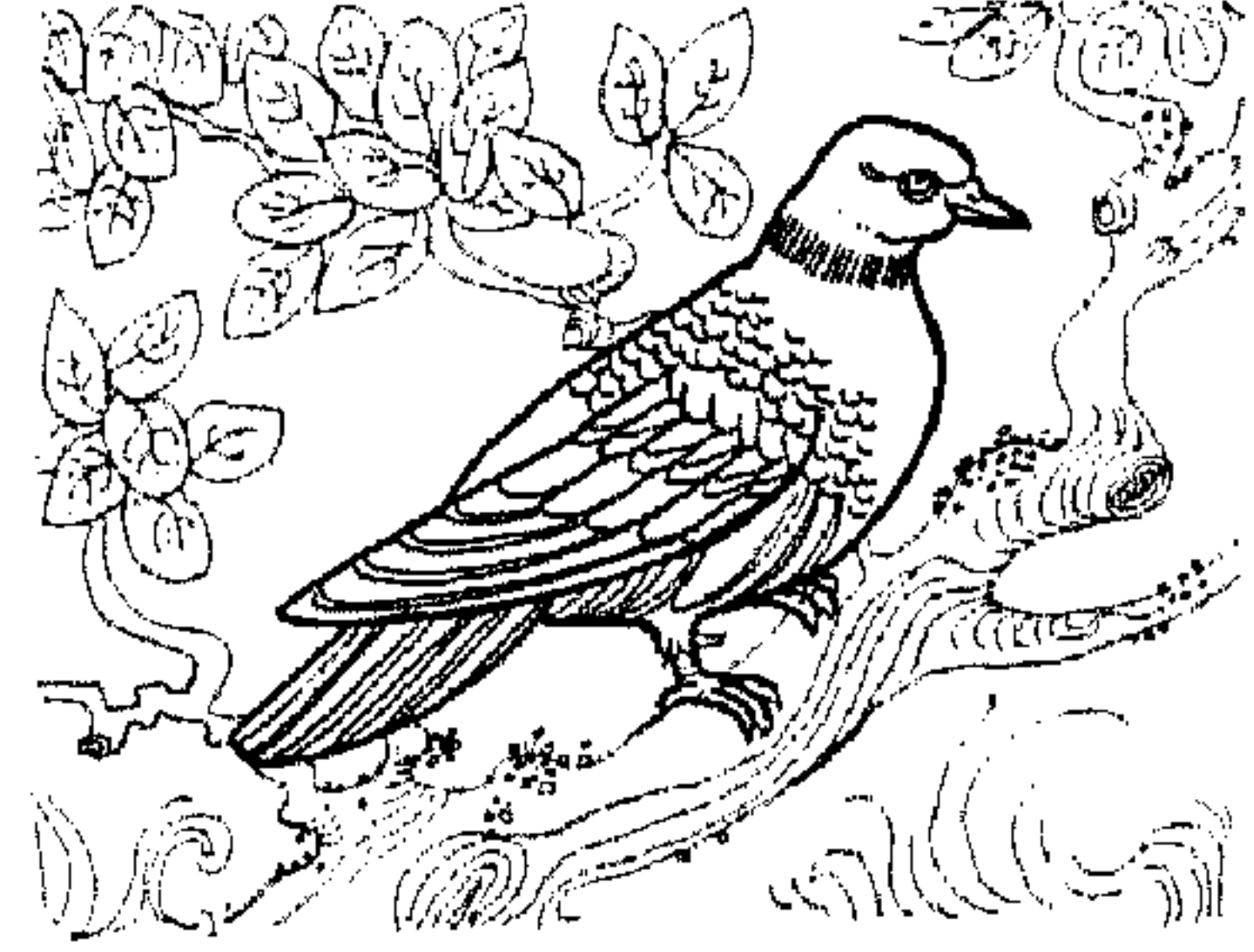
الفَزَال



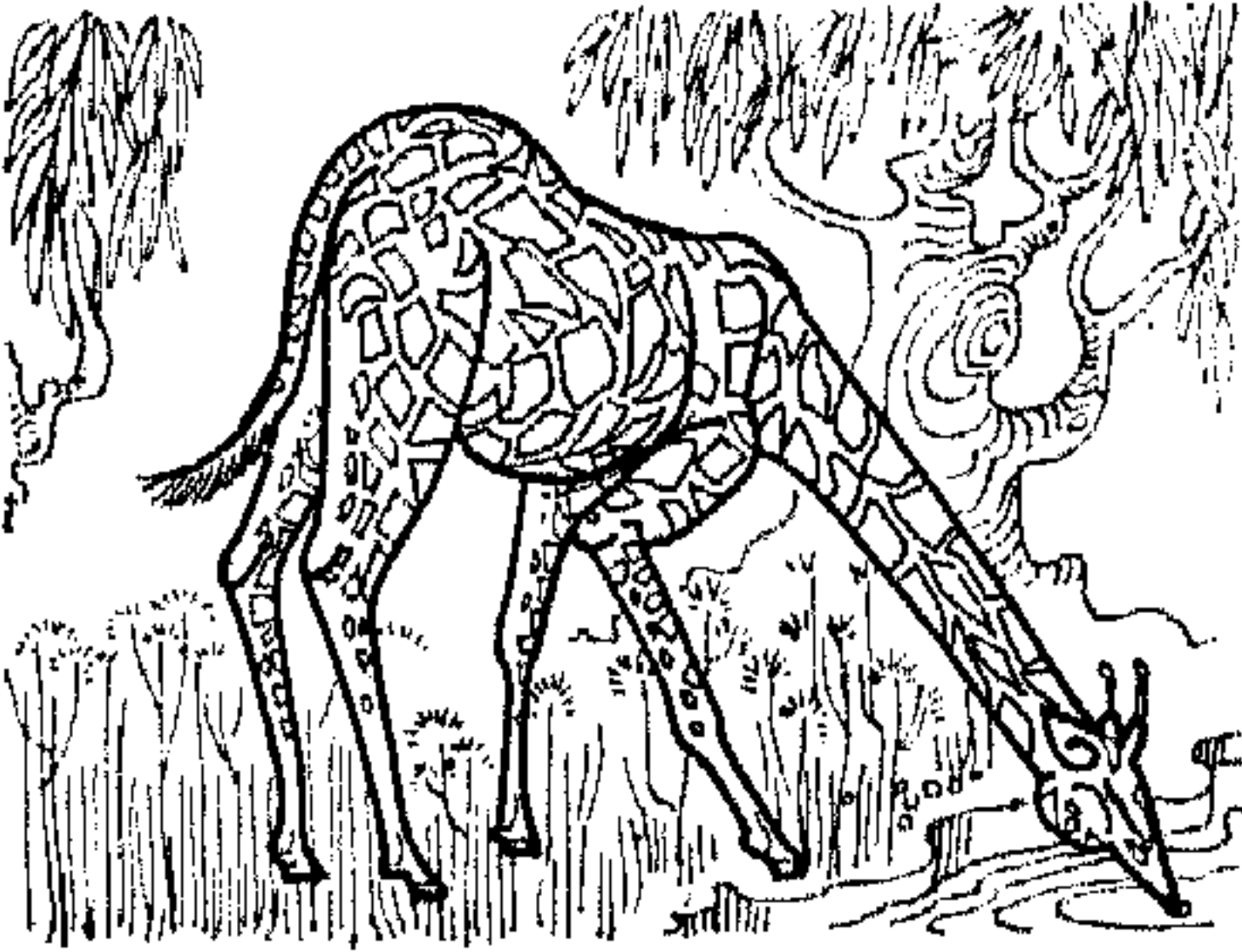
من أطف حيوان البر وأرشقها ، نباتي ، شديد الفزع ، سريع الركض ، لا يكاد يظهر في مكان ، يتزاوج سراً . ويقال انه يحلم ، وان الله جعله زينة لحيوانات الجنة . أليف ، ربما يعقد صداقات مع غيره من الحيوانات . والهند تحكي عنه أساطير عجيبة . ويقولون إن أصله رجل أحب السفر والترحال فسخه الله إلى ظبي .

الحَمَامَةُ المَطْوُوقَةُ

تدافع عن نفسها بجناحها ، فقوادمها أصابعها ، وجناحها يدها ، ورجلها القدم . وتفرد بين الحيوان بالتقيل . شديدة البر لبيضا وفراخها ونوعها . يعاون ذكرها الأنثى ، ويألف مكانه ويشتاق إليه . والمطوقة تطير في جماعة . وتخاف البازي والشاهين والصقر والعقاب . تتزاوج بطريقة لطيفة : يطير الذكر ويختار مكان العش ، ثم ينادي الأنثى التي تتقدم نحوه بدلال ، وهي تجر ذيلها على الأرض . ثم يتناجيان بطريقة جميلة ، ويتزاوجان .



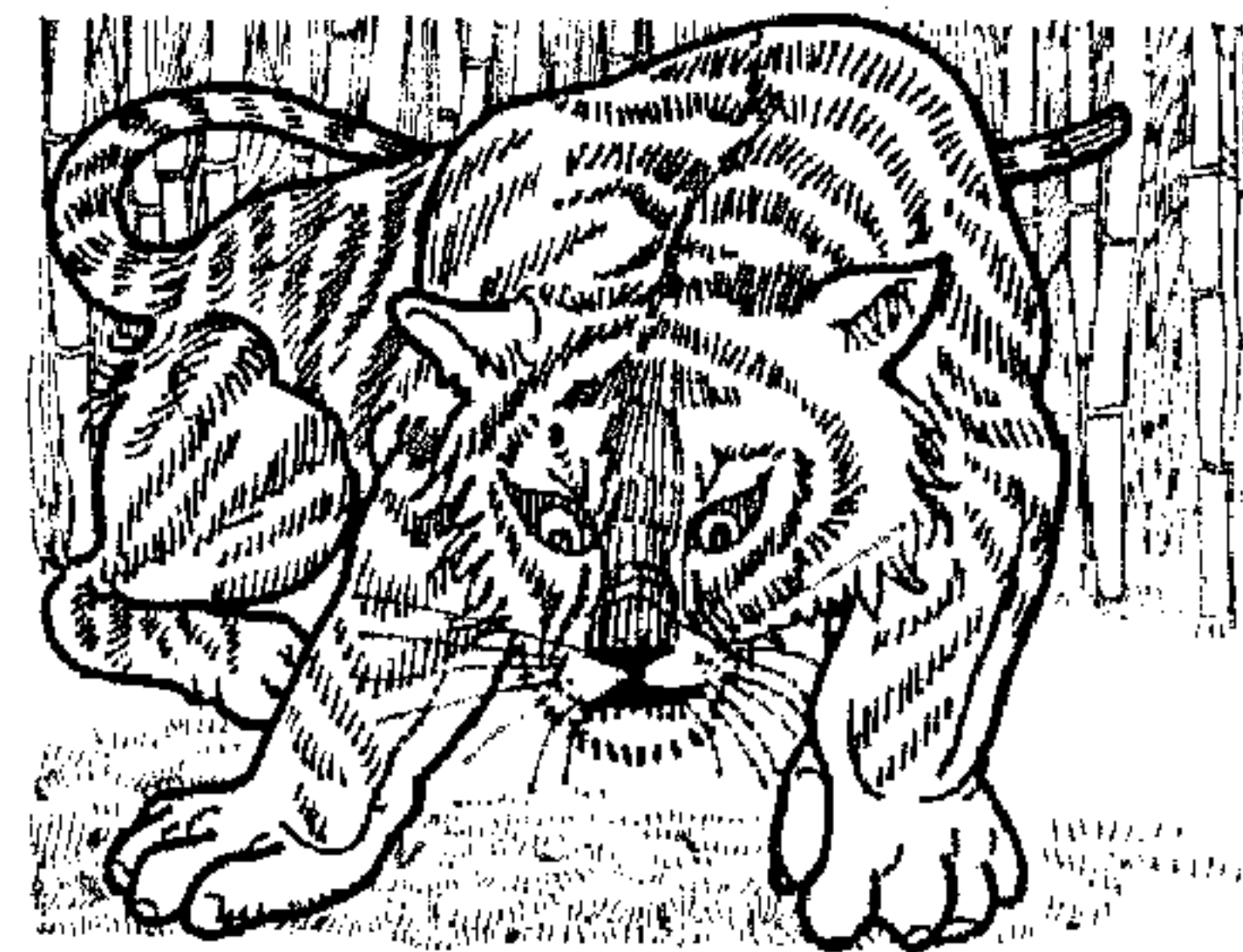
الزَرَافَةُ



حسنة الخلق ، ومن طبعها التودد والتأنس . ويقال انها متولدة من ثلاثة حيوانات بين الناقة الوفية والبقرة الوحشية والضبعان ، فيقع الضبعان على الناقة فتأتي بولد بين الناقة والضبع ، فان كان الولد ذكراً وقع على البقرة فتأتي بالزرافة . مشهورة برقبها الطويلة جداً ، وبلون جلدها الجميل وبطريقة مشيتها الغريبة . لها لسان مدبب طويل تلفه حول أوراق الشجر فتترعها .

النَمْر

مخادع محتال . ولوع بالفتك ، وسفك الدماء . ومع ذلك فهو حذر وجل . من أشد الضواري خطراً على الحيوانات والانسان ، إذ فيه كل الصفات التي تجعله لصاً حاذقاً ، وقنصاً بشرياً . والهند تقول ان النمر يسكون بالجن ، وانه يستطيع أن يخفي عن العين ، ويظهر من خلف الانسان . ومع ذلك فهو شجاع لا يهاجم فريسته على بغتة منها .



الليبوة



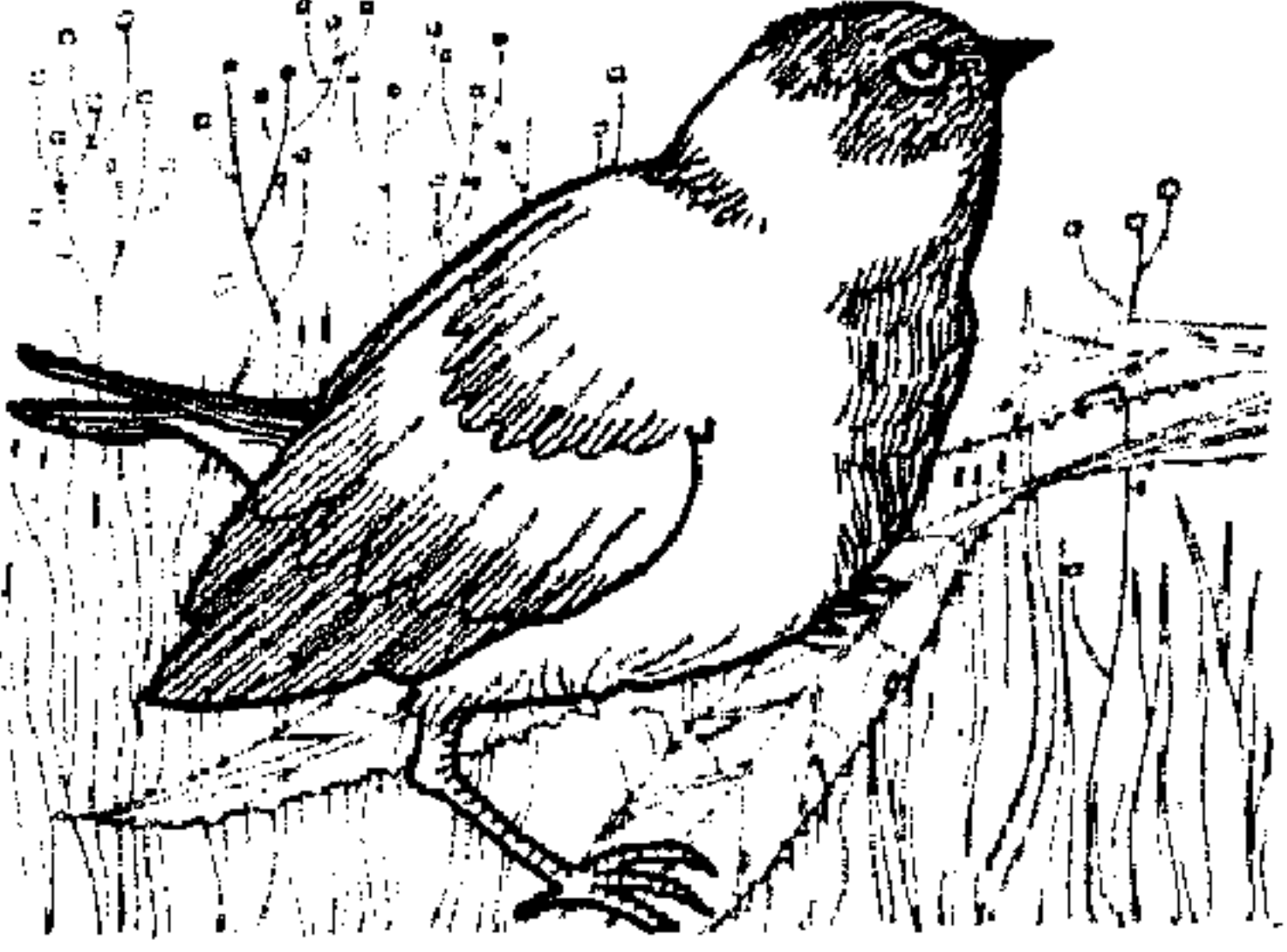
تشبه الأسد ، لكنها أشد عراماً منه ، إذا طلبت الإنسان لتأكله . سيئة الخلق ، لا تصبر على جوع ، ويقال ان في الهند بعضاً منها يعيش على الثمار . عنقها من عظم واحد . وعيونها حمر تسرج بالليل . ومع أنها مخوفة من السباع كافة إلا أن ابن آوى كثيراً ما يكرمها . تأكل الجيفة وتبدأ بفريستها فتشرب دمها ثم تنقر بطنها وتأكل ما فيها . وهي تهضم العظم .

البُوم

يقال لها غراب الليل . وهي تدخل على كل طائر في وكره وتخرجه منه ، وتأكل فراخه وبيضه . لا يحتملها شيء من الطير . فإذا رآها الطير بالنهار قتلها ، ونقن ريشها ، للعداوة التي بينهن وبينها ، ومن أجل ذلك يجعلها الصيادون تحت شباكهم ليقع لهم الطير . وكل البوم تحب الخلوة بأنفسها والتفرد . وفي أصل طبعها عداوة الغربان . سلاحها الأسنان ، وهي ردية النظر في النهار .



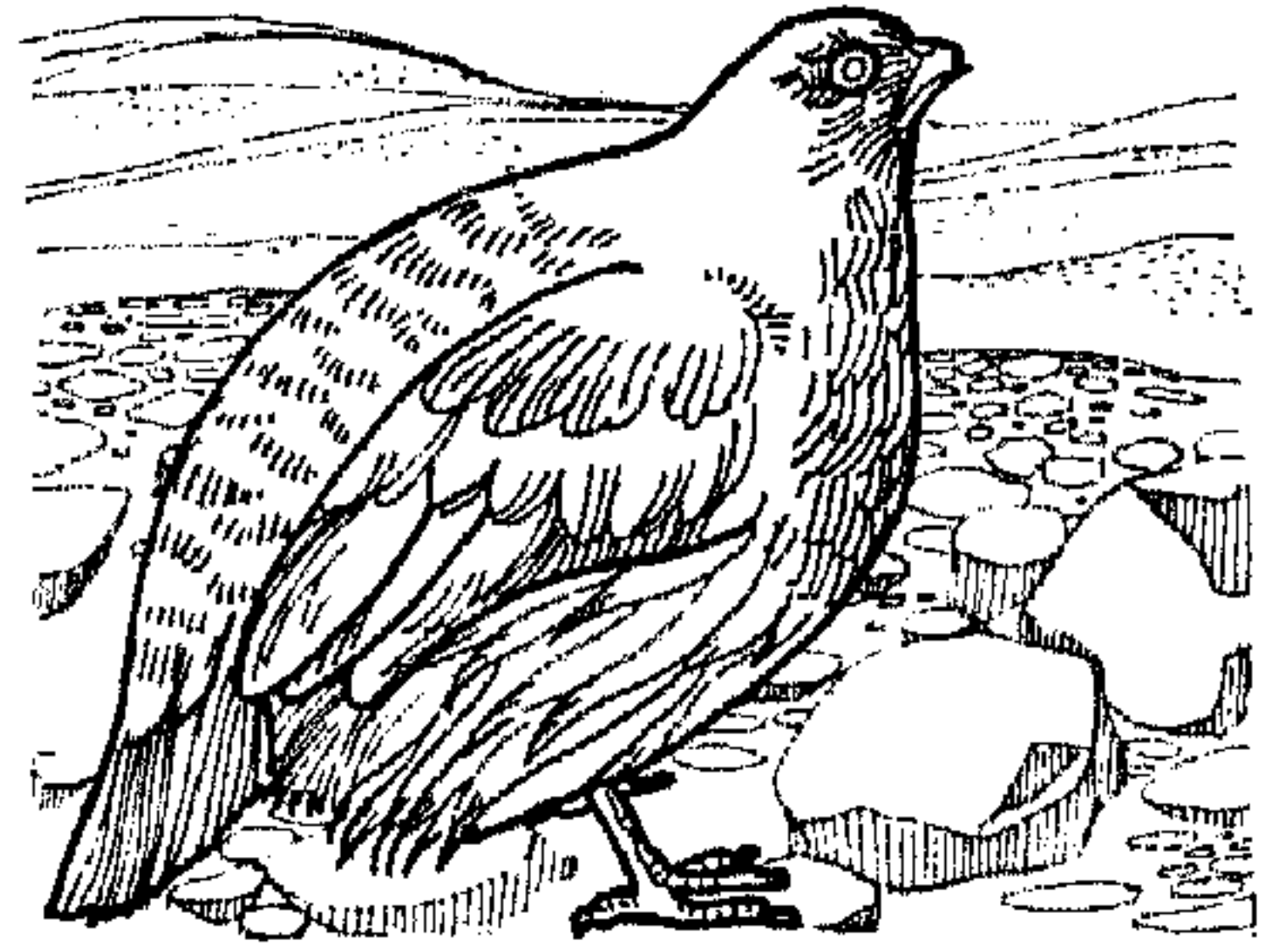
القُبرة



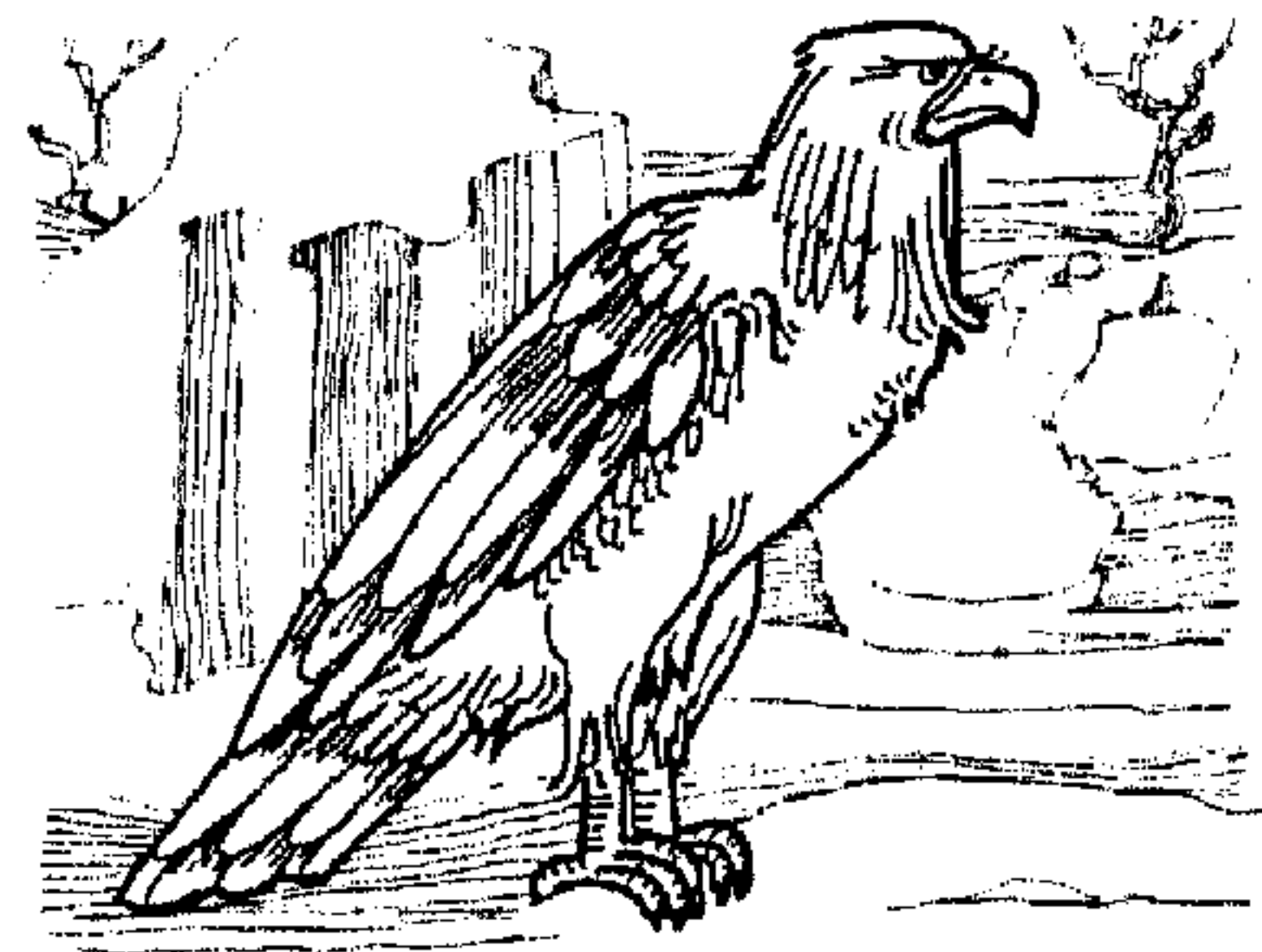
طائر أليف يشبه البليل . صديق الصباح ، إذ لا يفرّد إلا مؤذناً بانبلاج الضوء . يتخذة العشاق منذراً لهم من غفلة العشق ، فهم يحبونه ويكرهونه . والقنبر يسافد البليل والحجلة ويخاف البوم والغربان ويتغذى من ثمرة غريبة لا يعرفها إلا هو ، فإذا ما أهداها إلى الإنسان أسزعت في نمائه وشبابه . وهو شديد الحذر لا يثق بالوعود ولا يأمن من الإنسان .

الحجلة

تبيض من سماع صوت الذكر ، أو برريح تهب من قبله . وإذا باضت ، ميز الذكر الذكور منها فحضنها ، وهي تحضن الاناث . ومن طبعه أن الذكر شديد الغيرة على الأنثى ، فلذلك إذا اجتمع ذكران اقتتلا على الأنثى ، فأيهما غلب ، ذل الآخر وتبعث الأنثى الغالب منهما .



الحدأة



من أخس الطير ، وهي لا تصيد ، وإنما تحطف . ومن طبعها أنها تقف في الطيران وهي من أحسن الطير مجاورة ، فإنها لو ماتت جوعاً لا تعدو على فراخ جيرانها . طرشاء ، وعسراء لا تحطف إلا من شمال الإنسان . وتكون سنة ذكراً ، وسنة أنثى . والسبب في صياحها عند سفادها أن زوجها قد جحد ولدهامنه ، فاشتكت ذلك لسليمان الملك ، فاستيقن منها ، ونصح لها أن لا تمكنه من نفسها حتى تشهد عليه الطير ، لئلا يجحد بعدها . فصارت إذا سفدها ، صاحت : يا أيها الطير اشهدوا .

الببغاء

أكبر أنواع الجن ثرثرة وغباء ، وقد حكم عليه ملكهم بالنفي والمسح ، ومع ذلك يظهرون أحياناً على شكله ، ويوحون إلى الناس بلسانه . وهو طائر أليف بيتي ، يتخذة الناس تسلية في بيوتهم . شديد التقليد .



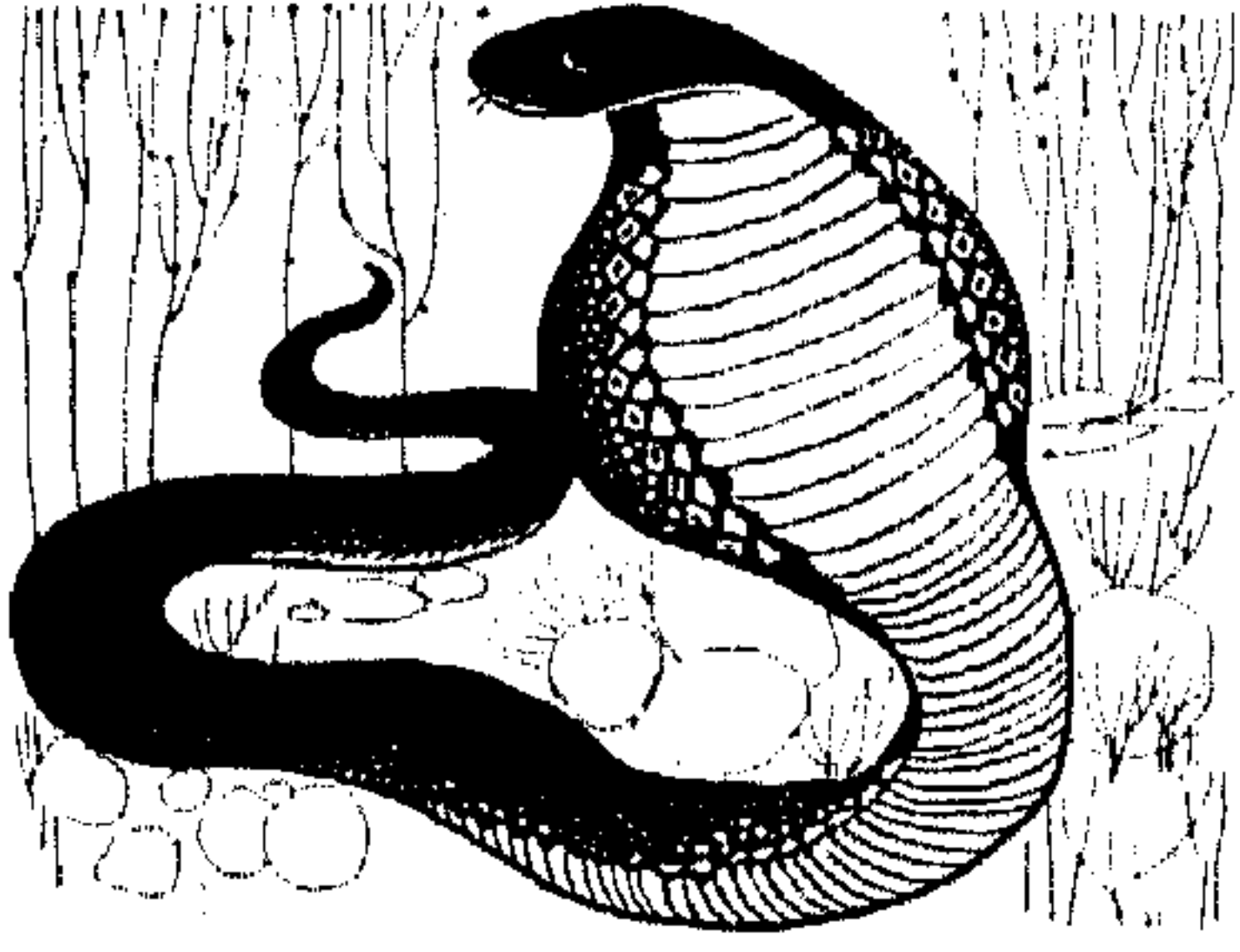
النعام



نتاج ما بين الإبل والطيور . وهي من الحيوانات العجيب . ويقال انها ليست من الطير ، ويزعمون أنها صماء ، وليس لآذانها حجم ، إذ يقال أنها ذهبت تطلب قرنين ، فرجعت مقطوعة الأذنين ، لأنها تجمع سوء الفهم والنفار والشرور كلها . يخاف الذئب منها إذا تعاون عليه الذكر والأنثى . فإنهما متى ناهضاه ركضه الذكر فرماه إلى الأنثى ، وأعجلته الأنثى فركضته ركضة تلقيه إلى الذكر ، فلا يزالان كذلك حتى يقتلاه ، أو يعجزهما هرباً

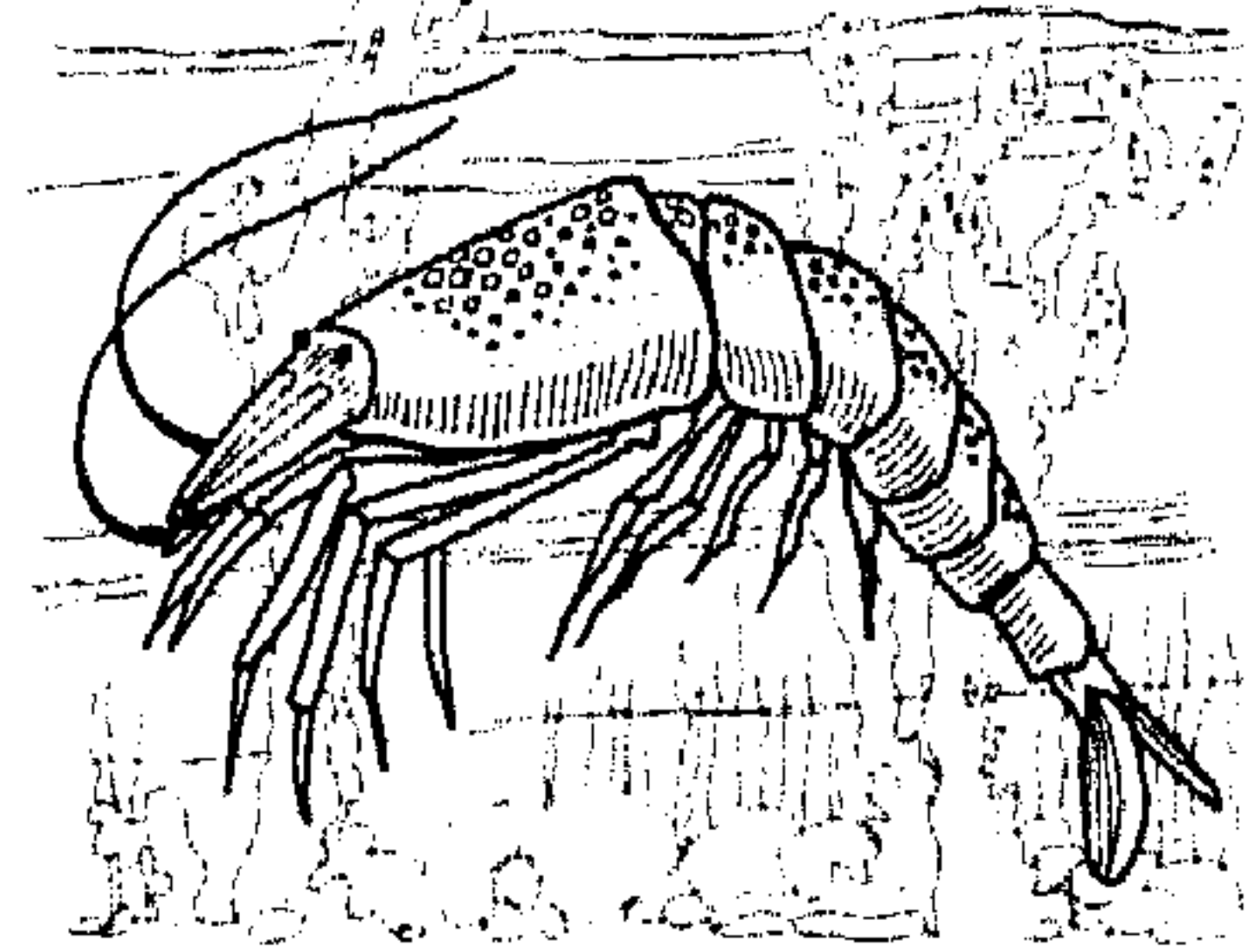
ليس بين الحيوانات أشم منها . ويقال إنها تلتهم الجمر ، وتلتقم الحجارة . وهي تعرف صورة إشارة الرتلان وإرادتها ، فتعقل ذلك وتجاوبها بما تعقل عنها من الإشارة والحركة .

الأسود



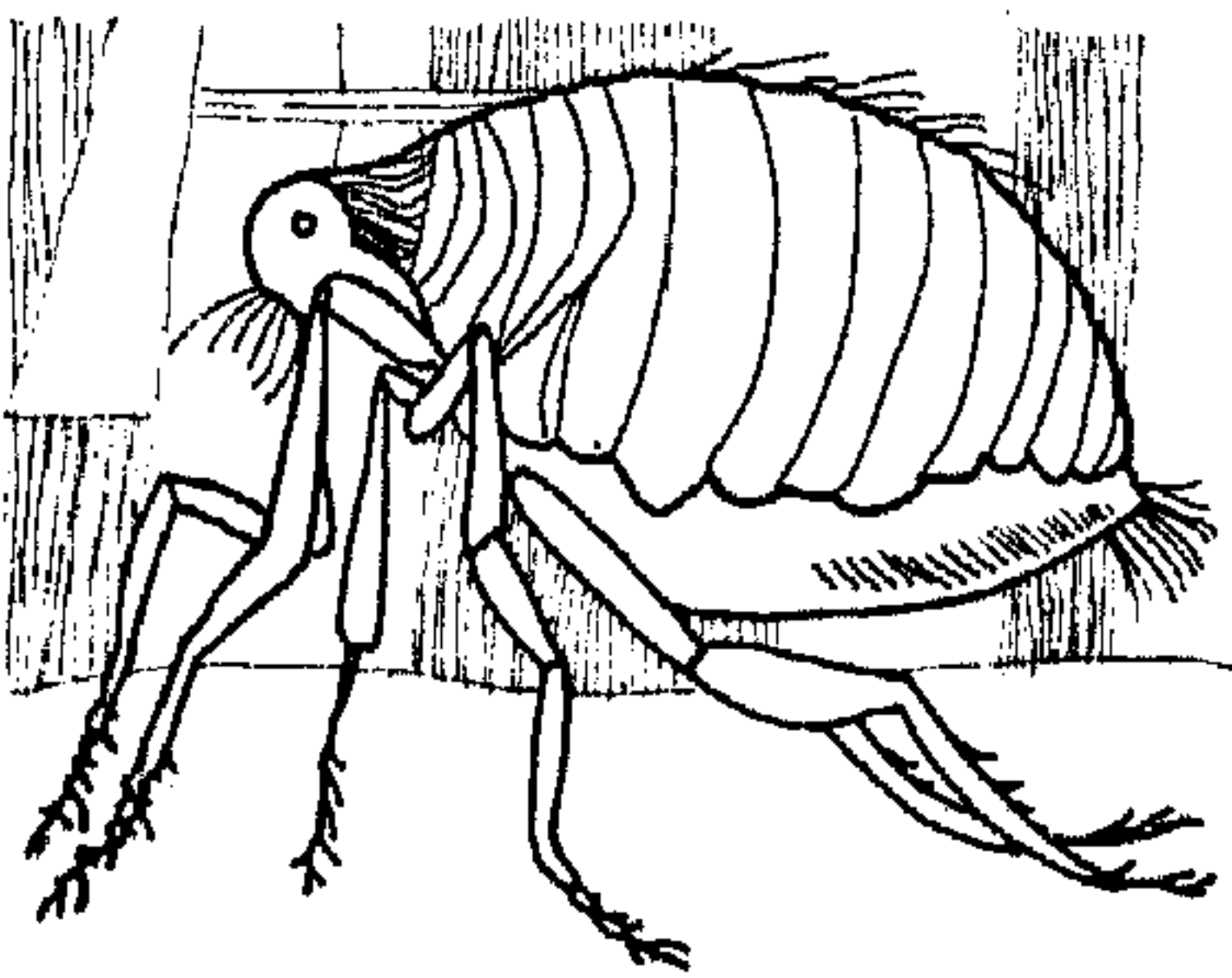
من طباعه أنه يحقد ويطلب ، ويكمن في المتاع حتى يدرك بطائلته ، وله زمان يقتل فيه كل شيء . وله عينان يقتلها القناص لكرامتهما وندرتهما ولأنهما تتحجران بعد موته . وهو يطلب الضفادع ويحتال لأكلها ، كما يطلب فراخ الطير .

السرطان



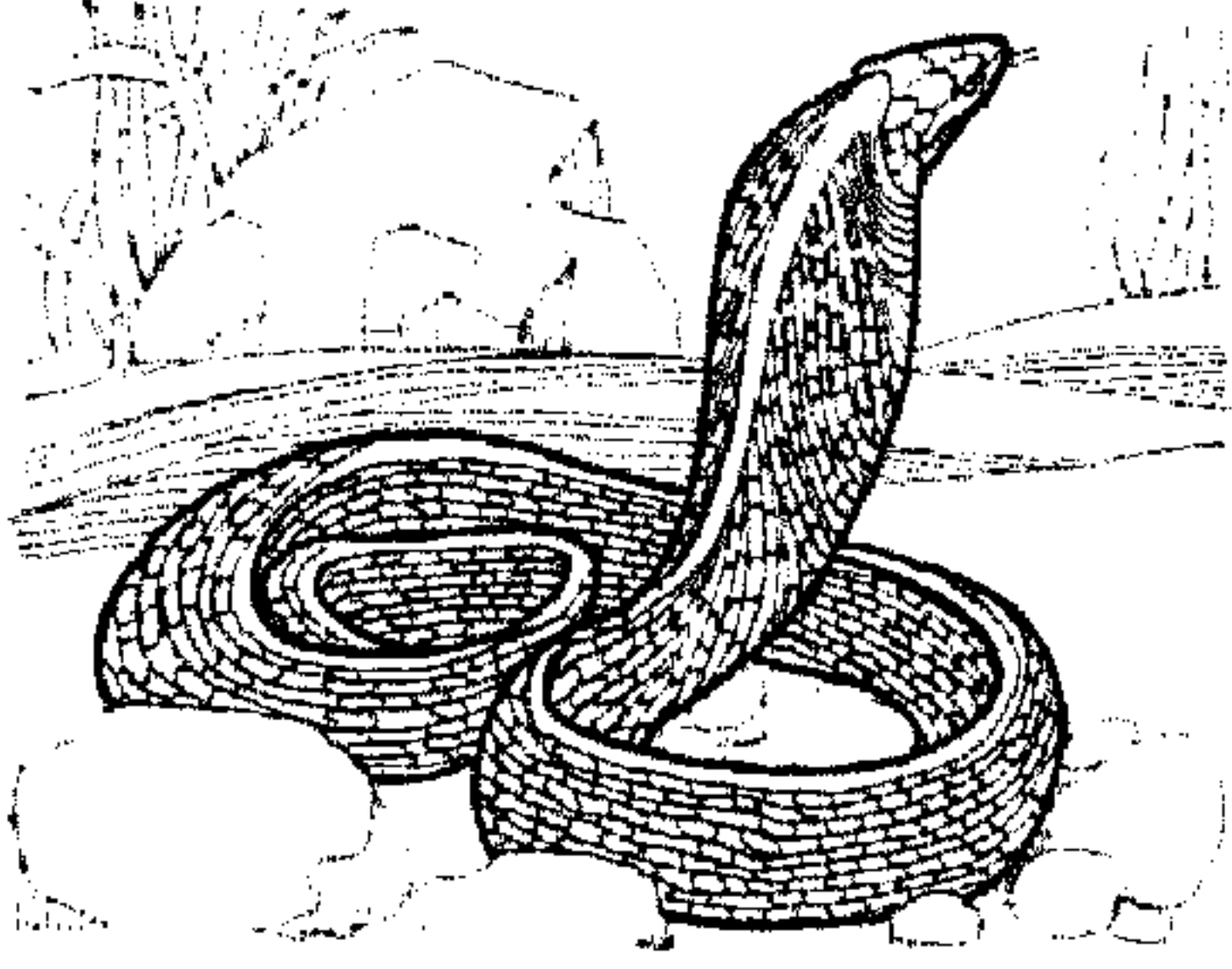
ليس من السمك . له قوائم كثيرة ، وأرجله عديدة . عيناه في ظهره ، ويستعين إذا مشى بأسنانه . يظهر على شطوط المياه ، وكثيراً ما تتعارك فيما بينها فتفقد بعضاً من سيقانها ، ولكنها سرعان ما تستبدل أخرى بها . يخصب في الربيع ، وحين تخرج صفاره تتعلق بأرجل أمها إلى أن يتم كمالها الحقيقي .

البرغوث



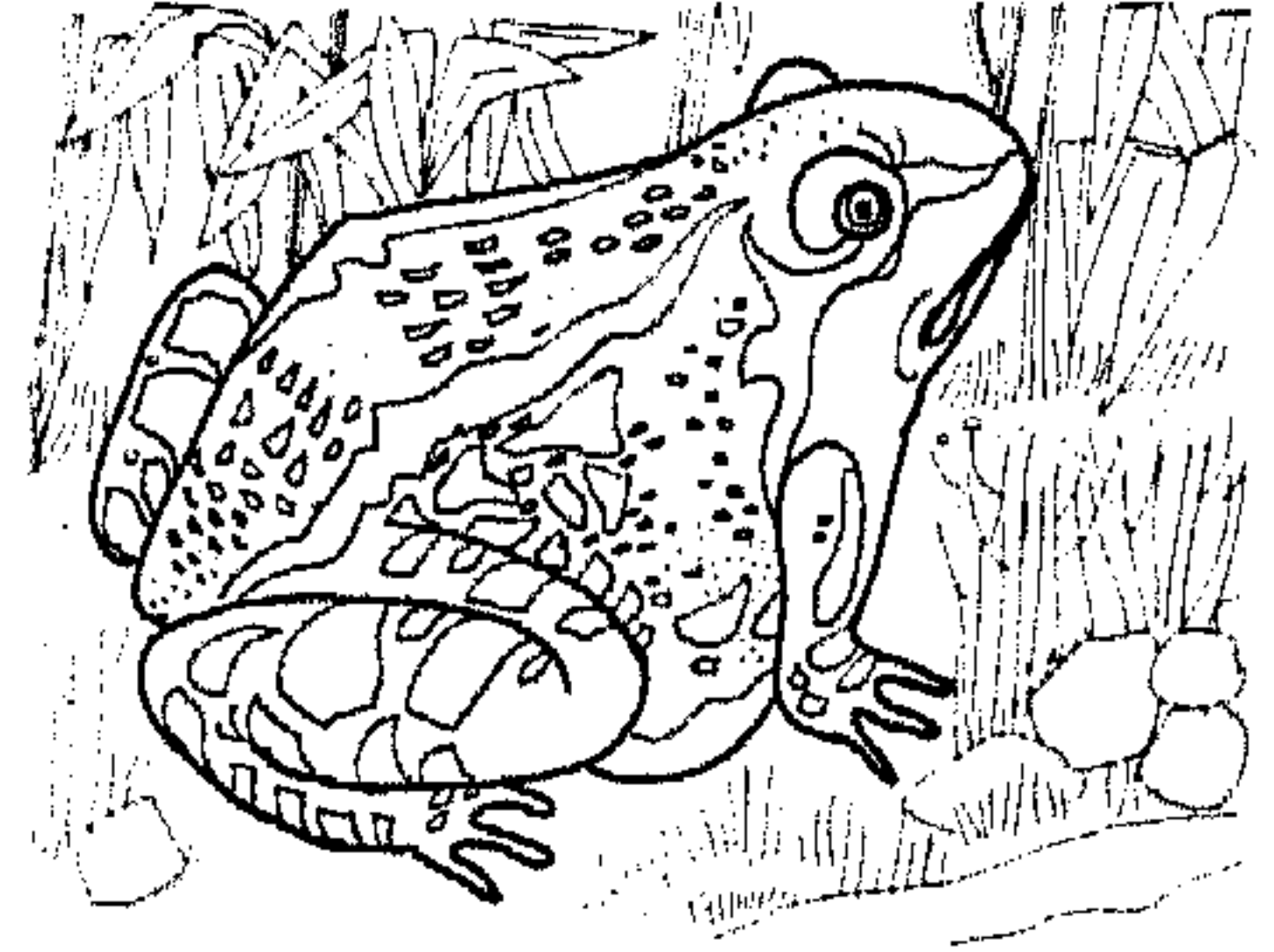
من الحيوانات الذي له الوثب الشديد . ومن طبيعته أنه يشب إلى ورائه ليرى من يصيده . وهو أحذب على صورة القمل ، له أنياب يعض بها وخرطوم يمص به . ومنها البراغيث البحرية . وللبراغيث عداوة مع القمل ، وحيناً يتصادقان فترة يغدر أحدهما بصديقه .

الأفعى



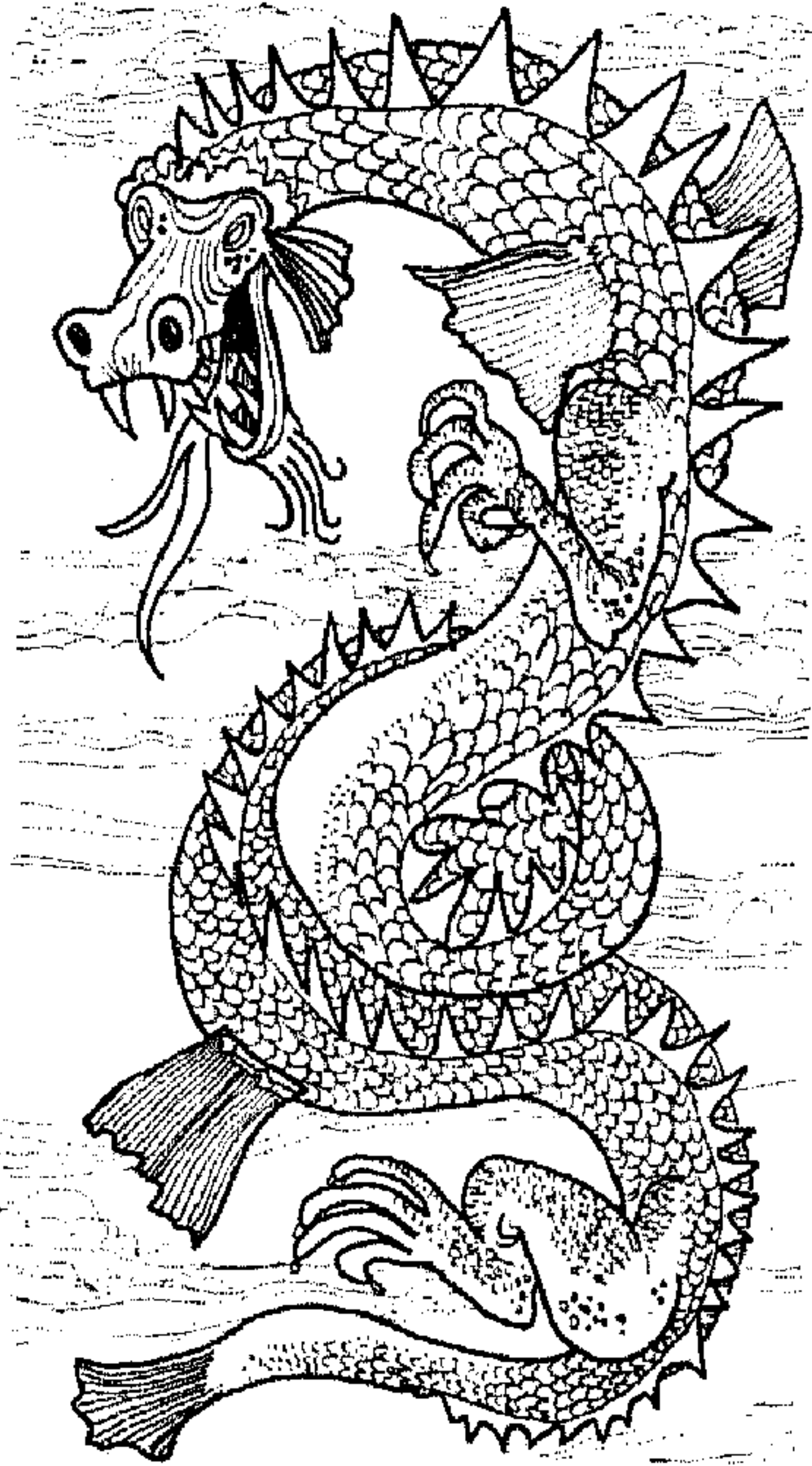
أطول عمراً من النسر فهي لا تموت حتف أنفها ، وإنما تموت بالأمر يعرض لها .
ومنهم من يقول ان فيها شياطين ومسحاً ، وان ابليس إنما وسوس إلى آدم وإلى حواء من
جوفها . إذا قطع ذنبها نبت ثانية وتعيش في الماء إن صارت فيه بعد أن كانت يرّية .
كذلك يقال ان الفزع منها يسرع في سريان سمها في جسد اللديغ . وهي وحشية لا تألف
الإنسان . تبلع بدون مضغ ، وتهضم العظام ، وتصبر على فقد الطعام ، وإذا هرمت
صغرت في بدنها ، وأقنعها النسيم ، ولم تشته الطعم .

الضفدع



لا يصبح حتى يدخل حنكه الأسفل في الماء . ولذلك لا تسمع من الضفادع نقيقاً
إذا كن خارجات من الماء . والضفدع حيوان يعيش في الماء ، ويبيض في الشط ، ويتق ،
فاذا أبصرت النار أمسكت . وهي من الخلق الذي لا عظام له . والحيات تأتي منافع
الماء تطلب الضفادع ، لأن صيدها من أسهل الصيد عليها . وذكرها لا تسكت عن
النقيق في فترة اللقاح .

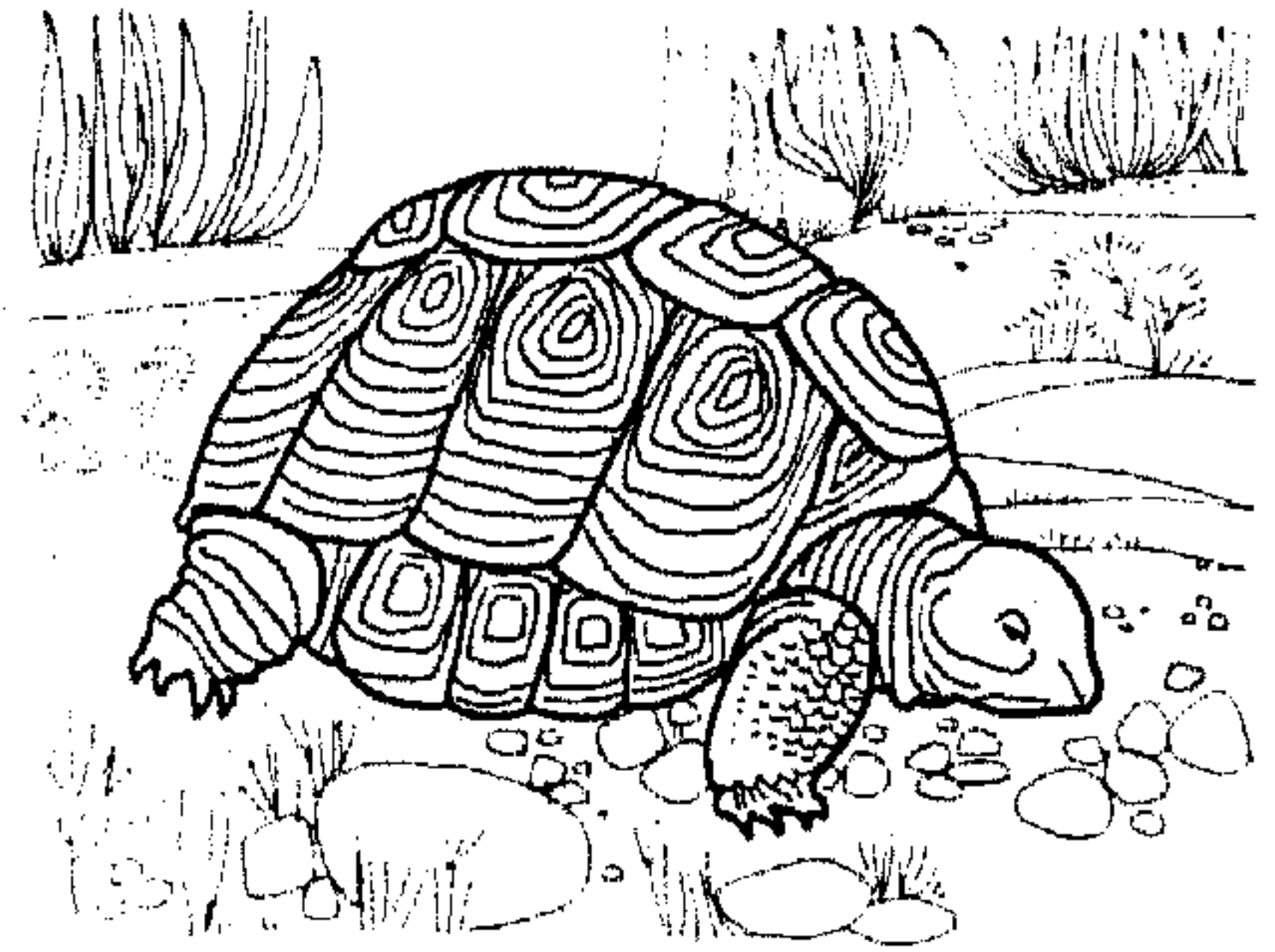
التنين



ضرب من الحيات ، كبير جداً . وهو أيضاً نوع من السمك . في فمه أنياب مثل
أسنة الرماح . طويل كالنخلة السحوق أحمر العينين مثل الدم ، واسع الفم والجوف ،
براق العينين يبتلع كثيراً من الحيوان ، فيخافه حيوان البر والبحر . إذا تحرك يموج
البحر لشدة قوته . لا يعرف كيف يتوالد ، لكنه يقال إنه يضاجع الجن في الأماكن
الخالية ، فيسمع حينذاك عريف تزلزل له الأرض . كذلك يقال انه يعيش في أجواف
البراكين ، وإنه حين يتشاءب يقذف بالحمم . وقد كان أهل الهند القدماء يتشاءمون من
التنين إذا رآه أحدهم في منامه ، وأنهم كانوا يخرجون جماعات في طلبه بين بطون
الوديان وفي مناطق الزلازل والبراكين . وكانوا إذا رأوه يحتالون عليه بقرع الطبول
ونفخ المزامير ، لأنه إذا سمع أصواتها أصابه النعاس لزم من طويل يكفي لترع مخالبه وأسنانه
ولهاته التي تقذف النار .

السِّلْحَفَاءُ

يقال لذكرها غيلم . تبيض في البر ، فما نزل من بيضها في البحر كان لجأة ، وما استمر
في البر كان سلحفاة . وإذا أراد الذكر السفاد ، والأنثى لا تطيعه ، يأتي الذكر بحشيشة
في فيه ، من خاصيتها أن صاحبها يكون مقبولاً ، فعند ذلك تطارعه .
ربما تقبض السلحفاة على ذنب الحية ، فتقطع رأسها وتمضغ من ذنبها . والحية تضرب
بنفسها على ظهر السلحفاة ، وعلى الأرض حتى تموت .
ولذكرها ذكران ، وللأنثى خرجان .



العنقاء

طير غريب . يبيض بيضاً كالجبال ، ويعد في طيرانه . وسميت بذلك لأنه كان في عنقها بياض كالطوق . وقيل هو طائر يكون عند مغرب . تخطف القليل .

كانت في قديم الزمان بين الناس فتأذوا منها ، إلى أن سلبت يوماً عروساً بحليها . فدعا عليها حنظلة النبي ، فذهب الله بها إلى بعض جزائر البحر المحيط ، وراء خط الاستواء . وهي جزيرة لا يصل إليها الناس .

عند طيران العنقاء يسمع لأجنحتها دوي كدوي الرعد القاصف . وتعيش ألفي سنة ، وتتراوح إذا مضى لها خمسمائة سنة . فإذا كان وقت بياضها يظهر بها ألم شديد .

أما الذين يطلبون صيدها ، فيوقفون ثورين ، ويجعلون بينهما عجلة ، ويثقلونها بالحجارة العظيمة ، ويجعلون بين يدي العجلة بيتاً يختبئ فيه رجل معه نار . فتتزل العنقاء على الثورين لتخطفهما . فإذا نشبت أظفارها في الثورين أو أحدهما لم تقدر على اقتلاعهما ، لما عليهما من الحجارة الثقيلة ، ولم تقدر على الطيران . فيخرج الرجل بالنار فيحرق أجنحتها .



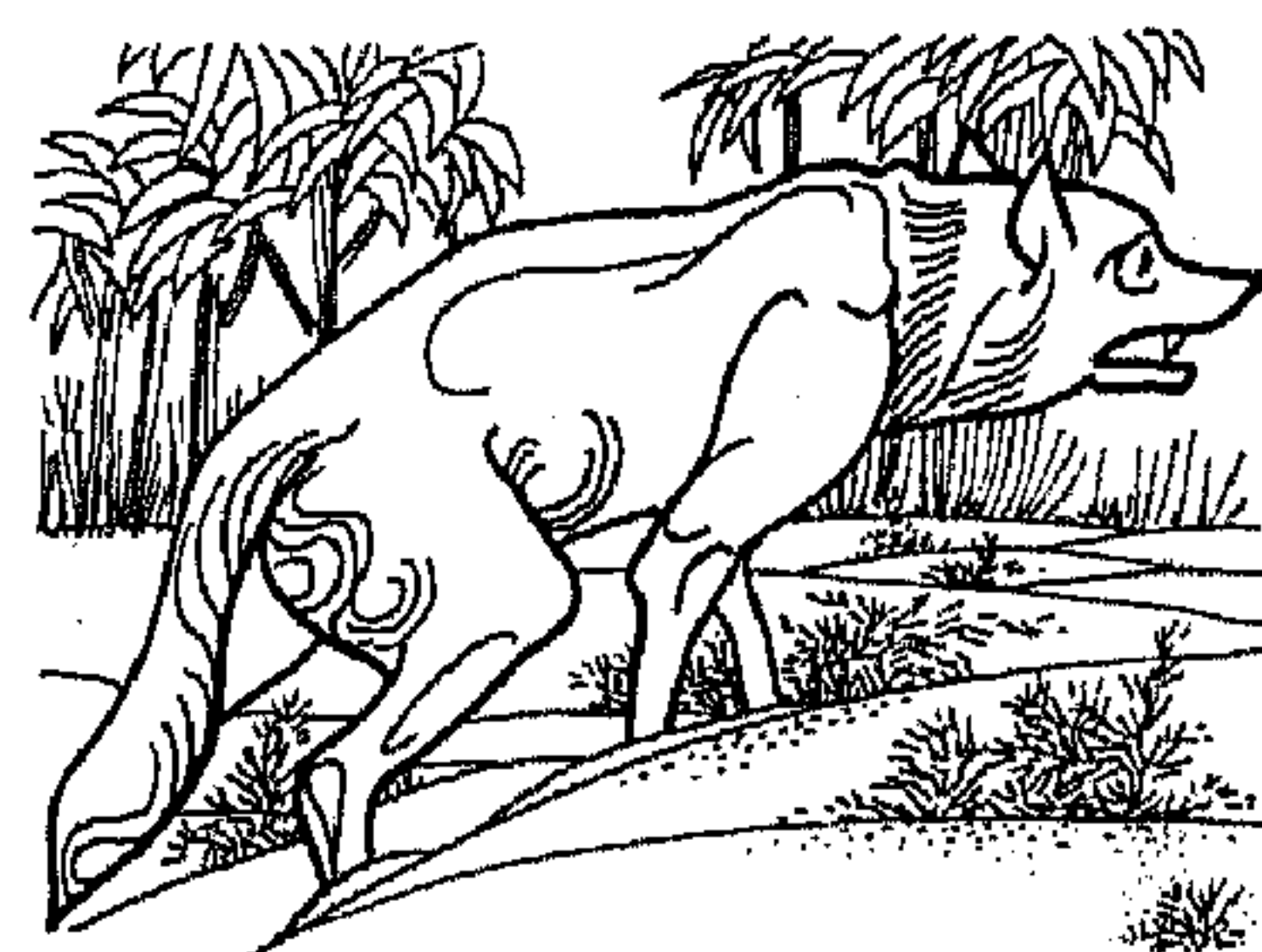
ابن آوى



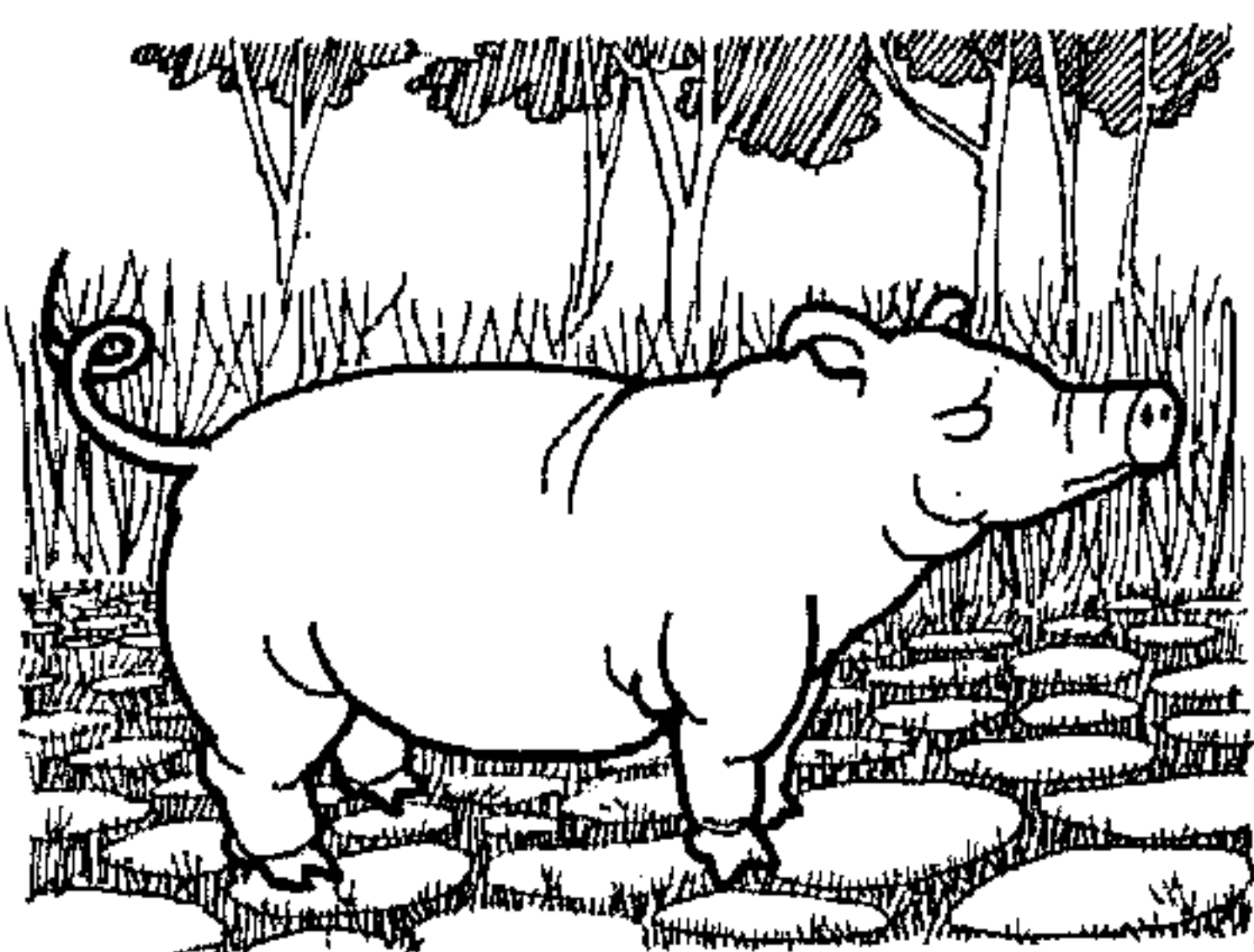
يلاقح الضباع والكلاب والذئاب . ويوصف بقبح الصوت . ويقال إن له صباحاً يشبه صباح الصبيان . وهو لا ينزل القفار وإنما يكون حيث يكون الريف . مشتهر بالخبث ، والحيلة والمكر . وقد تتجمع منه في فصول الأمطار أسراب كبيرة ثائرة جائعة تهاجم قطعان الماشية ، وتشبع الفزع بين الرعاة ، وتتلغ وتدمر أكثر مما تأكل ، كما تنقض صاحبة على الجيف فتمزقها وتأكلها .

الذئب

ينام وإحدى مقلتيه مفتوحة ، فهو من أكثر الحيوان حذراً ومكراً . يشتهي الإنسان المدمى ، ويشب على الذئب الجريح . كما لا يطيل الإقامة في مكان واحد . يخرج إلى الصيد فيتجول خلال الغابات والمزارع ويسطو على القرى والحظائر ، ومتى طلع الفجر لجأ إلى أقرب غابة يختبئ فيها . والذئاب لا تجتمع على قطيع واحد ، ولا تأمن بعضها . سلاحها في شدقها ، ولها صوت قبيح . تسافد الكلبة والضبع .

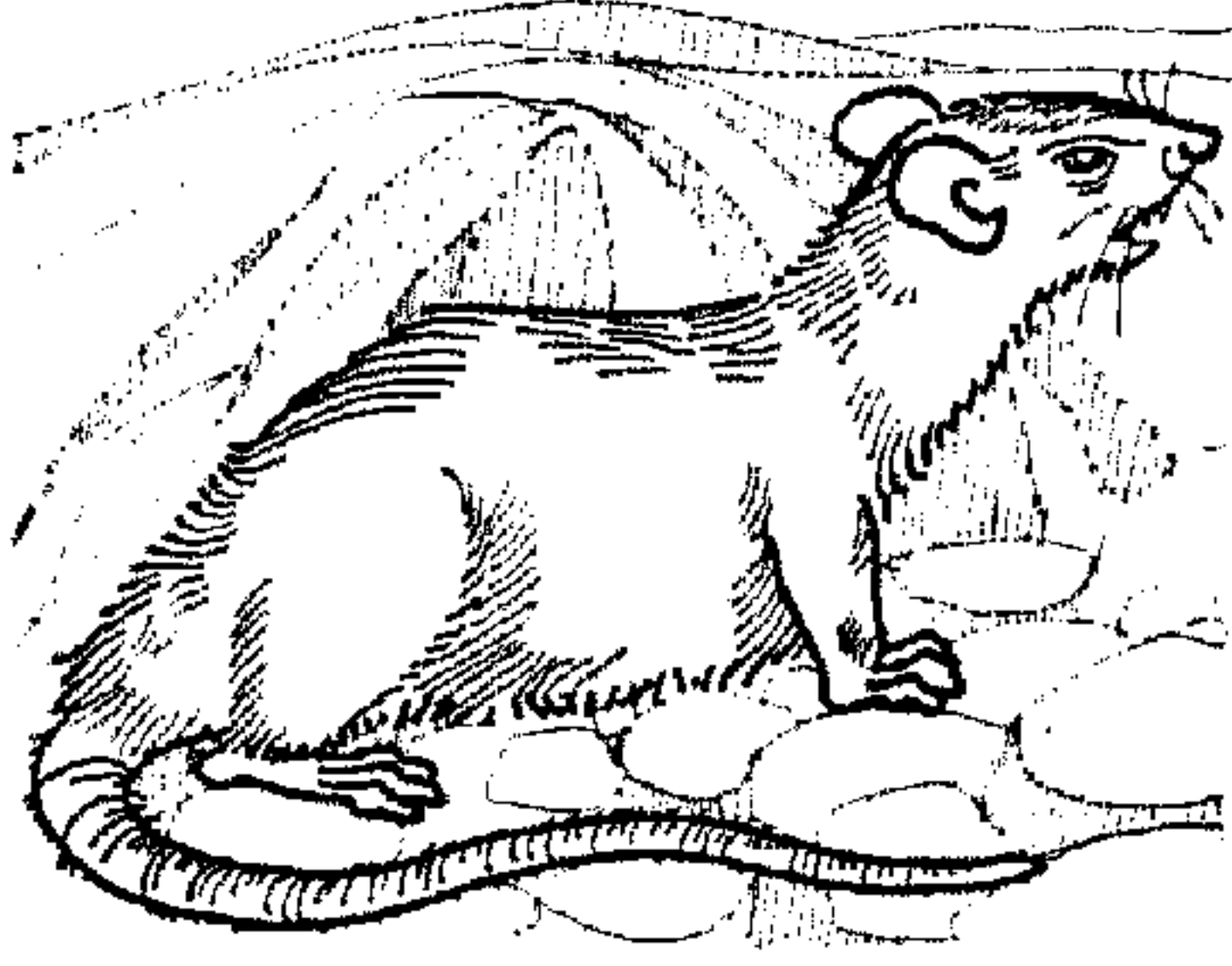


الخنزير



يقاتل في زمن الهيج ، ويدنو من الشجرة ، ويدلك جلده ، ثم يذهب إلى الطين والحماة ، فيتلطخ به ، فإذا تساقط عاد فيه . أروغ من الثعلب ، إذا أراد الفارس ، وإذا عدا أطمع في نفسه كل شيء . وإذا طولب أعيا الخيل . يأكل الحيات ، قوي شديد الاحتمال ، وربما قتل الأسد . سلاحه نابيه ، قبيح الصوت ، شديد النسل . قوي السفاد طويله .

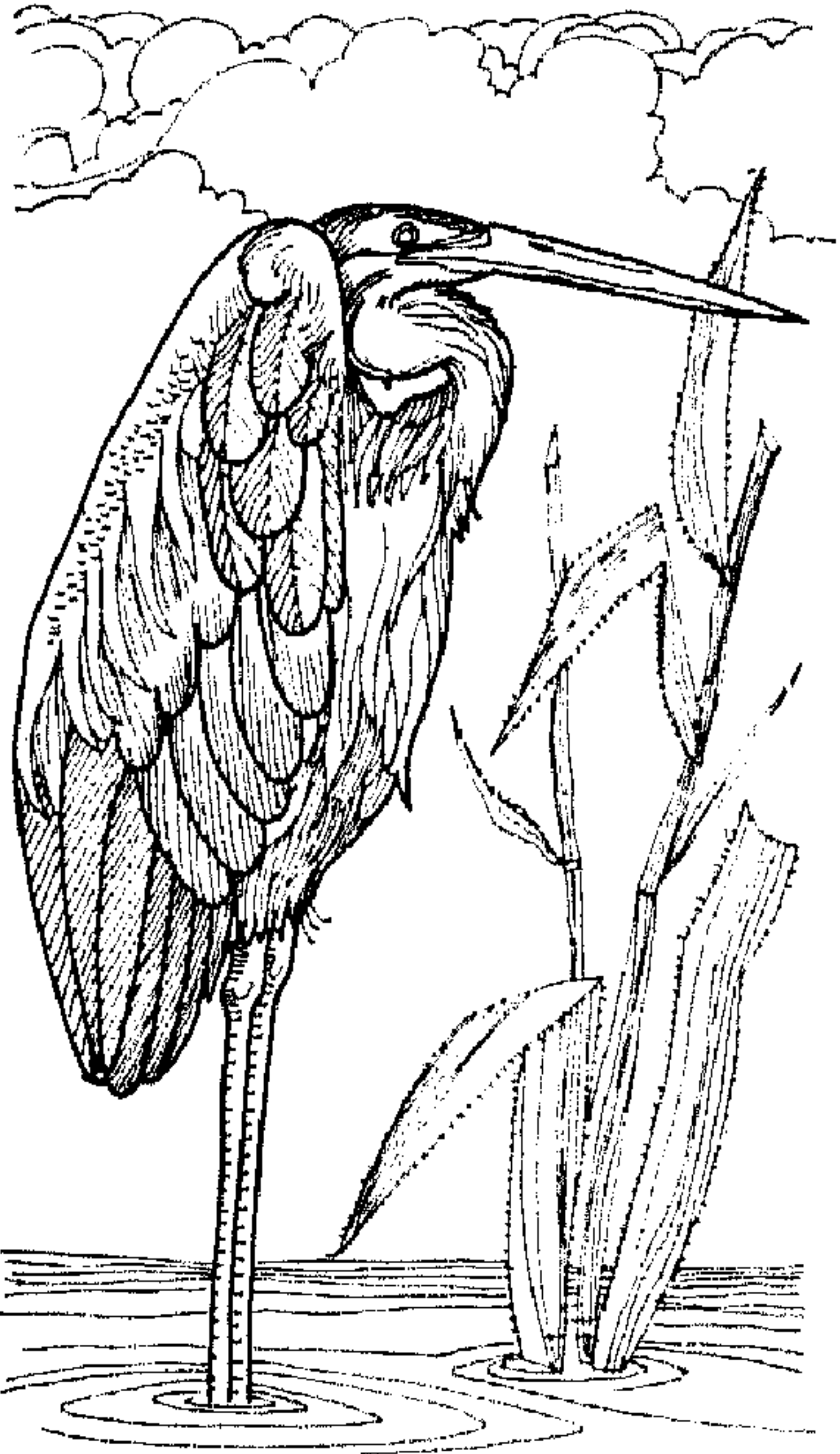
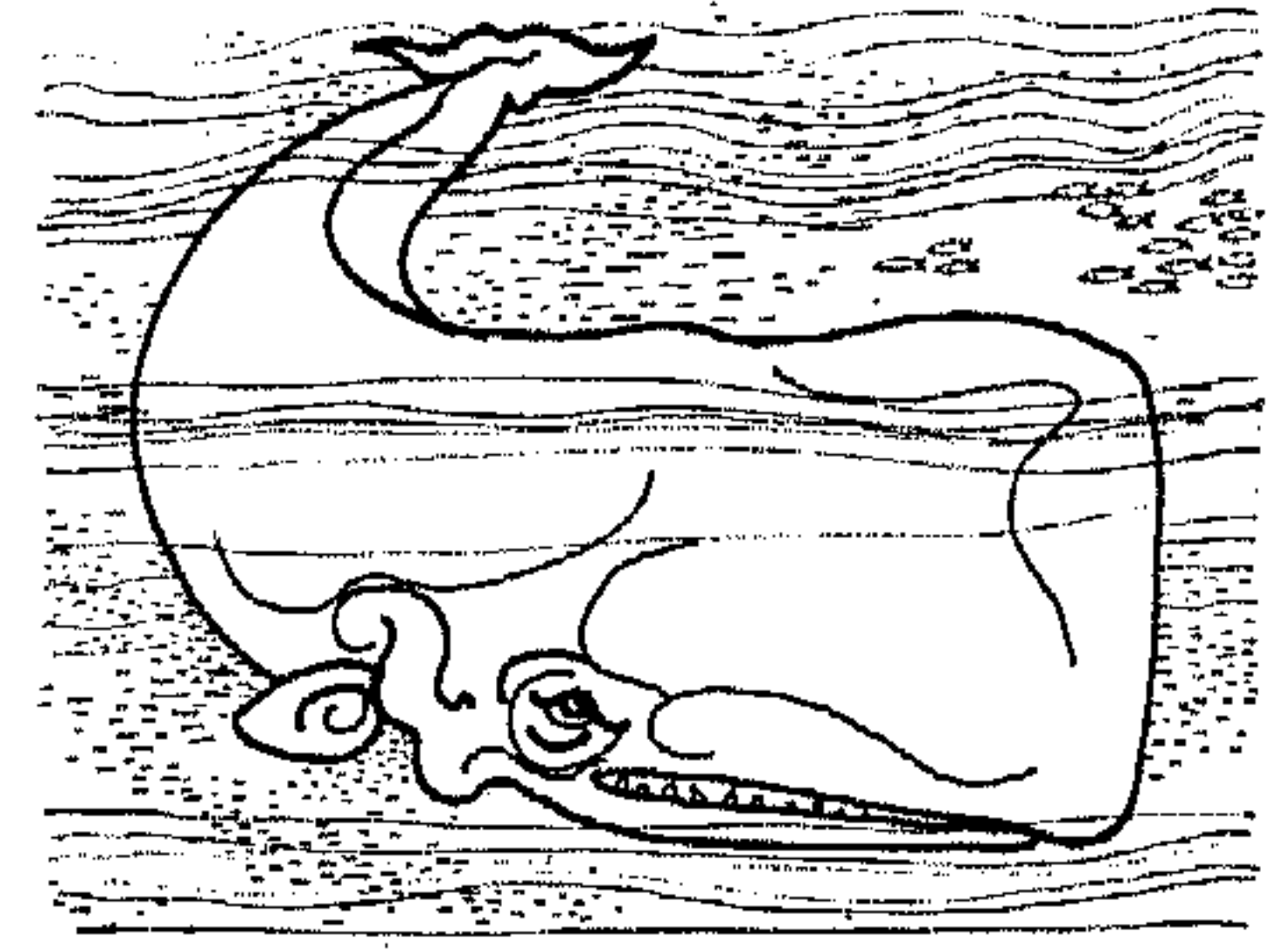
الجرذ



يبصر بالليل كبصره بالنهار ، شديدة المكر والحيلة فهي حين تعجز عن استخراج الطعام بأفواهها تخرجه بأذنانها . تعيش متآلفة ، وتتراوح ليل نهار . ومن طباع الجرذ عداوة السنور وابن عرس والفرع منهما ، لكن ربما اجتمعت فدبرت لهما المكيدة القاتلة . ومنها ما يجبيء الدنانير والدراهم والحلي . وبينها وبين القار قرابة ، ولا يعرف من منهما هدم سد مأرب .

الحوت

من الحيوانات البحرية النادرة ، ويقال ان آدم قبل أن ينزل على الأرض لم يكن فيها غير النسر في البر والحوت في البحر . وكان النسر يأوي إلى الحوت فيبيت عنده ، فلما رأى النسر آدم ذهب إلى الحوت وأخبره ، فقال : لئن كنت صادقاً فما لي منجي منه في البحر ، وما لك مخلص منه في البر . والحوت سلطان حيوانات الماء .

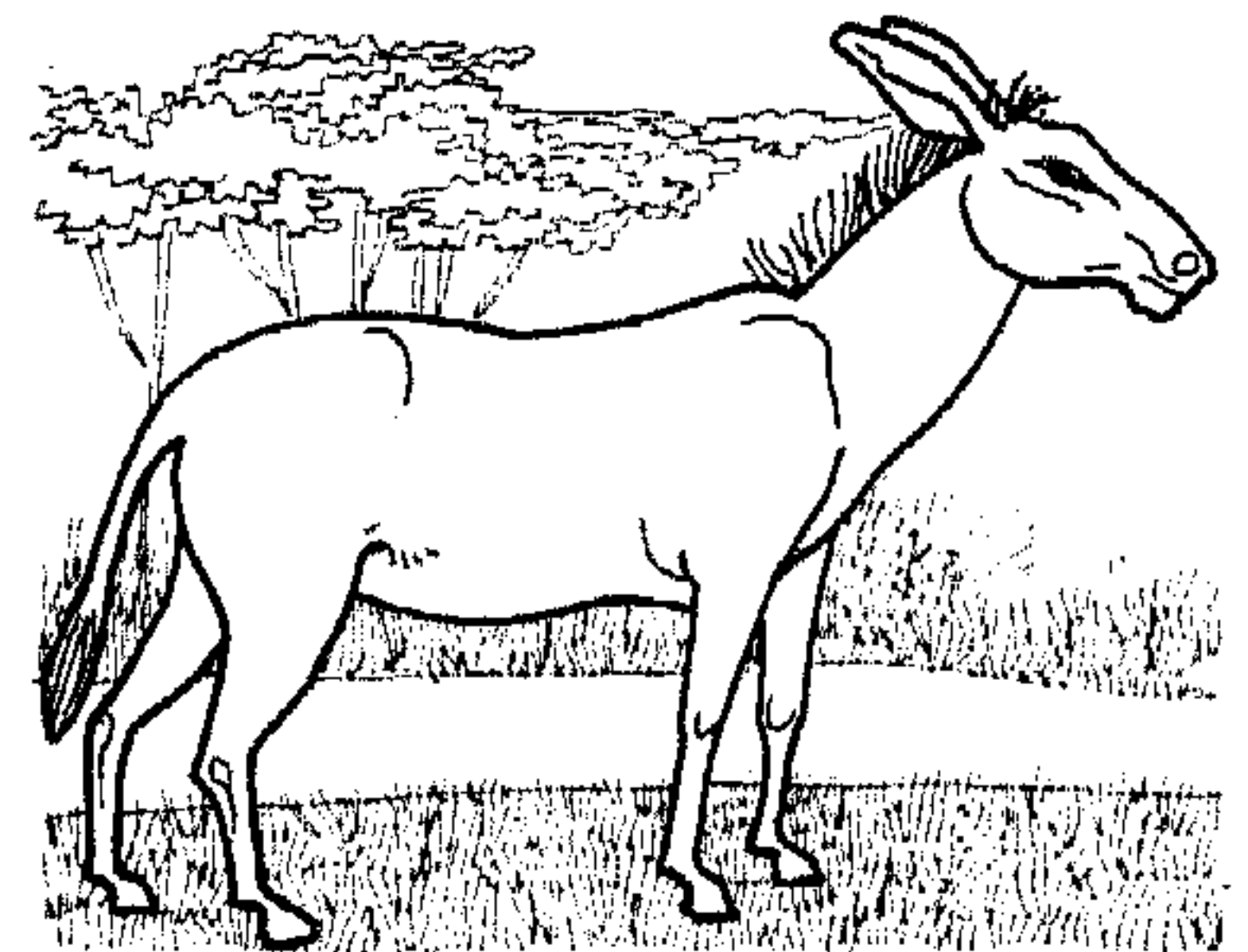


الكركي

من أعظم الطير . لها قائد وأمير . وهي لا تنام أبداً إلا في أبعد المواضع من الناس وأحرزها . كذلك لا ترى إلا فرادى فكان الذي يجمعها الذكر ، ولا يجمعها إلا أزواجاً . منقاره شنيع ، وله صوت يسمع من بعيد . لا يستوحش منه الحمام لأنه أليف

الحمّار

إذا شم رائحة الأسد رمى نفسه عليه من شدة الخوف ، يريد بذلك الفرار منه ، ويوصف بالهداية إلى سلوك الطرقات ، وبحدة السمع . وأثناء الأتان لا تميزها العين منه تتبعه دائماً ، وهي تفتطم ولدها إذا ظنت أنه أطاق الأكل ، فتمنعه بعض المنع ، ثم لا تزال تدرجه ، حتى إذا علمت أن به غنى فطمته فطاماً لا رجعة فيه .



تعليقات

التحيمد

ص 33 : هذا التحميد مختص بهذه النسخة والظاهر أنه من إنشاء بعض ناسخها أو مالكيها لا من كلام ابن المقفع (انظر تفصيل هذا في المقدمة) .

باب عرض الكتاب لعبد الله بن المقفع

(4) ص 41 : في النسخ المصرية ونسختي اليازجي وطبارة: «وليس للعالم أن يعيب امرأ بشيء فيه مثله، ويكون كالأعمى الذي يعير الأعمى بعماه». وفي نسخة حماد التي نقل عنها شيخو: «فإن خللاً ينبغي لصاحب الدنيا أن يقتبسها: منها ألا يعيب أحداً بشيء هو فيه فيكون كالأعمى...» .

(5) ص 42: في النسخ الأخرى أن التاجر ظن صديقه قد نسي الرداء فاستحسن أن يضع رداء صديقه على سنامه ليجده صاحبه حيث يحب .

(6) ص 42 : في النسخ الأخرى أن التاجر الآخر جاء فلم يجد عدل صاحبه. فاغتم وعزم على أن يغرمه من ماله. ثم جاء الشريك الخائن فسأل صاحبه عن حزنه فلما أخبره اعترف بما فعل. فضرب له صاحبه مثل اللص الذي أراد أن يسرق خاوية مملوءة ذهباً فأخذ أخرى مملوءة برّاً - وذلك تمثيل غير مستقيم، والظاهر أن ما يزيد على ما في نسختنا من تصرف بعض القراء .

(7) ص 44 : تفصيل هذا في نسخة اليازجي: «ومن كان سعيه لدنياه خاصة فحياته عليه، ومن كان سعيه لآخرته فحياته له» .

(1) ص 37 : هذا أول مقدمة ابن المقفع التي جعل عنوانها في كثير من النسخ: «باب عرض الكتاب لعبد الله ابن المقفع». وليس لها في أصل نسختنا عنوان . والنسخ تختلف في مكان هذه المقدمة؛ فهي في نسخة دي ساسي De Sacy والطبعات المصرية وطبعتي اليازجي وطبارة، بين باب بعثة برزويه وباب برزويه. وفي نسخة شيخو، قبل باب الأسد والثور، وهي فيها قصيرة جداً. وظاهر أن ترتيب نسختنا أقرب إلى الصواب؛ لأن ابن المقفع حرى أن يضع مقدمته قبل أبواب الكتاب كله. وأما «مقدمة بهنود بن سحوان» التي تصدر بها بعض النسخ فقد وضعت بعد ابن المقفع؛ فهذا تخلو منها نسخ قديمة كنسختنا هذه. ثم النسخ الأخرى تتقارب فيما بينها وتخالف نسختنا في كثير من نصوص هذه المقدمة .

(2) ص 38 : النسخ الأخرى تضع هنا: «قراءة هذا الكتاب» بدل «طلب العلم» في نسختنا .

(3) ص 40 : هذه الجملة: «وحمله النوم» ليست في النسخ الأخرى. وهي ترجمة حرفية لعبارة فارسية: «خواب أورا برد»؛ فهي من الأدلة على أن هذه النسخة أقرب إلى ترجمة ابن المقفع (انظر المقدمة) .

(8) ص 44 : هنا تذكر النسخ الأخرى قصة « تاجر السمسم وشريكه » التي تقدمت في ص 41 وما بعدها .

(9) ص 45 : هنا تذكر النسخ الأخرى مثل ثلاثة إخوة أسرف اثنان منهم فأتلفا ملهما وأحسن الآخر القيام على ماله فنفع أخويه، ثم مثل الصياد الذي رأى صدفة فظنها لؤلؤة فترك شبكته وفيها سمكة كبيرة. فلما وجد الصدفة فارغة ندم على تضييع ما في يده. ثم وجد صدفة أخرى

فيها لؤلؤة فأعرض عنها حرصاً على سمكة صغيرة في شبكته. ومرّ صياد آخر بالصدفة فأصاب فيها لؤلؤة عظيمة .

(10) ص 45 : هذه الخاتمة تذكر في نسخة اليازجي في صيغة تخالف ما هنا بعض المخالفة، ولا تذكر في النسخ الأخرى. وهي ذات قيمة في تبين الباب الذي زاده ابن المقفع (انظر المقدمة) .

باب توجيه برزويه الطبيب إلى بلاد الهند

(1) ص 49 : لا يصدر هذا الباب بقول بزرجمهر إلا في نسختنا ونسخة شيخو. وفي الترجمة الفارسية لنصر الله ابن عبد الحميد، أول هذا الباب: « يقول أبو الحسن عبد الله بن المقفع ». وهذه المقدمة تأتي أثناء الباب على لسان برزويه في نسختي اليازجي وطبارة .

(2) ص 50 : هنا تنتهي مقدمة هذا الفصل التي تتفق فيه نسختنا والنسخة المصرية ونسخة شيخو بعض الاتفاق. وأما نسختنا اليازجي وطبارة فليس فيهما من هذه المقدمة إلا تحميد في بضعة أسطر ثم تذكر فيهما هذه المقدمة أثناء الفصل على أنها من كلام برزويه حينما اختاره كسرى للسفر .

(3) ص 50 : تتفق النسخ هنا في الحديث عن أنوشروان ولكن تختلف في السياق اختلافاً كبيراً. والعجب أن أقرب النسخ إلى نسختنا هنا النسختان اللتان تخالفانها كل المخالفة في مقدمة الفصل؛ وهما نسختنا اليازجي وطبارة .

(4) ص 51 : في الأصل: « أدهرير »، ونظنها محرفة عن « آذرهربد » أي سادن النار .

(5) ص 52 : لم يذكر اسم هذا الرجل إلا في نسختنا ونسخة شيخو. وهو في الثانية: « أدويه »

(6) ص 54 : مثل الزجاجية ليس في النسخ الأخرى .

(7) ص 54 : وضع الإشارة موضع الضمير هنا يشبه التعبير الفارسي .

(8) ص 55 : الظاهر أن عبارة: « قال برزويه » كررت في أثناء كلامه تأكيداً .

(9) ص 55 : في النسخ المصرية ونسختي اليازجي وطبارة أن هذا الهندي كان خازن الملك. ونظنها زيادة من بعض النساخ يراد بها تفسير يمكن هذا الرجل من كتب الملك .

(10) ص 57 : في النسخ الأخرى إطناب في حديث برزويه والملك .

(11) ص 57 : في النسخ الأخرى إطناب في وصف الملك الباب الذي يضعه بزرجمهر، وفيها طلب الملك أن يجعل هذا الباب أول الأبواب .

(12) ص 57 : في النسخ الأخرى وصف احتفال أنوشروان بقراءة « باب برزويه » .

باب برزويه الطبيب

(6) ص 65 : كلمة «الذي» هنا تشبه أن تكون ترجمة الكلمة «كه» الفارسية، وهي تكون بمعنى الذي وتأتي للتعليل والتفريع، وينبغي أن يكون موضعها هنا : فقد زعموا. وفي النسخ الأخرى: «زعموا فيه» أو «في شأنه»، وهذا تصحيح للجمله بذكر الضمير العائد على الموصول لتوافق النحو العربي .

(7) ص 69 : في النسخ الأخرى: «كما يمهد الوالد لولده»، وكأنها توضيح للجمله التي في نسختنا .

(8) ص 70 : هذه العبارة تشبه العبارة الفارسية التي يوتى فيها باسم الإشارة ثم الموصول مفسراً له: «آن كه» .

(9) ص 70 : ليس في النسخ الأخرى تسمية القاضي ولا المدينة. ولم نجد اسم هذا القاضي في كتب الأدب العربية والفارسية .

(10) ص 74 : في نسخة اليازجي: «فأقمت على هذه الحال واتجهت إلى بلاد الهند في طلب العقاقير والأدوية ثم عدت إليها في انتساخ هذا الكتاب وانصرفت منها إلى بلادي». وهو كلام له خطره في الدلالة على معرفة برزويه ببلاد الهند وذهابه إليها من قبل (انظر المقدمة، باب بعثة برزويه) .

(1) ص 61 : تتفق النسخ على أن هذا الباب من وضع بزجمهر، وتتفق في سياقه وعباراته أكثر مما تتفق في البابين السابقين. ونسخة شيخو تضعه بعد «باب بعثة برزويه»، وقبل «عرض الكتاب لابن المقفع». والنسخ الأخرى تضعه بعد «عرض الكتاب»، وتضع هذا بعد «باب بعثة برزويه» (انظر المقدمة) .

(2) ص 61 : في النسخ الأخرى أن أبويه أسلماه إلى المؤدب وعمره سبع سنين، فلما حذق الكتابة نظر فاختار الطب .

(3) ص 62 : في النسخ الأخرى: «وفوق في المال والجاه وغيرهما مما لا يعود بصلاح ولا حسن سيرة قولاً ولا عملاً» .

(4) ص 63 : مثل الذبالة ليس في النسخ الأخرى .

(5) ص 64 : من قوله: «فلما خاصمت نفسي» إلى قوله في ص 65 : «فلما رأيت ذلك لم أجد إلى متابعة أحد منهم سبيلاً» ناقص في النسخ الأخرى إلا نسخة شيخو. وكأنه حذف لما فيه من الكلام عن الأديان وغيرها. ولهذا يرى بعض الناس أن هذا الباب كله من وضع ابن المقفع، أراد أن يشكك به الناس في الدين (انظر المقدمة) .

باب الأسكد والثور

«دِفْشَرَمَن». ويسهل تحريفها في الفهلوية إلى «دبشلم». وفي بعض المخطوطات العربية: «دبسلم» و«وديشلم» .

(1) ص 81 : في السريانية الحديثة: «دَبْدَهْرَم» ويظن أنه محرف عن «دَبْشَرَم». وهو في السنسكريتية:

(11) ص 84 : توافق نسختنا في هذه الجملة :
«وجعل يحك ... الخ» النسخة السريانية الحديثة. وهي
ليست في النسخ الأخرى .

(12) ص 84 : ليس في النسخ الأخرى تسمية الأسد.
وهو في الهندية: «بنكلاكه»، ومعناه الأصهب. وفي
نسختنا: «شكّله»، والظاهر أنها تحريف «بنكلكة»، وهو
اختصار الاسم الهندي .

(13) ص 84 : «كليلة» ذكر في الأصل باسم
«كرتكا». واللام والراء في الفهلوية لهما صورة واحدة .
فن اليسير أن تحرف الراء إلى اللام . وكذلك لا يبعد أن
تحرف التاء إلى الياء. وأما إبدال الكاف الأخيرة هاء فهو
شائع بين الفهلوية والفارسية الحديثة. و «دمنة» ذكر في
الهندية باسم «دمنكة». وهما في النسخة السريانية: «كليلك»
و «دمنك» .

(14) ص 86 : يستعمل الكاتب «السلطان» في معنى
الجمع، وهو استعمال قديم. جاء في كتاب «الكامل»
للمبرد حكاية عن الأحنف بن قيس: «ولا جئت باب
أحد من هؤلاء، يعني السلطان، ما لم أدع إليه». وقد دعا
هذا الاستعمال بعض اللغويين إلى ادعاء أن «السلطان»
جمع «سليط». والظاهر أن النسخ الأخرى حرقت الكلام
لتجعل السلطان مفرداً في كل المواضع. وهذا وأمثاله مما
تمتاز به نسختنا (انظر المقدمة) .

(15) ص 87 : في النسخ الأخرى، ما عدا شيخو،
وضعت كلمة «توفيقك» بدل «رفقك»، والظاهر أنه
تحريف أدى إليه جهل النساخ بمعنى «الرفق» ههنا .

(16) ص 88 : في الأصل: «لقرابته». وفي النسخ
الأخرى: «بجلسائه». والظاهر أن جهل النساخ بمعنى
«قرايين» أدى إلى تحريفها إلى «قوابته» في نسختنا، وإلى
إبدالها «بجلسائه» في النسخ الأخرى. فلذلك وضعتنا كلمة
«قرايين» مكان «قوابته» في هذا الموضع وغيره .

(17) ص 88 : في الأصل وشيخو: «يصونها». وفي
النسخ الأخرى: «يضرها»، وقريب من هذا في السريانية
الحديثة .

(2) ص 81 : هو في السريانية الحديثة: «نَدْرَب». وهو
محرف عن «بيدنا» أو «بيديا»، على اختلاف النسخ
العربية. ويقابله هذا الاسم في الأصل الهندي: «فِشَنوجَرَمَن».

(3) ص 81 : في نسخة شيخو: «دستبا»، وفي
النسخ الأخرى: «دستاوند». وفي بعض المخطوطات:
«دستاباد» و «دسنا»، وكان هذا تحريف عن «دسناباد».
وفي الهندية: «دكشناباتا»، وهو اسم إقليم الدكن .

(4) ص 81 : في النسخ الأخرى: «حرفة يكسبون»
منها لأنفسهم خيراً». وكان هذه الجملة وضعت موضع
جملة «تردّ عليه وعليهم» لأنها أوضح منها .

(5) ص 82 : في النسخ الأخرى: «انبثق البثق الذي
لا يصلح» .

(6) ص 82 : في النسخ الأخرى اسم الأرض:
«ميمون». وفي السريانية: «متوا». وفي الأصل الهندي
«بنجا تنترا»: «مثورا»، وهي مدينة جنوب أجرا تسمى
الآن مترا. فنسختنا أقرب إلى الأصل .

(7) ص 83 : يتبين من مقارنة المخطوطات ومن
الرجوع إلى الأصل الهندي أن «شتربة» أقرب إلى الصواب
من «شترية» والصيغ الأخرى .

(8) ص 83 : جاءت هذه الكلمة في المخطوطات
بصور مختلفة، وأقربها إلى الأصل الهندي: «ننده»، ولكن
النسخ العربية كلها تزيد باء في آخر الكلمة وكأنها
للمجانسة بين «شترية» و «نندبة». فأقرب الصيغ إلى
الصواب بعد هذه المجانسة هي «نندبة» .

(9) ص 83 : هذا المثل محكيّ في النسخ الأخرى
على لسان الأجير الذي أخبر التاجر أن الثور مات. وهو
ناقص في نسخة شيخو والسريانية الحديثة .

(10) ص 83 : في النسخ الأخرى أن الرجل بعد
أن أخرج من الماء رأى بيتاً مفرداً فأوى إليه فإذا جماعة
من اللصوص قد قطعوا الطريق على رجل وهم يقتسمون
ماله ويريدون قتله ... الخ .

(18) ص 88 : في الأصل: «يجوز». وفي السريانية الحديثة: «يجب»، وهو أقرب إلى سياق الكلام فلذلك أثبتناه هنا .

(19) ص 90: يذكر في النسخ الأخرى الأمران الأول والثاني فقط، وفي شيخو: «المتكلم على المتكلم» بدل «القبيل على القبيل». وكأن هذا نشأ من تحريف كلمة «القبيل» إلى «القبيل» بالقاف. وفي السريانية الحديثة: «الرجال على الرجال، والقبيلة على القبيلة، والمعلمين على المعلمين» .

قلت: ولقد اخترت «القبيل» هنا لاطرادها مع السياق، ولأن المفاضلة هنا بين العاقلين. وأظن أن الدكتور عزام رحمه الله قد غفل عن معنى القبيل هنا مما حفزه إلى إهمالها . (المراجع)

(20) ص 92: في النسخ الأخرى إلا شيخو، أن دمنة قال للأسد: ليس من كل الأصوات تجب الهيبة. فقال الأسد: وما مثل ذلك؟ فقص دمنة مثل الثعلب والظليل. وظاهر أن ما هنا أقرب إلى سياق الكتاب؛ أعني أن دمنة يشير إلى المثل، والأسد يطلب منه أن يقصه .

(21) ص 98: في النسخ الأخرى: «فإن إفراطه في أمر الثور» أو «... في تقريب الثور» .

(22) ص 102: جملة «وأنا أفرق منه» مأخوذة من شيخو لتصحيح سياق الكلام. وعبارة شيخو: «هذا مكان الأسد وأنا أفرق منه إلا أن تحملني في حضنك فلا أخافه حتى أريكه» .

(23) ص 110: في الأصل ونسخة شيخو: «مثل البغي كلما ذهب واحد جاء آخر مكانه»، وقد غيرنا العبارة لشاعتها .

وقد أعدت الكلمة إلى أصلها لعدة أسباب :
1 - أمانة مع الأصل .

2 - ان كلمة «البغي» وردت أكثر من مرة في الكتاب فلم يغيرها عزام، ولست أدري مبرر تغييرها هنا فقط، وهل هي أكثر شناعة من المواطن الأخرى التي وردت فيها؟
3 - ان كلمة «المكاري» التي وضعها عزام لا تفني بالقصد، بل هي أكثر شناعة وغموضاً من الكلمة الأصل . (المراجع)

(24) ص 111: من «وإن لم يكن هذا...» ص 111 إلى «ساعة من نهار» صفحة 116 س 12، صفحات ساقطة من الأصل. وقد أخذناها من نسخة شيخو وهي أقرب النسخ إلى نسختنا .

(25) ص 112: في النسخ المصرية ونسخة طيارة: «من العلل التي وضعت عليها الأقدار». وفي نسخة اليازجي: «بالعلل التي اتفقت لها». وعبارة هذه النسخة المنقولة عن نسخة شيخو أقرب إلى أسلوب الكتاب في مثل هذا الموضع (انظر قوله: «ولكل سبب علة، ولكل علة مجرى» صفحة 50 س 3) .

(26) ص 118: هذه الجملة: «إنه ليس من شيء أشد معرفة الخ» ليست في النسخ الأخرى ما عدا شيخو. وفي نسخة شيخو: «ليس شيء أقل معرفة لنفسه من الإنسان». وفي منظومة ابن الهبارية :

قد قيل أقوى الناس جمعاً معرفه
عارفٌ قدرِ نفسه بلا صيفه (سفه؟)
وفي ترجمة نصرالله بن عبد الحميد: «خويشتن شناسي نيكوست» أي معرفة النفس حسنة. ويرى القاري أن ذكر الإنسان هنا لا يخلو من غموض

(27) ص 120: للعناء التي تسمى بالفارسية: «سيمرغ»، مكانة في أدب الإيرانيين والآريين عامة. (انظر التعليقات على الترجمة العربية للشاهنامة صفحة 56 وصفحات أخرى مبينة في الكشاف وهو فهرس الأعلام) .

وانظر أيضاً « منطق الطير »
لفريد الدين العطار .

(المراجع)

(28) ص 121: ذكر « التماسيح » هنا ليس مستغرباً؛
فإن أنهار الهند فيها تماسيح حتى ظن بعض القدماء أن
نهر السند والنيل متصلان، لما في السند من تماسيح .

(29) ص 124: في عبارة الأصل هنا خلل ونقص
تداركناهما من النسخ الأخرى. وعبارة الأصل: « أني كنت
توحيت أعظم ما أقدر عليه من الروح خوفاً حتى أصيبه » .

(30) ص 124: محاورة الخب وأبيه، ومثل العلجوم

والأسود، ليسا في النسخ المصرية ونسخة طبارة .

(31) ص 124: في الأصل: « انظر إلى جحر ابن
عرس ... الخ ». وقد صححناه بما يوافق سياق الكلام
ويفهم من النسخ الأخرى .

(32) ص 128: ليس في النسخ الأخرى تسمية
الأرض، ولكن فيها: « أرض كذا ». وكذلك يحذف
من النسخ الأخرى كثير من أسماء البلاد والأشخاص. وفي
هذا تمتاز نسختنا أيضاً .

(33) ص 130: هذه الخاتمة تنفرد بها نسختنا

بَابُ الْفَحْصِ عَنْ أَمْرِ دِمْنَةَ

(1) ص 133: هذا الباب يحسب من زيادات النسخة
العربية لكتاب « كليلة ودمنة » فهو لا يعرف في الأصل الهندي
ولا الترجمة السريانية القديمة، ويظن بعض الباحثين أنه
لم يكن في الترجمة الفهلوية أيضاً (انظر المقدمة) .

(2) ص 133: في النسخة السريانية الحديثة يطول
سؤال الملك فيتضمن الاستفهام عن موضوع الباب كله:
كيف أتهم دمنة وكيف دافع عن نفسه وكيف عُرف أمره
وكيف عوقب. ونسختنا أوجز من النسخ الأخرى في هذا
السؤال كما أنها لا تشير في آخر الباب السابق إلى موضوع
هذا الباب .

قلت: في الباب اشارات عدة
تدل على أن واضعه مسلم، انظر
مثلاً التعليق رقم (7) .

(المراجع)

(3) ص 136: في الأصل: « فان الكاتم لدم المجرم
في رتغ متفجع شرکه إياه فيه ». وهي عبارة محرفة مختلفة،
وقد صححناها جهد الطاقة في العبارة التي هنا .

(4) ص 136: سقطت في نسختنا الكلمات التي
بين « أخبرها » و « فأخبرته ». فتداركناها من شيخو على
قدر الضرورة .

(5) ص 138: وضع اسم الإشارة موضع الضمير
في قوله: « فنونا يغلب على أكثر ذلك الخطأ » يشبه التعبير
الفارسي .

(6) ص 138: كان في الأصل: « رغبة الملك »
بالأفراد مع إعادة الضمير جمعاً فيما بعده. وليس هذا
بعيداً من أسلوب الكتاب وأساليب الفرس ولكن لم نثق
بعبارة الكتاب لكثرة تحريفها فغيرنا كلمة « الملك » إلى

«الملوك»، مجارة للنسخ الأخرى. ولعلها كانت في الأصل: «السلطان» وهو يستعمل جمعاً في هذا الكتاب .

(7) ص 139 : كلمة «إسلام» ليست في النسخ الأخرى ولعلها من سهو واضع هذا الباب. وربما تعدّ من الأدلة على أن هذا الباب موضوع في العربية ابتداء (انظر المقدمة) .

(8) ص 140 : في نسخة شيخو اسم المدينة : «تاثرون»، واسم التاجر: «حبل». وليس في النسخ الأخرى العربية تسمية المدينة ولا التاجر. واسم التاجر في السريانية: «بكيذيب» .

(9) ص 145 : إن لم تكن «منه» محرفة عن «عنه» فهي ترجمة الكلمة الفارسية «أز» التي تأتي بمعنى من وعن وتستعمل في مثل هذا التركيب (انظر صفحة 150 س 18)

(10) ص 146 : في النسخة السريانية الحديثة : «في مدينة ساحلية من مدن الحبشة». ونسخة شيخو توافق نسختنا. وليس في النسخ الأخرى تسمية المكان .

(11) ص 147 : في شيخو والسريانية: «فتكلم صاحب المائدة». وفي ابن المبارية: «الخباز». وفي النسخ الأخرى: «سيد الخنازير». واتفقت النسخ على أنه صاحب المائدة. ونحسب أن عمله هذا قد يتر أن تحرف «الخبازير» إلى «الخبازين»، والكلمتان متشابهتان خطأ .

(12) ص 149 : اسم المدينة في نسخة شيخو : «بورخشت». وليس في النسخ الأخرى تسمية المدينة. وفي النسخة العبرية: «مروات» .

(13) ص 150 : ليس في النسخ الأخرى تسمية هذا الأمين. وفي نسختي اليازجي وطبارة والنسخ المصرية أنه

«شعهر» كان الملك ائتمنه. وفي العبرية: «شهرج». ويظهر أن «شعهر» في النسخ الأخرى محرف عن هذا الاسم .

(14) ص 150 : في النسخة السريانية الحديثة والنسخ الأخرى: «رُوزبه» بدل «فيروز». وهذا اختلاف جدير بالنظر، فان ابن المقفع فيما يقال كان اسمه «رُوزبه». والظاهر أنه لا يستحسن وضع اسمه في مثل هذه القصة. «ففيروز» أقرب إلى الصواب من «روزبه» هنا. وقصة فيروز هذه ليست في نسخة شيخو .

(15) ص 150 : وهذا مثل آخر من استعمال هذه العبارة: «يذكر منه»، وهي شبيهة بالتعبير الفارسي .

(16) ص 152 : في السريانية: «مازرب». وليس في النسخ الأخرى تسمية المدينة. والقصة كلها ناقصة في شيخو .

(17) ص 153 : «البازيار» كلمة فارسية معناها القائم على البزاة المعدة للصيد.

(18) ص 153 : في النسخ الأخرى أن صاحب الدار سأل الضيوف عما يقول البيغاوان فامتنعوا أن يخبروه فألح عليهم حتى أخبروه. والنسخة السريانية الحديثة توافق نسختنا .

(19) ص 156 : من قوله «ولما شهد النمر» إلى قوله «فلما كررت أم الأسد» منقول من نسخة شيخو، وهو موافق للنسخ كلها. وهو مقتضى سياق القصة فقد أراد واضعها أن يأتي بشاهدين على إقرار دمنة بذنبه. ولذلك نجد في النسخ الأخرى أن الأسد سأل النمر والسبع: ما منعكما من الشهادة؟ فاعتذرا بأن شهادة الواحد لا توجب حكماً. وفي نسخة شيخو أن الذي سئل هذا السؤال هو السبع المسجون وحده .

بَابُ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ

- (1) ص 159: في النسخ الأخرى: «أرض سكاوندجين عند مدينة داهر». وقد وقع في النسخ العربية والسريانية تحريف كثير في هذين الاسمين. وأصلهما في السنسكريتية: «دكشينا باتا» و «ماهيلاروبيا» (انظر مقدمة النسخة السريانية لرَيْتِ The Book of Kalilah and Dimnah ص XVIII. وليس في شيخو تسمية الأرض ولا المدينة.
- (2) ص 159: ليس في النسخ الأخرى تسمية الغراب.
- (3) ص 160: «زيرك» بالفارسية: الذكي. واسم
- الفأر في الأصل الهندي: «هَرِنْيَاكَا» .
- (4) ص 160: ليس في شيخو وابن الهبارية تسمية المدينة. وفي السريانية: «مَارْرَب». ويرى رَيْتِ أنها محرفة عن «مهاروب» أو «ماهيلاروبيا» التي تقدمت في رقم (1) من هذا الباب. وفي النسخة الفارسية لنصر الله بن عبد الحميد: «مدينة نيشابور» ، وظاهر أنه تغيير من النساخ. يقارن هذا الاسم بفاروات (ص 152) وماروات (ص 159).

بَابُ الْبُومِ وَالغُرَابِ

- (1) ص 186: ليس في النسخ الأخرى تسمية الشجرة.
- (2) ص 186: في الأصل: «فاذا أقبل عدونا لقيناه حتى نصيب منه غرة». ويظهر من قول الوزير الثالث في هذه الصفحة: «ولعمري ما مدافعة الأيام والليالي ... الخ» أنه سقطت جملة فيها ذكر المدافعة. لذلك أخذنا من نسخة شيخو ما يستقيم به السياق. وهذه الزيادة في النسخ الأخرى أيضاً .
- (3) ص 188: همنا بأن نحذف «يكن» من هذه الجملة ثم رأينا أنها تشبه أن تكون من أثر الترجمة الفارسية. فان استعمال الفعل «يكون» مألوف في مثل هذا التركيب بالفارسية .
- (4) ص 188: هذه الجملة: «من يواكل الفيل
- يواكل الحيف» من عجائب التحريف في هذا الكتاب فهي في شيخو: «من يرى كل القتل يرى الخير». وفي نسختنا: «من يرا كل القتل يرا كل الحيف». وقد رجعنا إلى السريانية فاذا فيها: «من يقارب الفيل يهرب من نفسه». فحزرننا أن «القتل» محرفة عن «الفيل»، ورجعنا إلى ابن الهبارية فاذا فيها :
- فان من واكل فيلا هائلا
فللبلاء والشقاء واكبلا
- فعرفنا أن «يرا كل» محرفة عن «يواكل» وصححنا الجملة. وفي الترجمة الفارسية: «هركه بابيل در آويزد زير آيد» أي من يتعلق بالفيل يُصرع .
- (5) ص 188: في الأصل: «لم يقيض المحتال ولا للحسب». وفي شيخو: «لم يقيض للجهاال ولا للحسيب» .

وكلتا العبارتين محرفة. وقد عرفنا بمعونة النسخة الفارسية أن الصواب ما أثبتناه هنا .

(6) ص 216 : في شيخو: «مثل زئمة العنز التي

تتصيدها الحدأة فلا تجد فيها خيراً». والظاهر أنها محرفة عما في النسخ الأخرى: «زئمة العنز التي يمصها الجدي وهو يحسبها حلما الضرع فلا يصادف فيها خيراً» .

بَابُ الْقِرْدِ وَالغَيْلِمِ

(1) ص 219 : في النسخ الأخرى ما عدا شيخو: «ماهر». وفي شيخو: «قاردين» وهو تحريف «فاردين». وفي السريانية الحديثة: «باردين»، وتعريبها: «فاردين» كما في نسختنا. وفي السريانية القديمة: «بوليكيك». وفي السنسكريتية: «ركتا موخا». فالاسم «فاردين» تتفق عليه نسختنا وشيخو والسريانية الحديثة .

(2) ص 220 : في السريانية أن زوج الغيلم كتبت إليه أنها مريضة مُشفية على الموت، وأن القرد أشار عليه أن يلتمس لها الدواء ويذهب إليها .

(3) ص 223 : في الأصل: «فلما رأى القرد احتباس الغيلم قد رجع عما كان عليه». وقد تداركنا السقط من النسخ الأخرى .

بَابُ إِبِلَادٍ وَإِيرَاخْتٍ وَشَادَرَمَ مَلِكِ الْهِنْدِ

(*) ص 237 : هذا الباب مؤخر عن هذا الموضوع في النسخ الأخرى إلا في نسخة شيخو. يفصل بينه وبين «باب الناسك وابن عرس» ثلاثة أبواب في النسخ المصرية، وأربعة في نسختي اليازجي وطبارة. وهنا يبدأ اختلاف النسخ في ترتيب الأبواب، بعد اتفاقها على الأبواب الخمسة التي يتضمنها الأصل الهندي «بنجا تنترا» (انظر المقدمة) .
وعنوان هذا الباب في الأصل: «باب إبلاد وبلاذ وشادرم»، وقد وضعنا «إيراخت» بدل «بلاذ» مراعاة لمتن الكتاب. وفي شيخو: «باب إبلاد وشادرم وإيراخت». وفي النسخ

الأخرى العربية: «باب إبلاد وبلاذ وإيراخت». وفي ابن الهبارية: «باب هيلار ملك الهند ووزيره بيلار». وفي السريانية: «باب بيلار الحكيم» .

(1) ص 238 : في النسخ اختلاف في أسماء الملكة وابنها والكاتب الخ. فن شاء فليرجع إلى ترجمة فلكنر صفحة ٣٠٤ ومقدمة ريت للنسخة السريانية صفحة XX. «إيراخت» تسمى في النسخة السريانية الحديثة «إيلار» ولا يبعد أن يكون محرفاً عن «إيراخت» في الخط الفهلوي.

فيها أثر محاكاة التعبير الفارسي الذي يحذف فيه عائد
الموصول .

(11) ص 244 : هي في شيخو: « كورقناه». وفي
نسخة دي ساسي والنسخ الأخرى المطبوعة: «حورقناه».
وفي بعض النسخ: «جورقناه». وفي السريانية الحديثة:
«كُلباه». والظاهر أن الصواب: «كُلبناه». وأقرب صيغة
لهذه، بعد النظر إلى الخط الفهلوي وإلى التعريب، هي
«جوربناه» كما في نسختنا. وما في النسخ الأخرى محرف
عنها .

(12) ص 252 : عطف «يدفعها» على «تسقط»
غير مستقيم في المعنى. وفي شيخو: «يقول إن سقطت
السماء حبستها برجلي» .

(13) ص 254 : في الأصل: «سته نفر»، ولكن
مقتضى السياق وموافقة النسخ الأخرى يجعلها «سبعة» .

(14) ص 254 : ليس في نسختنا الجملتان اللتان
فيهما «الغضب» و «الهم» من هذه الأشياء السبعة. والظاهر
أنهما سقطتا، وقد نقلناهما عن شيخو ليتم العدد .

والابن «جوير» يسمى في السريانية: «جور»، وهو في
النسكربتية: «جوبالا» .

(2) ص 238 : في الأصل ونسخة شيخو وابن الهبارية
والنسخ الأخرى: «كال» ولكن يتبين من كلام رَيت أن
أصله «كاكا»، وأن تعريبه «كالك» .

(3) ص 238 : في الأصل: «كبانايرون» على
اختلاف الإعجام أثناء الباب. وفي شيخو: «كنان ابزون».
وفي ابن الهبارية: «كبار»، وهو اختصار «كباريون»
الذي في النسخ الأخرى. وفي السريانية القديمة: «كنتارون».
وفي الحديثة ما في القديمة، وأحياناً «كياكرون» و «كيابرون».
والأصل النسكربتية: «ماها كاتباينا» فأصح قراءة للصورة
التي في نسختنا هي «كتايايرون» .

(4 , 5 , 6 , 7 , 8 , 9) ص 242 : في
هذه الأسماء اختلاف كثير في النسخ وقد وضع لها رَيت
جدولاً فليرجع إليه (ص XXII من مقدمة النسخة السريانية
الحديثة) .

(10) ص 242 : عبارة «الهدايا التي قال كتايايرون»

بَاب مِهْرَايز مَلِك الْجُرْدَان

(3) ص 261 : اسم هذا الوزير في ملحق شيخو:
«زودامه» .

(4) ص 263 : هذا المثل عرف في الأدب العربي
في عهد بشار بن برد الشاعر. وقد نظمته حين اقترح عليه
ذلك :

فصرت كالعير غدا طالباً
قرناً فلم يرجع بأذنين

(1) ص 261 : هذا الباب ليس في النسخ المطبوعة
ولا النسخة السريانية. وقد ألحقه شيخو بنسخته. ولغته
وأسلوبه يشهدان أنه ليس من كتابة ابن المقفع. وإنما
أثبتناه محافظة على النسخة التي اخترناها للطبع. وتوطئة
للبحث في أبواب الكتاب الأصلية والزائدة. وأبقينا عباراته
السقيمة على حالها إلا ما كان محرّفاً .

(2) ص 261 : في ملحق شيخو اسم الأرض :
«دوران»، واسم المدينة «ايدزينون» .

بَابُ السَّنُورِ وَالْجُرْدِ

(1) ص 272 : هذا الباب مذكور في «المهابارتا» .
واسم الشجرة التي في أصلها جحرا الجرذ والسنور، في النسخة
السريانية الحديثة: «بيروز»، وفي القديمة: «بيرات». وبين
هذين الاسمين واسم الشجرة التي ذكرت في نسختنا (باب
البوم والغربان ص 185) مشابهة. وكأن أحد الاسمين محرف
عن الآخر أو هما محرفان عن أصل واحد .

(2) ص 272 : في النسخة السريانية الحديثة اسم
القط: «رومي»، واسم الفأر: «أفريدون». وفي السريانية
القديمة: «بريد» و «روما» .

(3) ص 278 : ما بين كلمة «الاسترسال» في هذا
السطر والذي قبله، ساقط من نسختنا، وقد نقلناه عن
نسخة شيخو .

بَابُ الْمَلِكِ وَالطَّيْرِ قَبْرَةَ

(1) ص 281 : هذه القصة مذكورة في «المهابارتا» .
واسم الطائر في النسخ الأخرى: «فَنزَة» أو «فِنزَة» أو «فَنزَة»،
غير مشكول. وهو في النسخة السريانية الحديثة: «بنزه»، وفي
القديمة: «بيزوه»، وهي صيغ أدى إليها التحريف. وأصلها
في السنسكريتية: «پوزاني». و «فَنزَة» أقرب الصيغ إلى
الأصل؛ ولكننا لم نشأ تغيير الاسم «قَبْرَة» الذي في نسختنا
لأنه قديم يرجع إلى عصر ابن الهبارية على الأقل. جاء
في منظومة «كليلة ودمنة» لهذا الشاعر:

طير يربيه يسمى قبره
كدمية في حائط مصوره

(2) ص 281 : في النسخة السريانية الحديثة وبعض

النسخ العربية، أن هذا الملك كان في كشمير. وكأنها
محرفة أو مبدلة من الاسم الذي في السريانية القديمة:
«كامبليا». واسم الملك في النسخ العربية المطبوعة: «بريدون» .
وفي الفارسية: «ابن مدين». وفي السريانية الحديثة: «برمزير» .
وفي القديمة: «برمشيرين». ويظن أن هذه الصيغ كلها
ترجع إلى السنسكريتية: «برَهْمَدَتَّا» . ومن البين أن أقرب
الأسماء إلى الأصل السنسكريتي ما في نسختنا: «برهمود» .
وتوافقها منظومة ابن الهبارية :

قال نعم كان لبرهمود

أملك المعظم المحود

باب الأسد وأبن آوى

(3) ص 296 : جملة «لم يزل ذلك عادة الارذال
والانذال حسدُ أهل المروءة» فيها رائحة العبارة الفارسية؛
يؤتى باسم الإشارة ثم يفسر .

(1) ص 290 : جملة «ثم عليهم - مسيئاً» ساقطة
من الأصل، ونقلت عن شيخو .

(2) ص 290 : «وإنما صحبتكم بنفسي» كذلك
جاءت في النسخ الأخرى، والأشبه بالصواب ما في المنظومة:
وإنما صحبتكم بجسمي
ليس بقلبي وبصدق عزمي

باب السائح والصَّبَاغ

(2) ص 306 : اسم هذه المدينة في النسخ العربية
المطبوعة إلا نسخة شيخو: «نوادرخت». وليست مسماة
في السريانية .

(3) ص 309 : «فلما سمع الملك ذلك من ابنه:
أنَّ شفاثي»، في الجمع بين «ذلك» و «أن» في هذه
الجملة محاكاة للعبارة الفارسية. وقد تقدم أمثال هذا
(انظر المقدمة) .

(1) ص 306 : «وأخذ ابن عرس فأدخله في كمه
والطير فوضعه على يده» هذه الجملة ليست في نسختنا وقد
نقلناها من شيخو بعد تصحيحها، لأن السياق يقتضيها
ولأن النسخ متفقة على معناها. والمراد أن الإنسان قد يحذر
الناس ويأمن الحيوان فيدخله في كمه أو يضعه على يده.
وفي اليازجي: «وأخذ ابن عرس فأدخله في كمه وأخرجه
من الآخر وأخذ الطير الجارج فوضعه على يده، فاذا صاد
شيئاً أبقى له منه نصيباً». وقريب منه في طبارة والمصرية .

(1) ص 313 : « وإنما يريدان أدنى علة الخ » ليس في النسخ المطبوعة هذه الجملة أو ما يقابلها. وفي نسخة شيخو: « وإنما يزيدان عليه فيميلان صاحبه أو يهلكانه ». وفي نسختنا: « يريدان أدنا عله ». وهي محرفة عن « يريدان أدنى علة ». ودليل هذا ما في منظومة ابن الهبارية:

لكنه يريد أدنى سبب
وموجبٌ يوجب كل موجب

(3) ص 315 : « فسأله رجل فقال » هذه الجملة تذكير بالتعبير الفارسي: « بر سيده كفت » .

(4) ص 315 : اسم المدينة في نسخة شيخو: « قروناد ». وفي النسخ الأخرى: « قويران »، وليست مسماة في السريانية .

(2) ص 313 : اسم المدينة في النسخ الأخرى إلا نسخة شيخو: « مطرون ». وفي شيخو: « مطون ». وفي منظومة ابن الهبارية: « قطنون ». وفي الفارسية: « نسطور ». وفي نسختنا: « مطرن ». والظاهر أن الراء فيها محرفة عن الواو

(5) ص 316 : « وتركوا التاج على رأسه » استعمال « تركوا » هنا يشبه التعبير الفارسي « كذاشتند » .

(1) ص 321 : في النسخ كلها إلا نسخة طبارة: « الشعهر ». ولم أجده في كتب اللغة. وفي نسخة طبارة: « الشغبر ». وهو كما في كتب اللغة، ضرب من بنات آوى. وهذا الباب ناقص من منظومة ابن الهبارية .

(2) ص 321 : في الأصل : « اعتبروهم الآخرون ». وفي نسخة شيخو: « فان سلم بعضهم من بعض لفتنة عرضت قبل نزول وبال ما صنعوا اغتروهم الآخرون ». وفي نسخة اليازجي: « وإن سلم بعضهم من ضرر بعض باتفاق

(3) ص 323 : في الأصل: « يجد مثله أو أمثل منه ». وفي شيخو: « أو أفضل منه ». وقد رجحنا رواية شيخو لأن « أفضل » ربما تدل على الزيادة فقط، و « أمثل » لا يقال إلا في الخير .

(2) ص 321 : في الأصل : « اعتبروهم الآخرون ». وفي نسخة شيخو: « فان سلم بعضهم من بعض لفتنة عرضت قبل نزول وبال ما صنعوا اغتروهم الآخرون ». وفي نسخة اليازجي: « وإن سلم بعضهم من ضرر بعض باتفاق

الفهرس

الصفحة	
5 - 5	* تصدير - للدكتور أحمد طالب الإبراهيمي
7 - 7	* مقدمة للدكتور عبد الوهاب عزام
35 - 35	* عرض الكتاب لعبد الله بن المقفع
38 - 38	* مثل الرجل والكثر
38 - 38	* مثل طالب العلم والصحيفة الصفراء
40 - 40	* مثل الرجل المتواني والسارق
42 - 42	* مثل بائع السمسم وشريكه
42 - 42	* مثل الرجل الفقير والبارق
47 - 47	* باب توجيه كسرى أنوشروان برزويه إلى بلاد الهند
59 - 59	* باب برزويه الطبيب من كلام بزرجمهر بن البختكان
65 - 65	* مثل المصدق المخدوع
69 - 69	* مثل التاجر وثاقب الجوهر
70 - 70	* مثل شهوات الدنيا ولذاتها
70 - 70	* بلاء الدنيا وعذابها
74 - 74	* مثل رجل ألجأه الخوف إلى بثر
77 - 77	* كليله ودمنة
78 - 78	* أبواب الكتاب

- * باب الأسد والثور 79 - ٧٩
- * مثل الرجل الهارب من الذئب 83 - ٨٣
- * مثل القرد والنجار 84 - ٨٤
- * مثل الثعلب والطبل 92 - ٩٢
- * مثل الناسك واللص 94 - ٩٤
- * مثل المرأة الفاجرة وجاريتها 94 - ٩٤
- * مثل امرأة الإسكاف وجارتها 95 - ٩٥
- * مثل الغراب والأسود 99 - ٩٩
- * مثل العلجوم والسرطان 100 - ١٠٠
- * مثل الأرنب والأسد 101 - ١٠١
- * مثل السمكات الثلاث 105 - ١٠٥
- * مثل القملة والبرغوث 107 - ١٠٧
- * مثل الذئب والغراب وابن آوى والجمل 114 - ١١٤
- * مثل وكيل البحر والطيطوى 118 - ١١٨
- * مثل السلحفاة والبطتين 118 - ١١٨
- * مثل القردة واليراعة 123 - ١٢٣
- * مثل الخب والمغفل 124 - ١٢٤
- * مثل العلجوم والأسود وابن عرس 124 - ١٢٤
- * مثل الجرذان وتاجر الحديد 128 - ١٢٨
- * باب الفحص عن أمر دمنة 131 - ١٣١
- * مثل المرأة وعيها 140 - ١٤٠
- * مثل الطبيب الجاهل المتكلف 146 - ١٤٦
- * مثل الحراث وامراتيه العاريتين 149 - ١٤٩
- * مثل المرزبان وامراته والبازيار 153 - ١٥٣
- * باب الحمامة المطوقة 157 - ١٥٧
- * مثل الجرذ والناسك والضيف 166 - ١٦٦

- * مثل المرأة التي باعت سمساً مقشوراً بغير مقشور 168 - ١٦٨
- * مثل الصياد والظبي والخنزير والذئب 168 - ١٦٨
- * مثل الجرذ صاحب الدنانير وأصحابه 171 - ١٧١
- * مثل من لا مال له 172 - ١٧٢
- * مثل الظبي والغراب والسلحفاة والجرذ 177 - ١٧٧
- * باب البوم والغربان 183 - ١٨٣
- * مثل الأرنب وملك الفيلة 191 - ١٩١
- * مثل الصفرد والأرنب والسنور 194 - ١٩٤
- * مثل الناسك والمكرة والعريض 198 - ١٩٨
- * مثل التاجر وامرأته والسارق 200 - ٢٠٠
- * مثل الناسك واللص والشيطان 204 - ٢٠٤
- * مثل التجار وامرأته وخليتها 204 - ٢٠٤
- * مثل الناسك والفأرة التي تحولت إلى جارية 206 - ٢٠٦
- * مثل الأسود وملك الضفادع 213 - ٢١٣
- * باب القرد والغليم 217 - ٢١٧
- * مثل الأسد وابن آوى والحمار 226 - ٢٢٦
- * باب الناسك وابن عرس 229 - ٢٢٩
- * مثل الناسك وجرة السمن والعسل 232 - ٢٣٢
- * باب ابلاد وايراخت وشادرم ملك الهند 235 - ٢٣٥
- * مثل الحمامتين والحب 246 - ٢٤٦
- * باب مهاييز ملك الجرذان 259 - ٢٥٩
- * مثل الملك والنقب 263 - ٢٦٣
- * مثل الحمار الذي التمس قرنين فذهبت أذناه 264 - ٢٦٤
- * باب السنور والجرذ 269 - ٢٦٩
- * باب الملك والطير قبرة 279 - ٢٧٩
- * باب الأسد وابن آوى 287 - ٢٨٧

303 - 303	* باب السائح والصواغ
311 - 311	* باب ابن الملك وأصحابه
319 - 319	* باب اللبوة والشعهر
327 - 327	* باب الناسك والضيف
331 - 331	* مثل الغراب الذي أراد أن يدرج كالحجلة
333 - 333	* باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين
339 - 339	* التعريفات
349 - 349	* التعليقات
363 - 363	* الفهرس
367 - 367	* « وبعد » .. كلمة الختام للأستاذ محمد المعلم

وبعد ...

فهذا العمل الأدبي الفني الكبير ، إنما جاء نتيجة جهود صادقة مضيئة ، تضافرت وتآزرت طوال عامين كاملين ، تخطَّط وتجرب ، وتقابل وتدقق ، ثم تمضي في التنفيذ باذلة فيه ومنفقة عليه ما لا عهد للنشر العربي به ، مما حقق هذا المستوى الرفيع الذي لم يسبق له مثيل في مكتبتنا العربية ، والذي يمكن أن يقف واثقاً أمام أروع ما تقدمه دور النشر العالمية من أعمال أدبية وفنية قيمة .

ويرجع فضل المبادرة في هذا العمل إلى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر . وقد أسعد دار الشروق أن تشاركها الإيمان به وطموحها فيه . وتمضيان معاً في عمل جاد دؤوب ، تختاران الأفضل والأقدر والأمثل .. لا تضنان بجهد أو وقت أو مال .. إلى أن جاء هذا الكتاب - ذو القيمة التاريخية والعالمية - بهذه الدقة والعناية من حيث النص الذي هو أقدم وأكمل وأصح نص لكليلة ودمنة ، وبهذه الجودة والروعة من حيث الإخراج الذي أخذنا فيه بأحدث فنون العصر فبلغ المستوى العالمي في جميع نواحيه : التصميم ، والرسوم ، والطباعة ، والتجليد .

وقد تضمنت هذه الطبعة باباً جديداً وطريفاً يقدم لأول مرة .. يُعرف بالحيوانات والطيور التي جاءت في أمثال الكتاب وقصصه كما كان يتصورها الأقدمون . وقد انتقينا مادته من عدد من أمهات الكتب العربية القديمة .

وإننا إذ نحمد الله على عونه وتوفيقه لنا في تقديم هذا العمل بهذا المستوى ، ندعوه - جلَّت قدرته - أن يهبنا العون والتوفيق لمتابعة الخطى ومواصلة الجهد المشترك لتطوير كتابنا العربي ، والارتقاء به ، وتقديمه بأسلوب العصر وفي مستواه .

إنه نعم المولى ونعم النصير .

المعالم
محمد

تَمَّ بِعَوْنِ اللَّهِ طَبْعَ هَذَا الْكِتَابِ
فِي مَطْبَعِ الشُّرُوقِ - بَيْرُوتَ
١٩٨١م - ١٤٠١هـ

